

الكافي

الاصول والروضة

لشيخ الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكاظمي

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ ١٠٨٢ هـ

مع تعليقات عليه ، للعالم البتقر

الحاج الميرزا ابوالحسن الشيرازي دام ظله

من مذكرات

المكتب الاسلامي

طهران شارع بوذرجهري

تلفن ٥٢١٩٦٦

الكافي

الاصول والروضة

لثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ / ١٠٨٢ هـ

مع تعليقات عليه للعالم السعدي

احاج الميرزا ابوالحسن الشيرازي دام ظله

عني بتصحيحه وتخريجه علي أكبر الغفاري

المجلد الثامن

من منشورات

المكتب الاسلامي

طهران - شارع البو رحيمي (تلفن ٢١٩٦٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافي)

((باب))

(طينة المؤمن والكافر)

[اخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثني]

١- علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة

قوله (كتاب الايمان والكفر) قدم الايمان لانه الاصل والاهم والمقصود اولانه وجودي والكفر عدمي كما قيل ، ولم يذكر واسطة ذكرها فيما بعد اما لانه لا يقول بثبوتها لما مر من الوجه الاخير اولانه اراد بهما اصل الاقرار والانكار ، ولا واسطة بينهما ، وانما الواسطة باعتبار امر آخر وهو ان يراد بالايمان الايمان الكامل المقارن بالاعمال كما هو الشايع عند اهل البيت عليهم السلام اولانه اراد بهما المطلق والواسطة لا تخلو من أحدهما ، و الفرض من هذا الكتاب بيان أصل الانسان و كيفية خلقه والفرض منه وما يوجب كفره وايمانه و بيان مهلكاته و منجياته ، والترهيب من الاولى ، والترغيب في الثانية ليعرف كيفية السلوك و طريق الوصول الى سادته التي هي قرب الحق والوصول اليه والتخلص من أهواء النفس واغواء الشيطان ولا يمكن ذلك الا بمجاهدات نفسانية و رياضات بدنية و روحانية و نيات صادقة قلبية ، وهم رفقة عالية والله ولي التوفيق واليه سداد الطريق .

قوله (باب طينة المؤمن والكافر) في النهاية طينة الرجل خلقه واسله طائفة الله على طينته أي خلقه على جبلته ، وفي المصباح الطين معروف والطينة أخس منه والطينة الخلقة يقال طائفة الله على الخير جبله عليه ، وانما قدم باب الطينة لانه يذكر فيه أحوال شتركة مع أن الطينة و أحوالها بمنزلة المادة و سائر الاحوال بمنزلة الصورة .

قوله (اخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثني) لم يوجد في أكثر النسخ والوجه على تقدير وجوده ما ذكرناه في اول الكتاب .

قوله (ان الله عز وجل خلق النبيين) أي أوجدهم أو قدر وجودهم من طينة الجنة على تفاوت درجاتها ، و نبينا وصياؤه عليهم السلام خلقوا من طينة أعلاها كما سيجيء و اضافة الطينة اما بتقدير اللام أوفى أو من .

عليّ قلوبهم و أبدانهم و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، و خلق الكفار من طينة سجين ، قلوبهم و أبدانهم فخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن ومن ههنا يصيب المؤمن

قوله (قلوبهم و أبدانهم) بيان أو بدل للنبيين و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف (١) الذى يتعلق به الروح أولا فلا ينفى ما مر فى باب خلق أبدان الائمة من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين و أرواحهم مخلوقة من فوق ذلك وهو نور العظمة كما فى حديث آخر على : أنه لو اريد به الروح لامكن الجمع بجعل الطينة مبدءا لها مجازاً باعتبار القرب و التعلق أو بتخصيص النبيين بغيره دس ، ويؤيده خبر محمد بن مروان المذكور فى ذلك الباب .

قوله (و خلق قلوب المؤمنين) أى خلق قلوب المؤمنين من طينة عليين وهى جنة عدن و خلق أبدانهم من دون ذلك بدرجة ولذلك سارت قلوبهم ألطف وألين من أبدانهم ، ووقع الاقتراب بالافتناء والافتراق فى النبوة بينهم وبين النبيين .

قوله (و خلق الكفار) أى خلق الكفار قلوبهم و أبدانهم من طينة جهنم على تفاوت درجاتها باعتبار تفاوت حالاتهم فى المتو والطينان ، و لذلك سارت قلوبهم و قواهم فسى الغلظة والكثافة مثل أبدانهم و لم يذكر هنا اتباعهم لان نوع الكفر يشملهم بخلاف النبوة فانها لاتشمل جميع المؤمنين .

قوله (فخلط بين الطينتين) الظاهر أنه خلق منها آدم دس ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن فيخرج من المؤمن ما كان فيه من طينة سجين و يظهر منه ويخرج من الكافر ما كان فيه من طينة عليين ، وهذا معنى قول أبى عبدالله دس : ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه ولو لم يلد المؤمن الذى فيه شيء من طينة سجين كافراً ولا الكافر الذى فيه شيء من طينة عليين مؤمناً وقع النزاع يوم القيامة لان طينة النار لاتدخل الجنة و

(١) قوله و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف ، أقول وهو بعيد لانه جعل مقابلاً للأبدان ، فالمراد منه الارواح ويدفع المناقاة بين الخبرين بتعميم العليين فى الخبر الثانى بان يكون المراد من العليين أى ما خلق منه أرواح الائمة فى هذا الخبر أهم من العليين الذى ذكر فى الخبر السابق لان عالم العليين عالم طاهر مقدس من أدناس المادة مع أنه ذو مراتب فجسمهم و روحهم كلاهما من عليين الا ان أرواحهم من مرتبة أعلى منه فتارة اطلق عليون على المرتبة الدنيا خاصة وقيل أرواحهم من فوق ذلك و تارة اطلق على جميع المراتب فقيل أرواحهم و أبدانهم من عليين والله العالم . (ش)

السيئة ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه و قلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه.

طينة الجنة لا تدخل النار. يدل على هذا ما ذكره الصدوق في آخر الملل في حديث طويل ، و لولا التخليط لما صدر من المؤمن ذنب قطعاً ولا من الكافر حسنة أصلاً وفيه مصالح جمّة منها اظهار قدرته باخراج الكافر من المؤمن و بالعكس دفعا لتوهم استنادهم الى الطبايع كما قال جل شأنه و يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، و منها ظهور رحمته في فسفة المؤمنين بغير ذنوبهم و منها تمييز المؤمنين في دولة الكافرين اذ لو لم يكن رابطة الاختلاط ولم يكن لهم رافة و أخلاق حسنة كانوا كلهم بمنزلة الشياطين فلم يتخلص مؤمن من بطشهم. و منها وقوع المؤمن بين الخوف والرجاء حيث لا يعلم أن الغالب فيه الخير أو الشر و منها رفع العجب عنه بفعل المعصية و منها الرجوع اليه عز وجل في حفظ نفسه عنها. قوله (فقلوب المؤمنين تحن) أى تميل قلوب المؤمنين الى عليين و قلوب الكافرين الى سجين لميل كل الى أصله، لا يقال هذا الحديث و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر (١)

(١) قوله و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر، ليس في الباب الاول من هذه الكتاب حديث يعتمد على اسناده بل جميع أخباره ضعيفة بوجه ولكن في باين بعده أخباراً توصف بالحسن أو التوثيق ولكن مضامينها مخالفة لاصول المذهب وللروايات الآتية في الباب الرابع أعني باب فطرة الخلق على التوحيد و ذلك لان من أصول مذهبنا العدل واللفظ و ان لم يخلق بعض الناس أقرب الى قبول الطاعة و بعضهم أبعد و التمييز في خلق المكلفين مخالف لمقتضى العدل لانه تعالى سوى التوفيق بين الوضيع والشريف ممكن اداء الأمور و سهل سبيل اجتناب المحذور، و خلق بعض الناس من طينة خبيثة اما ان يكون ملزماً باختيار المعصية جبراً وهو باطل واما ان يكون أقرب الى قبول المعصية ممن خلق من طينة طيبة وهو تمييز وظلم و قلنا انه مخالف للروايات الآتية في الباب الرابع لانها صريحة في أن الله تعالى خلق جميع الناس على فطرة التوحيد وليس في أصل خلقهم تشويه و عيب و انما العيب عارض وهكذا ما نرى من خلق الله تعالى فانه خلق الماء صافياً و انما يكدره الارض التربة و كذلك الانسان خلق سالماً من الخبائث و أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه و ايضاً القرآن يدل على ان جميع الناس قالوا بلى في جواب ألسنت بر بكم فالاصل الذي عليه اعتقادنا أن جميع أفراد الناس متساوية في الخلقة بالنسبة الى قبول الخير والشر و انما اختلافهم في غير ذلك فان دلّت رواية على غير هذا الاصل فهو مطروح أو مأول بوجه سواء علمنا وجهه أو لم نعلم و من التأويلات التي هي في معنى طرح الروايات تأويل الشارح فان الروايات صريحة في أن الطينة مؤثرة في صيرورة العبد سعيداً أو شقيماً و أولها الشارح بأنها غير مؤثرة. (ش)

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبد الغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله جلّ وعزّ خلق المؤمن من طينه الجنة وخلق الكافر من طينة النار ؛ وقال : إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً طيب روحه

والاضطرار لانا نقول :- والله أعلم - إن الله جلّ شأنه لما خلق الارواح كلها قابلة للخير والشر وعلم أن بعضها يمود الى الخير المحض وهو الايمان ، وبعضها يمود الى الشر المحض وهو الكفر باختيارهما وأمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيحییء و وقع معلومه مطابقاً لعلمه خلق للاول مسكناً وهو البدن من طينة عليين و خلق للآخر مسكناً من طينة سجين كما خلق للمؤمن جنة و للكافر ناراً و ذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه ويمود كل جزء الى كله وكل فرع الى أصله ، و من ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للإيمان والكفر ومسبب عن العمل دون العكس فلا يستلزم الجبر ولا ينافي الاختيار الا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالاً من وجه و انفصالاً من وجه آخر لان المؤمنين يوافقونهم في العقائد و يخالفونهم أحياناً في الاعمال لعدم العصمة خلق قلوب المؤمنين من طينة النبيين وخلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجاتهم و شرفهم ، فوضع كلا في درجته و انك اذا قررت لمبدك المطيع بيتاً شريفاً و لمبدك العاصي بيتاً وضيعاً صح ذلك عقلاً و شرعاً ولا يصفك عاقل بالظلم والجور اذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فهو انما يلزم لو انعكس الامر أو وقع التساوى ، و بما قررنا تبين فساد توهم أن الايمان والفضل و الكمال و أضعافها تابعة لطهارة الطينة و صفاتها ، و خبائة الطينة و ظلمتها ، و هذا التوهم يوجب الجبر و بطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نموذبالله منه .

قوله (خلق المؤمن من طينة الجنة) قد أشرنا الى أن المراد بالطينة ظاهرها و أن الله تعالى لما علم في الازل من روح المؤمن طاعته و من روح الكافر عصيانه خلق بدن كل واحد في هذه النشأة مما يمود اليه في النشأة الآخرة ، و قال بعض شراح نهج البلاغة : الطينة اشارة الى أصولهم وهي الممتزجات المنتقلة في أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء و ما بعدها من العلقة والمضنة والعظم والمزاج القابل للنفس المدبرة ، و سيحییء توضيح ذلك في حديث المزن .

قوله (وقال اذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً) ان اريد بالخير توفيقه تعالى وهداياته الخاصة لحسن استعداد العبد فالارادة على حقيقتها وان اريد به الايمان و توابه من الاعمال الصالحة والاخلاص الفاضلة يرد أنه تعالى أراد خير جميع العباد بهذا المعنى و يمكن دفعه بأن الارادة حينئذ تمود الى اعتبار كونه عالماً بما في العبد من الميل الى الخيرات والمزم على امتثال

وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره قال : وسمعتة يقول : الطينيات ثلاث : طينة الانبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الانبياء هم من صفوتها ، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب ، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم ، وقال : طينة الناصب من حماء مسنون ؛ وأما المستضعفون فمن تراب ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه و

أو امره والاجتناب عن نواحيه ، فإذا علم منه ذلك توجه اليه لطفه فيطيب روحه و نفسه عن الفضائح و يطهر جسده و قواء عن القبائح فلا يسمع شيئاً من الخير الا عرفه وصدق به ووصل به وان كان من العمليات ولا يسمع شيئاً من المنكر الا أنكره و عرف قبحه وتركه ، وهكذا يفعل الله بعباده اذا علم صدق نياتهم و حسن استعدادهم .

قوله (الطينيات ثلاث) الاولى طينة الانبياء والمؤمنين المقربين بهم ، والثانية طينة الكفرة والنواصب المنكرين المعاندين لهم ، والثالثة طينة المستضعفين الذين لا يقرون بهم ولا يماندونهم ، وهذا التقسيم باعتبار المخلوق منها ، فلا ينافي ما مر في باب خلق ابدان الامة من أن الطينيات عشرة لان ذلك باعتبار مبدء الخلق ، تأمل تعرف .

قوله (والمؤمن من تلك الطينة) أى قلبه أو الاهم منه و من البدن لان المراد بتلك الطينة طينة الجنة وهى تشملهما الا أن الانبياء خلقت قلوبهم وأبدانهم من صفوتها ، او خالصها ، و أما ارواحهم فمن فوق ذلك كما مر ، وهم الاصل فى اليجاد والمقصودون أصالة فى خلق هذا النوع ولهم فضلهم فى العلم والعمل والتقدم والتقرب التام بالحق والارشاد ، والمؤمنون فرع الانبياء وتلوهم فى القصد واليجاد وأبدانهم خلقت من طين لازب و هو نفل طين الانبياء سمي به لانه الزق و أصلب من الصفو المذكور ، و أما قلوبهم فخلقت مما خلق منه الانبياء كما مر وكما لم يفرق الله تعالى بين الانبياء وشيعتهم فى الخلقة والطينة كذلك لا يفرق بينهما فى الدنيا والاخرة لان الفرع مع الاصل والتابع مع المتبوع .

قوله (وقال طينة الناصب من حماء مسنون) الحماء الطين الاسود والمسنون المتغير المنثنى و هو طين سجين ، وقد روى أن الله عز وجل خلق أرضاً خبيثة سبخة مثننة ، ثم فجر منها ماء اجاجاً مالحاً فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقها و عموها ، ثم نصب ذلك الماء عنها ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطفلاء الكفرة وأئمتهم .

قوله (و أما المستضعفون فمن تراب) أى خلقوا من تراب غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين ، ولا بماء آسن اجاج كما مزجت به طينة الكافرين ، فلا يكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء والله المشية فيهم ان شاء الله أدخلهم فى

الله المشيئة فيهم.

٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء، فلم تنجس أبداً.

٤- محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد وغيره، عن محمد بن خلف، عن أبي - نهشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله جل وعز خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و

رحمته و إن شاء أخرجهم منها.

قوله (لا يتحول مؤمن من إيمانه) بيان لحال كل واحد من الأقسام الثلاثة، ولا ينافية ما قد يقع من التحول لأن المتحول من الإيمان لم يكن مؤمناً في الحقيقة، وإنما اكتسب الإيمان بما فيه من رائحة طينة الجنة المكتسبة بالمخالطة، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الكفر في العهد القديم والمتحول من الكفر لم يكن كافراً في الحقيقة، وإنما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة النار، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الإيمان وبالحيلة الإيمان في الأول حسنة نشأت من التخليط المذكور، والكفر في الثاني سيئة نشأت منه والتخليط قد يفضي إلى اتصاف كل واحد من الفريقين بصفات الآخر لكنه غير مستقر غالباً .

قوله (من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن) يريد بالمؤمن من علم الله تعالى أذلا إيمانه في عالم الأرواح ومن كان كذلك فهو مؤمن في عالم الأشباح أيضاً و لذلك خلق الله قلبه وبدنه من طينة طيبة طاهرة هي طينة الأنبياء، أما قلبه فمن صفوها، وأما مثال بدنه فمن ثفلها فلاجل ذلك لم ينجس المؤمن بالكفر وقد عرفت أن خلقه من تلك الطينة تابع لإيمانه وسبب لكماله وهو لطف من الله تعالى مبسوط على من يشاء من عباده.

قوله (خلقنا من أعلى عليين) أي خلق قلوبنا وأبداننا من أعلى أمكنة الجنة وأرفع درجاتها أو من أعلى المراتب وأشرفها وأقربها من الله عز وجل على احتمال، وخلق قلوب شيعتنا وتابعينا في العلم والعمل مما خلقنا منه فلذلك يقبل الحق ويستقر فيه، وخلق أبدانهم من دون ذلك لتصور ما في قوتهم العملية وقواهم الجسمانية بالنسبة إلى قوتنا وقوانا فوضع كل في المقام اللائق به، لا يقال خلق قلوب شيعتهم مما خلق قلوبهم منه يقتضسى

خلق أبدانهم من دون ذلك و قلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا منه ، ثم تلا هذه الآية : « كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين » و ما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون ، وخلق عدوَّنا من سجين و خلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية : « كلاً إن كتاب الفجار لفي سجين » و ما أدراك ما سجين ؟ كتاب

المماثلة في القوة النظرية وليس كذلك لانا نقول استكمال القوة النظرية كما يكون من جهة التأثير ، المنفصل كذلك يكون من جهة التأثير في القوى الجسمانية والادراكات والصفات الحاصلة للنفس المدبرة من هذه الجهة، وفي نفس الشيعة وان استكملت نقص ما في التأثير بالنسبة الى نفوسهم القدسية الكاملة من كل وجه والنقص فيه يوجب النقص في التأثير ايضاً ذلك يوجب عدم المساواة بينهما في القوة المذكورة.

قوله (لانها خلقت مما خلقنا) ضرورة ان تولدها منه و فرعتها له و ربطها به مقتضية لميلها اليهم وحبها لهم كما يحب الولد والده و يميل اليه.

قوله (ثم تلا هذه الآية كلاً ان كتاب الأبرار لفي عليين) لعل المراد ان المكتوب للأبرار وهم المؤمنون مطلقاً من الافعال الخيرية والاعمال الصالحة لفي عليين و هو ديوان اعمال الصالحين و صحائف أفعال المتقين، ثم قال تفخيماً لشأنه : و ما أدريك ما عليون كتاب مرقوم ، أي مكتوب أو معلم بعلامة يعلم من رآه أن فيه خيراً يشهده المقرَّبون من الملائكة أي يحضرونه و يحفظونه أو يشهدون لهم على ما فيه يوم القيامة، والغرض من تلاوة الآية هو الاشارة بتعظيم كتابهم الى تعظيم شأنهم ، و يحتمل أن يراد بعليين الجنة أو أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى أو السماء السابعة و حينئذ لا بد من اعتبار الحذف في قولهم له : و ما أدريك ما عليون ، أي ما كتاب عليين. كما يحتمل أن يراد بكتاب الأبرار ما كتب و فرض لهم من الطينة و بعليين الجنة مع رعاية الحذف لكن كلا الاحتمالين بعيد والثاني أبعد.

قوله (و خلق عدوَّنا من سجين) عدوهم من أنكر ولايتهم أو ولاية أحدهم أو دفعهم عن مرتبتهم : والمراد بالسجين هنا جهنم أو واد فيها أو حجر في الارض السابعة أو أبعد المراتب من الله تعالى، و لما كان عدوهم على سنفين صنف هم المتقدمون في المداواة والشروع و صنف هم التابعون لهم فيها و كانت أوزار الاولين أكثر و أفخم ، و عقوبتهم أشد و أعظم خلق أبدانهم و قلوبهم من أقبح الدركات ، و خلق قلوب تابعيهم مما خلقوا منه و أبدانهم دون ذلك لوضع كل واحد في مرتبته.

قوله (كلاً ان كتاب الفجار لفي سجين) يظهر معناه بالنظر الى ما سبق لانه يخالفه

مرقوم * ويل * يومئذ للمكذابين.

٥- عدة * من أصحابنا، عن سهل بن زياد وغير واحد، عن الحسين بن الحسن جميعاً، عن محمد بن أورمة، عن محمد بن علي *، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف قال : أخبرني عبدالله بن كيسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان، قال : أما النسب فأعرفه وأما أنت، فليست أعرفك قال : قلت له : إني ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمات وحسن الخلق و [كثرة] أمانة ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي : أما علمت يا ابن كيسان

فبجري فيه خلاف ما ذكر.

قوله (أما النسب فأعرفه) كان المراد بالنسب كيسان ، ولعله كيسان بن كليب من أصحاب علي والحسن والحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي عليهم السلام وهو أيضاً لقب مختار بن أبي عبيد المنسوب اليه الكيسانية ، والمراد بمعرفته معرفته بالرؤية و بعدم معرفة ابنه عبدالله عدم معرفته بها ، و يؤيده قوله إني ولدت - الخ ، على الظاهر ، ويمكن أن يكون كناية عن عدم إيمانه اذ لو كان مؤمناً لعرفه لانهم عليهم السلام كانوا يعرفون شيعتهم و أسماءهم و أسماء آبائهم كما دللت عليه الراويات المعتبرة .
قوله (إني ولدت بالجبل) قيل المراد بالجبل كردستان بين تبريز و بغداد و همدان وغير ذلك .

قوله (فأرى له حسن السمات) هو السكينة والوقار و هيئة أهل الخير والصلاح يقال : سميت الرجل سمناً من باب قتل اذا كان ذا سكينة و وقار و هيئة حسنة .
قوله (و كثرة أمانة) في أموال الناس و مهودهم و أسرارهم .

قوله (ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم) أي متجاوزاً عن بدايتها الى نهايتها أو على عداوتكم أو من عداوتكم لان حرف الجر يجيء بعضها بمعنى آخر كما صرح به أئمة اللغة و على التقدير فيه مبالغة في عداوته أما الاول فظاهر و كذا الثاني لان على للاستعلاء ، و أما الثالث فلانه يفيدان التفتيش مقارن لوجدان عداوته ، و انما يكون ذلك لكمالها فيه .

قوله (و زعارة) عطف على قلة أو سوء الخلق ، وهي الفساد والفسق وسوء الخلق و الخبث والفزع من كل كريهة والاضطراب منها .

قوله (فكيف يكون ذلك) ظن أن وليه طيب وعدوه خبيث ، فنهى أن يكون الامر

أن الله عز وجل أخذ طينة من الجنة و طينة من النار، فخلطهما جميعاً ، ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه فمارأيت من أولئك من الأمانة و حسن الخلق و حسن السمات فمما مستهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، و ما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة و سوء الخلق و الز غارة فمما مستهم من طينة النار، و هم يعودون إلى ما خلقوا منه.

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال: نعم.

٧- علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة ، فقبض بيمينه قبضة ، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا و أخذ من كل سماء على عكس ما وجدناه فلما وجد خلافه سأل عن سببه.

قوله (فخلطهما جميعاً) و بذلك يختلف أحوالهم و صفاتهم في الدنيا كما أشار إليه بقوله و فمارأيت من أولئك، و حاصله أن ما في كل واحد من المؤمن و الكافر من صفات الآخر أمر عرضي حصل له باعتبار مماسة الطينتين و مجاورتهما و راحتهما لاكتساب طينة الجنة راحة من طينة النار و بالعكس، و إن الأخلاق الذميمة لا تنافي الايمان و لا تدفعه، و الأخلاق الحسنة لا تنفع مع الكفر و إن كان ذلك موجباً لنقصهما فكل يعود الى ما خلق منه.

قوله (المؤمنون من طينة الانبياء) قد عرفت أن طينة الانبياء من الجنة و أنهم مخلوقون من صفوها و خالصها، و أن قلوب المؤمنين مخلوقة منه و أبدانهم من ثفلها و هو دون ذلك و لا يلزم منه الجبر و الاضطرار لما مر .

قوله (في أول ساعة من يوم الجمعة) يدل على شرافتها و رجحان الشروع في الامر العظيم فيه، و على حدوث آدم بإرادته تعالى و الايات المتكاثرة و الروايات المتواترة من طرق العامة و الخاصة صريحة فيه ، و هو مذهب أصحاب الشرايع كلها و مذهب جم غفير من منكريها ، خلافاً للدهرية القائلين بقديم نوع الانسان و أنه ليس ثم انسان أول و إنما هو انسان من نطفة و نطفة من انسان لا الى أول و لأصحاب الطبيعة القائلين بأن آدم حدث من تأثير النجوم أو العناصر أو غير ذلك من المزخرفات.

قوله (و أخذ من كل سماء تربة) يمكن أن يراد بالسماء الجنة مجازاً لكونها من

تربة و قبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ، ففلق الطين فلقين فزدا من الأرض ذرواً ومن السماوات ذرواً فقال للذي بيمينه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله: منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ما قال كما قال. ثم إن الطينتين خلطنا جميعاً، وذلك قول الله عز وجل: " إن الله فالق الحب والنوى،

جهة السماء أو حقيقة لأن السماء كل عال مظل، ولذلك يقال للسقف والسحاب سماء، وكل درجة من درجات الجنة سماء لعلوها وارتفاعها بالنسبة إلى ما تحتها و حينئذ يراود بالأرض السجين و دركاتهما فيوافق سائر الروايات وأن يراد بها هذا المحسوس لتبادره ولا يبعد أن يكون فيها تراب من جنس تراب الأرض أو غيره أو لنقله إليها للتشريف والتكريم. قوله (فأمسك القبضة الأولى) بيمينه هي طينة المؤمن و امساكها بيمينه للتشريف لان اليمين أشرف و للاشارة بكمال القوة الروحانية للمخلوق منها.

قوله (ففلق الطين) فلقته فلقتاً من باب ضرب شققته فانفلق، و فلقته بالتشديد مبالغة، و ذراً الشيء تحرك و تفرق سريعاً. والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين، و لما فلقه بفتح القبضة تحرك ما في شماله في الأرض و ما في يمينه في السموات فقال الله تعالى أو جبرئيل دح، للذي بيمينه منك الرسل الذي يأتون بالدين أو الكتاب ويشاهدون جبرئيل عليه السلام و يسمعون منه والأنبياء المخبرين عن الله تعالى وإن لم يكونوا رسلاً والأوصياء لهم والصدّيقون المعصومون أو المصدقون للأنبياء والرسل كثيراً أو المطابق أصالهم لأقوالهم و المؤمنون المتصفون بالإيمان الكامل والمقرون بالله واليوم الآخر والسعداء الواسلون إلى الله بمجاهدات نفسانية وقوة روحانية. و من أريد كرامته في الدنيا بالهدايات وفي الآخرة برفع الدرجات فوجب لهم ما قال كما قال من الوعد المذكور أو من قوله عز شأنه، وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها و قال للذي بشماله منك الجبارون الذين يكسرون قلوب الخلايق ويظهرونهم واعناقهم بالجور والغلبة، والمشركون بالله والكافرون الجاحدون له أولئـه من أحكامه وأموه الضرورية والطواغيت المجاوزون الحد والمقدار في العصيان، السابقون في طرق الشبهة والضلالة والظلمات و من أريد هوانه و شقوته في الدنيا بسلب التوفيق والاذلال، و في الآخرة بالآخذ والنكال فوجب لهم ما قال كما قال من الأمر المذكور أو من قوله عز شأنه فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق. قوله (ثم إن الطينتين خلطنا جميعاً و ذلك) دل على أن الفلق والذر وقما

فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه وقال الله عز وجل "يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي" فالحي، المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي، المؤمن، والميت الكافر وذلك قوله عز وجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها

أولاً والتخليط وقع بعدهما وذلك إشارة إليهما بالاعتبار المذكور : و الآية الأولى استشهد بالاول . والثانية للثاني.

قوله (فالحب طينة المؤمنين) كأنه بطن الآية فظهرها حب الزرع و نواة الثمر و كلاهما على كمال قدرة الصانع .

قوله (من أجل أنه نأى عن كل خير و تباعد عنه) العطف للتفسير وكان عين نأى كانت واواً و يؤيده أن صاحب مصباح اللغة ذكره في باب النون والواو.

قوله (فالحي المؤمن) كما أن الحي والميت يطلقان على من اتصف بالروح- الحيواني، و على من زالت عنه، كذلك يطلقان على من اتصف نفسه الناطقة بكمالاتها من الايمان والاخلاق وغيرها، و على من لم يتصف نفسه بها بل هذا الاطلاق أولى عند أرباب العرفان و أصحاب الايقان لان هذه حياة باقية و تلك حياة فانية.

قوله (بكلمته) و هي أمره أو جبرئيل وع، سمي بها لانه يكلم الناس عن الله مزوجل و يبلغ أمره اليهم.

قوله (كذلك يخرج الله عزوجل المؤمن في الميلاد) أى كما أخرج الله المؤمن و الكافر و ميز بينهما حين كونهما طيناً ، كذلك يخرج المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله الى النور. و يخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله في النور، والميلاد أخص من المولد لان المولد الموضع للولادة والوقت ، والميلاد الوقت لاغير، والمراد بالظلمة ظلمة الكفر أو ظلمة طينة سجين، و بالنور الايمان او نور طينة الجنة، و بدخول المؤمن في ظلمة الكفر كونه في أصلاب الآباء الكفرة وأرحام الامهات الكافرات الى أن أخرج الله تعالى عنها في وقت ولادته فتخلص من ظلمة الكفر و دخل في نور الايمان، وقس عليه دخول الكافر في نور الايمان و اخراجه منه و يظهر من هذا الحديث ان اخراج المؤمن من الكافر و بالعكس في وقتين و قست تفريق الطين و وقت الولادة لهما في طينة أحدهما من

إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل: «لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين».

(باب آخر منه)

وفيه زيادة وقوع التكليف الاول

١- أبو علي الأشعري ومحمد بن يحيى، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن

شايبة طينة الاخر.

قوله (وذلك قوله عز وجل) اشارة الى كون المؤمن مؤمناً وكون الكافر كافراً قبل اخراجهما واستشهادهما له أى يدل على ذلك قوله تعالى «لينذر» أى القرآن أو الرسول ومن كان حياً بروح الايمان «و يحق القول» أى كلمة المذاب «على الكافرين» فان فى لفظ كان دلالة على ثبوت الحياة بالايمان واستمرارها فى جانب الماضى قبل الانذار، وفى لفظ الكافرين اشارة بثبوت الكفر واستمراره كذلك قبله.

قوله (باب آخر وفيه زيادة وقوع التكليف الاول) يفهم من الروايات أن التكليف الاول وهو ما وقع قبل التكليف فى دار الدنيا بأرسال الرسل وانزال الكتب متعدد الاول كان فى عالم الارواح الصرفة، الثانى كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين اخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يميناً وشمالاً وكل من أطاع فى هذه التكليف الثلاثة فهو يطيع فى تكليف الدنيا وكل من عصى فيها فهو يعصى فيه وهنا تكليف خامس يقع فى القيامة وهو مختص بالاطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبى وهم لا يعقلون وغيرهم ممن ذكر فى محله.

قوله (لو علم الناس كيف ابتداء الخلق) خلق الله تعالى الارواح بعد توافيقها فى فطرة الايمان على مراتب متفاوتة فى الايمان والكمال والادراك، و خلق الاجساد من مواد مختلفة بحسب اختلاف الارواح فيما ذكر، ووضع كل واحد منها فيما يليق به، ولو علم الناس كيفية تلك المراتب و كميتها و تفاوتها فى قبول الكمال ما اختلف اثنان ولا يعبر صاحب الكمال صاحب النقص (١) وهذا لا ينافى تمييز من بدل فطرته الاصلية وغير استعداداته الذاتية بقبح أعماله وسوء أفعاله وترك السعى فيما خلق له و طلب منه و يليق به ، و مدام الصرع كلها من هذا القبيل .

(١) قوله «ولا يعبر صاحب الكمال صاحب النقص» ان كان المراد بصاحب النقص أهل*

ماء عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي؛ وكن ملحاً أجاباً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ، ثم أخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عر كاً شديداً فاذا هم كالذرّ يدبّون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر ناراً فأسعرت ، فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها ، فها بوها ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها ، فقال ليكوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً ، فقال لأصحاب الشمال : يا رب أفلح حال : قد أفلتكم فادخلوها ، فذهبوا

قوله (قال كن ماء عذباً) كلمة كن إشارة إلى إرادته وجود ما فيه حكمة ومصلحة

وقدرته عليه من غير لفظ ولا صوت ولا نداء ويفهم منه أن الماء العذب أصل المؤمن ومنه شرافته ولبنته وأن الماء الاجاج وهو بالضم الماء المالح الشديد الملوحة أصل الكافر ومنه خساسته وغلظته وامتزاج المائين سبب لتحقيق القدرة على الخير والشر والقوى القابلة للضدين ، وتولد المؤمن من الكافر وبالعكس لما في أحدهما من أجزاء الآخر وصفاته ورايحه ، وقد مر شيء من سر الامتزاج آنفاً ولعل خلق الجنة والنار من المائين إشارة إلى أنهار الجنة وطراوة أشجارها من الماء الاول ومياه النار ونمو أشجارها كالزقوم من الماء الثاني قال الله تعالى أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلحها كأنه رؤس الشياطين .

قوله (ثم أخذ طيناً من أديم الأرض) المراد بالطين ما امتزج بالمائين وخر بهما كما سيجيء .

المعاصي فأول من عيرهم الله تعالى نفسه ولعنهم وبعده الملائكة والأنبياء والاولياء في آيات كثيرة وأحاديث متواترة ، ولو كان مضمون هذه الرواية حقاً لبطل كتاب الله تعالى والأحاديث النبوية واجماع أهل الحق ، وإن كان مخالفة فرعون لموسى وع ، لعب في طينته ولم يجز تمييزه كيف يذمه ويلعنه الله والملائكة ويتهرب منه أتباع الأنبياء واليهود والنصارى والمسلمون ، قال العلامة المجلسي - رحمه الله - أنها من منشأها الأخبار ومعضلات الآثار ومعا يوم الجبر ونفي الاختيار ، ولاصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك الاول مذهب اليه الاخباريون وهو أنا نؤمن بها مجعلاً ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها ، الثاني أنها محمولة على النقية ، الثالث أنها كناية عن علمه تعالى بما هم اليه صائرون ، الرابع أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم وهذا أمر بين لا يمكن انكاره وهذا لا يستلزم سقوط التكليف فان الله تعالى كلف النبي دس ، بقدر ما أعطاه من الاستعداد وكلف أباجهل ما في وسعه وطاقته ، الخامس أنه لما كلف الله تعالى الارواح أولاً في الذر واخذ ميثاقهم فاختراروا الخير والشر باختيارهم تفسر عن اختلاف الطينة على ما اختاروه . انتهى ملخصاً وهو حسن جداً . (ش)

فهابوها ، فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة أن رجلاً سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله جل " و عز " و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية

و باديم الارض ما ظهر منها ، وبالارض ما غشى من الارض النار وارض الجنة و الفرض من حركة وذلكه اخراج مادة كل من المؤمن والكافر عن الاخرى و تميزها عنها و اخراج كل واحد منهما من مادته كما أشار اليه بقوله « فاذا هم كالذر يدبون » وجه التشبيه الصغر و الحركة فقال لاصحاب اليمين الى الجنة أى سيروا الى الجنة مثل بسين بسلام منى و بركات أو سالمين من الموت والافات و قال لاصحاب الشمال الى النار ولا ابالي لعدم الاعتناء بهم ، ثم أمر نادراً فاسعرت أى أتقدت و اشتعلت فقال لاصحاب الشمال ادخلوها الى آخره .

والفرض من هذا التكليف ابراز المعلوم و اظهار انطباق علمه به والممثل بالتكليف فى هذه الدار هو الممثل بهذا التكليف ، والراد هو الراد . والتطابق بين الامثالين وعدمها لازم كما أشار اليه بقوله « فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ، ولا هؤلاء من هؤلاء » و ليس عدم استطاعتهم نظراً الى ذاتهم بل بالغير فلا ينافى تكليفهم فى العالم الشهودى لتكميل الحجة عليهم .

قوله (و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) من ظهورهم بدل من « بني آدم » بدل البعض من الكل ، والمراد بأخذ الذرية من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلاً بعد نسل و اشهادهم على أنفسهم فان مواد الكل كانت موجودة فى صلب آدم على ترتيب وجودهم فى هذه النشأة فاخراجهم من ظهور بني آدم اخراج من ظهر آدم و صلبه فلا ينافى ما دل على أن الاخراج من ظهر آدم و صلبه ، و يؤيده ما نقل عن ابن عباس من أنه تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسل هو خالقها الى يوم القيامة فقال: ألست بربكم قالوا بلى فتودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة و روى أن الذرية كانت فى سورة انسان على مقدار الذر . و قال محمد بن جرير الطبرى: ان آدم لما فرغ من حجه و نام فى وادى النعمان وهو واد خلف جبل عرفات أخرج الله تعالى ما كان فى صلبه من ذريته الى يوم القيامة فقرأهم آدم « دع » فمن كان فى يمينه كان من أهل الجنة و من كان فى يساره كان من أهل النار ، وقال جماعة منهم صاحب الكشاف أن قوله ألست بربكم و

فقال و أبوه يسمع عليه السلام: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً

قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه أشهدهم على أنفسهم وقرهم، وقال لهم ألسنت بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقرنا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب، وقال بعضهم: إن أخذ الذرية يعود إلى إحاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود هذا النوع بأشخاصه وانتقائه بذلك من قلم القضاء الإلهي ونزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل والاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والإقرار بها منزلة الأشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخبيلاً لإخراج ولاشهادة ولاقول وإقرار ثمة حقيقة والفرق بين هذين القولين أن الإخراج على سبيل الحقيقة والأشهاد والجواب من باب التمثيل في الأول وكليهما من باب التمثيل في الثاني، والحق أن الإخراج والأشهاد والإقرار وأخذ الميثاق بالمعاني المذكورة كلها واقعة لأنه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله وألسنت بربكم، وأجابوا ببلى حقيقة ولايبدو فيه نظراً إلى قدرته القاهرة وأنه تعالى جمل فيهم قوة يتقنون بها على معرفته وتوحيده نظراً في آياته وعلى الخروج مما فيهم من قوة الكمال والتكميل إلى الفعل فكان خلقهم على هذا الوجه مشابهاً بالإخراج والعهد والميثاق فحسن إطلاق الإخراج والميثاق على هذا الوجه على سبيل التمثيل. وهذا هو العهد القديم والعهد الأول بل لايبعد إطلاق العهد القديم على علمه تعالى بما فيهم من تلك القوة، ثم إن بعضهم بعد الوجود المعنى نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقرروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية هذا، وتفسيره دع، يدل ظاهراً على أن إخراج الذرية من الطينة التي هي مبدأ خلق آدم دع، وفي انطباقه على ظاهر الآية خفاء، ويمكن أن يقال: إن بني آدم كانوا كامنين في طينة آدم فكان إخراجهم منها إخراجاً من ظهور بني آدم وإخراجاً من ظهر آدم أيضاً، أو يقال للآية ظهر و بطن و مسا ذكره دع، تفسير لبطنها والله يعلم.

قوله (إن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة) القابض جبرئيل دع، ونسبته إلى الله تعالى مجاز باعتبار أنه الأمر والتراب مضاف إلى التربة أو التربة بدل من قبضه، ولعل المراد بها التربة السماوية والأرضية بدليل ما سبق.

ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعر كها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله ، وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين ، فصارت عليهم برداً وسلاماً وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين ، ثم قبض قبضة فعر كها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذراهم فاذا هم يدهنون ، ثم رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها .

قوله (فعر كها عركاً شديداً) عرك ما ليدن .

قوله (فخرجوا كالذر من يمينه وشماله) تملقت بأصحاب اليمين الأرواح المطيبة على تفاوت درجاتهم في العزم والطاعة والانقياد وبأصحاب الشمال الأرواح العاصية كذلك فوضع كل روح في موضع يناسبه ولولم يضع كذلك لوقع الجور وهو منزله عنه .

قوله (وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار) من أمثل بأمره في ذلك الوقت فهو مؤمن حين كونه في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات وحين تولده وحين كونه في هذه النشأة وحين موته وبعده أبداً .

بجز راه وفا و عشق نسپرد برآن زادو برآن بودو برآن مرد

قوله (أرسل الماء على الطين) لعل المراد بالماء الماء العذب والماء الأجاج ، و بالطين طين عليين و طين سجين كما مر . قيل تخصيص هذين العنصرين دون ذكر الباقيين لانهما الأصل في تكون الأعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الإنسان المحسوسة .

قوله (ثم فرقها فرقتين بيده) ذهب أهل الحق إلى أنه تعالى ليس بجسم وأنه ليست له يد بمعناها الحقيقية وأنه يجب سرف اليد عن ظاهرها المآل عليه ، ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من حمل اليد على صفة لانعلمها وقالوا يجب الإيمان بها و سرف علم حقيقها إلى الله تعالى و منهم من أولها بالقدره فالمعنى أنه تعالى فرقها فرقتين بقدرته وكنى عن ذلك باليد لان بها نحن نفعل فخطوب الخلق بما يفهمونه ، و اخرج المقبول إلى المحسوس ليتمكن المعنى في النفس و هذا الاختلاف يجري بينهم في كل ما نسب إليه سبحانه مع استحالة ارادة الظاهر منه .

قوله (فأمر أهل الشمال أن يدخلوها) يحتمل أن يراد بالشمال واليمين شمال

فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها. ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها فأمر الله جلّ و عزّ النار فكانت عليهم برداً و سلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا : ربنا أقلنا، فأقالهم، ثم قال لهم : ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طيناً و خلق منها آدم عليه السلام . وقال أبو عبد الله عليه السلام : فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . قال : فيرون أن رسول الله عليه السلام أول من دخل تلك النار فلذلك قوله جلّ و عزّ : « قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين » .

جبرئيل وع، و يمينه، والمراد بأهلها من خلق من الطينة التي كانت في شماله و يمينه يعنى طينة النار و طينة الجنة و أن يراد بهما جهة العلو والسفل على سبيل التمثيل لأن العلو أشرف من السفل، كما أن اليمين أشرف من الشمال، فأهل الشمال من دب الى جهة السفل وأهل اليمين من دب الى جهة العلو وأن يراد بهما أهل الاهانة و أهل الكرامة على سبيل التشبيه فان من كان في شمال الملك كان من أهل الاهانة و من كان في يمينه كان من أهل الكرامة والمآل واحد ، فان من كان في شمال جبرئيل كانت حركته الى جهة السفل و كان من أهل الاهانة ومن كان في يمينه كان بالعكس .

قوله (فهابوها و لم يدخلوها) فهابوها بعد التعلق بالابدان الصغيرة ، أو المثالية كما عاصوا قبله في عالم الارواح الصرفة و كما يعصون بعد التعلق بهذه الابدان الكثيفة الجسمية .

قوله (و خلق منها آدم وع) فاسكن الفريقين في صلبة فلذا يخرج منه المؤمن و الكافر وقد يكون للمؤمن الاخلاق الذميمة والاعمال الباطلة وللکافر الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة لملاسة طينة كل منهما بالآخرى واكتساب راحتها .

قوله (فلن يستطيع هؤلاء الخ) لانه وجب في علم الله تعالى انطباق حالهم في هذه العالم على حالهم في ذلك الوقت و العلم تابع للمعلوم بمعنى أنه لما كان هذا كان ذاك دون العكس وهذا معنى استطاعتهم على التبدل والتغير ولا يلزم منه الجبر .

قوله (ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لكونه أول من امثّل بأمره بالدخول في النار و بالاقرار بالربوبية و بكل حق و صدق فوجب أن يكون أول من يعتقد له ولداً لو كان له ولد فلما لم يعتقد له نفاء علم أنه ليس ولد، و يفهم منه أن جزاء الشرط محذوف و أن المذكور تعليل له قسائم مقامه، أى لو كان للرحمن ولد فأنا أول من يقربه

(باب آخر منه)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن داود العجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحا أجاجا، فامتزج الماءان، فأخذطينا من أديم الأرض فمركه عركا شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبّون : إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين، ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال : ألسن بربكم و أن هذا محمد رسولي، وأن هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى، فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولى العزم أنني

لاني أول العابدين.

قوله (باب آخر منه) هذا الباب مثل السابق إلا أنه يذكر فيه شيئا من تفاصيل التكليف الاول واختلاف الخلق وحكمة ذلك الاختلاف وغير ذلك مما يظهر بالتأمل.

قوله (فأخذ طينا من أديم الأرض) أي طينا مخمرا بالمائين وبذلك التخمر يتحقق القدرة على الخير والشر في الكل كما أشرنا إليه إذ لو وقع التخمر من العذب فقط لم تكن قدرة على الشر ولو وقع من الاجاج فقط لم تكن قدرة على الخير بالجملة في ايجاد هذا النوع وامتحانهم بالتكليف يقتضى التخمر بالمائين .

قوله (فمركه عركا شديداً) فخرجوا كالذر يدبون يمينا و شمالا ، وحذف لدلالة سوق الكلام عليه.

قوله (الى الجنة بسلام) متعلق بقال لا يدبون وقدم تفسيره.

قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا) يلى تصديق بالربوبية وشهادة بالوحدانية وان تقولوا مفعول له أى فعلنا ذلك من اخراجكم واشهادكم على أنفسكم وأخذ الميثاق عليكم بالربوبية كراهة أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين. ولم ينهنا عليه أحد أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فافتدينا بهم و تمننا آثارهم، إذ لا عذر لهم فى الاعراض عن التوحيد والتمسك بالتعليل والافتداء بالآباء بعد تبينهم عليه كما لا عذر لآبائهم فى الشرك.

قوله (قالوا بلى) أى قال النبيون كلهم بلى و أما غيرهم فقال بعضهم بلى فى الرسالة والولاية دون بعض كما دلت عليه الروايات فى هذا الكتاب وغيره.

ربكم ونجد رسولنا وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاية أمري و خز ان علمي عليهم السلام وأن المهدي انتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعاً و كرهاً ، قالوا : أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزم على الاقرار به وهو قوله عز وجل : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » قال : إنما هو فترك ثم أمر ناراً فأجبت فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها ، فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً و سلاماً فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ، فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، فثم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية .

قوله (فثبتت لهم النبوة) دل على أن نبوتهم قبل أخذ الميثاق عليهم برسالة محمد وس ، و ولاية أمير المؤمنين وع ، كانت في حيز البداء و صارت حتماً بعده بالاقرار .
قوله (وأخذ الميثاق على اولي العزم) هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم لنا كدعزمهم في أمر الدين ولمحى كل لاحق بعزيمة نسخ كتاب سابقه و شريعته ، و لعل المراد بهم هنا الاربعة الاول بقرينة أخذ الميثاق عليهم لرسالة خاتم الانبياء وس ،

قوله (و اعبد به طوعاً و كرهاً) كما قال جل شأنه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، و قال محي الدين في الفتوحات : « اذا ظهر المهدي وع ، يرفع بالمذاهب عن الارض فلا يبقى الا الدين الخالص ، و أعداؤه يدخلون في دينه و تحت حكمه كرهاً خوفاً من سيفه ولولا أن السيف بيده لافى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطيعون و يخافون و يقبلون حكمه من غير ايمان و يضرون خلافه و يمتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب أئمتهم أنه على ضلال . في ذلك كلامه طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

قوله (ولم يجحد آدم ولم يقر) أى لم يجحد آدم عهد المهدي عليهم السلام قلباً ولم يقربه لساناً بل أقربه قلباً ولم يقربه لساناً لتوليه و تأسفه بضلالة أكثر أولاده . وبما يرد عليهم من القتل والقهر لما بين الاب وأولاد من الروابط المظلمة المقتضية لتأسفه بما يرد عليهم و أن كان راضياً بقضاء الله و حكمه ، و على هذا كانه لم يكن له عزم تام على الاقرار به اذ لو كان له ذلك العزم كما كان لاولي العزم من الرسل لأقر به كما أقروا ، و أما قوله و فنسى ، معناه فترك الاقرار به لساناً أو فترك العزم على الاقرار به و ليس المراد به معناه الحقيقي فليتأمل .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد و علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له و بالنبوة لكل نبي فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق نبوته محمد ابن عبد الله عليه السلام ثم قال الله عز وجل لادم : أنظر ماذا ترى ، قال : فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملؤوا السماء ، قال آدم عليه السلام : يا رب ما أكثر ذريتي ! و لأمر ما خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ قال الله عز وجل : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً و يؤمنون برسلي ويتبعونهم ، قال آدم عليه السلام : يا رب فمالى أرى بعض الذر أعظم من بعض و بعضهم له نور كثير و بعضهم له نور قليل أو

قوله (يا رب ما أكثر ذريتي و لأمر ما) تعجب في كثرتهم مع خفاء سببها و ماء في و أمر ما صفة أى لأمر أى أمر خلقتهم .

قوله (قال آدم يا رب فمالى أرى بعض الذر أعظم من بعض) أى أعظم مقداراً و أعظم قدراً و رتبة فقوله و بعضهم له نور إلى آخره ، على الأول كالتأسيس و على الثانى كالتأكيد و مجمل ما فى هذا الخبر أن آدم دعه لما رأى اختلاف ذريته فى غاية الكمال بحيث لا يكاد يشترك اثنان منهم فى حال من الاحوال و لم يعلم سبب ذلك الاختلاف سأل عن سببه فأجابه عز شأنه بأنه خلقهم كذلك لاجل الابتلاء ، ثم عاد دعه ، بأن خلقهم كذلك يوجب بينهم التنافر و التباعد و التباغض و التحاسد ، و أن اتحادهم فى جميع الاحوال يوجب رفع هذه المفساد و تحقق نظامهم ، و السؤال الاول نشأ من روحه القدسية الالهية النازلة فى حقائق الاشياء و صفاتها و مناقمها و مضارها ، و السؤال الثانى تكلف نشأ من قواء الجسمانية و مواد الطبيعية بتوهمات دائرة و خيالات باطلة ، اذ التساوى فى الفنى و الفقر أو اللون أو المقدار أو الشكل أو العمر مثلاً لا يوجب رفع المفساد المذكورة بل يوجب رفع الحكمة و التكليف و الابتلاء و ذلك نقش فى العلم و التقدير و التدبير فى ايجاد هذا النوع و ابتلائهم اذ الابتلاء فى صورة الاختلاف اشد و أعظم و الامثال بالتكليف حينئذ أرفع و أفهم و الثواب المترتب عليهما أجل و أتم الا يرى أن صبر الفقير على الفقر مع مشاهدة الفنى فى غيره أعظم من صبره مع مشاهدة الفقر فى جميع بنى نوعه و لذلك قيل و اذا عمت البلية طابت و ان ابتلاء الفنى بالشكر مع تحقق الفقر فى غيره أعظم من ابتلاءه مع تحقق الفنى فى جميع بنى نوعه اذ له على الشكر فى الصورة الاولى بواحد شتى و قس عليه جميع الاحوال المتقابلة .

بعضهم ليس له نور؟ فقال الله عز وجل: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم قال آدم عليه السلام: يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلّم؟ قال الله عز وجل: تكلم فإن روحك من روحي وطبيعتك [من] خلاف كينونتي، قال آدم: يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبلة واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء لم يبيع بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، قال الله عز وجل: يا آدم بروحي نطقت و بضعف

قوله (كذلك خلقتهم) أى كون بعض الذر أعظم من بعض الى آخره خلقتهم لأبلوهم وفى بعض النسخ ولذلك أى لان يبدونى ولا يشركونى بشيئاً أو لاجل الاختلاف خلقتهم كما قال جل شأنه لايزالون مختلفين ولذلك خلقهم.

قوله (تكلم فإن روحك من روحي) لعل المراد بالروح الاولى النفس الناطقة الناطقة الى عالم الملك والملكوت، وبالروح الثانية جبرئيل د ع، لانه روح الله الامين ونسبته اليه تعالى ظاهرة و «من» حينئذ ابتدائية أوجود الله تعالى وفيه على آدم وانما كان ذلك روحاً لانه مبدء كل حياة فهو الروح الكلية التى بها قوام كل حياة، وحياة كل موجود ونسبته اليه أيضاً ظاهرة و «من» حينئذ للإبتداء أول التمييز أذاته المقدسة والمقصود أنه تعالى خلق روحه من عند ذاته المجردة بمجرد المشية بلا توسط مادة كالتراب ونحوه من المواد الجسمانية، والمراد بالكينونة الوجود والطبيعة المواد الجسمانية مثل الحواس الظاهرة والباطنة التى جعلت فى الانسان ليستعملها على القوانين العدلية ويستعين بها فى السير الى حضرة القدس و كونها على خلاف وجوده تعالى ظاهر لتنزّهه عن العالم الجسماني، وفيه تنبيه على أن التكلم قديكون صواباً اذا كان المقتضى له هو الروح المجردة وقد لا تكون اذا كان المقتضى هو الطبايع الجسمانية فانه قد تقع فى الغلط والتوهم الفاسد وقد وقع فى السؤال المذكور كلا الامرين .

قوله (فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد) لعله د ع ، علم تنفاوت الاعمال والارزاق بالالهام ، وأما ماسواهما من الامور المذكورة علمه بالمشاهدة، قوله (وجبلة واحدة) الجبلة بكسر الجيم وسكون الباء وكسرها وشد اللام الخلقة و منه قوله تعالى و والجبلة الاولين.

قوله (قال الله عز وجل يا آدم بروحي نطقت) اضافة الروح اليه سبحانه للاختصاص باعتبار أنه من عالم الامر و عالم المجردات الصرفة، ومن شأنها التحرك الى طلب المجهولات فلذلك نطقت فى هذا المقام عند رؤية الاختلاف العظيم فى الذرية مع عدم العلم

طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به و أنا الخالق العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و
بمشيئتي يمضي فيهم أمري . وإلى تدبيرى وتقديرى صائرون ، لا تبديل لخلقى ، إنما خلقت

بسببه ، و أما التكلف فى السؤال بأن خلقهم على مثال واحد الى آخر ما ذكره - أنسب
بنظامهم و أقرب فى رفع الفساد بينهم فمستند الى ضعف طبيعته و معارضة قواء الجسمانية
للقوة الروحانية و غلبتها عليها بتوهم أن الاتحاد فى الامور المذكورة موجب للاتحاد و
الالفة بينهم وهذا أمر مطلوب والحكمة تقتضى رعايته ، و هذا التوهم فاسد لان التماثل فى
الطبيعة يوجب زوال نظامهم و انقطاع نسلهم لان التماثل يوجب اشتغالهم بصنعة واحدة
من الصنائع الجزئية التى لها مدخل فى تحقق النظام و بقاء النوع بخلاف الاختلاف فانه
يوجب اشتغال كل واحد بما يناسبه ؛ و يستمد له من الصناعات فيتحقق النظام المشاهد و
بقاء النوع و التماثل فى الفقر والغنى و غيرها لا يوجب عدم البنى والتحاسد والتباغض و
غيرها من المفاسد ، و على تقدير ايجابه فهى حكمة لا قدر لها فى جنب حكمة الاختلاف و
هى ابتلاؤهم فى مقام التكليف الموجب لرفعة مقاماتهم فى الدار الآخرة .

قوله (و أنا الخالق العليم) [كذا] تعريف الخبر باللام يفيد الحصر وفيه تنبيه على أنه
لا ينبنى السؤال منه فى خلقه و ايجاده للاشياء على ما هو عليه عند خفاء الحكمة بل يجب
الاذعان بأن كل ما خلقه على أى وجه خلقه فهو أحكم و أتقن و أفضل و أحسن من غير
ذلك الوجه لكونه خالقاً عليمًا و صانعاً حكيماً لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة البالغة فالقول
بأن فى خلافه حكمة فاسد اما باعتبار أن هذه الحكمة حكمة وهمية لا تحقق لها فى نفس
الامر أو باعتبار أنها حكمة ضعيفة لا قدر لها عند تلك الحكمة البالغة .

قوله (بعلمي خالفت بين خلقهم) أى خالفت بين خلق أبدانهم و قلوبهم و طبائعهم و
غيرها بسبب علمى بحالهم و بمصالح الاختلاف قبل خلقهم و بعده ، والحاصل أنه سبحانه لما
علم أزلا تفاوتهم فى الطاعة والمسيان والكمال والنقصان خلق أبدانهم و سورهم وأشكالهم
وقت الميثاق على قدر تفاوتهم و تفاوت مراتبهم فوضع كلا فى موضعه وهو العدل الحكيم
و يمضى فيهم فى هذا العالم وهو عالم الظهور أمره الذى هو الاختلاف المقدر فى ذلك الوقت
أو أمره التكويني على النحو المشاهد بمجرد مشيئته و ارادته وهم صايرون الى ما يدر من
عاقبة امورهم و الى ما قدر لهم من الجنة والنار لا تبديل لخلق الله ، فمن حسنت أحواله فى
ذلك الوقت حسنت أحواله فى الدنيا ، و من حسنت أحواله فى الدنيا حسنت أحواله فى
الآخرة ، و من قبحت أحواله فى ذلك الوقت ، قبحت أحواله فى الموطنين الآخرين لا يتبدل
هؤلاء الى هؤلاء ولا هؤلاء الى هؤلاء .

قوله (و بمشيئتي يمضى فيهم أمري) أى أمر الاختلاف أو أمر التكوين يمضى فيهم بمجرد المشيئة

الجن والانس ليعبدون و خلقت الجنة لمن أطاعني و عبدني منهم و اتبع رسلي -
ولا أبالي خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقتك
و خلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك و إليهم و إنما خلقتك و خلقتهم لأبلك و
أبلوهم أيكم أحسن عملاً في الدار الدنيا في حياتكم و قبل مماتكم فلذلك خلقت
الدنيا والآخره والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في
تقديري و تدبيرى، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم و أجسامهم و ألوانهم و

الثابة للحكم والمصالح كما أشرنا اليه.

قوله (و الى تدبيرى و تقديرى سائرون) التدبير فى الامر أن تنظر الى ما يؤول
اليه عاقبته وبالفارسية صلاح انديشيدن در كار. والتقدير اندازه كردن و اندازه چيزى نگاه
داشتن و آفريدن و واجب كردن .

قوله (انما خلقت الجن والانس الاليعبدون) اشارة الى غاية خلق السماوات والارض
والدنيا والآخره والجنة والنار وهى خلق الثقلين فان غاية خلقهما هى الثواب والمقاب و
الاكرام و الاهانة و أن ذلك يتوقف على الطاعة والمعصية و هما يتوقفان على التكليف و
الابتلاء و بين أن التكليف والابتلاء و كمالهما يتوقفان على الاختلاف المذكور فقد ثبت أن
الحكمة تقتضى الاختلاف فليأمل.

قوله (من غير فاقة بي اليك واليه) لان الفاقة تابعة للعجز و النقص أو مقتضية
لهما، و قدس الحق منزله عنهما.

قوله (لأبلك و أبلوهم) أى لاعاملك و اياهم معاملة المختبر فهو من باب التمثيل
لتقصد الايضاح والتنوير. و قوله (أيكم أحسن عملاً) مفعول ثان للبلوى باعتبار تضمينه معنى
العلم، والنفع والضر فى الاختبار يمودان الى الغير لا اليه سبحانه.

قوله (والطاعة والمعصية) اسناد خلقهم اليه جل شأنه اسناد الى العلة البعيدة والمراد
به جمل المعصية معصية والطاعة طاعة، أو المراد بالخلق التقدير.

قوله (والجنة والنار) دل على أنهما مخلوقتان الان، ذهب اليه المحقق فى التجريد
وهو مذهب الاكثر والايات والروايات شواهد صدق عليه، وذهب كثير من المعتزلة أنهما
غير مخلوقين وانما تخلقان يوم القيامة.

قوله (وكذلك أردت) أى كون المرض من خلقهم هو الابتلاء والاختبار أردت فى
تقديرى و تدبيرى لهم على النحو المختلف أو للممكنات و حقائقها و صفاتها يعنى أن المرض

أعمارهم و أرزاقهم و طاعتهم و معصيتهم ، فجعلت منهم الشقي والسعيد و البصير و الأعمى و القصير و الطويل و الجميل و الدميم و العالم و الجاهل و الغني و الفقير و المطيع و العاصي و الصحيح و السقيم و من به الزمانة و من لاعاهة به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح

في تقديرى الممكنات و تدبيرى فيها هو اختبار الثقلين.

قوله (فجعلت منهم الشقى والسعيد والبصير والأعمى) السعيد من عرف ربه و سلك سبيله حتى وصل إليه، والوصول هو الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها ولا يحصل له ذلك الا بمجاهدته على القوة الشهوية والفضبية و غلبته على لوازمها من الاخلاق الرذيلة، والشقى من لم يعرفه ولم ينكره أو أنكره أو عرفه ولم يسلك سبيله سواء وقف فيه أو رجع عنه و جعلها وراء ظهره أو مال عنه بمنة ويسرة فالسعيد صنف واحد والشقى أسناف لاتحاد طريق الحق و كثرة طرق الباطل والظاهر أن المراد بالبصير والأعمى واجد نور الباصرة ، و فاقده و يمكن أن يراد بهما واجد نور البصيرة و فاقده.

قوله (والجميل والدهم) الجميل الحسن الوجه، والهيئة، و جمل الرجل - بالضم و الكسر - فهو جميل، وامرأة جميلة . والدهم الاسود القبيح المنظر والهيئة من الدهمة، وهى السواد ومنه الفرس الادمى اذا اشتد سواده حتى ذهب بياضه، [وفى بعض النسخ و الجميل والدميم] .
قوله (و من به الزمانة و من لاعاهة به) الزمانة الافة والعاهة فعله بفتح العين و مينها ياء . و فى الصباح زمن الشخص زمناً و زمانة فهو زمن من باب تعب و هو مرض يدوم زماناً طويلاً .

قوله (فينظر الصحيح الى الذى به العاهة) اختبر الصحيح بذى العاهة و بالعكس ولو كانوا كلهم أهل الصحة فانت الحكمة الاولى وهى الحمد والحث عليه ولو كانوا كلهم أهل العاهة فانت الحكمة الثانية وهى الدماء والصبر على البلية والترغيب فيهما بل فانت الحكمتان فى كلتا صورتين، وليس المراد بالحمد الحمد القولى فقط بل المراد الحمد مطلقاً قولاً كان أو فعلاً بأن يصرف لسانه فى أنواع الثناء و قوته فى أنحاء الطاعات و جوارحه فى أقسام المبادات، و قلبه فى التفكير فى الله وفى مظاهره و آثاره، و كذلك اختبر الفنى بالفغير و بالعكس لينظر الفنى الى الفقير فيحمد الله تعالى على ما أعطاه وأنه مما منع عنه الفقير و يشكره بالظاهر والباطن و بأداء الحقوق المالية و ينظر الفقير الى الفنى فيدعو ربه و يسأله أن يعطيه، والاختلاف فى الفنى والفقير فائدة اخرى هى انتظام امورهم فى الثمن والاجتماع، اذ لو كان كلهم غنياً لما خدم بعضهم بعضاً، ولو كان كلهم فقيراً لما حصل

فيدعوني ويسألني أن أعافيه و يصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء و الضراء وفيما أعافيهم وفيما ابتليهم وفيما أعطيهم وفيما أمتنعهم وأنا الله الملك القادر ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت وأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدمت وأنا الله الفعال لما أريد لا

نفع في مقابل الخدمة فيفضي ذلك الى تركها و على التقديرين يلزم بطلان النظام وانقطاع النوع و فساد أسباب الحياة من الزراعة والخياطة والحياكة وغيرها من الصناعات الجزئية وكذلك اختبر المؤمن بالكافر و بالعكس لينظر المؤمن الى الكافر فيحمده على ما هداه اليه و وفقه له ، وينظر الكافر الى المؤمن و حسن ظاهره و باطنه فيرجع عن الكفر ويتوب ولم يذكره لعدم الاعتناء بشأنه و لما ذكر جملة من حكمة الابتلاء والاختبار على سبيل التفصيل أشار الى البواقي على سبيل الاجمال بقوله ولقد خلقهم لأبلوهم في السراء والضراء الى آخره ، لان جلها بل كلها مندرج فيه كما يظهر بالتأمل.

قوله (و أنا الله الملك القادر) أشار بلفظ الله الى أنه كامل من جهة الذات و الصفات الذاتية والفعلية لدلالته على أن كل ماله من الصفات على وجه الكمال فلا يكون خلقه على وجه الاختلاف عبثاً لان المبتث نقص والنقص على الكامل من جميع الجهات محال و بلفظ ملك على أنه مسلط على جميع الممكنات فلا يعثره العجز عن ايجاد ما أراد ، فلو كانت الحكمة في غير الاختلاف لاراده بالامانع ولما لم يرد علم أنها في الاختلاف ، و بلفظ القادر الى أنه ليس بموجب لا يقدر على ايجاد الضدين كالفقر والغنى والصحة والسقم و غير ذلك ، وهذه حكمة اخرى لاختيار الاختلاف و الى أن فعله مسبوق بالارادة ، والفعل الارادي لا يكون الا للحكمة ومصلحة وهذا القدر كاف في الادغان بان الاختلاف في خلقه لا يخلو عن حكمة و ان لم يعلم تفاصيلها .

قوله (ولي أن أمضي) اشارة الى أنه يجوز البداء في بعض المقدرات والمدبرات وقد مر في آخر كتاب التوحيد تفسير البداء و مواقع جوازه وهي ما لم يبلغ الامضاء والحنم مثلاً اذا قدر سحة زيدا وسقمه أو غناه أو فقره أو طول عمره أو قصره تقديرأ غير حتمي مشروطاً بالتصدق أو سلة الرحم أو الدعاء أو بعدمها جاز البداء والتغيير .

قوله (و أنا الله الفعال لما أريد) هو فعال لانه يفعل كل ما يريد على وجه يريد

أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَأَنَا أَسْأَلُ خَلْقِي عَمَّا هُمْ فَاعْلَوْنَ .

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مِنْ أَحَبِّ مِمَّا أَحَبَّ وَكَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَخَلَقَ مِنْ أَبْغَضِ مِمَّا أَبْغَضَ وَكَانَ مَا أَبْغَضَ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظَّلَالِ، فَقُلْتُ: وَ أَيْ شَيْءِ الظَّلَالِ؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى ظُلُوكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئاً وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، ثُمَّ بَعَثَ مِنْهُمْ**

بِالْمَنَازِعِ وَالْمَدَافِعِ عَلَى وَجْهِ أَحْسَنَ بَحِثٍ لَوْ اجْتَمَعَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنْ يَزِيدُوا أَوْ يَنْقُصُوا طَلِباً لَزِيَادَةِ الْحَسَنِ لِمَا قَدَرُوا. وَمَنْ تَوَهَّمَ امْكَانَ الْإِحْسَنِ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ فَهُوَ غَافِلٌ عَنِ الْمَصَالِحِ الْكَلْبِيَّةِ وَالْجَزْئِيَّةِ، وَ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ لَهُ الْإِمَاءَ وَالتَّغْيِيرَ وَالتَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ تَحْقِيقاً لِمَعْنَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْفِعْلِ.

قَوْلُهُ (لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ) لَأنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا تَقْنِضُهُ الْحِكْمَةُ ، وَ الْحَكِيمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ فَانَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ هَلْ هُوَ مُوَافِقٌ لِلْحِكْمَةِ أَمْ لَا. **قَوْلُهُ (إِنْ أَلَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مِنْ أَحَبِّ مِمَّا أَحَبَّ)** لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْخَلْقِ الْخَلْقَ الْجَسَامِيَّ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ وَ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ عِبَارَةً عَنْ إِحْسَانِهِ وَ أَكْرَامِهِ وَافْضَالِهِ وَلَطْفِهِ وَهُوَ تَابِعٌ لِعِبَادَةِ الْعَبْدِ إِيَّاهُ، ثُمَّ الْمَحَبَّةُ سَبَبٌ لَزِيَادَةِ الْقُرْبِ حَتَّى يَصِيرَ الْعَبْدُ بِحَيْثُ لَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَشْكُلُ إِلَّا عَلَيْهِ فَيَصِيرُ فِعْلُهُ كَفِعْلِهِ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ التَّقَرُّبِ بِالنَّوَافِلِ، وَ سَيَجِيءُ مَشْرُوحاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَ مِنْ مَحَبَّتِهِ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ طَاعَةَ الْأَرْوَاحِ الْإِنْسَانِيَّةِ خَلَقَ لَهَا أَبْدَاناً مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعِيناً لَهَا فِي الْخَيْرَاتِ وَهَذَا بَدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِحْسَانِ وَ مِنْ بَعْضِهِ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ عَصْيَانَهَا خَلَقَ لَهَا أَبْدَاناً مِنْ طِينَةِ النَّارِ وَسَلَبَ عَنْهَا تَوْفِيقَهُ فَيَبْعِثُهَا ذَلِكَ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الشَّرِّ، وَ هَذَا بَدَايَةُ الْأَضْلَالِ وَ الْخُذْلَانِ.

قَوْلُهُ (أَلَمْ تَرَ إِلَى ظُلُوكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئاً وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ) شَبَّهَ الظَّلَالَ بِظُلُوكَ فِي الشَّمْسِ وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ بِاعْتِبَارِ لَيْسَ بِشَيْءٍ بِاعْتِبَارِ آخَرَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقاً أَنَّ التَّكْلِيفَ الْأَوَّلَ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي عَالَمِ الْمَجْرَدَاتِ (١) الصَّرْفَةِ وَهُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ، وَمَرَّةً فِي عَالَمِ الْمَثَالِ وَ هُوَ

(١) قَوْلُهُ دَفَى عَالَمِ الْمَجْرَدَاتِ الصَّرْفَةِ، ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ (رَه) فِي مِرْآةِ الْعُقُولِ نَحْواً مِنْ عِبَارَةِ الشَّارِحِ وَ كَانَهُ مُقْتَبَسٌ مِنْهَا وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَذْهَبِ صَدْرِ الْمُتَأَلِّهِينَ فِي تَقْسِيمِ الْعَوَالِمِ بِثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ عَالَمِ الْمَجْرَدَاتِ الصَّرْفَةِ وَ هُوَ عَالَمُ الْعُقُولِ وَ النُّفُوسِ النَّاسِطَةِ وَ مَوْجُودَاتِ ذَلِكَ الْعَالَمِ عَادِيَةٌ عَنِ الْمَوَادِّ وَ عَنِ الْمَقَادِيرِ أَيْضاً، وَالثَّانِي عَالَمِ الْمَثَالِ وَهُوَ

النبيين فدعوههم إلى الاقرار بالله عز وجل^(١) وهو قوله عز وجل: «و لئن سألتهم

عالم الذر المخرج من الطينة، ويمكن أن يكون المراد بالظل هذا هو الاول ولكن لما كان تصور عالم المجرد الصرف صعباً في أكثر الاذهان^(١) عبر عنه بالظل لقصد التفهيم والتسهيل مع المشاركة في عدم الكثافة اذ لا كثافة في المجرد الصرف كما لا كثافة في الظل، ويمكن ان يراد به عالم الذر المبائن لعالم الاجسام الكثيفة، وهو يحكى عن هذا العالم و يشبهه وليس منه فهو ظل بالنسبة اليه وهذا أنسب بقوله «ع دثم بهمهم في الظلال» فانه يفيد ظاهراً أن بهمهم فيه بعد خلقهم من طينة الجنة و طينة النار، وحمله على الاول يحتاج الى تكلف بعيد فليتنامل. واعلم أن الارواح المحبوبة الكاملة الهادية أعنى ارواح حاتم الانبياء والاولياء عليهم السلام خلقت قبل ارواح سائر البشر وطينتهم كما أشار اليه أمير المؤمنين «ع» في بعض خطبة «الأن الذرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقتها، واني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا أظلالاً تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية، لأجساماً نامية وفيه إشارة إلى أن الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي «ص» فتشبه ذلك بصدور الضوء من الضوء كشعلة مصباح اقتبست من مصباح آخر ومن العادة في عرف المجردين تمثيل النفوس الشريفة بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع لطفها و صفاتها و إلى كونهم ارواحاً قدسية موجودة تحت رحمة الحق أو علمه قبل جميع الخلائق و عبر عن نفوسهم الطاهرة بالافلال على سبيل الاستمارة للتنبية على أنهم

مشمتمل على موجودات مجردة عن المادة دون المقدار، والثالث عالم الماديات وهو ظاهر. وأما غير صدر المتألهين فأكثرهم على نفي العالم الاوسط. قال الصدر قدس سره. اعلم أن كثيراً من أهل العلوم والمنتسبين إلى الحكمة زعموا أن هذه الصور المرئية والمثل المسموعة امور مرتسمة في الحس المشترك الذي هو قائم في الجزء المقدم من الدماغ كارتسام الاعراض في موضوعاتها و هذا كله لقصور المعرفة بعالم الملكوت و ضعف الايمان بالملائكة فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لا في محل وهي أقوى في الوجودية من هذه الاكوان الخارجية الا أن نشأ وجودها نشأ أخرى انتهى ملخصاً. والعلامة المجلسي على أن الروح جسم لطيف والشارح على أنه موجود مجرد صرف و ان أمكن ظهوره في عالم المثال بوجه فيصح توجه التكليف اليه وهو مجرد في الظلال و في عالم المثال أيضاً و هو مجرد عن المادة لاهن المقدار و هو عالم الذر. (ش)

(١) قوله «صعباً في أكثر الاذهان» اعتراف من الشارح بان المحجج عليهم السلام كانوا

يعبرون عن معنى لا يفهمه العامة بلفظ قريب يفهمونه. (ش)

من خلقهم ليقولن الله ، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبين فأقر بعضهم و أنكر بعض ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض ، وهو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ثم قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثم .

(باب)

ان رسول الله (ص) أول من أجاب و أقر لله عزوجل بالربوبية

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قریش قال لرسول الله ﷺ : بأي شيء سبقت الأنبياء و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم ؟ فقال : إني كنت أوّل من آمن

مرجماً لجميع الخلق بعد وجودهم كالأغلال .

قوله (و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) أى ليقولن خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف فى تقديم المحذوف و تأخيره ، و المشهور الاول يعنى لو سألتهم من ذلك لاضطروا الى الجواب المذكور بمقتضى العهد والميثاق .
قوله (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به) أى ما كانوا ليؤمنوا فى هذه النشأة بعد بعث الرسول اليهم بما كذبوا به من قبل هذه النشأة عند أخذ الميثاق اذ التصديق والتكذيب فيها تابعان للتصديق والتكذيب ثم (١) فمن صدق يصدق و من كذب يكذب لا تبديل لخلق الله .

(١) قوله و تابعان للتصديق والتكذيب ثم ظاهر كلام الشارح يوهم الجبر و أنه لم يكن فائدة فى بعث الانبياء و دعوتهم فى قبول الناس لكن الشارح يرى من هذه النسبة و قال صدر المتألهين - قدس سره - عند ذكر الشيخ الذى لقي أمير المؤمنين (ع) عند رجوعه من صفين أوائل المجلد الخامس : تزعم انه كانت أفعالنا بقضاء الله و قدره يلزم سلب الاختيار هنا فى فعلنا فيكون المقضى حتما علينا والمقدر لازماً لذاتنا ، ولم يبق فرق بين المختار والمضطر ثم بين مفاسد هذا الظن : الاول أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب اذ لا أجر ولا عقوبة على الفعل المجبور ، الثانى أنه بطل الامر والنهى والزجر من الله تعالى لمن لا اختيار له ، الثالث أنه حينئذ سقط معنى الوعد والوهد اذ لا فائدة فيهما ، الرابع أنه لو كان كذلك لم يكن لازمة للمذنب على ذنبه ولا محمداً لمحسن على احسانه ، الخامس أنه على ذلك التقدير كان المذنب أولى بالاحسان من المحسن و لكن المحسن أولى بالعقوبة من المذنب الى *

بربّي و أوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم ، فكنت أنا أوّل نبيّ قال : بلى ، فسبقتهم بالأقرار بالله عزّ وجلّ .
 ٢- أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنّي لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش فأغتم لذلك غمّاً شديداً وأرى من خالفنا فأراه حسن السمّت ، قال : لا تقل حسن السمّت فإنّ السمّت الطريق ولكن قل حسن السيماء ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » قال : قلت : فأراه حسن السيماء له وقار فأغتم لذلك ، قال : لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت

قوله (انى كنت أول من آمن بربى و أول من أجاب) له سبق من حيث الوجود لان روحه خلقت قبل الارواح كلها ، و له سبق من جهة الاقرار بالربوبية لانه أقربها حين وجوده منفرداً وأقربها قبل الجميع عند أخذ الميثاق ، و يظهر مما ذكرنا أن المطف فى قوله و أول من أجاب للناسيس دون التفسير والتأكيد و أما تأخير في هذه النشاء فلنوائد يعلمها الله تعالى و كان منها تعظيمه لان سائر الانبياء مقدمة له مخبرة لوجوده كالمقدمة للسلطان ومنها تكميله للاديان السابقة كما قال : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، و منها تعظيم دينه من جهة نسخه للشرائع السابقة ، و منها تعظيم كتابه لذلك و منها أن يكون شاهداً لتبليغ جميع الانبياء . (ع) .

قوله (يعتريه النزق والحدة والطيش) الاعتراء رسيدن و فرا گرفتن ، و النزق والنزوق بر جهيدن و چسنى نمودن و شتاب كردن و پيشى گرفتن . والحدة بتشديد الدال تيز شدن و تندى نمودن والطيش تيز شدن و تندى نمودن و منحرف شدن تيز شدن . و هذه المعانى متقاربة كلها من جهة الفساد فى القوة الشهوية والغضبية .

قوله (قال لا تقل حسن السمّت فان حسن السمّت سمّت الطريق) فى الفائق : السمّت أخذ النهج و لزوم المحجة ، و سمّت فلان الطريق يسمّت و يسمّت يعنى من باب نصر و ضرب ثم قالوا ما أحسن سمته أى طريقة التى ينتهجها فى تحرى الخير والتزى بزي الصالحين ،

آخر ما ذكره وبينه اتم بيان ، وقال فيما افاد ان قلت ان الله عالم قبل افعال العباد بها فلا يمكن أن يصدر عنهم خلافتها ، وذلك يستلزم الجبر قلنا هذا منقوض بافعال الله الحادثة فسانه كان عالماً بها الاول قبل فعلها فلا يمكن عنه صدور خلافتها فيكون سبحانه مجبوراً فكل ما كان جوابكم فهو جوابنا . (ش)

من حسن سيماء من خالفك، إن الله تبارك و تعالى لم أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين، ثم فرّقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بائناً، فكانوا

و في المصباح سمت الطريق والتصد والسكينة والوقار والهيئة، ولما جاء سمت بمعنى الطريق (١) كان كلام السائل يوم أن من خالفنا حسن مستقيم وذلك خطأ فلذلك نهاء عن ذلك القول و أمره بما هو أحسن منه لان السيماء صفة لرجل يفرح بها من ينظر اليه سواء كان من أهل الحق أو الباطل. قوله (له وقار) أي سكينه نفسانية و طمأنينة جسمانية. قوله (خلق تلك الطينتين) اشارة الى الطينة المملومة للمخاطب من سياق الكلام أو

(١) قوله و لما جاء سمت بمعنى الطريق، الحديث مرسل و توجيهه الشارح تكلف ويشبه أن يكون المراد بيمض أصحابنا السيارى أو أحد الاهاجم مثله قليل المعرفة بلسان العرب أو قليل الاهتمام به فزعم أن سمت منحصر في سمت الطريق وهو المعنى المشهور وكان المعنى الآخر غريباً لديه. واما ما تضمن مناء من اختلاط الطينتين فالكلام فيه مافى أمثاله. و اعلم أن اختلاف النفوس في استعداداتها وصفاتها مما لا ينبغي أن ينكر بل هو محسوس و مروي قال رسول الله «ص»: و الناس ممادن كعمادن الذهب والفضة قال صدر. المتألهين قدس سره يتفاوت المتول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبايع والقوى والفرائز والجبال فينزع بعضهم بطبعه الى ما يفر عنه الآخر و يستحسن بعضهم بهواء ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية اقتضت نظام الوجود على أحسن ما يتصور و أجود ما يمكن من التمام ولوتساوت الاستعدادات لفات الحسن والفضل في ترتيب النظام الى آخر ما قال. ولا يخفى أن اختلافهم في ذلك لا ينافي اتفاقهم في قدرة فهم التكليف واختيارهم في فعل الخير فهم متفقون فيما هو مناط التكليف ومختلفون في استعداد العلوم والصنایع ولا يلزم الاختلاف في الاستعداد ظلماً و انما يلزم الظلم أن يكونوا متفقين في التكليف مع الاختلاف في الاستعداد ولو فرض أن أحداً بلغ في البلادة الى حد لا يعقل التكليف أصلاً التزمنا برفع التكليف عنه كالمجانين. وقال صدر المتألهين في بعض كلامه فمن أساء عمله و أخطأ في اعتقاده فانا ظلم نفسه بظلمة جوهره و سوء استعداده وكان أهلاً للشقاوة في معاده، و انما قصر استعداده و أظلم جوهره لعدم كونه أحسن مما وجد كما لا يمكن أن يلد القرد انساناً مثلاً في أحسن صورة و أكمل سيرة، أقول بعد ما سبق منه - قدمه في الحاشية السابقة وغيرها من نفي الجبر واثبات الاختيار و ان علم الواجب بما يقع لا يوجب الجبر في فعل الانسان كما لا يوجب في فعل نفسه تعالى و جب حمل ما ذكره أخيراً من شقاوة قاصر في الاستعداد على النفس اللازم لكل ممكن من مافوقه من المراتب كنقص الدواب عن كمال الانسان فانه لا تتألم بهذا النقص اذ لا تدركه والتألم

خلقاً بمنزلة الذرّ يسمى ، و قال لأهل الشمال : كونوا خلقاً باذني ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ . يدرج ، ثم رفع لهم ناراً : فقال : ادخلوها باذني ، فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم أتبعه أولوا العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم ؟ ثم قال لأصحاب الشمال : ادخلوها باذني ، فقالوا : ربنا خلقتنا لنحرقنا ؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين : اخرجوا باذني من النار ، لم تكلم النار منهم كلمة ، و لم تؤثر فيهم أثراً ؟ فلمّا رأهم أصحاب الشمال ، قالوا : ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا و مرنا بالدخول ، قال : قد أقلتكم فادخلوها ، فلمّا دنوا وأصابهم الوهج ،

من قرينة المقام و اريد بنفريتهما بيمينه و شماله على سبيل التمثيل والتخييل أو تفريقهما بيمين جبرئيل و شماله كما في بعض الروايات.

قوله (فكان أول من دخلها محمد و ص) كما أنه أول من خلقت روحه و أول من خرج من طينة اليمنى و سعى الى الجنة و بالجملة هو كان أول في المواطن كلها و فيض الحق الى الجميع.

قوله (لم تكلم النار منهم كلمة) الكلم الجرح و فعله من باب ضرب.

و فرغ الادراك و ليس عذاباً لها جزاء على تقصيرها في امثال تكليفها و قد صرح هو بذلك في مواضع من كتبه. و قال أيضاً : و كما لا تعترض على اقبح الناس أنه لم لا يكون مثل يوسف في الحسن كأي جهل فكذلك لا تعترض على شر الناس كأي جهل مثلاً لم لا يكون مثل خير الناس كمحمد و ص ، فان اختلاف الفرائز و السمائل كاختلاف الاشكال و الطبايع الى آخر ما قال ، و التمثيل بأي جهل الحاق في الموضعين و الحق أنه لا يعترض على أي جهل و أمثاله في نقصه العقلي و عدم وصوله في الكمال الذاتي الى كمال الرسول و ص ، و انما يعترض عليه و على أمثاله بانهم تنزلوا عما اعطوه من الفهم و العقل فصاروا كالانعام بل هم أضل بدهان كان فيهم ما به تفوقوا عليها .

و اعلم أن الاعتقاد بالتدبر و أن كل شيء في هذا العالم مطابق لما ثبت في عالم آخر قبله من لوازم الايمان بعالم الغيب و لذلك ترى الماديين و المائلين اليهم ينفونه و قال بعض الملاحدة : التدبر للانسان هو الطريقة التي يختارها و كتابه هو الذي يحويه و جوده و يتتبع بيده اوراقه ، و الحق ان لا يتفحص عن سابقة له في عالم غير مرئي بل ليس هناك الاسير في هذا العالم المحسوس و هذا الذي ذكره اشنع من اعتقاد أبي جهل . (ش)

رجعوا فقالوا : يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعضوا ، فأمرهم بالدخول ثلاثاً ، كل ذلك يعصون و يرجعون و أمر أُولئك ثلاثاً ، كل ذلك يطيعون ويخرجون ؛ فقال لهم : كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم ، قال : فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء و من كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فمما أصابهم من لطح أصحاب الشمال و ما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطح أصحاب اليمين .

٣- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن إسماعيل ، عن محمد بن إسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل رسول الله ﷺ بأي شيء سبقت ولد آدم ، قال : إنني أول من أقر بربي ، إن الله أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فكنت أول من أجاب .

(باب)

كيف أجابوا وهم ذر

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : جعل فيهم ما إذا

قوله (و أصابهم الوهج) الوهج بالتحريك حر النار .

قوله (جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه) دماء موصولة والمائد محذوف أي أجابوه به والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة القابلة (١) للكمالات والاعمال الخيرية ، و

(١) قوله والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة، قال العلامة المجلسي - ره - اعلم أن آيات الميثاق والاخبار الواردة في ذلك يقصر عنه عقول أكثر الخلق و للناس فيها مسالك : الاول طريقة المحدثين والمتورعين ، فانهم يقولون تؤمن بظاهرها ولا نخوض فيها ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل ، والثاني حملها على الاستمارة والمجاز والتمثيل ، و الثالث حملها على أخذ الميثاق في عالم التكليف بمد اكمال العقل بالبرهان والدليل انتهى ، وهو مشبه المراد لا أدري مقصوده - قدس سره - الآن المسلك الثالث يشير الى ما اختاره المفيد والسيد المرتضى والطبرسي و جماعة من أعظم الطائفة في تفسير آية و اذا خذ ربك من بني آدم من ظهورهم

سألهم أجابوه، يعني في الميثاق.

النطق بحيث اذا وقع السؤال أجابوا بلسان المقال، وهذا تفسير آخر غير ما ذكرناه سابقاً من المعاني الثلاثة ان أريد به وقوع السؤال والجواب تقديرأ وأما ان أريد به وقوعهما تحقيقاً كما يشير به لفظة اذا فهو عين ما ذكرناه أولاً فليتلأمل .

آء، و أما كلام الشارح فمعناه معلوم لنا ونشير اليه ان شاء الله ببيان أوضح. ثم ان الاستصواب والاشكال في هذه الاخبار على ما أتمقله أنها تستلزم الجبر وليس غيرها من الشبه مما يعتد به وطريقة المحدثين والمتورعين على ما ذكره المجلسي -ره- ان كان بعد القطع ببطالان الجبر كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام لزوم عدم ايمانهم بظاهر هذه الاخبار، فان ظاهرها الجبر والظلم فلامعنى لقوله -رحمه الله- تؤمن بظاهرها فلا محيص عن تأويلها وان أرادوا الايمان بظاهرها و ان لزوم الجبر فهو انكار لسائر الاحاديث والاخبار، و أما الحمل على الاستعارة والمجاز فلم يبين -رحمه الله- أن أى لفظ استعارة عن أى معنى، يحتمل أن يراد به ما ذكره الشارح أو ما ذكره المفيد عليه الرحمة، وبالجمله ما يدل من الروايات على الجبر فالوجه طرحه أو تأويله ولكن ليس جميعها كذلك فمنها ما لا يستفاد منه الاصله تعالى بحال عبادته ومع قطع النظر عن شبهة الجبر فلا أرى في المعنى المتفق عليه بين أخبار الميثاق والذرة شبهة يصب حلها مثل ما رووا عن رسول الله «ص»، ولما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة» و ما روى فيها معنى معقول لا استحالة له أصلاً بل ليس من الغرائب أيضاً فان رؤية الانبياء بعض ما سياتى بعدهم في ما يرون من النيوب أمر معتاد. وقد رأى رسول الله «ص» بنى أمية في صورة القردة ينزون على منبره يرجعون بالناس القهقري، فان قبل هذا كان نوماً قلنا يتفق للانبياء أن يروا نقطة من النيوب مثل ما يرى في المنام، قال المفيد رحمه الله في بعض كلامه فانباؤه الله يعنى أنباؤه آدم بما يكون من ولده و شبههم بالذر الذي أخرجهم من ظهره و جملة علامة على كثرة ولده انتهى. وكذلك لا يبعد تمثيلهم بنير صورتهن في الرؤيا و كون بعضهم نورانياً وبعضهم ظلمانياً لان الرواية دلت على أن آدم رأى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه و على بعضهم ظلمة لا نور فيه ولا يوجب هذا جبراً كما لا يوجب رؤية نبينا «ص» بنى أمية يرجعون بالناس القهقري جبراً، وأما آية دواذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فحمله على مفاد أحاديث الذر خلاف ظاهر الآية بل صريحها وان كان حديث الذر معقولاً صحيحاً فانه تعالى قال ومن بنى آدم من ظهورهم ، ولم يقل من آدم من ظهره، و معنى الآية أن الله تعالى يخلق تدريجاً في كل زمان من ظهور الاباء أبناءهم ويعطيهم من العقل والادراك

(باب)

فطرة الخلق على التوحيد

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : فطرة الله التي فطر الناس عليها ؟ قال : التوحيد .

٢- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها »

قوله (باب فطرة الخلق على التوحيد) فطرة آفريدن و آفرينش و دين والمراد هنا المعنى الاول و في الاخبار المذكورة المعنى الاخير ، وعبر عنه في بعضها بالتوحيد، وفي بعضها بالاسلام، و في بعضها بالحنفاء وفي بعضها بمعرفة الرب والخالق والمال واحد.

قوله (قلت فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال التوحيد، الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الابداد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال وهو التوحيد و معرفة الربوبية مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل وذهب اليه ايضاً كثير من العامة، و قال بعضهم: الفطرة ما سبق من سادة أو شقاوة، فمن علم الله تعالى سادته ولسد على فطرة الاسلام، و من علم شقاوته ولد على فطرة الكفر تعلق بقوله تعالى ولا تبدل لخلق الله و بحديث الفلام الذي قتله الخضر «ع» وطبع يوم طبع كافرين (١) فانه يمنع من كون تولده

ما يلتفت به الى وجوده، فان الجنين اذا بلغ مبلغاً يدرك نفسه وخرج عن رتبة النباتية الى الحيوانية وله عقل هيولاني في اصطلاح الحكماء جعله الله مستعداً لان ينظر في آثار صنعه و يعرف الصانع صدق عليه قوله تعالى «أشهدهم على أنفسهم» فالحق مع المفيد والسيد المرتضى و من تبعهما في تفسير الآية .وهنا اشكالات اخرى ذكرها الفخر الرازي في تفسيره وهي تشبه احاديث المجانين يتمجب من صدورها من مثله لانطيل الكلام بنقلها ولعلنا نشير اليه في موضع آخر البق ان شاء الله تعالى. (ش)

(١) قوله وطبع يوم طبع كافرين أقول مفاد أخبار هذا الباب هو الاصل في الاعتقاد الذي يجب أن يعتمد عليه و يرجع سائر ما ينافية اليه بالتأويل فانه موافق للعقل والقرآن و مذهب أهل البيت عليهم السلام و ان خالف أكثر ما ورد في الاخبار السابقة و قلنا أنه موافق للعقل فانه يدل على تساوي الناس جميعاً بالنسبة الى قبول التوحيد والاستعداد للمعرفة والتكليف و هو مقتضى العدل واللفظ بخلاف ما مضى مما دل على أن بعض الناس فطروا على الجهل والعناد من طينة خبيثة لن يؤمنوا أبداً ، و ممذلك يذبون، و قلنا موافق للقرآن *

ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال :

على فطرة الاسلام و اجيب عن الاول بأن معنى لا تبديل لا تغيير يعنى لا يكون بعضهم على فطره الكفر و بعضهم على فطرة الاسلام بل كلهم على فطرة الاسلام. و يؤيده ما فى رواياتهم عنه «ص» وما من مولود الا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه فان المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام، و عن الثانى بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت و هى التهيؤ للكفر غير الفطرة التى ولد عليها. وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية و منهياً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها لا فطرة الاسلام و صوابها (١) موضوع فى العقول، و انما يدفع العقول من ادراكها تغيير الابوين أو غيرهما. و أجيب عنه بأن حمل الفطرة على الاسلام لا يأتى بالعقل، و ظاهر الروايات من طرق الامة يدل عليه، و حملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوى والله أعلم.

قوله (فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد) «على» متعلق بفطر كما يشعر به

لان مضمون الآية أن جميع أولاد آدم قالوا بلى، و مفاد ما سبق من الاخبار أن بعضهم أقر و بعضهم أنكر، و القرآن أولى بالقبول و يرجع ما يخالفه ظاهراً اليه، و قلنا انه موافق لمذهب أهل البيت عليهم السلام لان المتواتر الضروري المعلوم من مذهبهم القول بالمدل و نفي الجبر. و قد ذكر الشارح قريباً أن جميع ذرية آدم أعطوا قوة استعدادية للنفس الناطقة القابلة للكلمات و الاعمال الخيرية، و عليها فلا فرق بين بنى آدم من هذه الجهة و كلهم مستعدون بفطرتهم لنهم التوحيد و معرفة التكليف و انما يختلفون فيما سوى ذلك الأثرى أن كل من يتكلم يستعمل فى كلامه ألفاظاً تدل على معانى كلية غير مدركة بالحواس بحيث اذا عد كلماته كانت الاسماء الجزئية المحسوسة فيها نادرة و هذا علامة ان المتكلم أدرك الكليات اذ عبر عنها و بذلك الاعتبار سمي النفس المدركة للكليات ناطقة و اذا كان جميع أفراد الانسان مدركين للكليات كانوا عقلاء. و اذا كانوا عقلاء استعدوا لدرك أوائل المقولات و واضحاتها لا محالة و نحن نعلم أن ادراك الواجب تعالى و معرفة وجوده لا يمكنه من أوائل المقولات و ان ناقش أحد فى كونه من الاوليات فلا محيص عن الاعتراف بكونها بديهية أو قريبة منها بحيث يمكن أن يفهمه الصبي ابن خمس عشرة سنة، و الصبية بنت تسع سنين و من غفل أو أنكر فسببه عدم التوجه و الالتفات، و بينه الغزالي بوجه أبسط نقله عنه الوافى و عن الوافى المجلسى بعنوان بعض المنسويين الى العلم. (ش)

(١) قوله و لا فطرة الا سلام و صوابها، و قد نقل العلامة المجلسى عبارة الشارح هنا

من قوله الفطرة بالكسر مصدر للنوع الى آخر الشرح و أورد الجملة هكذا لان فطرة

« ألتُ برَبِّكم، وفيه المؤمن والكافر.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.

عنوان الباب و آخره فبدل على أن الفطرة مأخوذ عليهم من المهد بالربوبية والاقرار بها وهم ذر، ثم الولادة يقع على ذلك حتى يقع التغيير من الابوين أو من طليان النفس الامارة و مزاوله الشهوات و متابعة من الشيطان.

قوله (وفيه المؤمن والكافر) كلام آخر لبيان ما وقع في الميثاق من ايمان بعض و كفر آخرين لان الميثاق كما وقع بالربوبية و أقروا بها كذلك وقع بالنبوة والولاية فمنهم من آمن بهما ومنهم من كفر، ثم الكفر بهما يستلزم الكفر بالربوبية أيضاً (١) يدل على جميع ذلك ظاهر كثير من الروايات.

قوله (فطرهم جميعاً على التوحيد) أى على معرفة الرب والاقرار بالربوبية والواحدانية والكفر به وقع بعد ذلك باحتيال النفس واحتيال الشيطان.

والاسلام و صوابها موضوع في المقول. فبدل لاه النافية بقوله لان وكلنا المبارتين لا تخلوان عن ساحة، وغرض القائل أن الفطرة ليست فطرة الاسلام لان الاسلام أيضاً كدين اليهود والنصارى انما يرسخ في قلوب الاطفال بتعليم الاباء ولو فرض أن أحدنا نشأ في جزيرة منفردة لا يرى فيها من يعلمه الشهادتين فلن يهتدى لان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله «س» فليس فطرة الناس على الاسلام بل فطرتهم على قابلية الهداية ان اقيم لهم أدلة رسالة محمد «س»، والجواب أن المراد بالاسلام هنا الاسلام الاصح الذي كان يدعو اليه ابراهيم واسحاق ويعقوب وسائر الانبياء عليهم السلام و هو التسليم لامر الله والاعتراف بالهيته وأن السعادة في امتثال أوامره ونحن ندعى أن المنفرد في جزيرة اذا ترك وعقله هداه عقله الى التوحيد والمعرفة كما في رسالة حى بن يقظان. وليس المراد الاسلام الفقهي أعنى اظهار الشهادتين لفظاً. (ش)

(١) قوله « يستلزم الكفر بالربوبية » أقول الاولى حمل قوله «ع» وفيه المؤمن و الكافر على أنه تعالى أخذ ميثاقهم على التوحيد و جعل فيهم قوة قبوله واستعداد فهمه على ما سبق من الشارح وكان فيهم من آمن بعد ذلك اذ جاء الى الدنيا وفيهم من كفر. ولا ينافي أن يكون فطرة الجميع على التوحيد والمعرفة ولكن ظهر لادم «ع» حال ذريته في الدنيا وان بعضهم سيخالفون الفطرة ويكفرون وبعضهم يوافقونها و ظهور حالهم فيما بعد مختلفاً بالايمان و الكفر كما في كثير من الروايات لا يناقض كون فطرتهم على التوحيد. (ش)

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: «حنفاء لله غير مشركين به»؟ قال: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: وسألت عن قول الله عز وجل: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - الآية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذئب فعرفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه وقال قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله».

قوله (قال الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها) وهي دين الاسلام ومعرفة الرب والاقرار به، ويؤيده قوله تعالى «غير مشركين به» لوقوع الشرك به بعد الفطرة لا مريتهم، روى مسلم عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى «داني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» اجتالهم أي ذهبت بهم وساقتهم إلى ما أرادت من اجتال الشيء ذهب به وساقه، وقوله: «داجتالهم عن دينهم» صريح في أن المراد بالحنيفية دين الاسلام والاقرار بالرب. قوله (لا تبديل لخلق الله) بأن يكون كلهم أو بعضهم حين الخلق مشركين به بل كلهم مسلمين مقرين به.

قوله (قال أخرج من ظهر آدم) أواخر أولاد آدم مثل أوائلهم وأواسطهم كانوا في ظهر آدم والله سبحانه أخرجهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن ونسلاً بعد نسل فخرجوا كالذئب في الصدر والحجم فعرفهم نفسه وأراهم بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية المينية في الظهور ليحصل لهم الربط به ويعرفوه في دار الغربة ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يعرف أحد ربه في هذه الدار التي هي دار الفراق ولو لم يكن رابطة تلك المعرفة وسابقة تلك الرابطة لحصل الفراق الكامل ومع تحقق تلك الرابطة تحقق الفراق الكلي في أكثر الناس فكيف مع عدمها.

قوله (قال: قال رسول الله ﷺ): «كل مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه) الظاهر بالنظر إلى سياق الكلام أن التفسير من كلام أبي جعفر عليه السلام «ع» وهذه المعرفة معنى الفطرة في الآية المذكورة أولاً وجوابهم ببلى منوط بهذه الفطرة المجبولة والتفسير إنما يعرض من خارج كاضلال الابوين أو غيرهما، وقال بعض العامة وذلك كما

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل، «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال: فطرهم على التوحيد.

أن البهيمة تلد بهيمة سالمة من النقص والتغيير ولا يلحقها قطع الاذن والذنب والكي وغيرها من المتابع الا بعد الولادة. فكذلك الولد يولد على الفطرة سالماً عن الكفر حتى يدخل عليه التغيير من أمر خارج و يحمله على ما سبق عليه في الكتاب من شقاء، وقال صاحب النهاية: معنى الحديث أن الولد يولد على نوع من الجبلة وهي فطرة الله و كونه منهيّاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً لوخلته شياطين الانس والجن ثم ذكر ولد البهيمة نظيراً له . وقال صاحب المصباح قوله «ع» وكل مولود على الفطرة، قيل: معناه الفطرة الاسلامية (١) والدين الحق وانما أبواه يهودانه وينصرانه أي ينقلانه الى دينهما وهذا التفسير مشكل أن حمل اللفظ على حقيقته فقط لانه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم الصادر قبل أن يهودوهم وينصروهم، واللازم منقطف بل الوجه حملة على حقيقته ومجازه معاً أما حملة على مجازه فعلى

(١) قوله وقيل معناه الفطرة الاسلامية، أورد عبارة الشارح بينها المجلس رحمه الله في مرآة العقول الى آخرها الابعض كلمات سبقت من قلمه أو قلم النساخ . وكان قوله وهذا التفسير مشكل ، اعتراض من الشارح على القائل المذكور، والظاهر أن المجلس رحمه الله أيضاً استحسن الاشكال، ولعله من خلط أحكام الفقه بقواعد العقائد والاصول بالفروع، والظاهر بالواقع والدنيا بالآخرة لان أولاد المشركين تابعون لآبائهم في الدنيا بالنسبة الى فروع الاحكام الفقهية، ومحكومون بالكفر ظاهراً و ليسوا تابعين في الآخرة بالنسبة الى العقاب اذ ليسوا كافرين واقعاً، وكلامنا هنا في الاحكام الواقعية الآخروية لا الظاهرية الدنيوية ولا مانع من كون أولاد الكفار على فطرة التوحيد ولا يكونوا يهوديين ولا مشركين ولا نصرائين واقعاً بالنسبة الى أحكام الآخرة، ولكن يكونوا بحكم الكفار في الدنيا ، و الاستشكال من الشارح عجيب وليس الثواب والعقاب في الآخرة مترتبين على أحكام الفقه في الدنيا، فليس كل من يفتى الفقهاء بإيمانهم ظاهراً من أهل النجاء في الآخرة، ربما كانوا منافقين و يعامل معهم معاملة المسلمين فيزوج فيهم و يتمكنون من المساجد ولا يجنب أسأرهم وهم في الآخرة في أسفل درك من النار. و بالعكس وفي الوافي تحقيق في شرح هذا الباب وأورده المجلس -ره- في شرح الحديث الرابع ناقلاً عنه بعنوان بعض المحققين لا تغفل الكلام بذكره فمن أراد راجع الوافي او مرآة العقول. (ش)

(باب)

كون المؤمن في صلب الكافر

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن عليّ الوشاء ، عن عليّ بن ميسرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك ، فلا يصيبه من الشر شيء ، حتى إذا صار في رحم المشرك لم يصبها من الشر شيء ، حتى تضعه فإذا وضعت لم يصبه من الشر شيء ، حتى يجري عليه القلم .

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : إنني قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام عليّ يقطين وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنما المؤمن

ما قبل البلوغ وذلك أن إقامة الابوين عليّ دينهما سبب يجعل الولد تاباً لهما فلما كانت الإقامة سبباً جعلت تهويداً و تنصيراً مجازاً ، ثم استدلّ الابوين توبيخاً لهما وتقبيحاً عليهما ، فكانه قال : وإنما أبواه باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركاً ، ويفهم من هذا أنه لو أقام أحدهما على الشرك وأسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً ، وقد جعل البيهقي هذا معنى الحديث فقال وقد جعل رسول الله ﷺ حكم الاولاد قبل أن يفسحوا بالكفر وقبل أن يختاروا لانفسهم حكم الاباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا . و أما حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجود الكفر من الاولاد .

قوله (ان نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك - الخ) أي النطفة التي يخلق منها المؤمن لا يصيبها شيء من شر الابوين يعني الكفر وغيره مما ينافي التوحيد . والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعية قبل البلوغ نظراً الى الظاهر لا ينافي ايمانه .

قوله (قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليّ يقطين وما ولد) الاشفاق الخوف والواو للمطف عليّ يقطين أو بمعنى مع وخوفه من سراية تلك الدعوة الى نفسه فبشره دعه بأنه ليس من أهلها لكونه مؤمناً صالحاً غير راض بفعل أبيه (١) وما ورد من أن ظلم الرجل يجري على أهقابه مخصوص بما إذا رضى الولد بفعل أبيه فيؤخذ بظلمه وظلم أبيه جميعاً .

(١) قوله دغير راض بفعل أبيه، قال الشيخ رحمه الله لم يزل يقطين في خدمة أبي - العباس وأبي جعفر المنصور ومع ذلك كان يتشيع ويقول بالامامة وكذلك ولده و يحصل الاموال الى جعفر بن محمد ونمى خبره الى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما انتهى . و عبارة الشارح تدل على ذم يقطين وكلام الشيخ رحمه الله أولى بالقبول من كلام الشارح لانه

في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة ، يجيء المطر فيفسد اللبنة ولا يضر
الحصاة شيئاً .

(باب)

إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن إبراهيم بن مسلم
الحلواني ، عن أبي إسماعيل الصيقل الرّازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن في
الجنة لشجرة تسمى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا تصيب
بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً .

قوله (بمنزلة الحصاة في اللبنة) اللبنة مثل كلمة ما يبنى به وقوله (يجيء المطر) إشارة
إلى وجه التشبيه وهو أن ما يضر الكافر لا يضر المؤمن الذي فيه .

قوله (الحلواني) في المصباح الحلوان بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر
مدن العراق و بينها و بين بغداد خمس مراحل ، وهي من طرق العراق من شرق و
القادسية من طرفه من الغرب ، قيل سميت باسم بابنها و هو حلوان بن عمران بن-
الحارث بن قضاة .

قوله (تسمى المزن) مزن أبرهاى سفيد وآن جمع مزنة است ، وسميت الشجرة
المذكورة بها لحملها ماء كثيراً كالسحاب و هذا الحديث كما يناسب (١) ما قبل من أن المراد
بـأعرف وأعلم . وأما دلالة هذه الرواية وشهادة على بن يقطين على أبيه وتمثيل نفسه وأبيه بالمؤمن
في صلب الكافر فليس فيها حجة ووصفوا إبراهيم بن هاشم بالحسن لا بالصحة ولكن المجلسي
رحمه الله قال حسن كالصحيح وكان قوله حقاً لو كان ابن أبي عمير راوياً عن إبراهيم بن هاشم
و ليس كذلك بل إبراهيم روى عن ابن أبي عمير و من يدعى تصحيح ما يصح عن ابن أبي عمير
انما يدعيه فيما بعده لا فيمن قبله . (ث)

(١) قوله و هذا الحديث كما يناسب نقله المجلسي رحمه الله إلى آخر الصرح ثم نقل
عبارة الوافي بعنوان بعض المحققين و فيها تحقيقات شريفة يليق بأن يتعمق فيها لا لتبليط
الكلام بأعادتها فمن أراد رجوع إلى الوافي أو مرآة العقول وكلام الشارح لا يخرج عنه ، و
الذي يستفاد من هذا الحديث وأمثاله أن الجنة كما هي معاد و علة قائمة لأعمال الصالحين و
كذلك لها مبدئية ودخل في عليتها الفاعلية بنحو من الانحاء أدام هذا المزن تأثير في تربية
الصالحين وهذا لا يوجب الجبر كما مر و بهذا يعرف معنى وجود الأرواح قبل الأجساد لان
الروح قد يطلق على النفوس المنطبعة بالحادثة بعد حصول المزاج الخاص واستعداد البدن بأن

(باب)

في أن الصبغة هي الاسلام

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعبد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الاسلام ، وقال في قوله عز وجل :

بالطينة الاصول الممتزجات المنتقلة في أطوار الحلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من الملقحة والمضنة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبرة ، كذلك يناسب ما ذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لان طينة الجنة اختصارها و تربيتها بهذه الفطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقاً ، وبالجمله خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أولاً وتربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة الى المؤمن ليحصل له الوصول الى أعلى مراتب القرب .

قوله (صبغة الله) أى صبغنا الله صبغته وهي الاسلام و دينه الحق وانما سمي بها لانه حلية الانسان كما أن الصبغة الحلية المصبوغ أو للمشاكله لوقوعه في مقابلة صبغة النصارى

*تفسير النطفة علقه والعلقه مضنة الى أن تصير قابلة لان ينشأها الله خلقاً آخر فيحدث هذه النفس بعد حصول الاستعداد ولم تكن قبل ذلك ثم تتقلب النفس في مراتبها حتى اذا تجردت بالفعل وصارت عقلاً وهو العقل الحادث بعد النفس وبعد تركيب المزاج وليس هو بقيد الحدوث قبل البدن والموجود قبله هو علته المفيضه ، ولعالم تكن العلة شيئاً مبيناً في عرض المعلول نظير المعدات كالاب بالنسبة الى الابن بل هي أصل المعلول ومقومه والقائم عليه فاذا كانت العلة موجودة كان المعلول موجوداً حقيقة وعرفاً ، الا ترى أنه يسمى صاحب ملكة العلم القادر على تفصيل المسائل عالماً بها لاندراجها في الملكة ولقدرة العالم على استخراجها كلما أراد كذلك المزن الذي يتقاطر منه الملكات على نفوس الصالحين و تربيتها يندرج فيه جميع تلك النفوس بتفاصيلها اندراجاً اجمالياً ، و انما تنفصل منه بوجودها الديوى ليحصل لها بالفعل ما كان كامناً بالقوة ، ولو كانت النفوس على كمالها منفصلة عن علتها موجودة بالفعل لم يكن حاجة الى ارسالها الى الدنيا و انما الدنيا مزرعة الآخرة ، وبالجمله كل ما في هذا العالم عكس من موجود مثالي أو عقلى قبله ينطبع على المواد مطابقاً لمثاله أو ظله وشبهه وما شئت فسمه و أحسن التعبيرات عنه ما في القرآن حيث قاله ونفخنا فيه من روحنا و أنشأناه خلقاً آخر ، ولا يكون النفخ الامن نفس موجود قبله وان كان حصوله في الجسم و اتصاف الجسم بالحياة بسببه حادثاً . (ش)

« فقد استمسك بالعروة الوثقى » ؟ قال : هي الإيمان بالله وحده لا شريك له .

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن داود بن سرحان ، عن عبد الله بن فرقد ، عن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام .

٣- حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام ، و قال في قوله عز وجل : « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال : هي الإيمان .

(باب)

في أن السكينة هي الإيمان

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الإيمان ، قال : و سأله عن قول الله عز وجل : « و أيدهم بروح منه » قال : هو الإيمان .

أولادهم في ماء لهم أصفر ، و تفسير الصبغة بما ذكر مذكور في كلام الأكابر من المفسرين و غيرهم . فالحمل عليه أولى مما قيل من أن المراد بها ابداع الممكنات و اخراجها من المدم الى الوجود و اصطاء كل ما يليق به من الصفات و النيات و غيرها .

قوله (و من أحسن من الله صبغة) من باب الانكار و المقصود أن صفة تعالى أحسن من كل صفة لان أثر الفاعل القوي أكمل و أحسن من أثر غيره و لان كل صفة غير صفة تعالى دائرة زائلة بخلاف صفة تعالى بالإيمان فانها باقية أبداً ، نافعة دائماً .

قوله (قال هي الإيمان بالله) اريد بالكفر بالطاغوت الكفر بفلان و بالإيمان بالله الإيمان بعلی بن أبي طالب عليه السلام ، الا أنه أضيف الى الله ما يضاف اليه تعظيماً له ، فلا يرد أن تفسير العروة الوثقى بالإيمان بالله يوجب التكرار بعد قوله « و يؤمن بالله » .

قوله (سأله عن قول الله عز وجل أنزل السكينة في قلوب المؤمنين قال هو الإيمان) عبر عن الإيمان بالسكينة والروح لان الإيمان يوجب سكون القلب و وقاره وحياته و قد روى

٢ - عنه ، عن أحمد ، عن صفوان ، عن أبان ، عن فضيل قال : قلت لأبي -

وأن القلب ليرجح (أى يهتز) ويتحرك فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على الايمان فاذا عقد على الايمان قرء . وفي رواية اخرى داطمان وقرء ولا بد من بيان معنى الايمان لان فيه فوائد كثيرة فنقول الايمان فى اللغة التصديق ، وفى الشرع قبل هو كلمتا الشهادة ، وقيل الطاعات مطلقاً ، وقيل الطاعات المفروضة ، وقيل التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان ، وقيل التصديق بالجنان مع الشهاداتين ، وقيل التصديق بالله وبرسوله وجميع ما جاء به - على الاجمال - والولاية ، وهو الحق لدلالة الايات والروايات عليه ، أما الايات فمنها دو قلبه مطمئن بالايمان ، ومنها « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، ومنها دو لما يدخل الايمان فى قلوبكم » فان اسناد الايمان الى القلوب فى هذه الايات يدل على أنه أمر قلبى ، ومنها « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، ومنها « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » ومنها « والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » فان اقتران الايمان بالمعاصى فى هذه الايات يدل على أن العمل غير معتبر فى حقيقته ، ومنها « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله » فان الامر بالطاعة بعد ثبوت الايمان يدل على ذلك أيضاً . وأما الروايات فمنها تفسير السكينة التى فى قلوب المؤمنين والروح بالايمان ، وأما تفسير كلمة التقوى بالايمان فلا يدل على أنه كلمتا الشهادة لان اضافة الكلمة بيبانية فيحمل التقوى على التصديق القلبى للتوافق بين الاحاديث ، ومنها قول الصادق «ع» « المؤمن مؤمنان مؤمن صدق بمهد الله وو فى بشرته ، و مؤمن كخامة الزرع يعوج أحياناً و يقوم أحياناً » ومنها قوله «ع» « يبلى المؤمن على قدر ايمانه وحسن عمله ومن صح ايمانه اشتد بلاؤه ، ومن سخط ايمانه ضعف عمله قل بلاؤه » ومنها قوله «ع» « ان القلب لتكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولايمان » ومنها قوله «ع» « لا يضر مع الايمان عمل ، ولا ينفع مع الكفر عمل » ومنها قوله «ع» « الايمان وقر فى القلوب والاسلام ما عليه المناكح » ومنها قول رسول الله «ص» « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لاتذموا المسلمين » ومنها قول أمير المؤمنين «ع» « أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقرله بالطاعة ، ويعرفه نبيه ويقرله بالطاعة ، ويعرفه أمامه وحجته فى أرضه وشاهده على خلقه فيقرله بالطاعة ، قيل يا أمير المؤمنين : و ان جهل جميع الاشياء الا ما وصفت » قال : نعم اذا امر أطاع و اذا نهى انتهى .

ولارىب فى أن هذه الاخبار تدل سريحاً على أن الايمان هو التصديق وحده من غير دخل لفعل اللسان والجوارح فيه ، على أن كون الايمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يحتاج الى نقله عن معناه اللفوى الذى هو التصديق مطلقاً لان التصديق المخصوص فرد منه

عبدالله عليه السلام « أولئك كتب في قلوبهم الايمان » هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع ؟ قال : لا .

٣- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن العلاء عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: السكينة الايمان .

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و هشام بن سالم وغيرهما، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال: هو الايمان .

٥- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن جميل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عز وجل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال: هو الايمان. قال: قلت: « وأيدهم بروح منه » قال: هو الايمان. و عن قوله: « و ألزمهم كلمة التقوى » قال: هو الايمان.

بخلاف ما إذا كان المراد منه غيره من المعاني المذكورة.

إذا عرفت هذا فنقول الاخبار الدالة على أن الايمان هو العمل بالاركان والاقرار باللسان والتصديق بالجنان مثل ما روى عن أبي الحسن الرضا (ع) وغيره محمولة على أن اضافة الفعل الى الايمان لاجل الكمال لانه جزء منه أو شرط له أو لاجل أنه دليل عليه وليس له دليل أعظم منه فكانه صار نفسه على سبيل المبالغة. يدل عليه ما روى عن أبي جعفر (ع) « أن الايمان ما استقر في القلب و أفضى به الى الله عز وجل، و صدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لامر الله » . و ما روى عن الصادق (ع) قال: « قال أمير المؤمنين (ع) : ان لاهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث و أداء الامامة و وفاء بالمهدى - الى أن قال - و ما يقرب الى الله عز وجل زلفى » . و ما روى عن أمير المؤمنين عن رسول الله (ص) قال « عشرون خصلة في المؤمن فان لم تكن فيه لم يكمل ايمانه، ان من أخلاق المؤمن يا على الحاضرون الصلاة ، و المسارعون الى الزكاة و المطمعون المسكين - الحديث » . و في هذه الاخبار مع دلالتها على أن الايمان هو التصديق القلبي دلالة واضحة على أن العمل مصدق و مبين ومظهر له و موجب لكماله .

قوله (هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع قال لا) لعل المراد بالايمان هنا نكت الحق ومعرفة الرب وليس للعبد صنع فيه، وانما صنعه في قبوله، والتكليف انما وقع به وقد روى « أن كل قلب بنكت الحق فيه قبل أولم يقبل » .

(باب الاخلاص)

١- علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن
عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « حنيفاً مسلماً » قال خالصاً مخلصاً ليس
فيه شيء من عبادة الأوثان .

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه رفعه إلى أبي جعفر
عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إنما هو الله والشيطان والحق والباطل
والهدى والضلالة والرشد والغي والعاجلة والاجلة والعاقبة والحسنات والسيئات،
فما كان من حسنات فلله، وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله.

قوله (باب الاخلاص) الاخلاص في العمل تطهيره عن ملاحظة غير وجهه تعالى و
رضاه حتى عن الرجاء بالثواب والخوف من العقاب فضلاً عن الرياء والسمعة وحب الجاه و
أمثال ذلك فان ذلك شرك خفى قل من نجاه من الخفاء طرقة، ولذلك قال دس، «ديب الشرك في أمتي
أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء» وهو أعظم سادسالك
عن الوصول الى الحق والقرب منه قال الله تعالى «ومن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» ، و اذا ارتفع ذلك سهل للسالك الوصول اليه ، كما
يرشد اليه ما روى « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قبله على لسانه» .
قوله (حنيفاً مسلماً) الحنيف المسلم المنقاد وهو المائل الى الدين الحق وهو الدين
الخالص، ولذلك فسره عليه السلام بقوله «خالصاً مخلصاً» عبادة عن ملاحظة غيره مطلقاً، ثم وصفه
على سبيل التأكيد بقوله «ليس فيه شيء من عبادة الاوثان» أي الاوثان المعروفة أو الالهة منها
فيشمل عبادة الشياطين في اغوائها و عبادة النفس في أهوائها ، وقد نهى جل شأنه
عن عبادتهما فقال « ألم أهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » وقال « أفأرأيت
من اتخذ الهه هواً » .

قوله (يا أيها الناس إنما هو الله والشيطان) كان هو راجع الى المقصود بقرينة المقام
والهدى الطريقة الالهية و الشريعة النبوية، والحسنات والسيئات شاملتان لجميع ما تقدم
ولذلك اقتصر بذكرهما في قوله «فما كان من حسنات فلله» وهو ما اراده الله تعالى ووقع له
«وما كان من سيئات فللشيطان» وهو ما نهى الله عنه و أمر به ولم يقع له . وفيه ترغيب في
مراقبة النفس في حركاتها وسكناتها ليمنعها عن السيئات و يحملها على الحسنات و يراعى
الاخلاص والتقرب فيها بأن يفعلها لوجه الله لا لغيره لئلا يصير سيئات.

٣ - عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطى غيره.

٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « ليلوكم أيكم أحسن عملاً » قال: ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصالة خشية الله والنية

قوله (طوبى) أي الجنة أو طيبها أو شجرتها أو العيش الطيب أو الخير لمن أخلص لله العبادة والدعاء وقصد بهما لا غيره . ولم يشغل قلبه من الله وطاعته بما ترى عيناه من منافع الدنيا وخارفها الشهية وصورها البهية ولم ينس ذكر الله بالقلب واللسان بما تسمع أذناه من الاصوات الداعية الى الدنيا والكلمات المحركة عليها ولم يحزن صدره بما أعطى غيره من أسباب العيش و حرم هو، والاتصاف بهذه الصفات العلية انما يتصور لمن قطع عن نفسه الملائق الدنية ، والله هو الموفق.

قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملاً) قال الله تعالى «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير» الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً وصف نفسه أولاً بان التصرف في الممكنات منوط بيد قدرته الكاملة وليس لاحد أن يمنعه من ذلك، وثانياً بان قدرته نافذة في كل واحد منها، وليس لشيء منها إباء عن نفاذها، وثالثاً بأنه خلق الموت والحياة أي قدرهما أو أوجدهما، وفيه دلالة على أن الموت أمر وجودي، والمراد بالموت الموت الطاري على الحياة أو العدم الأصلي فانه قد يسمى موتاً أيضاً، وتقديره على الاول لانه ادعى الى حسن العمل وأقوى في ترك الدنيا ولذاتها بالاختيار لملاحظة أن الترك لا بد منه بالاضطرار، وعلى الثاني ظاهر لتقدمه بحسب التقدير، ثم علل الوصف الاخر بقوله وليلوكم أيكم أحسن عملاً أي ليماملكم معاملة المختبر مع صاحبه، فهو تمثيل لحاله بحال المشاهد المعلوم منا لزيادة التنوير والايضاح، وقوله «أيكم» مفعول ثان لفعل البلوى باعتبار تضمينه معنى العلم. ووجه التمثيل أن الموت داع الى حسن العمل لكمال الاحتياج اليه بعمده والحياة نعمة تقتضيه وتوجب الاقتدار به، وإن اريد به العدم الأصلي فالمعنى أنه تقلكم منه وألبسكم لباس الحياة لذلك الاختبار، ولما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة وبإصابته أخرى أشار الى نفى ارادة الاول بقوله :

(وليس يعني أكثر عملاً) يعني لم يرد جل شأنه بقوله : « أحسن عملاً » أكثر عملاً

الصادقة والحسنة ، ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص : الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل والنية أفضل من

لان مجرد كثرة العمل من غير خلوصه وجودته ليس أمراً يعتد به بل هو تضييع للمعنى لا ينفع ، والى ارادة الثانى بقوله :

(ولكن أصوبكم عملاً) لان صواب العمل وجودته و خلوصه من الشوائب الرذيلة يوجب القرب منه تعالى وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها كلما كان أصوب كان من الرد أبعد و من القبول أقرب ، ثم بين الاسبابة و حصرها فى أمرين بقوله . (اما الاسبابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة) تنبيه على أن قطع المسافة الى حضائر القدس لا يتصور بدونهما ، وذلك لان قطع المسافة العقلية يحتاج الى آلة و أسباب و دفع موانع كقطع المسافة الحسية فلا بد للسائر الى الله تعالى من أمرين أحدهما العمل الصالح و هو بمنزلة المركوب يوصل راكبه الى غاية مناه ، والعمل الصالح لا يتحصل ولا يتقوم بدون نية صادقة حسنة ، وهى أن يقصد بالعمل وجه الله تعالى والتقرب اليه لا غيره اذ لو قصد غيره قيد مركوبه بقيد وثيق يمنعه من الحركة من موضعه فيبقى متحيراً بل قد يرجع قهقري الى أسفل السافلين باعانة قوم آخرين ، و ثانيهما حفظ العمل الصالح عن الاحباط بارتكاب المحارم و ذلك انما يحصل بملكة الخشية والخوف من الله سبحانه وهى حالة تحصل بملاحظة مظنة الحق و هيئته ومشاهدة جلال كبريائه ولذة قربيه وقبح مخالفته و شناعة معصيته و سوء عاقبتهمسا ولذلك قال الله تعالى دانما يخشى الله من عباده العلماء ، ثم أشار الى أن اسابة العمل و خلوصه ليس بمجرد وقوعه كذلك بل باعتبار بقاءه واستمراره مادام العمر كذلك أيضا بقوله :

(الإبقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل) روى المنصف (ره) فى باب الرياء بإسناده عن على بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبي جعفر (ع) أنه قال : الإبقاء على العمل أشد من العمل ، قال : وما الإبقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلة و ينفق نفقة لله وحده لاشريك له فتكتب له سراً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء ، و فى الصحاح يقال : أبقيت على فلان اذا رعيت عليه و رحمته ، و يحتمل أن يكون المقصود هنا أن رعاية العمل وحفظه عند الشروع فيه و بده الى الفراغ منه وبعد الفراغ الى الخروج من الدنيا حتى يخلص و يصفو عن الشوائب الموجبة لنقصانه أو فساده أشد من العمل نفسه ، و ذلك لان خلوصه و صفاءه لا يتحقق بمجرد أن يقول أصوم مثلاً قربة الى الله

و اخطار معناه بالبال و استعمال الجوارح والا لكان المنافق باظهار كلمة الشهادة و اخطار منهاها مؤمناً بل لابد مع ذلك من تأثر القلب عن العمل و انقياده الى الطاعة و اقباله اليه جل شأنه و انصرافه عن الدنيا وما فيها حتى يرى الناس كالا باعرو ولا يتحصل ذلك الا بتحصيل الفضائل النفسانية والملكات الروحانية والاجتناب عن رذائلها، فان النفس مادامت عارية عن تلك الملكات والفضائل ومنصفة بالملكات الخبيثة والرذائل تنبث الى الفعل وتقصد وتميل اليه وتظهره ولو بعد حين تحصيلاً للفرغ الملائم لها بحسب ما يغلب فيها من تلك الصفات الرذيلة وتحصيل هذه الامور مشكل جداً لا يتيسر الوصول اليها الا لذوى الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة ، فقد ظهر مما قررنا أن حفظ العمل من موحبات النقص والفساد أشد و أصعب من نفس العمل ، ومنه يظهر سر مارواه العامة والخاصة عنه «س» دنية المؤمن خير من عمله، ثم أشار الى تفسير العمل الخالص وخلاصة القول فيه بقوله:

(والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدهك عليه أحد) حين العمل وبعبه (الا الله تعالى) تنبيهها على أن الرياء و قصد المدحة والسمة مناف للخلوص و حقيقة الرياء اداء مدح الناس على العمل والسرور به والتقرب اليهم باظهار الطاعة و طلب المنزلة في قلوبهم والميل الى اعظامهم له و توقيرهم اياه و استجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه وقيامهم بهمااته و هو الشرك بالله العظيم، قال رسول الله «س» : «من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك، ثم قرأ وقل انما أنا بشر مثلكم - الآية» وفي قوله «لا تريد» إشارة الى أنه لو مدحه الناس على عمله من غير ارادته و سروره به لا يقدح ذلك في خلوص عمله بل هو من جميل صنع الله تعالى ولطفه به كما ورد في بعض حبه وعملك الصالح عليك سرور و على اظهاره، و أمثال ذلك في الروايات كثيرة وان دخله سرور باطلاع الناس و مدحهم فان كان سروره باعتبار ان الله تعالى أظهر جميله و شرفه عليهم لا بحمدهم و حصول المنزلة في قلوبهم، أو باعتبار أنه استدل باظهار جميله في الدنيا على اظهار جميله في الآخرة على رؤس الاشهاد أو باعتبار أنهم يحبون طاعة الله تعالى و ميل قلوبهم اليها فلا يقدح ذلك في الخلوص وان كان باعتبار رفع منزلته عندهم و تغليظهم اياه الى غير ذلك من التسهيلات النفسانية والتدليسات الشيطانية فهذا رياء وشرك محيط للعمل و ناقل له من كفة الحسنات الى كفة السيئات و من ميزان الرجحان الى ميزان الخسران، و لذلك ورد في كثير من الروايات الامر باخفاء العمل و استاره حفظاً له عن الرياء المنافي لاخلاصه المفسد له بالكلية، و ظاهر هذا التفسير يدل على أن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب لا ينافي الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله «س» : «ومن

العمل، ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله عز وجل: «قل كل يعمل على شاكلته» يعني على نيته.

٥. و بهذا الاسناد قال: سألته عن قول الله عز وجل: «إلا من أتى الله بقلب

ترك ممصبة له مخافة الله عز وجل أرضاء يوم القيامة» وقوله وقال الله تعالى «لا يتكلموا العالمون
لى على أعمالهم التى يعملونها الثوابى - الحديث» و ذهب جماعة من العلماء الى أنه يناق
الأخلاق و يفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط ظاهر.

قوله (والنية أفضل من العمل) النية فى اللغة عزم القلب على أمر من الأمور، وفى
العرف إرادة إيجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً، وتلك الإرادة إذا تحققت فيه
تسرى الى الأعضاء وتحركها الى أفعالها، وهى أفضل الأعمال، وإذا ضم هذا مع قوله «وع» :
«أفضل الأعمال أحمرها» يفيد أن النية أحمرها، وهو كذلك لان النية الخاصة يتوقف على
قلع القلب عن حب الدنيا ونزعه عن الميل الى ما سوى الله تعالى، وهذا أشق الأشياء على
النفس. ولهذا قال «ص»: «رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر» حيث عدا الجهاد
الذى هو أشق الأعمال البدنية أصغر من جهاد النفس وسرف وجهها عن غير الله لانه أشق
والأشق أفضل لماسر. على أن المراد بنية المؤمن وهى أدوم و ثمرتها أعظم من الأعمال لان
نيته أن لو بقى أبد الأبدين أن يكون مع الايمان بالله والطاعة له وهذه النية من لوازم الايمان و
دائمة لا تنقطع بخلاف العمل فانه ينقطع ولو بقى الى مائة سنة أو أزيد و ثمرتها الخلود فى
الجنة. والذي يدل عليه ما روى عن أبى عبد الله «ع» «انما خلد أهل النار فى النار لان نياتهم
كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و انما خلد أهل الجنة فى الجنة لان نياتهم
كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا «قل
كل يعمل على شاكلته» قال : «على نيته» فالعمل تابع النية فى الرد والقبول والكمال و
النقصان، و فرع لها وهذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل لان الأصل أفضل من الفرع
و من أراد أن يعلم وجوهاً آخر لافضليتها فليرجع الى ما ذكره الشيخ فى الحديث السابع و
الثلاثين من الأربعين.

قوله (ألا وإن النية هي العمل) لما كان نظام العمل وكماله و نقصانه وقبوله و رده
تابعة للنية و مسببة عنها بالغ فى حمل العمل عليها بحرف التنبيه وحرف التأكيد واسمية الجملة
و تعريف الخبر باللام المفيد للحصر، و ضمير الفصل المؤكده، و يندفع به ما عسى أن يتوهم
من أن التفضيل انما يشعارف اذا كان المفضل من جنس المفضل عليه، والنية ليس
من جنس العمل.

سليم، قال: القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه، قال: و كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط و إنما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٦- بهذا الإسناد، عن سفيان بن عيينة، عن السندي، عن أبي جعفر عليه السلام قال ما أخلص العبد الايمان بالله عز وجل أربعين يوماً - أو قال ما أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوماً - إلا زهده الله عز وجل في الدنيا وبصره داءها و دواءها

قوله (و ليس فيه أحد سواه) أى شغل بربه من غيره من المال والولد وغيرهما كمال قال الله تعالى ديا ايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم من ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون.

قوله (و كل قلب فيه شرك) لعبادة النفس والشيطان أو شك لميله الى الدنيا وحبها لها وان كان فارغاً عنها فهو ساقط عن الاعتبار أو من قرب الحق، و انما أرادوا بالزهد في الدنيا و تركها لتفرغ قلوبهم للآخرة و تفكر في أمرها و ما يوجب النجاة والترقي فيها من ذكر الله و طاعته في الظاهر والباطن فلا فائدة في تركها ظاهراً مع اشتغال القلب بها وحبها و ميله الى عبادة النفس والشيطان. و قال بعض الحكماء: اثنان في المذاب سواه فنى حصلت له الدنيا فهو بها مشغول مهموم، و فقير ذويت عنها فنفسه تنقطع عليها حسرات فلا تجد اليها سبيلاً . و الحاصل أن ترك الدنيا لتطهير القلب عن حبها و عن طاعة النفس و الشيطان و تصفيته عن غيره تعالى لينمو فيه بذرا المحبة والذكر و يرتقى الى المقام القرب ولا يتحقق ذلك بالقلب الملوث بشهواتها كالبذر في أرض السبخة.

قوله (ما أخلص العبد الايمان بالله) لعل المراد بالمبد العبد العالم لان الاخلاص مرتبة عالية للعلماء لا يمكن حصوله بدون العلم بالمطالب. وبالايمان الايمان الكامل و هو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، و بالاخلاص تجريد جميع ذلك عن غير وجه الله تعالى وتطهير القلب عما سواه وان كان لازماً للفعل فلو اعتق المبدل مع قصد الفراغ من انفاقه أيضاً، أو صلى في الليل مع قصد حفظ مناعه ، أو توضأ مع قصد تبرده أو أعطى السائل مع قصد تخلصه من ابرامه أو عمل طاعة أو ترك معصية لقصد القرب بالثواب والنجاة من العقاب، فالظاهر أن هذه القصدات في الاخلاص كما ذهب اليه جمع كثير من العلماء أو تنافى كماله كما ذهب اليه طائفة . و بالاربين هذا العدد اذ فيه يبلغ الانسان الى كماله في القوة العقلية والقوى الادراكية فيستمد استعداداً تاماً لان يزهد الله في الدنيا و يوفقه لتركها .

قوله (فزهده) فيها و صرف قلبه عنها وبصره داءها و دواءها) أى قدر الضرورة

فأثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه، ثم تلا: « إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَل سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » فلا ترى صاحب بدعة إلا ذليلاً و مفترياً على الله عز وجل و على رسوله ﷺ و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلا ذليلاً.

منها و الزائد عليه أو ميل القلب اليها و صرفه عنها أو الضار و النافع منها ففى الآخرة أعنى المصيبة والطاعة .

قوله (فأثبت الحكمة فى قلبه) أى جعلها راسخة فيه بحيث يرى بها صور الحقائق الملكوتية و جمال الاسرار اللاهوتية، و يجوز أن يقرأ « أنبت » بالنون فيكون تمايلاً لزيادتها و نموها بالاخلاص بانبات الزرع و نمو بالماء لتقصد الايضاح.

قوله (و أنطق بها لسانه) فيتكلم ما ينفعه و ينفع غيره فى الدنيا و الآخرة حتى يعد فى الصديقين و هذه الخواص الخمس المرتبة على الاخلاص أمهات المنهجيات.

قوله (ثم تلا) لعل الفرض من تلاوتها هو التنبيه على أن غير المخلص مندرج فيها و الوعيد متوجه اليه أيضاً لانه قد عرفت أن قلبه ساقط لكونه ذا شرك أو شك و هما بدعة و افتراء على الله و رسوله، والآية على تقدير نزولها فى قوم مخصوصين لا يقتضى تخصيص الوعيد وهو الغضب و الذلة بهم، لان الامر اذا جرى على قوم لصفة وجدت فى غيرهم هى أو نظيرها جرى ذلك الامر فى ذلك النبر أيضاً، و من ثم قيل « خصوص السبب لا يوجب تخصيص الحكم » و على هذه فالآية بيان لفحوى الحديث و حجة لمفهومه، فهى و ان نزلت فى أصحاب السامرى لكن جرى حكمها فى أصحاب سامرى هذه الامة و يلحق الغضب و العقوبة و الذلة بهم آجلاً و عاجلاً لقتلهم و أسرهم عند ظهور الدولة القاهرة، و كذا جرى حكمها فى أصحاب الشرك و الشرك و البدعة و الافتراء الى يوم القيامة، والله أعلم.

قوله (و كذلك) أى مثل جزاء من اتخذ العجل من الغضب و الذلة.

قوله (نجزي المفتريين) لانهم أيضاً اتخذوا العجل اذا العجل ما يبعد من دون الله و هم يبعدون أهواءهم و مفتريات نفوسهم.

قوله (فلا ترى صاحب بدعة) أى فلا ترى صاحب كل بدعة، الا ذليلاً فى الدنيا و الآخرة لان الذلة مترتبة على اتخاذ العجل و اتخاذ العجل اتخاذ بدعة على الاطلاق و قوله و مفترىء عطف على صاحب بدعة أى فلا ترى مفترياً على الله الى آخره الا ذليلاً و الله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

باب الشرائع

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر و عذّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى أعطى محمدًا ﷺ شرائع نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليه السلام : التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد و الفطرة الحنيفية السمحة و لارهبانية و لاسياحة ، أحل فيها الطيبات و حرّم فيها الخبائث و وضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم،

قوله (باب الشرايع) تذكر فيه الشرايع المعروفة و أصحابها و هم أولو العزم من الرسل و ما يشترك بينهم من غير تعيين و ما لا يشترك أصلاً و بدون.

قوله (التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد) الانداد جمع و ندء بالكسر و هو مثل الشيء و يضافه في أمور و ينادى أي يخالفه يريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله و هذه الثلاثة بدل من الشرايع بدل البعض من الكل ليفيد أن الاشتراك بينهم في هذه الأصول الثابتة في جميع الشرايع و لم ينكرها أحد من الأنبياء، و يرشد إليه قوله تعالى ذرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك و ما وصىنا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، و إنما خصها بالذكر مع تحقق الاشتراك في غيرها مثل الصوم و الصلاة و الوضوء و الجهاد للاهتمام بها و لعدم تغيرها و اختلافها بوجه بخلاف غيرها لاختلاف الكيفيات فيه، على أن عدم الحكم بالاشتراك لا يدل على الحكم بعدم الاشتراك و لم يتعلق فرض بذكر جميع المشتركات.

قوله (و الفطرة الحنيفية السمحة) عطف على شرايع و اشتراك بعض ما يذكر لا ينافيه لعدم دلالة على الاختصاص على أن كيفيته غير كيفية ما في الشرايع السابقة فكانه بهذه المعايير غير مشترك، والمراد بها الملة المائلة من الباطل إلى الحق أو من الكفر إلى الإسلام التي ليس فيها ضيق و لاجرج.

قوله (لارهبانية و لاسياحة) الرهبانية التزام رياضات شديدة و مشقات عظيمة كالإختصاء و اعتناق السلاسل و لبس المسوح و ترك اللحم و نحوه، و السياحة : مفارقة الأوطان و الأمصار و الذهاب في الأرض و سكون الجبال و المنارات و البراري و قد كانتا في شريعة موسى دء، استحساناً.

قوله (أحل فيها الطيبات) أي أحل في هذه الفطرة الطيبات كالشحوم و غيرها

ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله . و زاده الوضوء وفضله بفاتحة الكتاب و بخواتيم سورة البقرة والمفصل وأحل له

مما حرم عليهم أو الأعم منه و مما طاب في الحكم مثل و ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح و ما خلا كسبه من السحت وغيرهما ، و حرم فيها الخبائث مثل الخمر والارواث والابوالدم والميتة و لحم الخنزير والكلب و غير ذلك مما يتنفر عنه الطبع و تستكرهه النفس و تستخبثه و وضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم، الاصر الثقل الذي يأصر حامله أي يحبس في مكانه لفرط ثقله ، والمراد الاثم والوزر العظيم ، و قال صاحب الكشف هو مثل لثقل تكليفهم و صعبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم، و كذلك الأغلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء الشاقة نحويت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية و قطع الاعضاء الخاطئة و قرض موضع النجاسة من الجلد والثوب و احراق الفنائم و تحريم المروق في اللحم و تحريم السبت، وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم و ربما ثقب الرجل ثرقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة انتهى. هذا ان صح و ثبت أنه كان مطلوباً في شرعهم كان أولى بالارادة لانه أشبه بالأغلال.

قوله (ثم افترض عليه فيها الصلاة) أي افترض على محمد و ع، في الفطرة التي هي ملته والظاهر أن ثم لمجرد التفاوت في الرتبة، والمراد بالحلال ما عدا الحرام فيشمل الأحكام الاربعة و بالفرائض ما عدا الفرائض المذكورة أو ماله تقدير شرعي من المواريث و هي أعم منها أو غيرها مما ليس له تقدير وبالوضوء الوضوء على وجه مخصوص وضوء السابقين على تقدير ثبوته كان على وجه آخر كصلاتهم وصيامهم.

قوله (و فضله بفاتحة الكتاب الخ) لعل المراد بخواتيم سورة البقرة و آمن الرسول الى آخرها . والمفصل سورة محمد الى آخر القرآن و انما خص هذه الثلاثة بالذكر للاهتمام بها و زيادة شرفها بالنسبة الى غيرها و الا فقد فضله بهذا القرآن الذي لم يؤته أحداً من الانبياء .

قوله (و أحل له المنعم والفى) المنعم النعمة وهي ما أخذ من أموال الكفار بحرب و قتال وهي مختصة بالرسول و من يقوم مقامه بل بعضها وهو ما حواه المسكر بعد اخراج الخمس للثانين و من حضر القتال و ان لم يقاتل و بعضها كالارض المفتوحة عنوة للمسلمين قاطبة و أحكام الكل مذكورة منفصلة في كتب الأصول والفروع والفى يطلق تارة على ما أخذ

المغتم والنفى و نصره بالرعب و جعل له الأرض مسجداً و طهوراً و أرسله كافة إلى

بحرب و قتال و هو مرادف للفتنة فحكمه حكمها و اخرى ما أخذ مطلقاً و هو بهذا المعنى يصدق أيضاً على الانفال المختصة بالرسول و من يقوم مقامه و سر ذلك أن النفى بمعنى الرجوع فاما ان يراد به الرجوع مطلقاً فهو الثانى أو يراد به الرجوع ببلية أو قتال فهو الاول ولم يقل أحد بأنه الرجوع بغير قتال و ان أردت زياده توضيح فارجع الى ما ذكرنا فى باب النفى والانفال من هذا الكتاب و فى تقديم له على المفعول و هو المغتم يفيد اختصاصه و سره باحلالها و هو كذلك لان الفتنة كانت محرمة على الامم السابقة فكانوا يجمعونها فتنزل النار من السماء فتأكلها و كان ذلك بلية عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها السرقه فيقع الطاعون بينهم فمن الله تعالى على هذه الامة باحلالها الحمد لله رب العالمين -
قوله (و نصره بالرعب) مع قلة العدد و ضعف العدد و كثرة الاعداء و شدة بأسهم و الرعب الفزع والخوف و كان الله تعالى قد اوقع بقدرته القاهرة فى قلوب اعدائه الفزع و الخوف منه حتى اذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا و فزعوا منه قال الله تعالى و لا تتم أشد رهبة فى صدورهم - الآية .

قوله (و جعل الأرض له مسجداً و طهوراً) أى جعل له الصلاة فيها كالصلاة فى المسجد الامم السابقة فى الاجر أو جوزله الصلاة فيها دون الامم السابقة لانحصار جواز صلاتهم فى البيع والكنائس، أو جعل له الأرض مسجداً للجهة لزيادة الخضوع والتقرب و كان لهم السجود على غيرها و كذلك جعل له الأرض طهوراً تطهر أسفل القدم والنعل ومحل الاستنجاء و تقوم مقام الماء عند تعذره فى التيمم ، و المراد بكونه طهوراً أنها بمنزلة الطهور فى استحاحة الصلاة بها مثلاً كاستباحتها بالماء و لو حمل الطهور على ظاهره لدل على ما ذهب اليه السيد المرتضى - رحمه الله - من أن التيمم يرفع الحدث الى وجود الماء كما هو مقتضى ظاهر هذه الصيغة .

قوله (و أرسله كافة) الظاهر أن كافة حال عما بعدها و نظيره قوله تعالى و ما أرسلناك الا كافة للناس أى الا للناس جميعاً و من لم يجوز تقديم الحال على ذى الحال المجرور قالوا هى حال عن ضمير المنصوب فى أرسله و التاء للمبالغة أى مانعاً لهم عما يضرهم أو سفة لمصدر محذوف أى ارسالة كافة أو مصدر كالكاذبة والمافية والكل تسف ودليلهم على المنع مدخول كما بين فى موضعه ، وفيه دلالة أن على أحد من الانبياء غيره لم يرسل الى الجميع و حملته بالاضافة الى البعض غير ثابت .

الابيض والأسود والجن والإنس و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم، ثم كلف مالم يكلف أحد من الأنبياء و أنزل عليه سيف من السماء، في غير غمد و قيل له: « قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ».

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » فقال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأن نوحاً بعث بكتاب

قوله (و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم) الجزية عبارة عن المال الذي يقرره الحاكم على الكفاي إذا أقره على دينه و قدرها منوط بحكمه وهي فملة من الجزاء كأنها جزت من قتله وأسر . والفداء بالكسر والمد والفتح وبالقصر فكك الأسير بالمال الذي قرره الحاكم عليه يقال فداء يفديه فداء.

قوله (ثم كلف مالم يكلف أحد من الأنبياء) ثم هنا أيضاً مثل ما مر لان هذا التكليف أعظم التكليفات و أشقها على النفوس البشرية ولا يصبر عليها الا من ايده الله تعالى بالنفس المقدسة وقد نقل أنه دس، أقدم في حرب حنين بعد انهزام أصحابه على أعدائهم الذين لم يعلم عددهم الا الله و أظهر اسمه الشريف فقال أنا محمد بن عبد الله. وهذا دل على كمال شجاعته صلى الله عليه وآله.

قوله (و أنزل عليه سيف من السماء في غير غمد) لعل اسمه ذو الفقار و هو عند صاحب د ع و كونه في غير غمد تحريض له على القتال و اشارة الى أن سيفه ينبغي أن لا يغمد .

قوله (و قيل له قاتل - الخ) قال القاضي و قاتل في سبيل الله، ان تشبطوا وتركوك وحدك، لا يكلف الا فعل نفسك، لا يشرك مخالفتهم وتقاؤهم، فتقدم الى الجهاد ان لم يساعدك أحد فان الله ناصر لا الجنود .

قوله (فاصبر) أمره بالصبر من المصائب و أذى القوم و مشاق التبليغ و التكليف كما صبر أولو العزم من الرسل، سمو بذلك لان جدهم و صبرهم كان أعلى و أكمل ولعزيمة كل واحد نسخ شريعة من قبله، و ترك كتابه لا كفراً ولا انكاراً لحقيقته، بل ايماناً به و بصلاحه في وقت دون آخر وللنسخ مصالح يعلمها الله تعالى والمهد مأمور بالتسليم وكان من جعلتها ابتلاء الخلق و اختبارهم في ترك ما كانوا متمسكين به في الدنيا والدنيا دار ابتلاء و كل ما يجري على الخلق فيها من الصحة و السقم و الفنى و الفقر و التكليف وغيرها كان الغرض منه هو الابتلاء .

و شريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح و شريعته و منهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفر أبه فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم و منهاجه و بالصحف حتى جاء موسى بالنوراة و شريعته، و منهاجه، و بعزيمة ترك الصحف و كل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالنوراة و شريعته و منهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل ؛ و بعزيمة ترك شريعة موسى و منهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته و منهاجه ، حتى جاء محمد ﷺ فجاء بالقرآن و بشريعته و منهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة، فهو لأهل أولو العزم من الرسل ﷺ.

(باب دعائم الاسلام)

١- حدثني الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد الزيايدي، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا أبان بن عثمان، عن فضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان، فقال

قوله (بني الإسلام على خمس) لعل المراد بالإسلام هنا جميع ما جاء به النبي و من الدين الحق المشار إليه في قوله تعالى ان الدين عند الله الإسلام و قوله و اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً و قوله و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و الامور الخمسة المذكورة أعظم أركانها و أكمل أجزائها المعتبرة في قوامه و الولاية أعظم الخمسة، ولم يناد بشيء منها مثل ما نودي بالولاية لان النداء بها وقع مكرراً غير محصور و في مجمع عظيم في غدير خم بخلاف غير الولاية فانه لم يقع التكرار فيه مثل التكرار فيها و لم يقع في مجمع مثل مجعها و المؤمن و المسلم بهذا الإسلام مترادفان و ما اشتهر من أن بينهما عموماً و خصوصاً مطلقاً فهو باعتبار معنى آخر سيجيء ان شاء الله تعالى .

قوله (أوقفني على حدود الإيمان) يدل مع عنوان الباب على أن الإيمان

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله و الاقرار بما جاء به من عند الله و
صلوة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت و ولاية ولينا و عداوة
عدونا والدخول مع الصادقين .

٣- أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن
أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس :
على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نوذي بالولاية ،
فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه . يعني الولاية .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن
العرزمي ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : قال : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة

و الاسلام فيه متحدان ، ولعل المراد بالايان الفرد الكامل منه لما ذكرنا سابقاً
أن العمل غير داخل في حقيقته أصلاً ، على أن حدود الشيء خارجة عنه فلا دلالة فيه على
أن العمل جزء منه .

قوله (فقال شهادة أن لا إله إلا الله - الخ) أي بالقلب واللسان كما تقتضيه الشهادة
وأيضاً الكتمان مع القدرة على الاظهار لا يجوز ، والاظهار بدون الاعتقاد نفاق ، وقال بعض
العامة خصوص الشهادة غير معتبر فلو قال : الله واحد ومحمد رسول الله كفى . واعلم أن أول
الواجبات بعد البلوغ الشهادتان اذ قد لا يكون وقته وقتاً لغيرهما ولتقدمهما في جميع الاخبار
الا ما شذ وليس ذلك الا لتأكيد الاهتمام به .

قوله (والاقرار بما جاء به من عند الله) اجمالاً قبل العلم وتفصيلاً بعده .

قوله (وولاية ولينا) أي ولاية أهل البيت . قال في المصباح الولاية بالفتح
والكسر النصرة ، ويحتمل أن يراد بها الحكومة العامة والاضافة على الثاني لامية و على
الاول من باب اضافة المصدر الى المفعول و هو أنسب بما بعده ، و لعل المراد بالدخول مع
الصادقين الدخول فيما دخلوا من الاحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وان لم يعلم وجه الحكمة اذ صدقهم
و عصمتهم يقتضى وجود الحكمة في نفس الامر ووجوب التسليم بها .

قوله (و تركوا هذه يعني الولاية) لما فيه من دواعي الترك مثل الحسد و
البنس و العناد ما ليس في الاربع ، و الظاهر أن « يعني » من المصنف أو الفضيل مع
احتمال أن يكون منه « ع » .

قوله (أثافي الاسلام ثلاثة - الخ) الاثافي جمع الاثية بالضم والكسر وهي الاحجار

والولاية، لاتصح واحدة منهم إلا بصاحبيتها.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه و عبدالله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال: زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل

التي يوضع عليها القدر و تخصيص الثلاثة بالذكر لزيادة العناية والاهتمام دون الحصر فلا ينافي ما سبق من أنها خمسة تشبيهاً بالاثافي للتنبيه على أن الإسلام لا يستقيم ولا يثبت بدونها كالقدر بدون الاثافي، ثم إن أريد بالإسلام الدين كما مرو هو الظاهر من أحاديث الباب فالثلاثة أجزاء له أشرف وأفضل من سائر أجزائه وإن أريد به الإيمان الكامل فكذلك على احتمال، وإن أريد به الإيمان بمعنى التصديق فهي خارجة عنه و سبب لثباته و بقاءه إذ التصديق أدنى مراتب الإيمان والإسلام وإذا لم يؤيد بها بقلت بسرعة والتشبيه يؤيد الأخير إذ الاثافي خارجة عن القدر و سبب لبقائه، والله أعلم.

قوله (لاتصح واحدة منهم إلا بصاحبيتها) يظهر ذلك بالنظر الى الاثافي وهو يدل على أن واحدة أو اثنين منها لاتنفع بدون الأخرى و يؤيد ذلك ما روى عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة، فمن أقام الصلوة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يتم الصلاة، و ما روى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإذا قبلت قبل سائر عمله وإذا ردت عليه رد عليه سائر عمله» والروايات الدالة على أن شعبة على دع، من تبعه لا من يقول أنا أحبه و يخالفه كثيرة و يفهم من هذه الروايات وأمثالها أن قبول كل واحد من الثلاثة مشروط بالآخرين منها ولئن تنزلنا عن ذلك فلا ريب في أن كمالها مشروط بهما والله المستعان.

قوله (الولاية أفضل) يعني أن الولاية أفضل من المذكورات لأنها مفتاحين بها يفتح أبواب معرفة تلك المذكورات و حقايقها و شرايطها و آدابها و موانعها و مصلحتها و مفسدها، والوالي و هو الحاكم الأمين المنسوب من قبل الله تعالى هو الدليل عليهم لا غيره لظهور أنهم أمور متلقاة منه تعالى الى صاحب الوحي فلا بد أن تسمع منه و يتمسك في معرفتها بذيله أو بمن يقوم مقامه بأمره لا بالاراء الفاسدة والعقول الناقصة الكاسدة التي من شأنها أن يزيد وينقص و يخترع و يبتدع، وليس لها حينئذ فضل فكيف أن تكون أفضل من الولاية التي بها قوامها و تحققت على الوجه المطلوب لله تعالى، وبالجملة المحتاج اليه من حيث هو أفضل من المحتاج ومنه يظهر أن الوالي أفضل من غيره والا لزم

عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة إن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة عمود دينكم» قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرنها أن يكون الأمير مأموراً بهذا خلف.

قوله (فقال الصلاة) حكم وع، بأن الصلاة أفضل من الزكاة والحج والصوم وقوله حجة الأمانة تمسك بقول رسول الله (ص) «الصلاة عمود دينكم» استظهاراً وتقوية وتقوية لقلب السائل و إشماراً بأن قوله (ص) «عمود دينكم» حيث شبه الدين بالفسطاط وأثبت العمود له على سبيل المكنية والتخييلة وحمل العمود على الصلاة من باب التشبيه البليغ دليل واضح على أن الصلاة أفضل ماسواها لان بفسادها يفسد الدين بالكلية ولا ينتفع به كما أن الفسطاط لا ينتفع به مع وجود الطنّب والاورتاد بانتفاء العمود، وقول الصادق (ع) «وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة» وقوله (ع) «أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة أيضاً دليل واضح على ذلك، ولعل المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة بدليل أن الصلاة أفضل من الزكاة التي هي أفضل من الحج والحج أفضل من عشرين صلاة نافلة ولما روى عن الصادق (ع) قال: «يؤد صلاة فريضة خير من عشرين حجة - الحديث» لا يقال هذا ينافي ما روى أن الحج أفضل من الصلاة والصيام لان المصلي يشغل عن أهله ساعة وأن الصائم يشغل عن أهله بياض يوم وأن الحاج يشخص بدنه ويضحي نفسه وينفق ماله ويطلب الغيبة عن أهله لافي مال يرجوه ولا إلى تجارة، وما روى عن النبي (ص) قال: «أفضل الأعمال أجزؤها» أي اشقتها إذا المشقة في الحج أكثر، لا نقول يمكن الجواب عن الاول بأن المراد بالصلاة فيما نحن فيه الفريضة وفيما ذكر النافلة وتحقق العلة المذكورة في الفريضة أيضاً غير مسلم لان فعلها متوقف على معرفتها أربعة آلاف باب من المقدمات والمقارنات والواجبات والمندوبات والكيفيات والمحرمات والمكروهات والتروك القلبية واللسانية والاركانية وتحصيلها لا يمكن بدون صرف العمر والمشقة الشديدة والاشتغال عن الأهل في أزمدة طويلة بخلاف الحج فان معاليه وان كانت كثيرة لكن لا يبلغ كثرة مسايل الصلاة المفروضة، ومن هذا تبين أن الفريضة أشق من الحج وبهذا يندفع الثاني أيضاً وقد يجاب عنه بأن ذلك فيما إذا كان المفضل والمفضل عليه من نوع واحد كالوضوء في الصيف والشتاء ونحوه وبخصيصه بالصلاة وعن الاول بأن الحج المشتمل على الصلاة أفضل من الصلاة والصلاة أفضل من الحج متجهداً من الصلاة ومع قطع النظر عن ثوابها.

قوله (قال الزكاة لانه قرنها بها) حكم بأن الزكاة أفضل من الحج والصوم ونبه عليه بأن الصلاة أفضل منهما وذكر الصلاة بعد الصلاة فهذا يدل على أن الزكاة أيضاً

بها و بدأ بالصلاة قبلها و قال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب . قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج قال الله عز وجل : « و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً و من كفر فإن الله غني عن العالمين » و قال رسول الله ﷺ : « لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة و من طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه و أحسن ركعتيه غفر الله له » و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال : قلت : فماذا

أفضل منهما لان مقارنتهما دالة على اشتراكهما في الافضية و تقاربهما في الرتبة الا انه لما بدأ بالصلاة قبل الزكاة علم أن الصلاة أفضل من الزكاة لان الالم أولى بالتقديم لان العطف تقتضيه .

قوله (و قال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب) هذا دليل آخر على أن الزكاة فضل من الحج فان قلت : الحج أيضاً يذهب بالذنوب فلا دلالة فيه على ما ذكر فالاولى أن يجعل هذا مع السابق دليلاً واحداً لان هذا المجموع لم يوجد في الحج . قلت : يمكن أن يكون المقصود أن الزكاة علة لمحو الذنوب و ذهابها و لم يثبت أن الحج علة مستقلة لمحوها لجواز أن يكون محوها بعد الحج على سبيل التفضل دون الوجوب و هذا القدر كاف في التفضيل .

قوله (و لله على الناس حج البيت) دليل على أن الحج أفضل من الصوم و الدلالة في قوله و من كفره حيث عد ترك الحج كفرأ دون الصوم و ترك ذكر العقاب المترتب عليه تعظيماً و تنقيحاً و كر في موضعه ما يدل على كمال غناؤه عن غيره عموماً و هو يشعر بأن جزاء اعمالهم عايد به اليهم ان خيراً فخيئراً و ان شراً فشرأ ففيه أيضاً تذكير للعقاب على تركه و في قوله و غفر له حيث لم يقل الحج يذهب الذنوب كما قال في الزكاة نوع اشار بما ذكرناه سابقاً و كان وقوله و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قاله اشارة الى الاحاديث الواردة في محو الذنوب بعد الحج .

قوله (و قال رسول الله ﷺ : لحجة) هذا انما يدل على أن الحج أفضل من الصوم لو كان عشرون نافلة أفضل من الصوم أو مساوية له و لا يبعد أن يجعل هذا دليلاً على أفضليتها بالنسبة اليه .

قوله (أحصى فيه أسبوعه) لعل المراد باحصاء الأسبوع ضبطها و حفظها مجردة عن الزيادة و النقصان و باحصان ركعتيه فعلهما في وقتها و مكانهما مع الشرائط و الكيفيات و الترتيل .

يتبعه ؟ قال : الصوم ، قلت : و ما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة من النار » قال : ثم قال : « إن أفضل الأشياء ما إذا أنت فأتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدبه بعينه ، إن الصلاة والزكاة و الحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها و إن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدت مكانه أياماً غيرها و جزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك و ليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره ، قال : ثم قال : ذروة الأمر و

قوله (قلت فما ذا يتبعه قال الصوم) لا يقال هذا السؤال ليس على ما ينبغي لانه اذا علم أن جميع الاعمال المذكورة في الحديث أفضل من الصوم فقد علم أن الصوم في الفضيلة بعدها لاننا نقول المقصود من السؤال استعلام وجه تأخير الصوم في الفضيلة عن الاعمال المذكورة كما أشار اليه بقوله وقلت وما بال الصوم الى آخره ، ثم قوله دع ، والصوم جنة من النار ، اشارة الى فضيلة الصوم وسر ذلك أن أعظم أسباب النار هو الشهوات والصوم يكسرها و قوله و ثم إن أفضل الأشياء الى آخره ، اشارة الى أن الصوم دون الاعمال المذكورة في الفضيلة وذلك لانه لما لم يكن لتلك الاعمال بدل كما كان للصوم علم أن الاهتمام بها أعظم و أكمل والثواب المترتب عليها أعظم وأجزل فلذلك اريد وقوعها بعينها .

قوله (ما اذا أنت فاتك) الظاهر أن لفظ أنت زايد والمراد بالتوبة هنا ما يقوم مقامه أو الاعم منه ومن ستوطه رأساً .

قوله (وان الصوم اذا فاتك) أشار الى أقسام الفوت وأحكامه اجمالاً لان الفوت إما للعذر مثل المرض وغيره أو للتنصير والتعمد في تركه أو للسفر واللازم اما القضاء في مكانه فقط ، أو الكفارة فقط أو همسا جميعاً . أولاً هذا ولا ذاك ، وتفصيله في كتب الفروع ، فالصوم قد يكفى الصدقة مكانه ولا يجب قضاؤه بخلاف تلك الأربعة فانها لا يجزى مكانها الا قضاؤها بعينها .

قوله (ذروة الامر) المراد بالامر الدين و بطاعة الامام انقياده في كل ما أمر و نهى وهي من حيث أنها أرفع الطاعات مرتبة و اسناها منزلة و كالذروة ، ومن حيث أنها توصل الى المطلوب و هو قرب الحق كالسنام ، ومن حيث أنها سبب للوصول الى جميع الخيرات الدنيوية والاخرية كالمفتاح و من حيث أن بها يتحقق الدخول في الدين ومعرفة قوانينه كالباب ومن حيث أنها توجب المغفرة والرحمة والدرجات العالية رضا الرحمن . والضمير في قوله و بعد معرفته ، راجع الى الامام أو الى الله تعالى .

سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضا الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: «من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً أما لو أن رجلاً قام ليلة و صار نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره و لم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله جلّ و عزّ حقّ في ثوابه و لا كان من أهل الإيمان، ثمّ قال: أو لك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته.

٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السري أبي اليسع قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه و لم

قوله (إن الله عز وجل يقول) كأنه استشهاد لما ذكر حيث أن طاعة الرسول و هو الامام المقتدى به عين طاعة الله تعالى و اتصاف طاعة الله تعالى بما ذكر بالامور المذكورة أظهر من أن يخفى **قوله** (أو لك المحسن منهم الخ) كأنه إشارة الى من يطيع الرسول و هو المؤمن العارف بحق الامام و المقصود أن المحسن و هو من أطاعه بعد معرفته في أقواله و أعماله و أمره و نهيه يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته، و أما المسيء فمنهم فقد يناقشه في الحساب و قد يدخله الجنة بالرحمة أو الشفاعة و قد يجرى عليه الوعيد، و يحتمل أن يكون إشارة الى من لم يعرف الولاية و المحسن منه و هو الذي لم يفكر بالولاية كما لم يعرفها و عمل بالخيرات أعنى المستضعف يدخله الله الجنة بفضل رحمته و سيجرى المستضعف في المشية، والله أعلم.

قوله (أخبرني بدعائم الإسلام - الخ) أن اريد به الدين كانت دعائمه داخله فيه جزءاً منه و ان اريد به الإيمان الكامل فذلك على احتمال أقوى من احتمال خروجها و شرطها لقبوله أو لكامله، ولما كان السائل عالماً بأن للإسلام دعائم لا يجوز لاحد التقصير في معرفتها و في العمل بها حتى من قصر لم يكن له دين و لم يقبل منه عمل و من عرفها و عمل بها صح دينه و قبل منه عمله و لم يعلمها بخصوصها، سأل عن تعيينها و تفصيلها فأجاب د ع، بأنها أربعة: الشهادتان و الاقرار بما جاء به الرسول (ص) اجمالاً أو تفصيلاً، والزكاة في الاموال، و الولاية لآل محمد (ص) و الاخبار في ذكر الدعائم عدداً و كمّاً مختلفة كما يظهر للنظر فيها و لكن هذا الاختلال لا يضر اذ ليس فيها اشتغال على

يقبل [الله] منه عمله، و من عرفها و عمل بها صلح له دينه و قبل منه و عمله و لم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والايمن بأن محمداً رسول الله ﷺ والاقرار بما جاء من به عند الله وحق في الأموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها : ولاية آل محمد ﷺ ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال : نعم قال الله عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» و قال رسول الله ﷺ : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ و كان علياً عليه السلام و قال الآخرون : كان معاوية ، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين

الأقل تصريح في نفى ما عداه .

قوله (ولم يضق به) و في بعض النسخ لم يضربه يعني لم يضق أولم يضربه من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الاسلام والمعمل بها جهل شيء جهله من الأمور التي هي ليست من الدعائم فقوله «مما هو فيه» تعليل لعدم الضيق أو الضرر و قوله « لجهل شيء » تعليل للضيق أو الضرر . و قوله « جهله » سفة لشيء ، و قوله « من الأمور » عبارة عن غير الدعائم من شعائر الاسلام فليبدأ من

قوله (و حق في الأموال الزكاة) و حق ، مرفوع عطف على الشهادة ، أو مجرور عطفاً على ما جاء به ، والزكاة على التقديرين بدل عنه ، و يحتمل أن يكون الزكاة مبتدأ و «حق» خبره . أو خبر مبتدأ محذوف، والجملة عطف على الشهادة أي والزكاة حق في الأموال أو هي حق فيها .

قوله (والولاية التي أمر الله عز وجل بها) في قوله «و إنما وليكم الله -الاية» و في قوله «و أولي الأمر منكم» .

قوله (هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به) لعل المراد هل في الولاية شيء يدل عليها من الكتاب أو السنة وهل فيها دون ذلك الشيء و غيره فضل ظاهر وكمال مخصوص تعرف الولاية لمن أخذ بذلك الفضل واتصف به ، فأجاب «ع» بنعم وأشار أولاً الى ما يدل عليها من الكتاب والسنة ، وأو ما خيراً الى ذلك الفضل الدال عليها البيان الشافي والمعلم الوافي في بيان الشرائع والاحكام من مأخذها ، وهذا من أعظم فضائل الولاية وصفاتها ، والله أعلم .

قوله (مات ميتة جاهلية) أي الميتة على صفة الكفر والبعد عن الحق ورحمته و قد مر توضيحه سابقاً .

عَلَيْهِ السَّلَامُ و قال الآخرون : يزيد بن معاوية و حسين بن علي " ولا سواء ولا سواء قال : ثم " سكت ثم " قال : أزيدك ؟ فقال له حكم الأعور : نعم جعلت فداك قال : ثم " كان علي بن الحسين ثم " كان محمد بن علي " أبا جعفر و كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر و هم لا يعرفون مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتى كان أبو جعفر ففتح لهم و بين لهم مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعده ما كانوا يحتاجون إلي الناس و هكذا يكون الأمر و الأرض لا تكون إلا " بامام و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة و أحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذ بلغت

قوله (و كان رسول الله و) ضمير كان في المواضع الخمسة راجع الى الامام و لما كان الحديث والاية يد لان على أنه لا بد في كل عصر من امام مفترض الطاعة و كان هذا متفقاً عليه بين الشيعة و مخالفهم ذهب الشيعة الى أن الامام في عصر النبي هو النبي و بعده علي و دع ، ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين و هكذا واحد بعد واحد الى المهدي الموجود الى قيام الساعة و ذهب الفرقة المخالفة الى أن الامام معاوية عليه اللعنة ثم يزيد بن معاوية ، ثم سلاطين الجور الى قيام الساعة فأشار و دع ، الى الفريقين و الى عدم المساواة بينهما و بين اماميهما بقوله ولا سواء ولا سواء أى لا مساواة بين الفريقين و لا مساواة بين الامامين لان الفرقة الاولى هم الفرقة الناجية و امامهم معصوم مفترض الطاعة من قبله تعالى و الفرقة الثانية هم الهالكة و امامهم غاصب ضال مضل ، و يحتمل أن يكون المراد بالاول أنه لا مساواة بين من قال بامامة علي و دع ، و بين من قال بامامة معاوية او لا مساواة بين علي و دع ، و بين معاوية عليه اللعنة و بالثاني أنه لا مساواة بين من قال بامامة الحسن و الحسين عليهما السلام و بين من قال بامامة يزيد بن معاوية او لا مساواة بين الحسن و الحسين عليهما السلام و بين يزيد بن معاوية .

قوله (و كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر و دع ، و هم لا يعرفون) الظاهر أن الواو للحال و الظرف خبر كانت و جعلها زائدة لزيادة الربط و ما بعدها خبراً ، أو جعل كانت تامه بعبء و كان في قوله و حتى كان أبو جعفر ، تامة .

قوله (و هكذا يكون الامر) أى مثل ما ذكر من كون واحد بعد واحد اماماً يكون أمر الامامة و الخلافة ، و الأرض لا تكون موجودة الا بامام مفترض الطاعة بأمره تعالى يعرف الحلال و الحرام و يدعو الناس الى سبيل الله و لو بقيت بغير امام لساخت باهلها .

قوله (و أحوج ما تكون الى ما أنت عليه) ما مصدرية أو عبارة عن الزمان بمعنى أشد احتياجك الى وصف كنت عليه و هو القول بولاية ولي الله حين بلوغ روحك الى حلقومك

نفسك هذه - و أهوى بيده إلى حلقه - و انقطعت عنك الدنيا تقول : لقد كنت على أمر حسن.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السري أبي اليسع، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٧ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن منشى الحنط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس: الولاية والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج.

٨ - علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن أبان، عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.

٩ - علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حماد بن عثمان ، عن عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الاسلام إذا أنا أخذت بهازكي عملي ولم يضرنني جهل ما جهلت بعده، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامته ميتة جاهلية، قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فكان علي عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام و من مات لا يعرف

فان هذا الوصف ينفعك في هذه الساعة نفعا بينا لحضوره لديك حتى تعرفه و عنايته بشأنك و استنفاذه لك من ابليس و جنوده و بشارته اياك بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة فستبشر وتقول حينئذ اظهرا للفرح والسرور لقد كنت على أمر حسن، و هو الاقرار بالولاية و متابعة ولي الامر. و فيه بشارة عظيمة ودلالة واضحة على أن المؤمن في جميع أزمته عمره محتاج الى الامام لانه نور قلبه و سبب هدايته سيما وقت الاحتضار فان احتياجه اليه حينئذ أشد و أقوى .

إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال : وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ : لقد كنتُ على أمر حسن .
 ١٠ - عنه ، عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله هل تعرف مودتي لكم و انقطاعي إليكم وموالاتي إياكم؟ قال : فقال : نعم ، قال : فقلت : فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فأنتي مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين قال : هات حاجتك ، قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجل به أنت وأهل بيتك لا دين الله عز وجل به قال : إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله عز وجل به ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عليه السلام والإقرار بما جاء به من عند الله والولاية لوليّنا والبراءة من عدوّنا والتسليم لأمرنا وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سمعته يسأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : جعلت فداك أخبرني عن الدين الذي افترض الله عز وجل على العباد ، ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره ، ما هو؟ فقال : أعد علي فأعاد عليه ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عليه السلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم شهر رمضان ، ثم سكت قليلاً ، ثم قال : والولاية مرتين - ثم قال : هذا الذي

قوله (إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة) في المغرب وأقصرت الخطبة وأعرضت المسألة ، أي جئت بهذه قصيرة موجزة وبهذه عريضة واسعة .
 قوله (فقال أعد علي) لعل أمره بالأعادة للاستلذاذ بذكره أو لسمع الجاسرون ويتوجهون إلى استماع جوابه .

قوله (وإقام الصلاة) حذف التام للاختصار ، وقيل المراد بإقامتها إدامتها وقيل فعلها على ما ينبغي وقيل فعلها في أفضل أوقاتها ، وقيل جاء على حرف القرآن في التعبير عن فعل الصلاة بلفظ الإقامة دون أخواتها وذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرائط ، والفرائض والسنن ، والفضائل وإقامتها إدامة فعلها مستوفاة جميع ذلك و إنما لم يذكر الجهاد لأنه لا يجب إلا مع الإمام فهو تابع للولاية مندرج فيها .
 قوله (هذا الذي فرض الله عز وجل على العباد لا يسأل) لعل المراد أن هذه فروض

فرض الله على العباد ولا يسأل الرب العباد يوم القيامة فيقول: ألا زدتنى على ما افترضت عليك؟ ولكن من زاد زاده الله، إن رسول الله ﷺ سننا حسنة جميلة ينبغى للناس الأخذ بها.

١٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن فضالة بن -
أيوب عن أبي زيد الحلّال، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدي قال: سمعت أبا-
عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل فرض على خلقه خمسا فرخص في أربع
ولم يرخص في واحدة.

١٣- عنه، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن إسماعيل الجعفي قال:
دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه صحيفة
مخاصم يسأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل فقال: رحمك الله هذا الذي أريد،
فقال أبو جعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده و
رسوله و تقر بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا و
التسليم لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمنا، فإن لنا دولة، إذا شاء الله
جاء بها.

١٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار
جميعاً عن صفوان، عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في
منزل أخيه عبد الله بن محمد فقلت له: جعلت فداك ما حوّلك إلى هذا المنزل؟ قال:
طلب النزهة فقلت: جعلت فداك ألا أقص عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين الله

مؤكد عينية و ما عداها اما مندوب أو واجب كفاي والله يسأل عباده يوم القيامة عن تلك
الفروض لآعن هذا لكن من زاد زاده الله تعالى في الاجر، ان رسول الله ص، سننا حسنة
جميلة من الاداب والاخلاق والاعمال والمقودات والايقاعات والمواظع والنصايح وغير ها
ينبغي للناس الاخذ بها بعد تلك الفرائض ليزداد بذلك أجرهم ومنزلتهم و لو لم يأخذوا
بها وقع النقص في مرتبتهم ولم يقع الفساد في دينهم.

قوله (والورع والتواضع) للورع عن محارم الله والتواضع لاولياء الله مدخل عظيم
في قبول العمل و بلوغه الى غاية الكمال ولذلك قال الله تعالى وانما يتقبل الله من المتقين،
للتنبية على أن العمل بدون التقوى كأنه ساقط عن درجة الاعتبار والقبول.

بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والولاية لعلي أمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ والولاية للحسن والحسين والولاية لعلي بن الحسين والولاية لمحمد بن علي ولك من بعده صلوات الله عليهم أجمعين وأنكم أئمتني عليه أحيا وعليه أموت وأدين الله به، فقال : يا عمرو ! هذا والله دين الله ودين آبائي الذي أدين الله به في السر والعلانية ، فاتق الله وكف لسانك إلا من خير ولا تقل إنني هديت نفسي بل الله هدك، فأد شكرها أنعم الله عز وجل به عليك ولا تكن ممن إذا أقبل طعن في عينه، وإذا أدبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس على كاهلك فإنك أو شك إن حملت الناس على كاهلك أن

قوله (طلب النزهة) أي البعد عن الخلق واصل النزهة البعد منه تنزيهه تعالى أي تبيده من النقائص، أو المراد بها بعد الخاطر عن الهم والحزن لكون مكانه نزهاً فيه سعة وماء وكلاء وخضر.

قوله (وأدين الله به) في المصباح دان بالاسلام ديننا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين مثل ساد وسيد.

قوله (في السر والعلانية) السر القلب، والعلانية اللسان والجوارح أو الأهم.

قوله (فاتق الله) أمره بالتقوى وهي التجنب عن المعاصي أو التنزه عما يشغل القلب عن الحق أو بالتقية عن ليس من أهل هذا الدين.

قوله (وكف لسانك الا من خير) أمره بكف اللسان الا من خير ورغبه في حفظه عن كل ما يضره أو لا ينفعه من الأقوال وفي تمويده بالخير من القرآن والحديث وغيرهما من الأمور النافعة وخص اللسان من بين الأعضاء الظاهرة لانه أشرفها وأعمها تناولا ومفاسده أكثر فيجب حفظه مما لا ينفع خصوصاً عما يضر، ثم أشار الى أن الهداية نعمة من الله تعالى فيجب معرفة قدرها وأداء شكرها بصرف كل عضو فيما خلق لاجله.

قوله (ولا تكن ممن إذا أقبل) هذا في الحقيقة أمر بحسن المعاشرة مع الخلق و بالتقية في موضعها أي كن بحسن صفاتك ممن يمدحه الناس في حضوره وغيبته ولا تكن بشراة ذاتك وقبح صفاتك ممن يذمونه فيهما وفيه دلالة على وجوب التجنب عن المعاصي بقدر الامكان .

يصدعوا شعب كاهلك.

١٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام : قال: ألا أخبرك بالاسلام أصله وفرعه و ذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أما أصله فالصلاة و فرعه الزكاة و ذروة سنامه الجهاد، ثم قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله، ثم قرأ الصلوات : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ».

قوله (ولا تحمل الناس على كاهلك) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق و هو الثلث الاعلى و فيه ست فقر أو مابين الكتفين أو موصل العنق في الصلب والشعب هنا محل الصدع والشق والتفريق و هو المنسجج و منه الشبهة و هي الطائفة من كل شيء والقطة منه، وقد نهاء وع، عن فعل ما يوجب حمل الناس على كاهله وقصدهم اضراره و اهلاكه من تعرض أعراضهم وقصد اضرارهم و ايذائهم وعدم المجاملة معهم، فان الناس يعاملونه بمثله أو أشد، بل ربما يحصل من تعاونهم ما يوجب هلاكه ولذلك عبر عنه وع بالعبارة المذكورة المشعرة بالاهلاك أو الضرر العظيم.

قوله (أما أصله فالصلاة) الامور الثلاثة من فروع الاسلام حقيقة لكن عد الصلاة أصله لان قيامه يتحقق بها و لذلك شبهت بالعمود في الخبر السابق وعد الجهاد مع الاعداء الظاهرة أو الاعم منهم ومن النفس والشیطان، ذروة سنامه لان به غاية ارتفاع كما أن ذروة الشيء غاية ارتفاع ذلك الشيء، و خص الزكاة بالذكر من بين فروعه المتكثرة لانها المدة كالصلاة ثم ذكر من جملة أبواب الخير ثلاثة لكثرة منافعها أولها الصوم الواجب أو الاعم وهو جنة يقي صاحبه عما يؤذيه أو يهلكه من الشهوات ومن الشروط لكمال حفظ جميع الجوارح عما يليق به، و ثانيها الصدقة الواجبة أو الاعم وهي تذهب بالخطيئة تكفر عنها بل تحفظ عنها أيضاً، و ثالثها قيام الرجل جوف الليل بذكر الله ولم يذكر فائدته كما ذكر قبله للدلالة على الكثرة والتعميم مع احتمال أن يكون فائدته اذهاب الخطيئة أيضاً بقرينة المطف.

قوله (وذروة سنامه) الاضافة بيانية أو لامية اذ للسانم الذي هو ذروه البسير ذروة أيضاً هي أرفع أجزائه.

قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) كناية عن القيام الى صلاة الليل والذكر.

باب

أن الإسلام يحقن به الدماء (و تؤدي به الأمانة) وأن الثواب على الإيمان

- ١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن ، عن القاسم الصيرفي شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يحقن به الدماء و تؤدي به الأمانة و تستحل به الفروج والثواب على الإيمان
- ٢- علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام قال : الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل.

قوله (الإسلام يحقن به الدماء) ظاهر أخبار هذا الباب و تواليه أن الإسلام يصدق على مجرد الإقرار باللسان من غير تصديق مطلقاً سواء كان معه الإقرار بالولاية أو لم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وإن لم يكن معه الإقرار باللسان و على كليهما مجرداً عن الولاية أو معها وإن الإيمان يصدق على التصديق بجميع ما جاء به النبي ص ، الداخل فيه الولاية سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق أو لم يكن وإن كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الإيمان بل هو عند أهل العصمة عليهم السلام كما يشعر به كثير من أخبارهم و يظهر مما ذكرنا أن الإيمان أخص من الإسلام وأن ما هو أثر الإسلام و لوازمه فهو أثر الإيمان و لوازمه دون العكس وذكر من أثر الإسلام ثلاثة أمور الأول أنه يحقن به الدماء و يحفظ به عن القتل والثاني أنه تؤدي به الأمانة وكان المراد أن أداؤها إلى أهل الإسلام أوكد أو أنه مما يحكم به أهل الإسلام ، والأفظهر الآية والروايات الكثيرة أن أداء أمانة الكافر وإن كان حربياً واجب أيضاً واحتمال إرادته أنه يحفظ به ماله كما يحقن به دمه أو يحفظ به أمانه للحربى أظهر ، والله أعلم ، والثالث أنه تستحل به الفروج والتناكح ، وهذا يدل على جواز التناكح بين أهل الإسلام مطلقاً الآن في جواز تزويج المؤمنة بالمخالف قولين للإصحاب ، ذهب المفيد والمحقق إلى جوازه والمشهور المنع لدلالة الأخبار عليه ، وفي بعضها تعليل بأن المرأة تأخذ من أدب زوجها و يتهرأ على دينه لكن في بعضها إرسال و في بعضها ضعف وفي بعضها جهالة ، والاحتياط تركه تنصياً من الخلاف وحذراً من النهجيم على استباحة الفروج وتطهيراً للتناسل وذكر من أثر الإيمان المختص به الثواب عليه و هذا يدل على أن غير المؤمن لا يثاب في الآخرة ولا يدخل الجنة كما يدل عليه الآيات و الروايات المعتبرة و اتفاق الفرقة الناجية.

قوله (الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل) لعل المراد بالإقرار الإقرار

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» فقال لي: ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام.

بالشهادتين و بالعمل عمل القلب وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي و يطلق العمل عليه أيضاً كما سيجيء في الباب الثالث بعد هذا الباب فيدل على أن الإيمان مركب من الاقرار والتصديق كما ذهب اليه المحقق الطوسي و استدل على أن الاول وحده و هو الاقرار باللسان ليس بإيمان بقوله تعالى و قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، فقد أثبت الاقرار اللساني و نفى الإيمان فعلم أن الإيمان ليس هو الاقرار اللساني ، و على أن الثاني وحده و هو التصديق ليس بإيمان بقوله تعالى و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، أثبت للكفار الاستيقان النفسي و هو التصديق فلو كان الإيمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في شخص واحد في آن واحد ولا شك أنهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما كذلك و فيه نظر أما أولاً فلأن التصديق لما كان مقروناً بالانكار كان غير معتبر لان التصريح بالنقيض ربما كان مانعاً من القبول والاعتبار ، و أما ثانياً فلأن هذه الآية إنما تدل على أن التصديق وحده ليس بإيمان ولا تدل على أن الاقرار باللسان جزء من الإيمان، لجواز أن يكون شرطاً له و ينتفى المشروط بانتفاء الشرط كما أن الكل ينتفى بانتفاء الجزء، ومن ثم حمل المتكلمون القائلون بأن الإيمان نفس التصديق الاخبار الدالة على جزئية أعمال الجوارح للإيمان على أنها للكمال بمعنى أن العمل ليس جزءاً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل بل إضافة العمل اليه إضافة كمال وكذا حملوا الاخبار الدالة على جزئية الاقرار باللسان على أنه شرط في الإيمان لاجزاء منه وعلى هذا حملوا الاخبار المختلفة الدال بعضها على أن الإيمان نفس التصديق و بعضها على أنه التصديق والعمل مثل الصلاة والزكاة وغيرهما و بعضها على أنه التصديق والاقرار و معنى قوله وع «والاسلام اقرار بالشهادتين و غيرهما» بلا اعتبار عمل قلبي و هو التصديق معه بناء على ما ذكرنا من أن المراد بالعمل العمل القلبي فحينئذ يناسب هذا الخبر الخبرين بعده مناسبة ظاهرة اما مناسبة الاول منهما فظاهرة و أما للثاني فلأن ضم أفعال الجوارح الى الاقرار من غير أن يكون معه تصديق قلبي يصدق عليه أنه اقرار بلا عمل أى بالتصديق ولا يصدق عليه أنه اقرار و عمل فليتنامل.

قوله (قالت الاعراب آمنا) لما أقرت الاعراب بالشهادتين قالوا آمنا بهذا الاقرار

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سفيان بن السمط قال: سألت رجلاً أبا عبد الله عليه السلام عن الفرق بين الإسلام والايمن، ما الفرق بينهما فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التفتنا في الطريق وقد أزعف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كأنه قد أزعف منك رحيل؟ فقال: نعم فقال: فالتفتني في البيت، فلقية فسأله عن الإسلام والايمن ما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، وقال: الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقرت بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً و كان ضالاً.

٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، و عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن الوشاء، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «قالت الأعراب آمناً قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب

فقال الله تعالى لنبيه «قل لم تؤمنوا» بعد لأن هذا الاقرار ليس بايمان ولكن قولوا أسلمنا» به اذ لستم بمؤمنين ولما يدخل الايمان، أى التصديق الخاص «فى قلوبكم» ففيه دلالة على أن الإسلام نفس الاقرار اللسانى والايمن نفس التصديق وقال بعض العامة الإسلام الشهادةتان والايمن العمل ثم قرأ هذه الآية وفيه دلالة واضحة على أن المراد بالعمل العمل القلبى وهو التصديق كما ذكرناه. قوله (فلم يجبه) كأنه ترك الجواب للتقية ولثلاثا يذكره السائل لاهل المدينة و لذلك أجابه عند خروجه منها.

قوله (الإسلام هو الظاهر الذى عليه الناس) اريد بالظاهر الاعمال الظاهرة و قوله شهادة أن لا إله إلا الله وما بعده بدل له للإيضاح، و اريد بالشهادة الاقرار باللسان بالتوحيد والرسالة سواء كان معه تصديق أو لا وقد عرفت سابقاً أن الإسلام يصدق على كل واحد منهما. قوله (الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا) أى الايمان معرفة الولاية والتصديق بها مع هذا الظاهر المذكور، وقد يحتج به من يجعل الايمان مركباً من التصديق و الاعمال الظاهرة وفيه أن المعية لا تدل على الجزئية لانها أهم منها وعلى تقدير التسليم فلملته تفسير للايمان الكامل والمناقشة فى كون الاعمال جزءاً له أو شرطاً سهل، والفرق بين الضال والكافر مع أن الضال كافر فى الحقيقة أن الكافر لم يدخل فى الدين والضال دخل فيه وترك أعظم أركانه وهو الولاية فضل عنه.

و من زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

٦- أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حكم بن أيمن، عن قاسم شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الإسلام يُحقن به الدماء و تؤدَّى به الأمانة و تُستحلُّ به الفروج والثواب على الايمان.

باب

ان الايمان يشرك الاسلام (١) والاسلام لا يشرك الايمان

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن - صالح، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الايمان والاسلام أهما

قوله (فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب) أى فمن زعم أنهم آمنوا بجمل الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالشهادتين والاعمال الظاهرة فقد كذب، و من زعم أنهم لم يسلموا تمسكاً بقوله تعالى والاعراب أشد كفراً ونفاقاً، فقد كذب لان كل واحد منهما زعم خلاف ما أخبر به الكتاب وكل من كان كذلك فهو كاذب .

(١) قوله وان الايمان يشرك الاسلام، حاصل مفاد الباب أن بين الايمان والاسلام عموماً وخصوصاً مطلقاً ومرجعاً الى موجبة كلية وكل مؤمن مسلم، وسالبة جزئية وليس كل مسلم مؤمناً، ومثله بالكعبة والمسجد الحرام فكل موضع من الكعبة مسجد وليس كل موضع من المسجد كعبة. وهو تمثيل المعقول بالمحسوس على ما هو شأن الانبياء والاصياء، و مرجع ذلك الى زيادة قيد فى الايمان و اختلف الروايات فى ذلك القيد فبعضها على أنه ولاية أهل البيت عليهم السلام و بعضها على أنه العمل و بعضها على أنه تصديق القلب لشهادة اللسان ولا يبعد اطلاقه فى الاخبار على معان متعددة بحسب الموارد ويتعين بالقرينة، وقد ذكرنا شيئاً فى ذلك فى مقدمة الكتاب، والاهم فى ذلك أمران الاول اعتبار الاعمال فى صدق الايمان وقد اختلف فيه المسلمون من صدر الاسلام فالخوارج على أن كل عمل معتبر فيه فيكون مرتكب الكبيرة كافراً و قالت المرجئة لا يضر مع التصديق شيء من المنكرات والفاسق كالصالح والحق أن العمل لا يعتبر فى الايمان و مرتكب الكبيرة ليس كافراً و ان وصف بالفسق و عذب فى الآخرة خلافاً للمرجئة، وهذا هو مذهب الشيعة وأكثر أهل السنة وما روى فى الاخبار موافقاً للخوارج او للمرجئة يجب تأويله.

الثانى من التزم بشيء يستلزم الكفر استزماً غير بين كالمجسمة ليس بكافر و بيان الاستلزام أن الجسم مركب و كل مركب ممكن وكل ممكن معلول للغير و لو كان الواجب*

ج ٨ باب أن الإيمان لا يشرك الإسلام والأسلام لا يشرك الإيمان - ح ١ - ٧٥ -

مختلفان؟ فقال: إن الإيمان يشارك الإسلام والأسلام لا يشارك الإيمان، فقلت، فصفهما لي، فقال: الإسلام شهادة لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حققت الدماء و

قوله (إن الإيمان يشارك الإسلام والأسلام لا يشارك الإيمان) المشاركة وعدمها اما باعتبار المفهوم فإن مفهوم الإسلام داخل في مفهوم الإيمان دون العكس، أو باعتبار الصدق فإن كل مؤمن مسلم دون العكس، أو باعتبار الدخول فإن الداخل في مفهوم الإيمان داخل في الإسلام دون العكس أو باعتبار الأحكام فإن أحكام الإسلام مثل حقن الدماء وأداء الامانة واستحلال الفروج ثابتة للإيمان دون العكس فإن الحكم المترتب على الإيمان مثل الثواب والنذر للمؤمن واعتاقه لا تكون للإسلام.

قوله (فقلت فصفهما لي) أي فسرهما لي و بين لي حقيقتيهما حتى يظهر لي حقيقة المشاركة وعدمها.

قوله (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ص) اكتفى بذكر الشهادة على التوحيد عن التصديق به و بذكر التصديق بالرسالة عن الشهادة عليها للقرينة والتعارف لان التوحيد والرسالة أمران مقرونان فما يعتبر في أحدهما يعتبر في الآخر وأيضاً الشهادة قلما تنفك عن التصديق والتصديق قلما ينفك عن الشهادة. وعلى هذا فمحمل الكلام أن الإسلام التصديق بالله و رسوله والشهادتان وهذا لا ينافي ما مر من أن الإسلام الاقرار بلا عمل أي بالتصديق لانا قد ذكرنا أن الإسلام يطلق على مجرد الاقرار أيضاً.

جسمًا كان معلولاً للبره وهو كافر وعلى ذلك بعض فقهاءنا والحق أنه لا يكفر أحد الا بالاستلزام البين و لذلك قالوا لو ادعى مدعى الباطل شبهة ممكنة في حقه قبلت منه و دره عنه الحدو كذلك اذا اعتقد أحد أن الروح قوة حاصلة من تركيب مزاج البدن وليس مجرد أعن البدن وهذا رأى الملاحدة الماديين الذين لا يعتقدون وجود غير القوى الجسمانية وينكرون تأثير شيء في شيء الا أن يكون جسمانياً ويعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون، و يترتب على اعتقادهم هذا انكار المعاد ونفي الثواب والعقاب و استحالة الحشر والنشر لكن رأينا جماعة من عوام المتزهدين لا ينتبهون لهذا الاستلزام، يشاركون الماديين في أصلهم ولا يلتزمون بلوازمه يعترضون على القائلين بتجرد النفس وينقضون أدلتهم على بقائنا بعد الموت وربما يسرحون بأن النفس كنور السراج يطفى بفناء الدهن و معذلك يزورون الاموات و يستغفرون لهم و يهدون اليهم ثواب العبادات ولا يعلمون أن لازم أصلهم اليأس من أصحاب القبور و خرافية هذه الاعمال كما قال الله تعالى و كما يش الكفار من أصحاب القبور، ولكن لما لم يكن الاستلزام بيناً لا يحكم بكفر هؤلاء. (ش)

عليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس؛ والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من العمل به والايمان ارفع من الاسلام بدرجة، إن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة.

٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن موسى ابن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان.

٣- علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام، إن الايمان ما وقر في القلوب والاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيهما أفضل الايمان أو الاسلام؟

قوله (والايمان الهدى) الهدى راه يافقن وراه نمودن ورسیدن بمقصود وراه راست والمراد به هنا الولاية وهي الصراط المستقيم وبما يثبت في القلوب من صفة الاسلام التصديق بالله وبرسوله وبما ظهر من العمل بالشهادتان أو الاعمال منهما ومن اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج واعتبار هذه الاعمال في الايمان وقد مر وجه مراداً.

قوله (والايمان ارفع من الاسلام بدرجة) لاعتبار التصديق بالولاية في حقيقة الايمان دون الاسلام وبه يستحق العبد الثواب والكرامة في دار المقامة.

قوله (ان الايمان يشارك الاسلام في الظاهر) لعل المراد أن الايمان يشارك الاسلام في جميع الاعمال الظاهرة المعتبرة في الاسلام مثل الصلاة والزكاة وغيرها والاسلام لا يشارك الايمان في جميع الامور الباطنة المعتبرة في الايمان لانه لا يشاركه في التصديق بالولاية وإن اجتمعا في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة ومنه يتبين أن الايمان كالنوع والاسلام كالجنس وقد يطلق الاسلام ويراد به هذا النوع مجازاً من باب اطلاق العام على الخاص ولعل قوله تعالى وو أخرجنا من كان فيها الآية من هذا الباب فقوله من زعم انهما مترادفان وتمسك بهذه الآية مدفوع.

قوله (أيهما أفضل) مبتدأ وخبر، والايمان والاسلام تفسير لمرجع الضمير

فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان، فقال: الإيمان أرفع من الإسلام قلت: فأوجدني ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟ قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان.

٥- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعبد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل.

أوهما مبتدأ وإيهما أفضل خبر.

قوله (قلت فأوجدني) من أوجد فلاناً مطلوبه أظفره به أي أظفرني بالمطلوب و بينه لى بمثال جزئى.

قوله (قلت يقتل قال أصبت) قبل يدل على كفر من استخف بالكعبة فان وجوب تمليهما من ضروريات الدين.

قوله (ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد) فكما ان الكعبة أفضل من المسجد لخصوصية متبصرة فى الكعبة غير معتبرة فى المسجد حتى اختلف بها حكمهما، كذلك الإيمان أفضل من الإسلام لخصوصية معتبرة فى الإيمان غير معتبرة فى الإسلام فلذلك اختلف حكمهما.

قوله (وان الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة) فان مفهوم المسجد متحقق فى الكعبة ومفهوم الكعبة غير متحقق فى المسجد فالكعبة مسجد والمسجد ليس بداخل فى الكعبة والداخل فى الكعبة داخل فى المسجد والداخل فى المسجد ليس بداخل فى الكعبة وهكذا حال ما نحن فيه أهنى الإسلام والإيمان. وبالجملته التناسب بين الممثل والممثل له ظاهر لاسترة فيه فلذلك جاء « ع » بهذا التمثيل من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الإيضاح والتفجير .

قوله (وأفضى به إلى الله عز وجل) أشار به إلى أن المراد بما استقر فى القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية لان هذا المجموع هو المفضى إلى الله عز وجل لا كل واحد ولا كل اثنين منها. وقوله « و صدقه العمل » مشعر بأن العمل خارج عن الإيمان

و صدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والاسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها و به حقت الدماء و عليه جرت المواريث و جاز النكاح و اجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الايمان، والاسلام لا يشرك الايمان والايمان يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان وقد قال الله عز وجل: « قالت الأعراب آمنّا قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» فقول الله عز وجل «أصدق القول، قلت: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد

و دليل عليه لان الايمان وهو التصديق أمر قلبي يعلم بدليل خارجي مع ما فيه من الايماء الى أن الايمان بلا عمل ليس بالايمان.

قوله (والاسلام ما ظهر من قول أو فعل) أي قول بالشهادتين أو فعل بالطاعات مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها فيدل على أن الاسلام يطلق على مجرد الطاعات من الاقرار بالشهادتين والتصديق بهما.

قوله (فخرجوا بذلك من الكفر و اضيفوا الى الايمان) و لم يكونوا من أهل الايمان فمأهم من هؤلاء ولا من هؤلاء ولا يجري عليهم شيء من أحكامهما وان كان يجري أحكامهم على أهل الايمان.

قوله (وهما في القول والفعل يجتمعان) أي الاسلام والايمان يجتمعان في القول بالشهادتين والفعل بالطاعات الا أنهما داخلان في حقيقة الاسلام خارجان عن حقيقة الايمان على ما هو الحق عند جماعة من المتكلمين ولعل المقصود التنبيه على تساويهما في طلب الفضائل والأحكام والحدود كما سيصرح به .

قوله (فقول الله عز وجل أصدق القول) فهو يبطل قول كل من قال بان الاسلام يرادف الايمان، و من زعم أن الاعراب لم يسلموا و من زعم أنهم آمنوا.

قوله (قلت فهل للمؤمن فضل على المسلم) كان قصده هل للمؤمن اختصاص بشيء من الفضائل النفسية والأحكام الشرعية و حدودها لا يكون المسلم مكلفاً به فأجاب وع ، بأنهما متساويان في ذلك ولا يكون للمؤمن على المسلم فضل في شيء منه وانما الفضل للمؤمن في العمل والثواب و ما يتقرب به الى الله تعالى من الطاعة والانقياد لان الفضل

ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما و ما يتقرر بأن به إلى الله عز وجل ، قلت : أليس الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن ؟ قال : أليس قد قال الله عز وجل : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ، قلت :

مشروط بالإيمان وهو مفقود في المسلم .

قوله (قلت أليس الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لما حكم دع ، بأن للمؤمن فضلاً على المسلم في الأعمال سأله حمران على سبيل التقرير أو الاستفهام بأنك زعمت أن المؤمن والمسلم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الطاعات ومكلفون جميعاً بها وقال الله تعالى ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، والموصول للمعوم فهذه الآية مع ما زعمت تقتضي أن يكون المؤمن والمسلم متساويين في الفضل فكيف يكون للمؤمن فضل على المسلم في الأعمال ، فأجاب دع ، بأنه أليس قد قال الله تعالى ومن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، وهذا الجواب على فهمنا الفاسد يحتمل وجهين الأول أن القرض الحسن هو العبادة الواقعة على كمالها وشرائطها وشرائط قبولها ومن جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لا غيرهم فيعطيه لكل حسنة عشرة وربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه وحسب كماله أضعافاً كثيرة حتى أنه يعطيهم بواحدة سبعمائة أو أزيد و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير الذي لا يعلمه إلا هو كما قال ، « ولدينا مزيد » والثاني أن تساويهم في فضل واحدة بمشقة على تقدير عموم الموصول لا يقتضي أن لا يكون للمؤمنين فضل على المسلم في الأعمال لانه تعالى يضاعف له أعماله أضعافاً كثيرة فيعطيه لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم الى آخر ما ذكر و لعل الأول بالمعنى أقرب والثاني بالعبادة أنسب ، لا يقال ما دل من الآيات و الروايات على أن أعمال غير المؤمن يكون هباء منثوراً يناهى الاحتمال الثاني فكيف التوفيق بينهما ؟ لا نأقول لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة ورفع شدتها لا في دخول الجنة إذ دخولها مشروط بالإيمان فهو هباء منثور باعتبار أنه لا يوجب دخول الجنة . ونافع له في الجملة باعتبار أنه يوجب تخفيف العقوبة والله يعلم حقيقة كلام وليه .

أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الإيمان؟ فقال : لا ولكنه قد أضيف إلى الإيمان و خرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الاسلام، أرأيت لو بصرت رجلاً في المسجد أنك تشهد أنك رأيت الكعبة؟ قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنك شاهد أنك قد دخل المسجد الحرام؟ قلت: نعم، قال: وكيف ذلك؟ قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد، فقال: قد أصبت وأحسن، ثم قال: كذلك الإيمان والاسلام.

قوله (قلت أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الإيمان) الاسلام عبارة عن التصديق بالتوحيد والرسالة أو عن الاقرار بالشهادتين أو عن الاتيان بالاعمال الظاهرة أو عن المجموع أو عن الاثنين منها، و يجوز السائل أن يكون ذلك نفس الإيمان أو غن ذلك و لذلك قال على سبيل الاستفهام أو التقرير أليس هو أى الداخل في الاسلام داخلاً في الإيمان بأن يكون الاسلام عين الإيمان؟ فقال وع، لا لان الإيمان اما التصديق المذكور مع التصديق بالولاية أو هذا مع الاقرار بالعمل فالاسلام اما جزء الإيمان أو حد من حدوده، ومن البين أن جزء الشيء أو حده غير ذلك الشيء فالداخل في الاسلام غير داخل في الإيمان و ليس بمؤمن و لكنه أضيف إلى الإيمان بالدخول في جزئه أو في حد من حدوده و خرج بذلك من منزل الكفر، و بالجملة للناس ثلاثة منازل الاول الكفر، والثاني الاسلام، والثالث الإيمان و هذا قد خرج من منزل الكفر و دخل في منزل الاسلام ولم يدخل في منزل الإيمان بعد، وأنت خبير بأن هذا السؤال لا يتوجه بعد العلم بما سبق اللهم الا أن يقال ان السائل لم يعلمه كما هو حقه لكونه أمراً معقولاً دقيقاً والمعاني الدقيقة قد لا يعرفها المخاطب حق المعرفة الا بالتكرار والتنبية بمثال محسوس فلذلك أورد وع، في الجواب بمثالا محسوساً لقصد التفهيم والايضاح فليتأمل.

قوله (قلت لا يجوز لي ذلك) لان المسجد ليس بكعبة لا يقال هذا لايمائل ما نحن فيه لان المسجد ليس كعبة ولا جزءاً منها فلا يكون الداخل فيه داخلياً فيها بخلاف ما نحن فيه فان الاسلام جزء من الإيمان والداخل في الجزء داخل في الكل لأننا نقول قصد السائل ان الداخل في الاسلام هل هو مؤمن أم لا كما أشرنا اليه فليتأمل.

قوله (فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنك شاهد أنك قد دخل المسجد الحرام قلت نعم) هذا لا يدل على أن الكعبة جزء المسجد بل يشعر بخلافه حيث قال، أنك شاهد أنك قد دخل المسجد ولم يقل أنك شاهد أنك قد دخل المسجد.

باب آخر منه و فيه أن الإسلام قبل الإيمان

١- علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحمن القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو، فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين سألت رحمك الله عن الإيمان والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار فقد

قوله (لا يصل إلى دخول الكعبة) أفهم لفظ الدخول لأن الوصول إلى الكعبة لا يستلزم الدخول فيها وهو المتصود هنا.

قوله (والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان) هذا تفسير للإيمان الكامل الذي يكون للمؤمنين المتيقنين المتورعين المخلصين وهو مركب من هذه الأمور أعني الإقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والامامة، والعمل بالأركان الظاهرة مثل السمع والبصر واللسان واليد والرجل باستعمال كل واحد منها فيما خلق لأجله وقد شاع إطلاق الإيمان عليه عند أرباب المصنعة عليهم السلام فكان غيره أعني العقد في القلب وإن كان إيماناً في نفس الأمر لضعفه وقلة أثره ليس بإيمان كما يرشد إليه الحصر في قوله تعالى: «أما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون» وعلى هذا لا منافاة بينه وبين ما دل من الأخبار على أن الإيمان عقد القلب.

قوله (والإيمان بعضه من بعض) إذ منازل الكمال متفاوتة والادنى منها معد لحصول الأعلى وبذلك يبلغ الإنسان غاية الكمال ويملك الحقيقة الإنسانية، وعلى هذا فالمراد أن بعض أفراد هذا الإيمان من بعض فإن الأدنى منه معد لحصول الأعلى وهكذا إلى أن يحصل فرد هو أعلى مراتب الإيمان المطلوب من الإنسان أو المراد أن بعض أجزائه من بعض فإن أصل التصديق يقتضي العمل والعمل يقتضي حصول تصديق آخر هو أكمل وأفضل وهذا التصديق يقتضي حصول عمل هو أكمل من الأول وهكذا يتبادر إلى أن يبلغ كل من الظاهر والباطن إلى غاية كمال الإنسان وتحصل نهاية مراتب الإيمان.

قوله (وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار) الداخل في الأولى من اتصف بالإيمان ولوازمه، وفي الثانية من اتصف بالإسلام وآثاره، وفي الثالثة من اتصف بالكفر

يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال: هذا حرام وللحرام: هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان، داخلًا في الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه و صار إلى النار.

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: سأله عن الإيمان والإسلام قلت له: أفرق بين الإسلام والإيمان؟ قال فأضرب لك مثله، قال: قلت: أورد ذلك، قال: مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ولا يكون في الكعبة

و خواصه ولا يكون أحدهم داخلًا في دار الآخرة إلا المؤمن فانه داخل في دار الإسلام أيضاً لان له أيضاً صفة الإسلام وآثاره كما أشار إليه بقوله ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، و أما المسلم فقد لا يكون مؤمناً و سر ذلك أن الإقرار بالتوحيد والرسالة مقدم على الإقرار بالولاية والعمل والمؤمن والمسلم بسبب الأول يخرجان من دار الكفر ويدخلان في دار الإسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء به يستقر في هذه الدار، والمؤمن بسبب الثاني يترقى و ينزل في دار الإيمان، و منه لاح أن الإسلام قبل الإيمان وأنه يشارك الإيمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول في دار الإيمان. و بهذا التقرير يندفع المنافاة بين قوله ع، ههنا «و هو يشارك الإيمان» و قوله سابقاً «والإسلام لا يشارك الإيمان» فليتأمل.

قوله (فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي - الخ) لما كان العمل منتهياً في حقيقة الإيمان الكامل كان الاتيان بالمعصية مطلقاً موجباً لسقوط اسم هذا الإيمان عنه وهبوطه من دار الإيمان إلى دار الإسلام و ثبوت اسم الإسلام عليه و يستمر هذا إلى أن يتوب و يستغفر فإن تاب و استغفر عاد إلى دار الإيمان لزوال المانع وهو المعصية بالنسبة و

حتى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، قال : قلت : فيخرج من الايمان شيء ؟ قال : نعم : قلت فيصير به إلى ماذا ؟ قال إلى الاسلام أو الكفر . و قال : لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفלט منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسل ثوبه وتطهر ثم لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أن رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه .

(باب)

١- علي بن محمد ، عن بعض أصحابه ، عن آدم بن إسحاق ، عن عبد الرزاق بن مهران ، عن الحسين بن ميمون ، عن محمد بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن

الاستغفار ولا يخرج من دار الايمان إلى دار الكفر إلا الجحود للمانع والرسول وتحليل ما هو حرام وتحريم ما هو حلال من ضروريات الدين أو بعد العلم بحله وحرمة أو مطلقاً وجعله ديناً ولعن تبعه فعند ذلك يكون خارجاً من دار الايمان والاسلام داخل في دار الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث معانداً فيها حدثاً فأخرج عن الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه وصار إلى النار ، وهذا التمثيل يدل على أن المرتد يقتل وأن القتل لا يدفع عنه العقوبة الآخروية واستثنى منه المولى والمرأة لقبول توبتهما فبرجعتا بعدها إلى الايمان .

قوله (لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفלט منه بوله - الخ) يفهم من هذا التمثيل أن المؤمن إذا صدر منه ذنب لا يوجب كفره خرج من الايمان ودخل في الاسلام ثم إذا تاب دخل في الايمان ، وإذا صدر منه ذنب يوجب كفره خرج من الايمان والاسلام ودخل في الكفر واستحق القتل إلا من استثنى .

قوله (باب - علي بن محمد عن بعض أصحابه - الخ) في السند مع الارسال جهالة ، والفرض من هذا الباب أن الايمان قبل الهجرة لضعف الدين وقلة ناصره كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة ثم صار بعدها لقوته وكثرة ناصره وشيوع الاحكام فيه وسدور الوعيد عليها هذا مع التصديق بالولاية والعمل وأن الكفر يتحقق بانتفاء واحد منها وأن المؤمن لا يمتنع أصلاً وأن الايمان في الفرائع السابقة كان أيضاً كذلك وأن كثيراً من هذه الامه لزيغ قلوبهم وعدم رجوعهم إلى المرشد بالحق اتبعوا المتشابهات والمنسوخات ، ورفضوا المحكمات والناسخات ، وذهبوا أن الايمان إنما هو بالمعنى الاول وحده ولم يعلموا

ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم و ذلك أن الله تبارك و تعالى يقول: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله - الآية- فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات، إن الله عز وجل

أنه نسخ وحدة ذلك وضم معه شيء آخر .

قوله (ان ناساً تكلموا - الخ) التنكير للتحقير أو للتنكير أولهما و ذلك اشارة الى تكلمهم و ما بعده بيان لوقوعه لان الله تعالى أخبر به و اعلم أنه لايجوز تأويل متشابهات القرآن والاحاديث عندنا بالرأى بل يجب صرفه الى الراسخين في العلم وهم أهل الذكر عليهم السلام و من يتعرض له من أصحابنا فانما يتعرض لوجوهه على سبيل الاحتمال من غير جزم بأحدها الا أن يدل عليه دليل آخر .

قوله (هن أم الكتاب - الخ) قيل أم الكتاب أصله الذي يرجع اليه عند الاشكال أى هن اصول ما أشكل من الكتاب فيرد ما أشكل منه الى ما اتضح منه، وقيل غير ذلك، والزيغ الميل من الحق الى غيره والفتنة الضلال أو الشك والتأويل صرف الكلام عن ظاهره الى خلافه والمتبعون للمتشابه لا ابتغاء الفتنة منهم من يتبعه للقدح في القرآن والنشك في فيه واضلال العوام كالزنادقة والقرامطة وغيرهم ومنهم من يتبعه و يمتد بظاهره كالمجسمة والمصورة ومنهم من يتبعه و يحمله على خلاف ظاهره برأيه كأهل السنة ، و أمما الفرقة الناجية فيرجعون في تأويله الى الله والى الراسخين في العلم، وقد جرت الحكمة البالغة على أن يمنح الله عز وجل عباده في هذه النشأة بأبناء شتى و مما امتحنهم به انزال المتشابهات والله ولى التوفيق .

قوله (فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات) النسخ في اللغة الازالة والابطال و في العرف ازالة حكم شرعى بدليل شرعى متأخر، والمتقدم منسوخ و المتأخر ناسخ، والمحكم في اللغة المثبت و في العرف يطلق على ماله معنى لا يحتمل غيره و على ما اتضحت دلالته، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما جميعاً، و على ما لا يحتمل من التأويل الا وجهاً واحداً والمتشابه يقابله بكل واحد من هذه المعاني. اذا عرفت هذا فنقول الظاهر أن الغاء للفسير لزيادة تفليح حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات و المتشابهات دون المحكمات والناسخات لان المنسوخات من باب المتشابهات في التشابه اذا يشبه عليهم ثباتها و بقاؤها ، والمحكمات من قبيل الناسخات في الثبات والبقاء فاذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لانها من باب واحد و اذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا

بعث نوحاً إلى قومه « أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون » ثم دعاهم إلى الله وحده
وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم بعث الأنبياء ﷺ على ذلك إلى أن بلغوا محمداً
ﷺ فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً و قال : « شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقیموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبي إليه من
يشاء و يهدي إليه من ينيب » فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلا الله و
الاقرار بما جاء [به] من عند الله فمن آمن مخلصاً و مات على ذلك أدخله الجنة
بذلك و ذلك أن الله ليس بظالم للعبيد و ذلك أن الله لم يكن يعذب عبداً حتى

الناسخات و إذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لانهما أيضاً من باب واحد
و لذلك قالوا الايمان هو مجرد التصديق بالله ورسوله و لم يعلموا أنه كان كذلك قبل الهجرة
ثم نسخ بعدها و اضيف اليه الولاية و العمل، و يحتمل أن يكون للتفريع لانه يفهم من الآية
اتباعهم المنسوخات لكونها من باب المتشابهات و عدم اتباعهم المحكمات لكونها من
باب الناسخات التي يتبعوها و على هذا لا قلب في قوله « دع » و المحكمات من الناسخات
كما زعمه بعض نظراً اليه، و قال كون المنسوخات من أفراد المتشابهات و أخص منها
له وجه ، و أما كون المحكمات من أفراد الناسخات و أخص منها فلا وجه له بل
الامر بالعكس ففيه قلب فليتأمل.

قوله (ان الله عزوجل بعث نوحاً) كان المراد هنا أمران الاول يعلم ضمناً وهو أن
الله عزوجل بعث الأنبياء و قرر الايمان و الشرائع و أوجب على عباده الرجوع اليهم و عدم
التقول في الدين بأرائهم، و الثاني أن الايمان في بداية بعثة كل رسول كان مجرد التصديق
بالتوحيد و الرسالة و من مات عليه كان مؤمناً و جبت له الجنة ثم صار بعد وضع الاحكام و
الوعيد على مخالفتها و تكثر الامم و استجابتهم هذا مع العمل حتى من ترك تلك الاحكام خرج
من الايمان و استحق الدخول في النار. و فيه رد على من زعم أن الايمان انما هو التصديق
المذكور و الله أعلم .

قوله (فمن آمن مخلصاً) أي من آمن بالله و نفى الشريك عنه و آمن برسوله و بما
جاء به الرسول مخلصاً معتقداً غير مشوب بالشك و مات عليه أدخله الله الجنة بذلك و لا يعاقبه
بترك الاعمال و لا ينافي ذلك وجوبها لان الواجب مما يستحق تاركه ذمماً لا ما يعاقب تاركه و
استحقاق الذم لا يوجب العقوبة بل لا يوجب الذم أيضاً.

يفلظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها ، فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين ، جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنة وقال الله لمحمد ﷺ : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ » .

و أمر كل نبي بالأخذ بالسبيل والسنة والسبيل التي أمر الله عز وجل بها موسى ﷺ أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبت ولم يستحل أن يفعل ذلك من خشية الله ، أدخله الله الجنة ، ومن استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه من عمل الذي نهاه الله عنه فيه ، أدخله الله عز وجل النار ، و

قوله (و ذلك أن الله ليس بظلام للعبيد) الظاهر أن ذلك إشارة الى ادخاله في الجنة بمجرد تلك الشهادة والاقرار و ان لم يعمل ، بيان ذلك أنه مؤمن وعدم ادخال المؤمن فيها ظلم لاستحقاقه اياها والله ليس بظلام للعبيد بمنعمهم عن حقوقهم ، وفيه مبالغة في نفي الظلم لانني مبالغة في الظلم على أنه لو اريد هذا لا يمكن أن يقال فيه نفي للظلم بالكلية لان كل صفة له تعالى على وجه الكمال فلو كان له ظلم كان ظلمه على وجه الكمال فاذا نفي عنه الظلم على هذا الوجه فقد نفي عنه ظلم رأساً .

قوله (و ذلك أن الله لم يكن يذب) لعله إشارة الى عدم تعذيبه بترك العمل حينئذ لكونه مذكوراً التزاماً لان ادخاله الجنة بمجرد ذلك التصديق يستلزم عدم التعذيب بترك العمل . بيان ذلك أن الله تعالى لم يكن يذب العبد بالمعاصي حتى يفلظ عليه فيها ويوجب لمن عمل بها النار و لما لم يفلظ عليه فيها و لم يوعده بالنار بها في ذلك الزمان لا يذبها .

قوله (فلما استجاب لكل نبي من استجاب) لعل المراد أن الايمان بعد استجابة الامة و كثرتهم ووضع الشرائع من الاوامر والنواهي والحدود والتفليظ عليهم بالمعاصي و وعيدهم بالنار بفعلها سار عبارة عن ذلك التصديق والعمل حتى من ترك واحداً منهما كان كافراً يذب بالنار . و الشرعة و المنهاج متقاربان لان الشرعة طريق الدين و المنهاج الطريق المستقيم والمراد بهما الاحكام والفرائض والحدود وغيرها من التكاليف التي وقع التفليظ بها والوعيد فيها .

قوله (و من استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه) دل على أن معاملة الاحكام كفر يوجب الدخول في النار مع الاستحلال والظاهر أنه لا خلاف فيه بين الامة وما ذلك الا لان

ذلك حيث استحلوا الحيتان و احتبسوها و أكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرَّحْمَن ولا شكوا في شيء مما جاء به موسى ﷺ ، قال الله عز وجل : « و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ثم بعث الله عيسى ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء به من عند الله و جعل لهم شرعة و منهاجاً فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار و إن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ثم بعث الله محمداً ﷺ و هو بمكة عشر سنين فلم يمض بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً ﷺ رسول الله إلا أدخله الله الجنة باقراره وهو إيمان

الاقرار بها والعمل بها داخلان في الايمان، و اذا كان كذلك كان تاركها وان لم يستحل كافراً يمتدح بالنار أيضاً كما يدل عليه سياق العبارات الآتية.

قوله (حيث استحلوا الحيتان) أى استحلوا سيدها أو أكلها ويوم السبت ظرف لاحتبسوها لا أكلوها، أى احتبسوها يوم السبت في مضيق بسد الطريق عليها ثم اصطادوها يوم الاحد وأكلوها، فعلوا ذلك حيلة وتحرذاً من اصطادها في يوم السبت ولم تنفهم تلك الحيلة لان احتباسها فيه هتك لحرمة فخرجوا بذلك من الايمان الى الكفر ولذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن و أن يشكوا في رسالة موسى وما جاء به، ولذلك يصطادوا يوم السبت فسبب الغضب عليهم ودخولهم في النار ليس الا تركهم حرمة السبت واحتباس الحيتان فيه فعلم ان الايمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لان المؤمن لا يمتدح ولا يدخل النار وفيه شيء لان استحلالهم الحيتان يناقض ظاهراً عدم شكهم بما جاء به موسى، ويمكن دفعه بأن ما جاء به موسى تحريم الحيتان يوم السبت وهم استحلوها يوم الاحد و لحق بهم ما لحق بسبب احتباسهم يوم السبت والله أعلم .

قوله (قال الله تعالى ولقد علمتم) استشهاد لقوله غضب الله عليهم أولاً ولما قبله.

قوله (وان كان الذي جاء به النبيون) جميعاً أن لا يشرك بالله شيئاً الموصول اسم كان وأن لا يشرك خبره أو المجموع اسمه وخبره محذوف أى وان كان معه ما جاء به النبيون وهو عدم الشرك فعلى الاول يفيد عدم ورود النسخ عليه وعلى الثانى يفيد ان من لم يتبع يدخل النار وان كان معه عدم الشرك بالله.

قوله (يشهد أن لا إله الا الله) لعل المراد به التصديق بالتوحيد والرسالة أو مع الاقرار

التصديق ولم يعذب الله أحداً ممن مات و هو متبع لمحمد ﷺ على ذلك إلا من أشرك بالرحمن.

وتصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكة « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً - إلى قوله تعالى - إنه كان عباده خبيراً بصيراً » أدب وعظة وتعليم ونهي خفيف ولم يعد عليه و لم يتواعد على اجتراح شيء ما نهى عنه ، وأنزل نهياً عن أشياء حذر عليها و لم يغلف فيها ولم يتواعد عليها و قال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة و ساء سبيلاً . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . و أوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلاً . ولا تقف ما ليس لك به علم إن

باللسان لا مجرد الاقرار به بقرينة قوله وهو ايمان التصديق، والمراد بالا سلام حينئذ هو الاقرار و يؤيده ما مر من أن الايمان اقرار و عمل ، والاسلام اقرار بلا عمل لما ذكرنا أن العمل عبارة عن التصديق.

قوله (وهو ايمان التصديق) الايمان على نوعين أحدهما هذا والاخر ايمان التصديق والعمل ، و الثاني درجاته متفاوتة جداً و كذا الاول لان له تفاوتاً معنوياً بالقوة و الضعف اما بالذات أو باعتبار الاهمال الخارجة عنه ثم التعذيب قبل الهجرة بترك الاول فقط و بعدها بترك الاول والثاني.

قوله (الا من أشرك بالرحمن) أي من نفي التوحيد أو الرسالة بقرينة السياق.

قوله (ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني إسرائيل) ذلك إشارة الى مفهوم الحصر و منطوقه أعني عدم التعذيب بغير الشرك والتعذيب به في مكة قبل الهجرة ، وقوله « وقضى ربك - إلى قوله - ولا تجعل مع الله الهاً آخره » بيان للاول و تصديق له حيث أنه عز وجل أنزل آيات فيها و ذكر أحكاماً ولم يغلف فيها ولم يوعد عليها فلا يعاقب بها لانه لا يعاقب قبل التعليل والتعديد والوعيد، و قوله « ولا تجعل - إلى قوله - حتى إذا اداركوا فيها جميعاً » بيان للثاني وتصديق له لانه صريح في أنه يعذب بالشرك وأوعد عليه.

السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ، وأنزل في «والليل إذا يغشى» : «فأنذرتكم نارا تلتظي» لا يصلحها إلا الأشتى الذي كذب وتولى » فهذا مشرك وأنزل في «إذا السماء انشقت» : «وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ، ويصلى سعيراً . إنه كان في أهله مسروراً . إنه ظن أن لن يحور بلى » فهذا مشرك . وأنزل في [سورة] تبارك : «كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الواقعة : «وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . و تصلية جحيم » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الحاقة : «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول

قوله (ولا تقف - الخ) دل على تحريم القول والعمل والافتاء ونحوها بما لم يعلم، قال ابن عباس لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم ترو ولا علمت ولم تعلم، وقال بعض العلماء المراد بسؤال الجوارح ١٠١ سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كما يظهر من أولئك أو جعلت بمنزلة ذوى العقول أو هم ذوو العقول مع الله تعالى وهو أظهر كما في كثير من الآيات والروايات.

قوله (ولا تمش في الأرض مرحاً) أي لا تمش في الأرض أشراً و بطراً و اختيالاً إنك لالن تخرق الأرض بتناقلك و كبرك في المشي أو بضرب قدميك عليها لتعرف قدرتك و قوتك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك و مد عنقك فماوجه تفاخرك و عدم تواضعك كل ذلك المذكور من النواهي كان سيئه ومعصيته عند ربك مكروهاً يريد تركه ولا يرضاه، بين سبحانه أن العبد ضعيف وعلمه التواضع والتودد والوقار.

قوله (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) أي مطروداً عن طريق جنته مبهذاً عن ليل رحمته مدفوعاً عن إحسانه ورأفته. وهذا شروع في ذكر آيات نزلت في مكة دالة على الوعيد بالشرك والتعذيب به.

قوله (فهذا مشرك) أي هذا المذكور و هو الأشتى والملقى في جهنم مشرك لا غيره ممن سدى بالنوحيد والرسالة و ترك العمل في مكة لانه مؤمن بإيمان النصديق الذي كان هو الإيمان في مكة، والمؤمن لا يلقي في جهنم ولا يصل نارا.

يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسايه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماله . إلى قوله . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، فهذا مشرك ، وأنزل في طسم : «و برزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم : أينما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكذبوا فيها هم والغاؤون . و جنود إبليس أجمعون ، جنود إبليس ذرئتهم الشياطين . وقوله : «وما أضلنا إلا المجرمون ، يعني المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتبعوهم على شركهم وهم قوم محمد ﷺ ليس فيهم اليهود و النصارى أحد و تصديق ذلك قول الله عز وجل : «كذبت قبلهم قوم نوح» «كذب أصحاب الأيكة» «كذبت قوم لوط» ليس فيهم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ولا النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، سيدخل الله اليهود والنصارى النار

قوله (جنود إبليس ذريته من الشياطين) دون من اتبعه من النساوين لان التأسيس خير من التأكيد.

قوله (و قوله وما أضلنا إلا المجرمون يعني المشركين) حكاية من أهل جهنم قالوا وهم فيها يختصمون «تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون» وقوله مبتدأ و معنى خبره والجملة مضاف على جملة جنود إبليس وذريته واريد بالمجرمين المشركون الذين اقتدى بهم هؤلاء القائلون ، و قوله «وهم أمة محمد و» «أشاره الى أن التابع» والمتبوع كليهما من أمته لدفع ما عسى أن يقال من أن الآية في بيان اليهود والنصارى ووصف مشركيهم القائلين بأن عزيز ابن الله والمسيح ابن الله و وصف تابعيهم لافي بيان حال المشركين من قوم محمد و» في مكة.

قوله (و تصديق ذلك قول الله عز وجل «كذبت قبلهم قوم نوح» «كذب أصحاب الأيكة» «كذبت قوم لوط») ذلك إشارة الى قوله هم أمة محمد و» والأية غيضة بقرب مدين سكنتها طائفة فبث الله اليهم شعباً كما بئنه الى مدين ، و وجه التصديق أن الآية تسلية له و «س» بأن قومه ان كذبوه فهو غير منفرد في التكذيب ، فان هؤلاء الرسل قد كذبهم قومهم قبل قومه . و فيه دلالة واضحة على أن المجرمين هم المشركون المكذبون من قومه دون اليهود والنصارى.

قوله (ليس فيهم اليهود) تأكيد لقوله ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد والاول نفى للتشريك وهذا نفى للاختصاص ،
قوله (سيدخل الله اليهود) أشار به الى أنه لا يلزم من اختصاص الآية المذكورة

و يدخل كل قوم بأعمالهم ، و قولهم : « و ما أضلنا إلا المجرمون » إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عز وجل فيهم حين جمعهم إلى النار و قالت أوليهم لا خريهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، و قوله : « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادأركوا فيها جميعاً » برىء بعضهم من بعض و لعن بعضهم بعضاً ، يريد بعضهم أن يحج بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم و ليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولا حين نجاة والآيات و أشباههن مما نزل به بمكة ولا يدخل النار إلا مشركاً ، فلما أذن الله لمحمد ﷺ في الخروج من مكة إلى المدينة بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً ﷺ عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان و أنزل عليه الحدود و قسمة الفرائض و أخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها و بها النار لمز

بمشركي قومه « س » أن لا يدخل اليهود و النصارى النار اذ عدم فهم دخولهم فيها من هذه الآية لا يوجب عدم دخولهم فيها لانهم أيضاً يدخلون فيها بأدلة اخرى كما يدخل فيها كل قوم بأعمالهم .

قوله (و قولهم و ما أضلنا إلا المجرمون) اذ دعونا إلى سبيلهم أشاروا بذلك إلى سبب الاضلال و هو أن المجرمين دعونا إلى سبيلهم و هو الشرك فاستجبنا لهم و اتممناهم و لما كان قولهم هذا يدل صريحاً و ضمناً على نسبة الاضلال اليهم و المحاسبة بينهم و براءة بعضهم من بعض و الاعتذار من ضلالتهم أشار إلى أنه أخبر بجميع ذلك قول الله عز وجل فيهم إلى آخر ما ذكر . و اذ ادأركوا أصله تداركوا فادغم ، و معناه تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم . قوله (فلما أذن الله لمحمد « س » في الخروج) لما فرغ مما دل على أن الله تعالى لا يعذب قبل الهجرة إلا بالشرك و هو انكار التوحيد و الرسالة شرع فيما دل على أنه يمتنع بعدها بالشرك و بترك الطاعات و فعل المنهيات و هو مع الضمان أن المؤمن لا يمتنع دل على أن العمل معتبر في تحقق الايمان بعدها ، و بالجملة المفهوم من احاديث هذا الباب أن المؤمن لا يمتنع و أن الايمان قبل الهجرة مجرد التصديق و بعدها التصديق مع العمل و بناء الاسلام بعدها على خمس دل على أن من ترك منها شيئاً خرج من الاسلام و دخل في الكفر و انما قال بنى الاسلام و لم يقل بنى الايمان لثلاثتهم أن التارك داخل في الاسلام ثم ان سمي كسل واحد من هذه الخمسة ايماناً أيضاً كما سمي المجموع على ما يظهر من الباب الاتي كان مصداق الايمان قبل الهجرة أقل من مصداقه بعدها و الا فهو أكثر .

عمل بها وأنزل في بيان القاتل « و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً » ولا يلعن الله مؤمناً قال الله عز وجل : « إن الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً . خالدين فيها أبداً لا يجدون وليناً و نصيراً » و كيف يكون في المشيئة وقد ألحق به - حين جزاء جهنم - الغضب و اللعنة وقد بين ذلك من الملعونون في كتابه و أنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيراً » و ذلك أن آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة و النار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه حتى يعرفه كل أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم ، و أنزل في الكيل : « ويل للمطففين » ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً ، قال الله عز وجل : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » و أنزل في العهد « إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم و لهم عذاب أليم » و الخلاق :

قوله (ولا يلعن الله مؤمناً) وكذا لا يفض عليه و لعل المراد أن قاتل المؤمن متعمداً كافر خارج من الايمان والظاهر أن قوله وقال الله عز وجل استشهد لعدم لعن المؤمن ، وفي دلائله عليه خفاء لان تعلق اللعن بالكافرين لا يدل على عدم تعلقه بغيرهم الا أن يقال تخصيصهم بالذكر يدل على ذلك أو يقال المقصود من الآية بيان الملعونين و تمييزهم و تمييزهم عن غيرهم و يرشد اليه قوله « و » قديين ذلك من الملعونين في كتابه فاذا لم يذكر غير الكافرين علم أن اللعن لا يتعلق بالمؤمنين .

قوله (وكيف يكون في المشيئة) كيف للانكار رداً على من زعم أن القاتل في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه و أخزاه ، و ان شاء رحمه و نجاه أي كيف يكون هو في المشيئة و قد ألحقه بالكافر في دخوله في النار أبداً و سرح بالغضب و اللعن عليه .

قوله (قد بين ذلك من الملعونون في كتابه) ذلك إشارة الى قوله تعالى و فاعل لبين و ممن ، مفعوله و اذا كان ذلك بيانا للملعونين علم أنهم هم الكافرون فلا يكون المؤمن ملعوناً .

قوله (و ذلك أن آكل مال اليتيم) البتيم معروف و قد يطلق على آل محمد صلى الله عليه و آله بل على شيعتهم أيضاً كما يدل عليه بعض الروايات ولا يبعد التعميم هنا .

النصيب ، فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة ، وأنزل بالمدينة « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين » فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة. وقال رسول الله ﷺ : ليس يمتري فيه أهل العلم أنه قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فإنه إذا فعل ذلك

قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) نهى الزاني عن نكاح المؤمنة نهى تحريم أو تنزيه لعدم التناسب بينهما في الإيمان و رخص له نكاح الزانية والمشركة لتحقيق التناسب بينهما في الكفر ، ولعل الغرض من النهي والترخيص هو الإشعار بخسة الزناء وإهانة أهله و الزجر عنه لأنه الذي بعده عن الإيمان وقربه إلى الكفر ولاستنكاف طبع المسلم أن تكون زوجته زانية أو مشركة ويحثه ذلك على ترك الزناء وقس على هذا نظيره.

قوله (فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة) وجه التفريع أنه قارن الزاني بالمشركة وأخرجه عن حكم المؤمن وقارن الزانية بالمشركة وأخرجها عن حكم المؤمنة أو أنه لما منع بمفهوم الحصر الأول أن ينكح الزاني مؤمنة لا تتفاه الكفو وهو الإيمان وجوز بمنطوق الثاني أن ينكح الزاني والمشركة زانية لتحقيق الكفو وهو الكفر علم أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين أو أنه فهم ذلك من قوله تعالى « و حرّم ذلك » أي النكاح المذكور على المؤمنين والتحريم يحتمل الوجهين.

قوله (وقال رسول الله ﷺ ليس يمتري) أي قال رسول الله ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يشك أهل العلم من هذه الامة أن هذا قوله وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على أن الزاني حين الزنا والسارق حين السرقة ليسا مؤمنين قطعاً حتى لو ماتا في تلك الحالة كانا مخلصين في النار كسائر الكفار وهو يشكل بظاهره لما في الروايات الكثيرة من أن تارك العمل وفاعل المعصية فاسق تلحقه الشفاعة فلا بد من تأويله وأقرب التأويلات أنه ليس بكامل الإيمان وأنه يخلص عنه الإيمان الكامل كخلص القميص فيكون من باب نفى الشيء بنفى صفته نحو لا علم إلا مانع ، وقيل أنه ليس بمؤمن إذا كان مستحلاً وهذا ليس مختصاً بما ذكر وكأنه للتمثيل ، وقيل ليس بمؤمن من العقاب وهذا أيضاً ليس بمختص ، وقيل المقصود نفي المدح أي لا يقال له مؤمن بل يقال : زان أو سارق ، وقيل أنه لنفى البصيرة أي ليس ذا بصيرة ونقل عن ابن عباس أنه لنفى النور أي ليس ذا نور ، وقيل أنه نهى لا خبر وهو بعيد لأنه لا يساعده اللفظ ولا الرواية وقيل المقصود نفي الاستحضار أي ليس بمستحضر الإيمان ، وقيل المقصود نفي العقل أي ليس

خلع عنه الايمان كخلع القميص، و نزل بالمدينة «الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون» إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفور رحيم « فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمى بالايمان، قال الله عز وجل : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » و جعله الله منافقاً ، قال الله عز وجل : « إن المنافقين هم الفاسقون » و جعله عز وجل من أولياء إبليس ، قال : « إلا إبليس

بما قل لان المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح بخلاف المعقول، وقيل المقصود نفى الحياء والحياء شعبة من الايمان أى ليس بمستحي من الله سبحانه، وقيل محمول على التشديد كقوله تعالى و من كفر فإن الله غنى عن العالمين، وقيل انه من المتشابهات هذاجملة القول من العامة والخاصة فليتأمل.

قوله (الذين يرمون المحصنات - الخ) رتب على قذف المحصنات ثلاثة امور الاول ثمانون جلدة، الثانى عدم قبول الشهادة مطلقاً كما يقتضيه وقوع النكرة فى سياق النفي، قال القاضى وقيل فى القذف ولا يتوقف على استيفاء الجلد خلافاً لابي حنيفة لان الواو لا يدل على الترتيب ولان حال القاذف قبل الجلد أسوأ مما يبدئه الثالث أنه فاسق خارج عن طاعة الله تعالى ثم الظاهر أن الاستثناء متعلق بالآخرين، و أما الجلد فهو حق الناس لا يسقط الا بالاستحلال عن المقدوف والاصلاح المذكور بعد التوبة. قيل هو تأكيد وتقرير لها، وقيل هو البقاء عليها، و قيل هو تسليم النفس للحد أو طلب العفو عن المقدوف.

قوله (فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمى بالايمان) أى فبرأه الله تصديقه بأن يكون الضمير راجعاً اليه بقرينة المقام أو اريد بالايمان المؤمن مجازاً أو أهل الايمان بحذف المضاف و فيه دلالة على أنه اذا تاب عن القرية و أكذب نفسه عنها عاد الى الايمان و يسمى مؤمناً .

قوله (قال الله عز وجل) بيان لعدم تسمية الرامى مؤمناً وحاصله ان الله تعالى سماه فى الآية المذكورة فاسقاً وجعل الفاسق فى قوله « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » مقابلاً للمؤمن فهو غير مؤمن و له وجه آخر و هو أنه تعالى سماه فاسقاً وسمى الفاسق كافراً فهو كافر والكافر ليس مؤمناً أما الاول فلما مر، و أما الثانى فللقوله تعالى و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون « و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ».

قوله (قال الله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون) دليل على جعله منافقاً اذ حصر

كان من الجن ففسق عن أمر ربّه ، وجعله ملعوناً فقال : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة و لهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب ، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل : « فأما من أوتي كتابه بيمينه . فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً » و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء وتصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة النساء « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » والسبيل الذي قال الله عز وجل « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بيّنات لعلكم تذكرون . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

الفاسق في المنافق بدل على أن كل فاسق منافق .

قوله (ولست تشهد الجوارح على مؤمن - الخ) هذا صريح في أن شهادة الجوارح مختصة بالكافرين كما ذهب إليه بعض المفسرين و مال إليه الشيخ بهاء الملة والدين فسي الحديث الخامس من الأربعين والظاهر أن شهادتها بطريق النطق والقادر الذي أقدر اللسان على النطق قادر على انطاقها و اقدارها عليه و يحتمل أن يكون بلسان الحال فإن كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو و ماصدر عنه في علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه و هذا الاحتمال بعيد جداً بل يأباه ظاهر الآية .

قوله (ولا يظلمون فتيلاً) الفتيل ما يكون في شق النواء من الخيط وقيل ما يقتل بين الاسبعين من الوسخ وهو كناية عن نفى الظلم مطلقاً .

قوله (و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء) الظاهر أنه لم يذكره لبيان السابق إذ لا تعلق له به بل ذكره لبيان الواقع والاشعار بأن سبيلاً في آية النساء هو الجلد الذي في آية النور لان القرآن بعضه يفسر بعضاً و الراسخون في العلم يعرفونه بالهام الهى و تعريف نبوى .

قوله (واللاتي يأتين الفاحشة - الخ) قيل المراد بالفاحشة الزنا و قيل المساحقة و بالامساك منعهن عنها أو حبسهن في البيوت فجعلها سجنًا عليهن و لعل المضاف الى الموت محذوف أى ملك الموت والسبيل هو الجلد ولم يذكره استثناء بقوله و الزانية

مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر و
ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» .

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن
أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأئمة المؤمنين عليهم السلام : من
و الزاني فاجلدوا» .

قوله (ولا تأخذكم بهما رأفة) قال الفاضل الاردبيلي هي تدل على تحريم ترك
الحد أو البعض منه كماً أو كيفاً رحمة لهما بل مطلق الرحمة بأن يقال مسكين عذبه ، أو
حصل له عذاب كثير ونحو ذلك بالجملة الرحمة في دين الله أي طاعته و حكمه بخلاف مقتضاه
حرام بل يفهم أنها تسلب الايمان بالله واليوم الآخر يعني أن المؤمن بهما لا يفعل ذلك، و
في حضور طائفة عند إقامة الحد زيادة في التنكيل فان التفضيع ينكل أكثر ما ينكل
التعذيب، والطائفة قيل: أقلها ثلاثة وقيل: اثنان وقيل أربعة وقيل واحد و قيل جمع
يحصل به التشهير، (١)

(١) قوله ويحصل به التشهير، هذا الحديث بطوله رد على المرجئة وهم كانوا جماعة
في صدر الاسلام يرون أنه لا يضر مع الايمان شيء من عمل الجوارح كما مر مراراً فهم نظير
جماعة من عوام الشيعة يزعمون السعادة الآخرة تنحصر في ولاية أهل البيت عليهم السلام ولا
يضر مع ولايتهم ترك العبادات وارتكاب المناهي والقبايح ومثلهم جماعة من الزنادقة المنطاهرين
بالاسلام يطعمون أن يعدم المسلمون من جماعتهم ويصافوهم المودة ويعاونوهم في مقاصدهم
يقولون بأفواههم نحن مسلمون وان تركوا الصلاة والصوم و سائر ما جاء به النبي «ص» و
يستنهضون بأكثر أحكامه ويجدون في نقضها ونسخها وبيان الحجة التي أقامها الامام «ع» أنه لو
كان الايمان بالأعمال سبباً للنجاة في الآخرة لم يكن فائدة في تنابع الانبياء واحداً بعد واحد و
نسخ شريعة بأخرى وتعذيب من يبقى على الدين المنسوخ ولا يؤمن بالدين الناسخ فقد نسخ
المسيح «ع» سبب اليهود وبعض أحكامهم وعذب اليهود لعدم ايمانهم به مع أن جميعهم كانوا على
نفي الشرك ولم يكن الايمان بالنبي الامتدة للعمل بشريعته، و أيضاً ورد في آيات كثيرة
في السور المكية الاكتفاء بالايمان ونفي الشرك في النجاة ولكن في السور المدنية آيات
في مؤاخذه الناس في الآخرة بعمل الجوارح و ان لم يكونوا مشركين و هي ناسخة
للآيات المكية و صارت المنسوخة لأصحاب الارزاء من المتشابهات التي يتمسك بها
الذين في قلوبهم زيغ. (ش)

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ . قال : وسمعته يقول : كان عليٌّ عليه السلام يقول : لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام . قال : وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إن عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فهو مؤمن قال : فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم ! و ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن ، لأن الملائكة خدام المؤمنين وأن جوار الله للمؤمنين وأن الجنة للمؤمنين وأن الحور العين للمؤمنين ، ثم قال : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً ؟ .

قوله (قيل لامير المؤمنين دع ، من شهد أن لا إله إلا الله - الخ) هذا القول يحتمل أن يكون استنهاماً واخباراً . وقوله دع ، فأين فرائض الله يدل على أنها معتبرة في الإيمان و لكن بعد الهجرة و أما قبلها فلا ، كما مر .

قوله (لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل) أى لو كان الإيمان كلاماً لسانياً و هو الاقرار بالشهادتين أو قلبياً أيضاً و هو التصديق فإن الكلام يطلق على المقول أيضاً لم ينزل هذه الاحكام التى وقع الوعيد والتفليظ فيها و توجيه الشرطية ظاهر فان مناط الكرامة والثواب والملازمة والعقاب هو الايمان وعدمه هو فلو كان الايمان مجرد كلام لم ينزل هذه الاحكام فان قلت لعل الايمان وعدمه مناط لاصل الثواب والعقاب وتفاوت الدرجات والدركات لاجل تلك الاحكام فبتوجه المنع الى الشرطية قلنا المقصود أن الدرجات أيضاً للايمان فيتم الشرطية اذ حصلها أن الايمان موجب لاستحقاق الثواب والدرجات العالية فلو كان كلاماً فقط لم ينزل احكام والحاصل أن كلامنا في الايمان الكامل ، و ظاهر أنه ليس مجرد كلام بل الاعمال والاحكام معتبرة فيها .

قوله (فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم) التعذيب بالضرب والقطع و الاهانة بهما يدل على أن الزانى والسارق مثلاً ليسا بمؤمنين لان المؤمن عزيز لا يعذب ولا يهان . **قوله** (ثم قال فما بال من جحد الفرائض كان كافراً) لعل المراد أن جاحد الفرائض مثل الصلاة والزكاة والصوم وغيرها كافر عندهم أيضاً وما ذلك الا لانها معتبرة في الايمان و اذا كان كذلك كان تاركها أيضاً كافراً كما يدل عليه ما روى عن أبي عبد الله دع ، وأن الكفر كما يطلق على كفر الجحود كذلك يطلق على ترك ما أمر الله عز وجل به ، و ما روى عنه دع ، في تفسير قوله تعالى وانا هديناه السبيل اما شاكرأ و اما كفورأ ، قال اما دأخذ فهو شاكر و اما تارك فهو كافر ، والكفر بهذا المعنى ينافي الايمان الكامل دون ايمان التصديق و ما روى من أن المؤمن لا

٣- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن سلام الجعفي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى .

(باب)

في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال : حدثنا أبو عمرو الزبير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل الله شيئاً إلا به ، قلت : وما هو ؟ قال : الايمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة أشرفها منزلة وأسنها

يدخل النار يراد به المؤمن الكامل ثم المفهوم من هذا القول أن الفرائض معتبرة في الايمان الكامل ، وأما أنها من اجزائه أو شرائطه أو هي أيضاً ايمان فلا دلالة فيه على شيء من ذلك ولكن المشهور الاول وعليه روايات منها الروايات الاولى من هذا الباب والثاني محتمل والثالث مدلول ببعض الاخبار كما سيحى في الباب الاتي من تسمية الصلاة ايماناً .

قوله (فقال الايمان أن يطاع الله فلا يعصى) قد ذكرنا أن الايمان في عرف الائمة عليهم السلام هو الايمان الكامل الذي لا يستحق صاحبه الخزى والمخذلان وليس ذلك الا التصديق والطاعة لله تعالى في أوامره ونواهيه فكان ما عداه ليس بايمان حقيقة ، وليس المقصود نفى الايمان عن غيره (١) لان كثيراً من الايات والروايات دالة على أن التصديق ايمان .
قوله (باب في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن) كلها اللام صلة لمبثوث أو بمعنى في ظرف له ويؤيده وجود في بدلها في بعض النسخ وهو الاظهر .

(١) وليس المقصود نفى الايمان عن غيره ، أحاديث هذا الباب أيضاً رد على المرجئة يرون الفساق والمؤمنين سواء في الفضل عند الله ليصير موجباً لعدم تنفر الناس عن بني امية والاجتناب عن لعنهم والتبري منهم ولكن الايمان الظاهر من الفساق في مذهبنا لا يؤثر الا في بعض أحكام الدنيا وأما الفضل عند الله ومساواة المودة معهم وأحانتهم كسائر الصالحين فلا ولما كان هذا المذهب من الآراء غير المحمودة التي تنفر عنها عليها مفسد كثيرة في الامة بالغ الائمة عليهم السلام في نقضه وردء فانه يوجب جرأة الولاة على الشر والظلم واطمينانهم من مخالفة العامة وثورتهم و يوهن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم حرمة للصلحاء في الجامعة الانسانية وعدم رغبة الناس في التشبه بهم وأيضاً ان كان الصالح والطالح سواء في الحرمة والفضل بطل مكارم الاخلاق وراجت الهمجية . (ث)

حفظاً . قال : قلت : ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل ؟ أم قول بلا عمل ؟ فقال :
الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله بين في كتابه ، واضح

قوله (الإيمان بالله) أراد به الإيمان بالله وبالرسالة والولاية لأن كل واحد منها بدون الآخر ليس بإيمان ولا فضل له فضلاً عن أن يكون أفضل وأشار بقوله الذي لا اله الا هو الى أن الإيمان به مع الشرك ليس بإيمان و بقوله أعلى الاعمال درجة الى أنه عمل وسيصرح به و كون درجته أعلى باعتبار أنه أعظم الاعمال و علو درجة كل بقدر عظمتة لكون منزلته أشرف لتوقف قبول سائر الاعمال و سحتها عليه وكون حفظه ونصيبه أسنى و أرفع باعتبار أن ثوابه و جزاءه أكمل وأجزل .

قوله (قلت ألا تخبرني عن الإيمان) لما كان الجواب المذكور مجعلاً لم يعرف منه حقيقة الإيمان سأل السائل عنها وكأنه أراد بالقول المركب المعقول والملفوظ أعني الاقرار باطناً بالتصديق و ظاهراً باللسان وبالعقل عمل سائر الجوارح اذ القول بأن الإيمان محض الاقرار باللسان بعيد لا يحمل كلام السائل عليه فأجاب وع ، بأن الإيمان عمل كله أي كل أفراد على ما هو ظاهر من التفصيل الاتي مثل قوله تعالى وقال الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم ، أو كل أجزاءه على أن يكون الإيمان مركباً من الجميع والحق أن الإيمان الكامل مركب من الجميع وأن كل واحد أيضاً يسمى إيماناً لأن انقياد كل عضو و اطاعته فيما أمر به إيمان كما سيجيء فعلى كل عضو إيمان ، ومجموع الاعمال المختلفة من حيث المجموع أيضاً إيمان ويعبر عنه بالإيمان الكامل وهو الذي ينجي صاحبه عن الخزي والعقاب فقوله وع ، والقول بعض ذلك العمل ، معناه على الاول أنه بعض أفراد ذلك العمل الذي هو الإيمان وعلى الآخر أنه بعض أجزاءه فليتنامل .

قوله (بفرض من الله) الفرض متعلق بقوله والإيمان عمل كله ، أو بقوله والقول بعض ذلك العمل ، أو بهما وبين ، بالتنوين ووه واضح ، وسفان لفرض والضمير في نوره و حجته راجع اليه ، والمراد بالنور العلم ، وإضافته باعتبار تعلقه به أو المراد به الدليل سمي به لانه يوصل الى المطلوب كالنور والاول أولى لان هذا المعنى يفهم من قوله ثابتة حجته والتأسيس خير من التأكيد والظاهر أن يشهد و يدعو حاله من فرض وأن ضمير له واليه راجع الى الله تعالى وضمير به والباد في يدعو للفرض [ودعوة الفرض] اليه سبحانه نسبته اليه وبيانه أنه منه ، ويحتمل أن يكون حالاً عن الإيمان وأن يكون ضمير له و يدعو راجعاً اليه وضمير به واليه للعقل أي يشهد الكتاب للإيمان بانه عمل ، هذا الذي ذكرناه من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة كلام وليه .

نوره ، ثابتة حجته ، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه ، قال : قلت : صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه ، قال : الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمنه التام المنتهى تمامه و منه الناقص البين نقصانه و منه الرجحان رجحانه ، قلت : إن الايمان ليتم و ينقص و يزيد ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأن الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسمه عليها و فرقته فيها ،

قوله (الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل) اشارة الى أن للايمان مراتب متكثرة و هي حالات للانسان باعتبار قيامها به و درجات باعتبار ترقيه من بعضها الى بعض و منه يظهر سر ماروى من أن الايمان بعضه من بعض ، و طبقات باعتبار تفاوت مراتبها في نفسها و كون بعضها فوق بعض و منازل باعتبار أن الانسان ينزل فيها و يأوى اليها فمنه التام المنتهى تمامه كايان الانبياء و الاوصياء و منه الناقص البين نقصانه و هو أدنى المراتب الذى دونه الكفر و منه الرجحان الزائد رجحانه و هو على مراتب غير محصورة باعتبار التفاوت فى الكمية و الكيفية و الى هذه الاقسام أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله و فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً فى القلوب و منه ما يكون عوارى بين القلوب و الصدور الى أجل معلوم ، قسم الايمان الى قسمين لان الايمان ان بلغ حد الكمال فهو القسم الاول و الا فهو القسم الثانى ، و استعار له لفظ المواري باعتبار كونه فى معرض الزوال كالمواري و كنى بكونه بين القلوب و الصدور عن كونه متردداً غير مستقر و لا متمكن فى جوهر النفس ، و القسمان الاخيران هنا أعنى الناقص و الرجحان داخلان فى المواري . والله هو الموفق للمهداية و منه البداية و النهاية .

قوله (قلت ان الايمان ليتم و ينقص و يزيد) لوجه لسؤاله بعد ما عرف أن للايمان درجات و أنه عمل اذ لا ريب فى أن العمل يقبل الزيادة و النقصان و كأنه طلب لزيادة التقرير و التوضيح ليعرف حقيقة الحال أو ظن أن المراد بالعمل عمل مخصوص ان نقص اتقى الايمان وان زاد لم يكن للزيادة مدخل فيه ، فأجاب (ع) بقوله نعم تصديقاً لذلك و تصريحاً بأن جنس الاعمال أنواعه متكثرة يزداد الايمان باعتبارها و ينقص ، قال المحقق الطوسى ، الايمان فى اللغة التصديق و فى العرف التصديق المخصوص وهو التصديق بالله و برسوله و بما ثبت أنه جاء به الرسول و هذا القدر من الايمان لا يقبل الزيادة و النقصان اذ الانقص منه ليس بايمان و الزائد لا مدخل له فيه بل فى كماله ، و من علاماته الاتيان بالصالحات و ترك المنهيات و بهذا الاعتبار يتحقق فيه الزيادة و النقصان .

قوله (و قسمه عليها و فرقته فيها) هذه القسمة اما قسمة الكل على جزئياته أو قسمة الكل على

فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطن بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباء من قبله ، ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه ، فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ، بفرض من الله تبارك اسمه ، ينطق به الكتاب لها ويشهده عليها ففرض على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على

أجزائه والاول قريب من الشكر بالمعنى اللغوي، الثاني من الشكر بالمعنى العرفي.
قوله (فمنها قلبه الذي به يعقل الخ) المراد بالقلب الروح والعقل والنفس الناطقة بالاعتبارات وقد يطلق على القوة المميزة (١) بين الحق والباطل وهو أمير البدن و حاكم على جوارحه وحواصه فاذا رجعت الجوارح الى أمره ورأيه وتديره في أفعالها حصلت السياسة البدنية وتحققت ملكة المدالة وانتظمت الامور وان خالفته فسد النظام وذاع الشرور واستولى المرض عليها حتى يزول عنها استعداد الخير بالمرة.
قوله (و فرجه الذي الباء من قبله) بكسر القاف أى من عنده . و الباء : جماع كردن .

قوله (ينطق به الكتاب لها ويشهده عليها) الضمير في به في الموضعين للإيمان أو للفرض وفي لها وعليها للجارحة .

(١) وعلى القوة المميزة، و يقال لها في اصطلاح الحكماء العقل العملى و ليس الا خاصة من خواص النفس الناطقة كالعقل النظري و بالجملة للنفس قوتان نظرية بها يدرك حقائق الكلمات على ما هي عليه بدير آلة والجزئيات بتوسط الالة و قوة عملية يدرك بها حسن بعض الافعال وقبح بعضها و قالوا تسرع السبى الى ادراك قباحة بعض الامور ككشف المودة دليل على قوة النفس النطقية بخلاف الذى لا يدرك الا متأخراً والحيوان غير الناطق لا يدرك قبح شيء او حسنه، والدليل على أن العقل النظري غير العملى عدم اختلاف الامم في الاوليات النظرية كالكل لأعظم من الجزء والاثنان نصف الاربعة و اختلافهم في أوليات القوة العملية كقبح ذبح الحيوانات عند أهل الهند وحسن شرب الخمر عند النصارى. (ش)

الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ،
فأما ما فرض على القلب من الايمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنّ محمداً

قوله (فأما ما فرض على القلب من الايمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم
بأن لا إله إلا الله) لعل المراد بالإقرار بالإقرار بما جاء به الرسول باطنياً بالقلب لا ظاهراً
باللسان لان المفروض أنه من فعل القلب ، و بالمعرفة التصديق بالتوحيد والرسالة ، وبالعقد
رسوخ ذلك التصديق وثبوته أو العطف للتفسير ، و بالرضا الرضا بقضاء الله وهو من ثمرة
المحبة فان من أحب الله لا ينكر ما صدر منه ويكون راضياً به وان كان بشعاً مراً مخالفاً لطبيعته ،
ويكون الموت والحياة والفناء والبقاء والفقر والغنى واقبال الدنيا و ادبارها عنده سواء لا
يرجح أحدهما على الآخر لصدوره من المحبوب وكل ما صدر من المحبوب فهو محبوب ،
والتسليم فوق الرضا لان العبد في مقام الرضا يرى نفسه ويمد كل فعله عز شأنه موافقاً لطبيعته ،
في مرتبة التسليم يسلم نفسه وطبيعته وما يوافقها ويخالفها اليه ومن ههنا يظهر أن الايمان
القلبي يتفاوت قوة وضعفاً (١) على مراتب متكررة و ان أدناها أصل المعرفة لان ذواله يوجب
الدخول في الكفر بخلاف البواقي فان ذوالها يوجب ذوال الكمال وربما يشمر به ما نقلناه
عن المحقق سابقاً و الظاهر أن قوله بأن لا إله إلا الله - الى آخره متعلق بالإقرار والمعرفة و
المقدون قوله والإقرار بما جاء من عند الله ، معطوف على أن لا إله إلا الله فيكون الاولان بياناً
للاخيرين والاخير بياناً للاول .

(١) قوله ويتفاوت قوة وضعفاً يوصف الايمان بالقوة والضعف والقلة والكثرة باعتبار
ما يؤمن به لا باعتبار نفس معناه المصدرى كما أن العلم يوصف بالقلة والكثرة باعتبار المعلوم
ولكن الظن يوصف بالشدة والضعف باعتبار نفس معناه المصدرى والفرق أن الظن يجتمع
مع تجويز النقيض وهو قريب وبميد بخلاف العلم والايمان فانهما الاعتقاد بالشئ مسع عدم
تجويز الخلاف أصلاً ، ولا يتصور فيه تفاوت أصلاً والفرض من هذه الاحاديث كما قلنا الرد
على المرجئة حيث كان مذهبهم التقريب والمصافاة بين فساق بنى امية والمتدينين من رعاياهم
عكس مذهب الخوارج حيث كانوا على تشديد العداوة و اثاره البغضاء ليسهل عليهم الخروج
على الولاة وتوهين ملك بنى امية بتكفيرهم وكان ضرر المرجئة أشد ولذلك قال أمير المؤمنين
« دع لا تقتاتلوا بمدى الخوارج فانه ليس من طلب الحق فأخطأ (يشير الى الخوارج) كمن
طلب الباطل فأصاب (اشارة الى بنى امية) . (ش)

عبدہ ورسولہ صلوات اللہ علیہ وآلہ والایقرار بما جاء من عند اللہ من نبی أو کتاب فذلک ما فرض اللہ علی القلب من الإقرار والمعرفة و هو عمله و هو قول اللہ عز وجل « إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً » و قال : « ألا بذكر اللہ تطمئن القلوب » و قال : « الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » و قال : « إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللہ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » فلذلک ما فرض اللہ عز وجل علی القلب من الإقرار والمعرفة و هو رأس الإيمان، و فرض اللہ علی اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد علیہ و أقر به، قال اللہ تبارک و تعالی « و قولوا للناس حسناً » و قال : « قولوا آمنا باللہ

قوله (و قلبه مطمئن بالإيمان) حال مؤكدة لان الاكراه لا ينفك عنه غالباً و دليل على أن الإيمان من الفروض القلبية وعلى أن لا يزول بالاكراه و اظهار نقيضه باللسان عند النقية وعلى أن الاقرار باللسان وغيره من الاعمال بدونہ ليس بإيمان.

قوله (وقال ان تبدوا) أى ان تبدوا ما في أنفسكم من الإيمان والكفر والكبر و العجب و غيرها من المماسى القلبية أو تخفوها بحاسبكم به اللہ فيغفر لمن يشاء بالفضل اذا كان من أهله و يعذب من يشاء بالعدل اذا كان من أهلہ و هذه الآية دلت بمومها على المؤاخذه والتعذيب بنية المماسى والمخاطرات النفسية و يمكن تخصيصها بالمعقيدات القلبية والخبائث النفسية مثل الإيمان والكفر والكبر والعجب و أمثالها لما يظهر من ظاهرا استشهاد المصوم هنا ولدلالة الاخبار الكثيرة الاتية في أبوابها على عدم المؤاخذه بالنية والمخاطرات و لقوله تعالى ولا يكلف اللہ نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فان ذكر الاكتساب في طرف المعصية دليل على أنه لا يمتنب بها الا بعد المبالغة في الكسب، والمبالغة لا يتحقق الا بعد ايجاد المنوى والاتيان بها بخلاف الطاعة فانه يثاب بها لاصل الكسب و هو يتحقق بالنية فيثاب بها كما يثاب بفعل المنوى، وقيل ان نية المعصية معصية يفتضى العقوبة ولكنه تعالى يعفو عن المؤمنين و يكون المراد بقوله فيغفر لمن يشاء المؤمنون واللہ أعلم.

قوله (وفرض اللہ على اللسان القول والتعبير عن القلب) دل على وجوب الاقرار باللسان بالاعتقادات مثل الإيمان وغيره، ولا يدل على اشتراط قبول الإيمان القلبي به كما ظن نم بشرط عدم الانكار باللسان لقوله تعالى « و جحدوا بها و استيقنوها أنفسهم » وينبى أن يراد بالقول الواجب مطلقاً مثل أداء الشهادات والاقرار بحقوق الناس و اظهار المعقيدات القلبية والقول الحسن للناس مثل تعليم العلوم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و أمثال ذلك حينئذ ذكر التعبير بعده من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام، و

و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم وإلينا وإلهمم واحد و نحن له مسلمون « فهذا ما فرض الله على اللسان و هو عمله، و فرض على السمع أن ينتزه عن الاستماع إلى ما حرم الله و أن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والاصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل فقال في ذلك: «وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال : « وإما ينسيتك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ». فقال : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيشبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » وقال عز وجل :

من ههنا ظهر أن عطف التعبير على القول ليس للتفسير، و حمله على التفسير مع أنه خلاف الظاهر محل لوجهين: الأول أن الفروض اللسانية غير منحصرة في التعبير بل هي أكثر من أن تحصى، والثاني لا يناسب قوله «ع» استشهاده له قال الله تبارك اسمه «و قولوا للناس حسناً» إذ لا يدخل له في التعبير عن القلب بخلاف ما قلنا فإن هذا شاهد للقول و ما بعده شاهد للتعبير، وينبغي أيضاً أن يراد بالاقصراد في قوله «وأقر به» الاقرار القلبي لا سنده إلى القلب و هو ظاهر .

قوله (و فرض على السمع أن ينتزه عن الاستماع إلى ما حرم الله) يندرج فيه جميع المحرمات السمعية مثل الفناء والنية و صوت الأجنبية والمزامير ونحوها و كسالم الكذب وذم الأئمة عليهم السلام، و انكار حقوقهم واستهزاء المؤمنين وغيرها.

قوله (فقال في ذلك وقد نزل عليكم في الكتاب) ذلك إشارة إلى النهي عن استماع ما حرم الله والاصغاء إلى ما أسخط الله، والمراد بالآيات الأئمة عليهم السلام أو الأعم يعني إذا سمعتم الرجل يجحد الحق و يكذب به و يقع في الأئمة و يستهزئ بهم فقوموا من عنده ولا تقاعدوا ولا تجالسوه حتى يخوض و يشرع في حديث غيره فحينئذ يجوز مجالسته لإرشاده و غيره مما يجوز الجلوس معه ثم استثنى موضع النسيان إذ لا يكلف معه فقال «إما ينسيتك الشيطان» حرمة المجالسة فلا تقعد بعد الذكرى، للحرمة ومع القوم الظالمين، وهم المذكورون، والاعطاف في مقام الاضمار للتنصيص على ظلمهم و للتصريح بملة الحرمة.

قوله (فبشر عباد الذين) الاضافة للتشريف والاشمار بأنهم هم المستحقون بأن يسموا عباداً و أحسن القول ما فيه رضاء الله تعالى أو رضاء أكثر، وما هو أشد على النفس وأشق، هذه كلمة جامعة يندرج فيها القول في اصول الدين و فروعه والاصلاح بسين الناس، و روي أن المراد به نقل الحديث باللفظ من غير زيادة ونقصان والتعميم أحسن .

«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكوة فاعلون » وقال : « إذا سمعوا اللغو ، أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم » وقال : « وإذا مروا باللغو مروا كراماً » فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصفى إلى ما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان ، وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه ، مما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان ، فقال تبارك وتعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم و أن ينظر

قوله (و الذين هم عن اللغو معرضون) اللغو الفحش و ما لا خير فيه من الكلام و يكفي في الاستشهاد كون بعض أفراد حراماً والأعراض عنه واجب مثل الفناء والدف والصنج والعلبل والطنبور والاكاذيب وغيرها .

قوله (و اذا مروا باللغو مروا كراماً) أي مكرمين أنفسهم من استماع اللغو والكريم من الناس الشريف الذي يثبأ من أمثال الأمور المذكورة .

قوله (فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصفى إلى ما لا يحل) هذا اشارة إلى المذكور من الواجبات والمحرمات ، و الظاهر أن « من الإيمان » مبتدأ و « أن لا يصفى » خبره ، و اكتفى بذكر عدم الاسفاء إلى ما لا يحل عن ذكر الاسفاء إلى ما يجب . ولو جعل « من » بياناً لما بقى أن لا يصفى منفصلاً ولا محل له من الأعراب إلا أن يجعل بدلاً لما و هو بعيد .

قوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) قال في مجمع البيان « يغضوا » مجزوم لانه جواب شرط مقدر تقديره قل للمؤمنين غضوا فانك ان تغضوا فإذن يغضوا و يجوز أن يكون مجزوماً على تقدير ليفضوا ، وقيل خبر بمعنى الامر والاوسط أوسط عند الفاضل الاردبيلى حيث قال ولعل اللام مقدر والتقدير ليفضوا ثم ذكر الاول ورده من غير وجه وجبه ولم يذكر الثالث ، وقال صاحب الكشاف « من » للتبعية والمراد غض البصر عما يحرم . و الاقتصار على ما يحل وهو منزه سبويه ، وجوز الاخفش أن يكون زايدة وبعض أصحابنا رد الاخير لضعف زيادة من في الاثبات الاشارة ورجح الاول لانه لا يجب الغض من جميع المحرمات لجواز النظر إلى شعور المحرمات و أبدانها عدا العورة وإلى وجوه الاجنبيات وكفيها وقدميها في إحدى الرايتين أوفى حال الضرورة كالنظر للعلاج أو تحمل الشهادة أو اقامتها إلى المخطوبة مع امكان النكاح وبدونه إلى وجوه الاماء المستعرضات للبيع ، والفاضل الاردبيلى رجح الثاني

المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال: « وقل للمؤمنات يفضن
من أبصارهن » و يحفظن فروجهن « من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها و تحفظ فرجها
من أن ينظر إليها. و قال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى
إلا هذه الآية فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر

ورداً لاول بأن التبعيض يفيد غرض بعض البصر دون البعض لا بعض المبصر وهو المطلوب و
المعقول كما يفهم من قوله والمراد إلى آخره، أقول يمكن أن يراد بالتبعيض غرض
بعض البصر بأرخائه في الجملة بحيث لا يرى المحرم لا تطيقه رأساً و يراد به على أي تقدير
ترك النظر إلى ما لا يحل .

قوله (فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم) دل على أن الأمر بالشئ نهى عن ضده
أي نهاهم أن ينظر كل واحد إلى عورة غيره، ذكرأ كان أم أنثى، قبل كان أم دبراً، وأن ينظر
المرء إلى فرج أخيه وكذا فرج أخته والمطوف للتفسير ويمكن أن يراد بغض البصر ترك
النظر إلى كل ما لا يحل والمذكور أكمل أفراداً و هذا ناظر إلى قوله وينضوا من أبصارهم،
وتفسير له وقوله و يحفظ فرجه ناظر إلى قوله تعالى و يحفظوا فروجهم، وتفسير له والظاهر
أن عطف يحفظ على ينظر غير صحيح لعدم اندراج تحت النهي، و كأنه عطف على نهاهم
باضمار فعل أي وأمره أن يحفظ فرجه فليبتأمل.

قوله (من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها) «من»
متعلق بينضن و يحفظن أو بفعل مقدر بقرينة السابق أي نهاهن من أن تنظر وهذا ناظر إلى
ينضن و تفسير له، وقوله وتحفظ فرجها ناظر إلى يحفظن و تفسير له ولا يبعد تعميم النض
ليشمل كل ما لا يحل لهن النظر إليه والمذكور بعض أفراد و تخصيص الحفظ بما ذكره لأن
التوافق بين القرينتين، وهذه الرواية وغيرها يدل على المذكور.

قوله (فإنها من النظر) لما كان النظر إلى العورة مع قبحة مثيراً للشهوة و السفاد
غالباً حرم النظر إليها وأوجب حفظها عنه دفعاً للفساد.

قوله (ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى) فيه أن
الفروض القلبية واللسانية غير مندرجة في الآية الأولى والفروض اللسانية في الآية الثانية و
يمكن أن يقال يفهم ذلك من قوله يستترون أن يشهد عليكم، ومن قوله ولا تقف ما ليس
لك به علم، فإن استتار الشيء عبارة عن إضماره في القلب و عدم إظهاره باللسان
و عدم متسابعة غير المعلوم عبارة عن عدم التصديق به و عدم إظهار العلم به باللسان
والله أعلم .

في آية أخرى فقال: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود: الفروج والافخاذ. وقال: «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» فهذا ما فرض الله على العينين من غض البصر عما حرم الله عز وجل وهو عملهما وهو من الإيمان. وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهد في سبيل الله والطهور للصلاة، فقال: «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» وقال: «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامسا متنا

قوله (وما كنتم تستترون) قبل كنتم تستترون القبايح عند فعلكم أياها وما كنتم عالمين ولا ظانين بشهادة الجوارح على أنفسها فبدل على أنهم مكلفون بالفروج ولولا لم يشهد على أنفسها وقبل لعل المراد بها أنكم ما كنتم لتستثروا وتدفعوا شهادتها على أنفسها بعدم فعل القبايح أو في القيامة بأن لا تشهد على أنفسها.

قوله (يعني بالجلود الفروج والافخاذ) قيل هذا التفسير يدل على أن الافخاذ عورة يحرم النظر إليها كما هو مذهب بعض وأن الفروج والافخاذ تشهد على فعلها وهو الزنا واللواط واللمس.

قوله (ان السمع والبصر والفؤاد) قد فرض الله تعالى على هذه الاعضاء فرائض يحتج بها عليك ويسألك عن كل واحد يوم القيامة فيما صرفته أصرفته فيما خلق لاجله أو في غيره، فوجب أن لا تستعمله في محرم لأنه يشهد عليك وعلى نفسه بما فعل من خير أو شر.

قوله (الى ما حرم الله) مثل القتل والضرب والنهب والسرقة وكتابة الكذب والظلم ونحوها.

قوله (وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم) اذ إيصال الصدقة إلى الفقراء وإيصال الخير إلى الأقرباء والضرب والبطش والشدة في الجهاد والطهور للصلوة بغسل اليدين ومسح الرأس والرجلين من فروض اليد واستشهد للطهور والجهاد بالآيتين ويفهم منه وجوب استعمال اليد في غسل الوجه وهو ما لانه الفرد الغالب أو لان فرد الواجب التخييري أيضا واجب وان كان التخصيص ببعض الافراد مستحبا.

بعد و إما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها، فهذا ما فرض الله على اليدين لأنَّ الضرب من علاجهما. و فرض على الرجلين أن لايمشي بهما إلى شيء من معاصي الله و فرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عزَّ وجلَّ فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» وقال: «واقصد في مشيك و اغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» وقال: فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزَّ وجلَّ به و فرضه عليهما: «اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» فهذا أيضاً ممَّا فرض الله على اليدين و على الرجلين و هو عملهما وهو من الايمان و فرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون» فهذه

قوله (فرض الرقاب) ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق و أصله فاضربوا الرقاب ضرباً حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و اضيف إلى المفعول ، والاثنان اثنان القتل أو الجراح بحيث لا يقدر على النهوض ، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به وشده كناية عن الاسر، ومنأ وفداء مفعول مطلق لفعل محذوف أي فاما تمنون منأ و اما تفدون فداء و أوزار الحرب آلاتها مثل السيف والسنان و غيرها والمروى و مذهب الاصحاب أن الاسير ان أخذ والحرب قائمة تعين قتله اما بضرب عنقه أو بقطع يده ورجله من خلاف، وتركه حتى ينزف و يموت وان أخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المن والفداء والاسترقاق ولا يجوز القتل، والاسترقاق علم من السنة.

قوله (و فرض عليهما المشي الى ما يرضى الله عز وجل) مثل الحج والجهاد والزيارات وقضاء حوائج المؤمنين والذهاب الى الصلاة والقيام فيها و نحوها.

قوله (اليوم نختم على أفواههم) قبل هذا ينافي ما روى أن الناس في ذلك اليوم يحتاجون لانفسهم و يسمى كل منهم في فكاه رقبته كما قال سبحانه : يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، والله سبحانه يلقي من يشاء حجته و يرشد اليه أيضاً ما روى في دعاء الوضوء اللهم لقني حجتى يوم ألقاك. واجيب بأن الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين أو أن الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما في بعض الروايات ، وبالجملة المعلوم أن الختم يقع في ذلك اليوم فيجوز أن يقع الختم في مقام و يقع المجادلة في مقام آخر .

فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين ، و قال : في موضع آخر : «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» و قال فيما فرض على الجوارح من الطهور و

قوله (فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين) أي الركوع والسجود والعبادة و فعل الخير فريضة على الاعضاء المذكورة غير مختصة بأحدها أما الركوع فلان للوجه فيه نصيباً من الفرض و هو الانحناء و للرجلين كذلك وهو القيام ، ولليدين كذلك وهو وسولهما الى الركبتين هذا في الفرائض ، وأما أفعالها المندوبة فكثيرة تعرف بالنظر في كتب الفروع ، و أما السجود ففرض الرجل وضع الركبتين والابهامين على الارض ، و فرض الوجه السجود على التراب ونحوه . و فرض اليدين وضع الكفين على الارض . و أما العبادة و فعل الخير فظاهر اذ لكل عضو من الاعضاء فيهما نصيب من الفرض ولعل الترجي للتحقيق لان حقيقته عليه عز شأنه محال ، و انما جرى به لئلا يفتر العابد بفعله .

قوله (و قال في موضع آخر و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) أي المساجد السبعة وهي الاعضاء المشهورة أعني الجبهة والكفين والركبتين والابهامين لله أي خلقت لان يعبد بها الله فلا تشركوا معه غيره في سجودكم عليها و هذا التفسير هو المشهور بين المفسرين والمذكور في حديث حماد عن أبي عبد الله (ع) والمروزي عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام حين سأله المعتصم عن هذه الآية ، و به قال سعيد بن جبير والزجاج والقراء و يؤيده قول النبي (ص) وامرت أن أسجد على سبعة أرباب ، أي أعضاء و على هذا لا عبرة بقول من قال المراد بها المساجد المعروفة . ولا يقول من قال هي بقاع الارض كلها متمسكاً بقوله (ص) جعلت الارض مسجداً ولا يقول من قال : هي المسجد الحرام ، والجمع باعتبار أنه قبلة لجميع المساجد ولا يقول من قال هي السجودات جمع مسجد بالفتح مصدراً أي السجودات لله فلا يفعل لغيره لان المصومين أولى بمعرفة منازل القرآن و مراده من غيرهم نعم حمل الآية على الاعم و جعل المذكور هنا أظهر أفراد و أكملها ممكن .

قوله (و قال فيما فرض الخ) كان المراد وقال هذه الآية يعني أن المساجد لله فيما فرض الله على الجوارح السبعة من الطهور والصلاة بها فهذه أيضاً فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين كالسابقة ، ولعل ذلك في قوله وذلك أن الله عز وجل الخ ، اشارة الى كون القرآن دليلاً على بث الايمان على الجوارح ، وتفصيل القول فيه أن الايات المذكورة انما دلت على أنه تعالى فرض على كل جارحة شيئاً غير ما فرضه على الاخرى ، ولم يثبت بهذا القدر من جهة القرآن ما ذكره أولاً من أنه تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فأشار هنا الى اثبات ذلك بالقرآن وحاصله أن الآية وهي قوله عز وجل «وما كان الله لبيضيع

الصلاة بها و ذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه ﷺ إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل : « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم » فسمي الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز وجل حافظاً لجوارحه موفياً كل جاحقه من جوارحه ما فرض الله عز وجل عليها لقي الله عز وجل مستكملاً لإيمانه و هو من أهل الجنة و من خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله عز وجل فيها لقي الله عز وجل ناقص الإيمان، قلت: قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عز وجل: « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيتكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون به وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم » و قال : « و نحن نقص عليك نبأهم بالحق » إنهم فتية

إيمانكم ، دلت على أن الصلاة إيمان ولا ريب في أن الصلاة مركبة من أفعال جميع الجوارح فقد ثبت أن الإيمان مركب منها هذا ما خطر بالبال على سبيل الاحتمال والله أعلم.
قوله (و هو من أهل الجنة) كامل الإيمان من أهل الجنة قطعاً و ناقص الإيمان قد يدخل النار و هذا أحد وجوه الجمع بين ما دل على أن المؤمن لا يدخل النار و ما دل على أنه يدخلها.

قوله (ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله) الظاهر أن الخيانة فعل المنهيات، والتعدى ترك المأمورات.

قوله (قلت قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه فمن أين جاءت زيادته) لما ذكره ع، أولان الإيمان مفروض على الجوارح وأنه يزيد و ينقص، وعلم السائل الأول سريحا من الايات المذكورة والثاني ضمناً أو التزاماً منها للعلم الضروري بأن العمل يزيد و ينقص سأل من الايات الدالة على الثاني سريحا أو قصده من السؤال اني قد فهمت مما ذكر نقصان الإيمان العملي وتمامه باعتبار أن العمل يزيد و ينقص فمن أين جاءت زيادة الإيمان التصديقي وأية آية تدل عليها، وفيه حينئذ استخدام إذ أراد بلفظ الإيمان الإيمان العملي و بضميره الإيمان التصديقي والاستخدام شائع عند البلغاء، وعلى التقديرين لا يرد أنه اذا علم نقصان الإيمان وتمامه فقد علم زيادته لان في التام زيادة ليست في الناقص.

قوله (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) دل على أن الإيمان سبب للإيمان يعني أن الدرجة التحنانية منه سبب لحصول الدرجة الفوقانية ، و كذلك الكفر و من ثم قبل الخير والشر يسريان.

آمنوا برّبهم و زدناهم هدى ، ولو كان كله واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولاستوت النعم فيه ولاستوى الناس وبطل التفضيل و لكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة و بالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله و بالنقصان دخل المفرطون النار .

٢- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، جميعاً ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن

قوله (وزدناهم هدى) المراد به الهداية الخاصة المخصصة بالاولياء وهى بصيرةقلبية زائدة على أصل التصديق (١) بها يتزايد ويرتقى الى مرتبة عين اليقين .

قوله (ولو كان كله واحداً) أى لو كان كل الايمان واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر لان الفضل انما هو بالايمان فلافضل مع مساواتهم فيه ، و لاستوت النعم فى الايمان مثل الهدايات الخاصة والالطاف والتوفيقات وغيرها ، ولاستوى الناس فى الدخول فى الجنة لاستوائهم فى الايمان الموجب لدخولها ، و بطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات واللوازم كلها باطلة بالسنة والآيات ولكن بتمام الايمان باعتبار أصل التصديق والعمل بالواجبات وترك المنهيات دخل المؤمنون المتصفون به الجنة و بالزيادة فى الايمان لذلك مع العمل بالاعمال المندوبة والاداب المرغوبة و الاخلاق المطلوبة تفاضل المؤمنون المتصفون بها بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة عند الله تعالى و بالنقصان فى التصديق لعدم تمكنه واستقراره فى القلب أو فى التقدير فى الاعمال الواجبة بترك الواجبات و فسل المنهيات دخل المفرطون فى النار وقد ظهر من ذلك أن المدعين للإيمان ثلاثة أقسام تام و زايد و ناقص وقد علم حكم كل واحد منها والله هو الموفق .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد) الظاهر أن لفظة عن أبيه

(١) قوله «زائدة على أصل التصديق» وأصل التصديق غير قابل للزيادة والنقصان كما قلنا وإنما التشكيك فى اخضاع سائر القوى و ادراك سائر المدارك فان الذى يبصر شيئاً و يسمع صوته ويلمس سطحه ويذوق طعمه غير من يسمع صوته فقط و الذى يعتقد بوجود شيء لرؤية آثاره غير من يراه نفسه والمؤمن بالله متيقن بوجوده قطعاً لا ظناً فقد يكون له دليل واحد وقد يكون له أدلة كثيرة بمنزلة من يشاهده و يتأثر بالايمان جميع قواه و بذلك يتفاوت درجاتهم . (ش)

عمران الحلبي، عن عبيد الله بن الحسن بن هارون قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسئولا » قال : يسأل السمع عما سمع والبصر عما نظر إليه والفؤاد عما عقد عليه.

٣ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الايمان فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : العمل من الايمان ؟ قال : نعم الايمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلا بعمل.

أو جميعاً زائدة بل لا محصل له لان البرقي ليس الا محمد بن خالد ولا معنى لرواية البرقي عن البرقي وقد يقال المراد بالبرقي خالد لان البرقي لقب لهذه القبيلة أو نسبة الى مسكنهم . قوله (فقال شهادة أن لا إله إلا الله) كأنها كناية عن الشهادتين والمراد بها الإقرار باللساني وبما بعدها الإقرار القلبي وفيه دلالة على أن الايمان مركب من الشهادة والتصديق ، وهذا نوع من الايمان الكامل و ساء بعض المحققين بايمان الصديقين أن كان مع الشهادة خلوا النفس عن غيره تعالى و تنزهها عن هواها فان لا إله الا الله دل على التوحيد و هو انما يتحقق في نفس الامر بالثبوت عن الشرك الجلي والخبى ، وانما قلنا هذا نوع من الايمان الكامل لان له أنواعاً آخر منها مركب من التصديق وتخلية النفس عن الرذائل و تحليتها بالفضائل ومنها مركب من التصديق أو أعمال الجوارح ، ومنها مركب من الجميع وهذا أفضل الأنواع.

قوله (قال نعم الايمان لا يكون الا بعمل) لعل المراد أن الايمان لا يوجد أو لا يكون إيماناً الا بعمل ، والعمل بعض منه ولا يثبت الايمان في نفس الامر الا بعمل كما أن الكل لا يوجد الا بجزء ولا يكون كلاً الا بجزء والجزء بعض منه ولا يثبت الكل في نفس الامر الا بجزء فيفيد أن الايمان مركب والعمل بعض أجزائه وهو الايمان الكامل أو المراد أن الايمان وهو التصديق لا يكون الا مقروناً بالعمل والعمل من شيم أهل الايمان ومحاسنه التي تقتضى الايمان الاتيان بها ولا يثبت الايمان عندنا أو لا يستقر في نفس الامر الا بعمل لان التصديق أمر قلبي لا يثبت الا بدليل وهو العمل أو لا يستقر الا به ، فلا يفيد أنه مركب ، والاول أنسب بظاهر صدر الحديث وعلى التقديرين لا يرد أن أول هذا الكلام يدل على أن العمل جزء من الايمان و ظاهر آخره على أنه خارج منه دليل عليه على أنه لو حمل على هذا لا يمكن أن يقال ان المراد شرح اصول الكافي - ٧ -

٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الاسلام ؟ فقال : دين الله اسمه الاسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا ، فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن .

بالإيمان الاول الإيمان الكامل ، وبالتالي التصديق فيكون المقصود أن الإيمان مطلقاً لا يتحقق ولا يعلم الا بالعمل والله أعلم ،

قوله : (قال قلت له ما الاسلام ؟ قال دين الله اسمه الاسلام) كما قال تعالى وان الدين عند الله الاسلام ، وقال ومن يبتغ غير الاسلام ديناً ، وهو دين الله قبل أن تكونوا وتوجدوا على هذا المكان المخصوص حيث كنتم في الاظلة أو في العلم الاذلي وبعد أن تكونوا فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل مع ذلك بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن ، لا يقال الظاهر ان ما هنا سؤال عن الحقيقة لا عن الحكم . فقوله فمن أقر بدين الله فهو مسلم حيث وقع جواباً عن السؤال المذكور وجب أن يكون جداً لان المقول في جوابه هو الحد فيلزم أن يكون الاسلام مجرد الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وان لم يكن معه تصديق وليس الامر كذلك لقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً ، والله سبحانه لا يرضى اقراراً بدون تصديق بقلب والالكان راضياً عن المنافقين وأنه محال قطعاً ، لانا نقول لا يلزم من كونه تعالى لا يرضى الاسلام بدون التصديق أن يكون التصديق جزءاً من الاسلام لاحتمال أن يكون شرطاً فيه والله تعالى لا يرضى عملاً بدون شرطه والشرط خارج عن المهمة (١) على أن لا نسلم أن ما مختص بالسؤال عن تمام الحقيقة لجواز أن يكون سؤالاً من الذاتى سواء كان تمام الذاتيات أو بعضها ، وقد جوز هذا بعض المحققين الا أن الاول

(١) قوله والشرط خارج عن المهمة ، وعلى ذلك عمل الفقهاء وهم المهرة فى أمثال هذه الامور مثلاً اذا قيل يجب السجدة لتلاوة بعض الايات قالوا يجب فى سجدة التلاوة ما عرف بالشرع دخله فى ماهية السجدة ومثناها فى الصلاة لا ما هو شرط فيها فوضع الجبهة على ما يصح السجود عليه وعدم كون محل السجدة مرتفعاً عن مكان الرجلين ووضع المساجد السبعة على الارض واجب ولا يجب الاستقبال والطهارة والذكر وغيرها مما يعتبر فى سجدة الصلاة شرطاً فانها داخله فى المطلوب منها فى الصلاة لافى صحة اطلاق اسم السجدة ولم يعلم ما يؤخذ فى ماهية السجدة الامن احكام سجدة الصلاة . (ش)

٥ - عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلام : إن خيثة بن أبي خيثة يحدثنا عنك أنه سألك عن الاسلام فقلت له : إن الاسلام من استقبل قبلتنا و شهد شهادتنا و نسك نسكنا و والى وليتنا و عادى عدونا فهو مسلم ، فقال : صدق خيثة ، قلت : وسألك عن الايمان فقلت : الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لا يعصى الله ، فقال : صدق خيثة .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : قلت : أليس هذا عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : فالعمل من الايمان ؟ قال : لا يثبت له الايمان إلا بالعمل والعمل منه .

مشهور بين أرباب المعقول ، و مما يؤيد ذلك أن للفصل والحاشية آلة يستل بها عنهما فلو اختص ما بتمام الحقيقة بقی بعض الذاتيات بلا آلة يستل بها عنه ، ولو سلم فنقول ما استقط التصديق في تفسير الاسلام لأن الاقرار غير مختص باللسان بل يشمل فعل القلب أعني التصديق لأن التصديق نوع من الاقرار ، ولو سلم فنقول المراد بالاقرار هو الفرد الكامل المقارن للتصديق اذ ما ليس بمقارن له كانه ليس باقرار ، وأما عدم ذكر الاقرار في الايمان فلأنه يعلم بالمقايسة مع احتمال أن يكون المقصود ذكر ما يمتاز به كل واحد من الآخر .

قوله (فقلت له ان الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا) نسك الله ينسك من باب قتل تلوح بقرية والنسك بضمين اسم منه والناسك الذي يؤدي المناسك و هي الطاعات ، و سميت الذبيحة نسكة لان قربانها طاعة ، و يحتمل أن يراد بالنسك الاتيان بالحج اذا هرفت هذا فنقول ظاهر هذا الكلام أن الاسلام الاقرار بالشهادتين ، وفعل الطاعات ومحبة أولياء الائمة عليهم السلام ، و معاداة أعدائهم سواء كان معه تصديق أم لا ، وأن الناسك ليس بمسلم وأن الايمان التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية فان كل ذلك مندرج في الايمان بالله والتصديق بكتاب الله ، وعدم المعصية بفعل الطاعات و ترك المنهيات فالايمن أخص من الاسلام .

قوله (شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله) خص الشهادتين بالذكر لأنها أعظم أفراد الايمان على تقدير و أعظم أجزائه على تقدير آخر مع دلالتها على التصديق الذي هو الايمان في الاصل و ليس المقصود حصر الايمان فيهما فلا ينافي سائر الاخبار .

٧ - بعض أصحابنا ، عن علي بن العباس ، عن علي بن ميسر ، عن حماد بن عمر و النصيبى قال : سأل رجل العالم عليه السلام فقال : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل عمل إلا به ، فقال : وما ذلك ؟ قال : الإيمان بالله الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسانها حفظاً و أشرفها منزلة ، قلت : أخبرني عن الإيمان أقول وعمل أم قول بلا عمل ؟ قال : الإيمان عمل كله و القول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيئه في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهده الكتاب و يدعو إليه ، قلت : صف لي ذلك حتى أفهمه ، فقال : إن الإيمان > الات و درجات و طبقات و منازل فمنه التام المنتهى تماما و منه الناقص المنتهى نقصانه و منه الزائد الرأجح زيادته ، قلت : و إن الإيمان ليتم و يزيد وينقص ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن الله تبارك و تعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم و قسمه عليها و فرقها عليها فليس من جوارحهم جارحة إلا وهي موكله من الإيمان بغير ما و كملت به أختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه و أمره ، و منها يدها اللتان يبطش بهما و رجلاه اللتان يمشي بهما و فرجه الذي الباه من قبله و لسانه الذي ينطق به الكتاب و يشهد به عليها ، وعيناه اللتان يبصر بهما ، و أذناه اللتان يسمع بهما و فرض على

قوله (قال لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه) لعل المراد أن الإيمان عبارة عن التصديق والعمل ، و يطلق على نفس العمل أيضاً كالشهادتين والصلاة و نحوهما ، و على هذا لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل كما لا يثبت الكل إلا بالجزء والعمل منه أي بعض أجزائه على تقدير و بعض أفرادها على تقدير آخر . وقد مر توجيه آخر قبيل ذلك والله أعلم .
قوله (قال سأل رجل العالم) فقال يا أيها العالم هذا الخبر مذكور في صدر الباب متناً مع اختلاف في السند وتغيير يسير في المتن وحذف في الآخر .

قوله (ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها) الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن ، والضمير في يشهد راجع إليه وفي به إلى النطق أو إلى اللسان بحذف مضاف أي بأقواله و في عليها إلى اللسان واللسان يذكر ويؤنث كما صرح به في المغرب ونطق القرآن بأقوال اللسان خيراً و شراً و شهادته عليها كثير ، ويحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الأعمال و صحتها

القلب غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السمع و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاعتراف والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرضا بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحداً، صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

٨- محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص ابن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : -و سأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمان و قال: إنهم يحتجّون علينا ويقولون: كما أن الكافر عندنا هو

و شهادته عليها يوم القيامة ظاهرة ، و قراءة الكتاب بضم الكاف و شد التاء و ارادة الحفظة بميدة .

قوله (فاما ما فرض على القلب من الايمان والاعتراف والمعرفة) كذا في النسخ و الظاهر فالاعتراف بالفناء ليكون جواباً لاما و موافقاً لما مر في صدر الباب و لعل الواو سهو من النساخ أو زائدة.

قوله (أحداً صمداً) هما في أكثر النسخ منصوبان وفي بعضها مرفوعان.

قوله (وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمان (١)) اهو صحيح أم فاسد،

(١) قوله «من قول المرجئة في الكفر والايمان» هم فرقة من فرق الاسلام وهم و الخوارج على طرفي نقيض كان هؤلاء يعتقدون كفر الفساق وهم على غاية البهس والعداوة مع بني امية الولاء في عصرهم والمرجئة كانوا يعتقدون تساوي الصالح والطالح والمأبد والفاسق في الفضل عند الله وكانوا متملقين ومائلين الى ولائهم وكان يؤيدهم سياسة بني امية اوجدتهم وروجت آرائهم بين المسلمين وذلك لان ظلم بني امية و تجاهرهم بالفسق والفجور بل كفرهم الباطني نفهم لانهم كانوا من بقايا محاربي رسول الله «ص» في احدى الاحزاب وغيرها- لما ينحسب حب الجاهلية ولاحقدهم على رسول الله «ص» بقتل أشياخهم من قلوبهم بعد و قد ظهر منهم الانكار عليه وعلى أهل بيته والعادة بعد ظهور كل دين وملة حقة ان يبتى جماعة ممن لا يؤمن بها سنيين بل قروناً يثيرون الفتن ولم يكن بنو امية يصرحون بما في ضمائرهم خوفاً من الناس ولان بناء»

الكافر عند الله فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بايمانه أنه عند الله مؤمن، فقال : سبحانه الله وكيف يستوي هذان والكفر إقرار من العبد فلا يكلف بعد إقراره ببينة والإيمان

وهم فرقة من فرق الاسلام يمتقدون أنه لا يضر مع الإيمان مصيبة كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة صادقين في المشبه به كاذبين في المشبه، ومجمل قولهم في حقيقتهم أن الإيمان محض إقرار اللسان بالشهادتين وما جاء به الرسول، والكفر مقابل له وهو انكاره شيئاً من ذلك وبذلك بنوا أن الكافر عندنا كافر عند الله تعالى وكذا المؤمن عندنا مؤمن عند الله تعالى وهو ظاهر بناء على أصلهم، والسائل سأل من صحة ذلك وبطلانه فأجاب وع، بأنه باطل لبطلان أصلهم، وذلك لأن الإيمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل، والكفر انكار شيء من ذلك وإذا كان كذلك كان الكافر عندنا بترك واحد من الأمور المذكورة كافراً عند الله تعالى، وأما المؤمن عندنا وهو المتصف بالأمور الثلاثة أما بالآخرين قطعاً وأما بالاول فظننا لدلائلها عليه دلالة غير قطعية لأن القتل يجوز عدمه تجويزاً مرجوحاً فلا يلزم أن يكون مؤمناً عند الله تعالى لجواز أن يكون مقراً عاملاً غير مصدق والله سبحانه عالم بدم تصديقه فهو مؤمن عندنا تجري عليه أحكام الإيمان وكافر عند الله تعالى.

قوله (والكفر إقرار) أي الكفر إقرار من العبد على نفسه بدم الإيمان، فلا يكلف

يودولتهم كان على دين عدوهم فأخفوا في قلوبهم ما نبأ عنه أعمالهم فقتلوا الحسين وع، وأسروا أهل بيت نبهم و قتلوا أهل المدينة قتلاً عاماً لنصرتهم رسول الله ص، ولم يقبلوا أحداً ممن يتولاهم في ولايتهم بل قتلوه و شردوهم و سلطوا على صلحاء الأمة فساقهم كزياد بن أبيه و عبيد الله والحجاج بن يوسف وأوجب ذلك تنفر الناس عنهم وثورتهم وقيام الناس من كل ناحية عليهم ولم ينجع فيه التشديد والتشريد والقتل والنفي وتجراً عليهم الخوارج و رأوا جهادهم أفضل من جهاد الكفار الأصليين و خرج عليهم جماعة من الصلحاء في كل ناحية و أظهروا التبري منهم واللعن عليهم و اجتهدوا في إزالة ظلمهم فرأت بنو امية أن التوسل بما توسلوا به أولاً أضر بمصدهم و أفنى لدولتهم فاخترعوا لهم مذهب المرجئة و غرضهم ان بنى امية مسلمون مؤمنون وان ظهر منهم الفجور والقتل والمناهي وهم والصلحاء سواء عند الله في الفضل فيجب مودتهم والمصافاة معهم واعانتهم في التدبير الملكي و نصرهم في جهاد عدوهم و بالجملة دفع تنفر الناس وما يلزمه ولما كان هذا من أضر الأراء في فرق الاسلام بل منافياً لأصل تشريع هذا الدين وكل دين بل لولا احتمال الشبهة الممكنة في حتمهم لحكم بكفرهم لمخالفتهم ضروري الاسلام بل ضروري كل دين ولا تنفي فائدة ارسال الرسل و انزال الكتب و لم يبق للطاعات واكتساب الفضائل و مكارم الاخلاق موقع، رد الائمة عليهم السلام في هذه الاحاديث رأيهم ومذهبهم. (ش)

دعوى لا يجوز إلا بيئته وبيئته عمله ونيته فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل و الأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالايمن و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عند الله كافر وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

(باب السبق الى الايمان)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال :

بعد اقراره بينة على المقرب وهو عدم الايمان كما في سائر أقارب العقلاء على أنفسهم بسل الاقرار بعدم الايمان أولى بعدم التكليف لان كل اقرار غيره يجوز العقل عدم تحقق المقرب في نفس الامر بخلاف الاقرار بالكفر فانه عبارة عن انكار شيء من أجزاء الايمان و تركه هو عين الكفر، فلا يحتاج الى بينة قطعاً بخلاف الايمان فانه دعوى لثبوته له ، ولا يجوز ذلك ولا يثبت الا بينة كما في سائر الدعاوى و بيئته عمله المتعلق باللسان والجوارح، وبيئته المتعلقة بالقلب وهي التصديق فإذا اتفق العمل والنية شهد شاهد عادل فالعبد عند الله مؤمن، وان اختلفا بأن يشهد العمل دون النية فهو ليس بمؤمن عند الله تعالى و مؤمن عندنا لانا نحكم بظاهره على باطنه فنحكم بأنه مؤمن مصداقاً حكماً ظنياً غالباً فقولهم بأن كل مؤمن عندنا مؤمن عند الله باطل. و أما قولهم الكافر عندنا كافر عند الله فهو صحيح اذ الكفر موجود بانتفاء كل جهة من هذه الجهات الثلاثة الممتدة في الايمان وجوداً من نية و تصديق أو قول باللسان أو عمل بالجوارح يعنى يتحقق الكفر بانتفاء واحد من هذه الثلاثة فمن انتفى منه واحد منها و علمنا ذلك فهو كافر عندنا كما هو كافر عند الله تعالى وأما اذا لم نعلم كما اذا انتفت منه النية فقط فهو مؤمن عندنا وكافر عند الله وأحكام الايمان تجري عليه باعتبار القول والعمل دون النية لان علمنا بالنية متعسر وقد ظهر مما ذكر أن المشهود له بالايمن والمجرى عليه أحكام المؤمنين وهو كافر عند الله كثير و ان من أجرى عليه الاحكام معيب لانه مكلف بالحكم على ظاهر قوله وعمله الدالين على النية وليس مكلفاً بالحكم على الباطن لعدم علمه به ولكن لما كان تخلف المدلول عن اللفظ وما يجري مجراه كثيراً كان وجود القول والعمل بدون النية كثيراً ولذلك كان وجود الكافر عند الله كثيراً.

قوله (باب السبق الى الايمان) (١) سبق پیش دستی نمودن و پیش گرفتن .

(١) قوله (باب السبق الى الايمان) قدم في كتاب العقل والجهل أن الثواب على

حدثنا أبو عمر الزبيرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إن للإيمان درجات و منازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم ، قلت : صفه لي رحمك الله حتى أفهمه ، قال : إن الله سبّح بين المؤمنين كما يسبّح بين الخيل يوم الرّهان ثم فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقّه ولا يتقدّم مسبوقاً سابقاً ولا مفضولاً فاضلاً . يتفاضل بذلك أوائل هذه

قوله (قال إن الله سبق بين المؤمنين) أى قرر السبق وقدره بين المؤمنين فى الإيمان وندبهم إليه كما يسبق بين الخيل يوم الرهان فمنهم فى المقام الأدنى وهو مقام يتحقق فيه المسبوقية دون السابقية ، ومنهم فى المقام الأعلى وهو مقام يتحقق فيه السابقية دون المسبوقية وهو مقام خاتم الانبياء ، و بين المقامين مقامات غير محصورة يجتمع فيها السابقية والمسبوقية باعتبارين ، والتشبيه من باب تشبيه المفعول بالمحسوس لقصد الايضاح .

قوله (فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه) المراد بجعله عليها اصطافؤه المقرر له فى تلك الدرجة من الاجر والثواب والتقرب من غير أن ينقص من حقوقه فيها ، و فى الاختصار بنفى النقص دون الزيادة ايماء الى جوازها من باب التفضل وان لم يستحق .
قوله (ولا يتقدم مسبوق سابقاً) كما أن المسبوق فى المشبه به لا يتقدم سابقاً لعدم وسع ذلك ، وللزوم خلاف الفرض كذلك المسبوق فى المشبه لا يتقدم سابقاً فى الكمال والمنزلة والاجر والتقرب لانه تعالى حكيم عدل لا يجهور ، بل يرضع كلا فى موضعه .

قوله (تفاضل بذلك أوائل هذه الامة و أواخرها) ذلك اشارة الى السبق و الاوائل والاواخر أما بحسب الدرجات أو بحسب الوجود والازمان كالصحابة والتابعين الى يوم الدين فكما أن فى صرنا هذا يقع التفاضل بعلو الدرجة فى الإيمان والعلم و تخلية النفس من الرذائل و تخليتها بالفضائل حتى أن من قدم المفضول على الفاضل ورجحه عليه ، كان رأيه ضعيفاً وعقله خفيفاً كذلك فى أوائل هذه الامة ، و من هذا يظهر أن تقديم المجلس

العقل وما فى هذا الباب يؤيده فإن السابق الى الإيمان لابد أن يكون عقله أقوى و معارضة الوهم له أضنف والا فلا يسبق الى الإيمان والوهم يأمر بحفظ العادات و يخاف من مخالفة الجمهور ولا يجهوز ترك ما عليه أكثر الناس ولا يتقدم على المخالفة الا من اطمن بعقله و تجرأ على تخطئة الجمهور ولم يتأثر برأى الاكثرين و ضعيف العقل لا يطمن بصحة رأيه الا اذا رأى المشهور موافقين له هذا بناء على أن يكون المراد السبق بالزمان وأما الانواع الاخر من السبق فظاهر . (ث)

الامة وأواخرها و لو لم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الامة أولها. نعم ولتقدم موهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الايمان قدّم الله السابقين و بالابطاء عن الايمان

على على دع، كان باطلا و لعل الفرض الاصلى من هذا الحديث هو التنبيه عليه و ان كان ظاهره أم.

قوله (و لو لم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الامة أولها) أى للحق آخر هذه الامة بحسب درجات الايمان أولها بحسبها فساويهم فى الدرجة أو للحق آخر هذه الامة بحسب الازمان كالتابعين ومن بعدهم أول هذه الامة بحسبها كالصحابة من المهاجرين والانصار ، و ذلك لانه اذا سقط اعتبار السبق لزم التساوى و الاشتراك فى الدرجة.

قوله (نعم و لتقدم موهم) نعم، تصديق لمضمون الشرطية المذكورة و تهديد لشرطية اخرى أفخم من الاولى، و تصديق لمضمونها أيضاً أى اذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على ما أبطأ عنه لتقدم آخر هذه الامة بحسب ما ذكر أول هذه الامة بحسبه فقوله ولتقدم موهم، جزاء الشرط على تقدير جواز تقديمه، أو دليل على جزائه المحذوف على تقدير عدم جوازه وبناء الشرطية الاولى على عدم تكرار العمل فى آخر هذه الامة وبناء هذه الشرطية على اعتباره فيهم، ووجه الشرطية أن السبق إلى الايمان اذا لم يكن له مدخل فى الترجيح لزم تقدم الاخر مع زيادة العمل وتكرره لاختصاصه بهذه المزية، و اعلم أن المراد بالايمان اما نفس التصديق أو التصديق مع العمل و لكل واحد منهما درجات و منازل بعضها فوق بعض و آخرها غاية الكمال للبشر كمرتبة عين اليقين أو أعلى منها و صرف جميع الجوارح فى جميع الاوقات فى جميع ما خلقت له ثم المراد بالمسابقة اليه اما المسابقة إلى درجاته و منازل و طلب الاعلى فالاعلى إلى غايتها و هى بزيادة العلم والعمل، أو المسابقة إلى أصله و هى السبق الزمانى على سبيل منع الخلو، و الاول فى الموضعين أولى من الاخير نظراً إلى ظاهر الحديث فمن اجتمع فيه المسابقة بالمعنيين كأمر المؤمنين دع، فهو الكامل مطلقاً و السابق على الاطلاق و من اتقى عنه الامران هو الناقص للاحق مطلقاً و من له سبق الزمان إلى الايمان مع انتفاء الزيادة عنهما أو بالعكس فهو السابق أعلى درجة و أما اذا تعارض الامران بأن يكون لاحدهما سبق الزمان و لآخر زيادة العمل فظاهر هذا الحديث أن السابق زماناً أفضل و أعلى درجة من الاخر ، و تخصيص ذلك بالصحابى محتمل لان السابق أعون للنبي من اللاحق و التعميم أظهر و الله أعلم.

قوله (ولكن بدرجات الايمان) لما كان الشرط فى القضيتين وهو عدم الفضل للسابق

أختر الله المقصّرين لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولولم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأولين ولكن أبى الله عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها ويقدم فيها من أختر الله أو يؤخر فيها من قدّم الله . قلت : أخبرني عما ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عزّ وجلّ : " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

على المسبوق يستلزم لحوق المسبوق به أو تقدمه عليه بالاعتبارين كما أشرنا إليه أشارنا إلى نفس التالي فيهما باثبات نقيض الشرط بحكم الله تعالى اذ نقيضه وهو ثبوت الفضل للسابق يستلزم عدم اللجوء والتقدم وهو ظاهر .

قوله (لانا نجد من المؤمنين) كأنه بيان للشرطية الثانية و توجيه لمضمونها و حاصله اننا نجد من آخر هذه الامة من هو أكثر عملاً و عبادة من أولها فلولم يكن للسابق إلى الإيمان والتصديق وأعمال درجاتها المبنيّة على اليقين والرضا العلم والحلم وتخليّة النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل فضل على المسبوق لكان المسبوق بسبب كثرة العمل واتصافه بها مقدماً عليه ، ولكن هذا باطل لان الله عز وجل أبى أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها و يلحق صاحب الآخر بصاحب الاول وكذا أبى أن يقدم في درجات الإيمان من أخرا الله أو يؤخر فيها من قدم الله بل كل في درجته لا يقدم ولا يؤخر فقوله ولكن أبى الله ، اشارة إلى بطلان التالي تأكيداً لما مر ، وفيه سر لا يخفى وهو أنه اذا كان اللاحق في الإيمان مع كثرة العمل غير لاحق بالسابق إليه ولا مقدم عليه مع قلة عمله كان تقديم الفاصب الاول المنتحل لاسم الخلافة مع تأخره في الإيمان على تقدير تسليم إيمانه ، ومع قلة عمله على العالم الرباني والمؤمن الوجداني على بن أبي طالب (ع) مع تقدمه إلى الإيمان وسبقه إلى أعلى مراتبه و كثرة عمله باتفاق الخاصة والعامة باطلا بالضرورة .

قوله (قلت أخبرني عما ندب الله عز وجل) لما دل كلامه (ع) سابقاً على أنه تعالى طلب منهم الاستباق إلى الإيمان و دعاهم إليه سأله الزبيرى عن موضع من القرآن يدل عليه قوله (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ) أى سارعوا مسارعة السابقين في المضمار إلى سبب مغفرة من ربكم من الاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النوااميس الالهية والكمالات النفسانية ، و أعظم تلك الاعمال هو الإيمان الكامل البالغ إلى النهاية المتوقف على

ورسله» وقال : «السابقون السابقون» أولئك المقربون » وقال : «والسابقون

جميع الكمالات النفسانية.

قوله (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) قال الفاضل الاردبيلى كنى بالعرض عن مطلق المقدار و هو متعارف و نقل على ذلك الاشعار فى مجمع البيان وأنه لما علم أن عرضه الذى هو أقل من الطول عرفاً فى غير المتساوى علم أن طوله أيضاً يكون اما أكثر أو مثله، وقال القاضى ذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس أنها كسبع سموات و سبع أرضين لو وصل بعضها ببعض و ظاهر الآية وجوب المسارعة أو رجحانها الى الطاعة الموجبة للدخول فى الجنة وأظلمها الايمان بالله و كتبه ورسله واليوم الآخر والترقى الى مقاماته العالية.

قوله (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) ظاهر هذه الآية و غيرها من الايات والروايات أن الجنة مخلوقة الآن وكذا النار قال الفاضل المذكور : وقال به الاصحاب و صرح به الشيخ المفيد فى بعض رسائله وقال أن الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة و ظاهر الآية أنها فى السماء والظاهر ان المراد به أنه يكون بعضها فى السماء ويكون البعض الآخر فوقها أو يكون أبوابها فيها أو فوق الكل وما ذكره الحكماء من دأن السماء لا تقبل الخرق والالتيام وأن فوقها لا خلاء ولا ملأه غير مسموع شرعاً (١) و هو ظاهر كما قيل أن النار

(١) قوله وما ذكره الحكماء غير مسموع شرعاً ما ذكره الحكماء يعنى امتناع الخرق على الفلك مما لم يدل عليه دليل عقلى ولم يبينوه ببرهان تعليمى كما هو دأبهم فى الفلكيات اعترف بذلك المنصفون منهم و صرحوا بأن الدليل خاص بمحدد الجهات و على فرض صحته فلا يوجب عبور الملائكة والاجسام الاخرية خرقاً كما لا يوجب دخول الملائكة فى القبور نهشاً و فى البيوت خراب الجدار، والبحث الذى أورده الشارح بحث طويل جداً لا يمكن حق ادائه فى هذا الموضع ولا يناسب فيه الاشارة مختصرة فنقول اولاً الحق أن الجنة والنار موجودتان فعلاً و ان خالف فيه جماعة من المسلمين وربما ينسب الى السيد الرضى رضى الله عنه، وثانياً بناء على وجودهما فعلاً فالحق أن مكان الجنة فى السموات أو فوقها ومكان النار تحت الارض أو تحت البحر، ثالثاً أن أحكام الاجسام الدنيوية المبنية على التجريبات والعادات غير جارية فى الاجسام الاخرية ولا يجوز التشكيك فى وجود الجنة والنار أو فى مكانهما بعدم امكان جريان أحكام الاجسام الدنيوية عليها ، لان التجربة خاصة بالدنيوية منها مثلاً اذا قيل كيف يرتفع الصلحاء من الارض و كيف يصعدون الى السماء يوم القيامة ولم يرد فى رواية أو آية ذكر صعودهم وآلة صعودهم وان الابدان مائلة الى الارض لجاذبيتها و أن رسول الله «ص» وكثيراً من خواص أصحابه وأصحاب الائمة عليهم السلام كيف رأوا أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار مع هذه

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا

تحت الأرض فتكون الآية دليلاً على بطلان ما قالوه انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، و قال القاضى فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم (١) و ذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم، وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها غير مخلوقين وإنما تخلقان يوم القيامة.

قوله (و قال السابقون) السابقون مبتدأ و خبر أى السابقون إلى مادعاهم إليه من التوحيد والإيمان والإخلاص والطاعة هم السابقون إلى المقامات العملية والدرجات الرفيعة أو السابقون ذلك هم السابقون الذين عرفت حالهم وبلغك وسفهم ، و يكون تعريف الخبر للمبالغة والإشارة إلى ما هو معلوم لك ، و هذا بحسب الظاهر خبر ، و بحسب المعنى حث على المسابقة إلى ما ذكر.

قوله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) قال المفسرون : السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين أو شهدوا بدرأ أو أسلموا قبل الهجرة ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى و كانوا سبعة نفر و أهل بيعة العقبة الثانية ، و كانوا سبعين، و قال الفاضل النيشابورى : الظاهر أن الآية عامة في كل من سبق بالهجرة والنصرة، وقال أكثر العلماء كلمة «من» للتبويض و إنما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لأنهم آمنوا و في عدد المسلمين قلة وفيهم ضعف فقوى الإسلام بسببهم، وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم، وقيل للتبیین فيتناول المدح جميع الصحابة.

قوله (والذين اتبعوهم بإحسان) قال صاحب الكشاف والنيشابورى هم الذين آمنوا حين قدم عليهم أبوذرارة مصعب بن عمير فعملهم القرآن وقال القاضى: هم اللاحقون بالسابقين أو

المسافة البعيدة بين الأرض إلى السموات و حيلولة الأرض بين الأبصار و بين جهنم و كيف يفتح من الجنة التي في السماء باب إلى قبور الصالحين وكيف يرى ذلك صاحب القبر مع كونه ميتاً ولا يراه الناس مع كونهم أحياء و أمثال ذلك كثيرة مما دعا المعتزلة إلى إنكار أصل وجودهما فعلاً وما يتفرع عليه.

وجواب ذلك وأمثاله أن حكم الآخرة غير حكم الدنيا فانه عالم آخر لا يقاس ما فيه بها في هذا العالم ولا يمتنع هناك الاتصال من بهمد والرؤية مع الفاصلة والعبور من الموانع و الحواجب المنصرية كما يدخل الملائكة في القبور بغير إرباش وتجاوز الأفلak بغير خرق وفي بيت لا خرق فيه لقبض روح المحصورين فيه و لتفصيل ذلك مجال واسع في موضعه إن شاء الله. (ش)
(١) قوله و أنها خارجة عن هذا العالم ، لأن الجنة أو سع من عالم الاجسام بسماواتها و أرضها لأن عرضها السموات والأرض فكيف يكون في موضع منه. (ش)

عنه فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأَنْصار ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه بعضهم على بعض، فقال عز وجل: «تلك الرُّسُل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كَلَّمَ الله و رفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الآية -» وقال: «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» وقال: «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً» وقال: «هم درجات عند الله» وقال: «ويؤت كل ذي فضل فضله» وقال: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا

من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة.

قوله (ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه) بعد ما فرغ من ذكر آيات دلت على الدعاء إلى الاستباق ذكر آيات دلت على ما يترتب عليه من التفضيل و إعلاء الدرجة. **قوله** (تلك الرسل) في الكشف تلك إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في سورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله (و رفع بعضهم فوق بعض درجات) في الكشف أي منهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد ثنائهم في الفضل أرفع منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمدًا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولولم يؤت القرآن وحده لكفى به فضلًا منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه السدھر دون سائر المعجزات، و في هذا الإبهام من تفخيم فضله و إعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتهب والتميز الذي لا يلتبس.

قوله (هم درجات) أي ذوو درجات متفاوتة بعضها فوق بعض.

قوله (و يؤت كل ذي فضل فضله) فوجب بحسب وعده الصادق أن يضع كل ذي فضل في منزلته و درجته فدرجة الفاضل أرفع من درجة غيره و درجة الأفضل أعلى من درجة المفضول، و درجة السابق إلى الإيمان أشرف و أرفع من درجة المسبوق و قد رد الله عز شأنه بهذه الآية و أمثالها على من علم أنه سيزعم جواز تفضيل المفضول على الأفضل بل الجاهل على الفاضل، و من زعم أن الأفضلية باعتبار الزيادة في الثواب و إعلاء الدرجة في الآخرة لا باعتبار السبق والكمال في الإيمان والزيادة في العمل ثمالي ولم يدر أن الزيادة في الثواب والدرجة إنما هي بالاعتبار المذكور، والالزم الكذب بالوعد والوعيد و بطلان الكتاب

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله ، و قال : و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجر أعظيماً بـ درجات منه و مغفرة و رحمة ، و قال :

والشرعة نموذبالله من شروق أنفسنا وسيئات أعمالنا.

قوله (و قال الذين آمنوا و هاجروا) أى قال الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر إيماناً لا يشوبه شك و هاجروا إلى الرسول و فارقوا الاوطان و تركوا الاقارب و الجيران و طلبوا مرضات الله و جاهدوا في سبيل الله بصرف أموالهم و رفع أنفسهم إلى الله و دفع هواها أعظم درجة عند الله ممن لم يتصف بالصفات المذكورة لازالة طمعهم من الحياة الدنيوية ، و بذل أرواحهم القدسية طلباً للحياة الآخروية ، و صرف هممتهم العالية لاعلاء كلمة الحق و تقوية الدين ، فلذلك صاروا أعظم درجة عند رب العالمين ، والله لا يضيع أجر المحسنين و من هذا يظهر أن على بن أبي طالب صلوات الله عليه أعظم درجة من جميع الصحابة لانه آمن و هاجر و جاهد حين فشلوا و فروا كما يظهر بالنظر في حاله و حالهم في حرب حنين و أحد و خيبر و غيرها من الحروب .

قوله (و قال فضل الله المجاهدين على القاعدين أجر أعظيماً درجات منه و مغفرة و رحمة) أجر أمفعول ثان للفضل باعتبار تضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل و أعطاهم زيادة على القاعدين أجر أعظيماً ، و كل واحدة من درجات منه و مغفرة و رحمة بدل من أجر ، و يجوز أن تكون منصوبة على المصدر لان فضل بمعنى أجر كأنه قيل : و أجرهم زيادة على القاعدين أجر أعظيماً ، و البديل بحاله ، و يجوز أيضاً أن ينتصب درجات بنزع الخافض أى بدرجات ، أو على المصدر لانها تدل على التفضيل فكأنه قيل : فضلهم تفضيلات كقولك ضربته أسواطاً أى ضربات لان الاسواط تدل على الضربات و حينئذ ينتصب أجر على أنه حال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ، و مغفرة و رحمة على المصدر باضمار فعلهما أى ففعلهم مغفرة و رحمة ، كذا ذكره المفسرون . و ههنا شيئان لا بأس أن نشير اليهما الاول أن النيشابورى قال في تفسيره : استدلت الشيعة ههنا بأن علياً دعه أفضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهدوهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايمة و اقدامه و شجاعته و حمايته ، و أجاب أهل السنة بأن جهاد أبي بكر بالدعوة إلى الدين و هو الجهاد الأكبر حين كان الاسلام ضميئاً و الاحتياج إلى المدد شديداً و انما جهاد على دعه ظهر بالمدينة في الفزوات و كان الاسلام في ذلك الوقت قوياً و الحق أن الآية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين أما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا انتهى ، أقول هذا المجيب اعترف بأن علياً دعه ، ففى الفزوات سابق على أبي بكر و غيره و سبقه دعه في العلم و العمل و الزهد أشهر من أن

« لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا » و قال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات » و قال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يبطئون ميوطاً »

ينكره أحد من المماندين ، و أما ما ذكره من جهاد أبي بكر في الدين حين كان ضعيفاً فلا أثر له ، و أى جهاد كان له لم يكن لعلى دعه ، مع أن دعوته دعه الى الدين و ارشاد الصحابة أجمعين و ارجاع الثلاثة كثيراً عن الباطل الى الحق المبين أشهر من أن يخفى و أكثر من أن يحصى ، والثاني أن فاضلاً من الشيعة كان في مجلس حاكم من أهل السنة و كان فيه أيضاً عالم ذو ذنب (١) فذكر ذو ذنب أن عائشة كانت أفضل من فاطمة عليها السلام ، فقال الحاكم لذلك الفاضل : ما تقول ؟ فقال : أيها الأمير أنا أقول في شأنها ما قال الله تعالى و قرأ هذه الآية رمزاً الى الحق و اشارة الى ارتدادها بخروجها على على دعه فضحك الحاكم بمعرفة قصده و خاطب ذا الذنب فقال ما تقول ؟ فبهت الذي كفر .

قوله (و قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) اذا نفاق الاموال في سبيل الله و المقاتلة من قبل الفتح أعظم و أشرف و أسبق و أشق على النفس منهما من بعد الفتح لوقوعهما عند ضعف الاسلام و قوة الكفر و كثرة العدو و شدة شوكتهم فلذلك سارا سبياً لرفع درجات السابقين و عظمتها .

قوله (والذين أتوا العلم درجات) قيل المراد الرفعة في مجلس النبي وهو المناسب للمقام والمشهور الرفعة في درجات ثواب الآخرة .

قوله (وقال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) ذلك اشارة الى وجوب الجهاد المنهوم من

(١) قوله « عالم ذو ذنب » كأنه كان ناصبياً يشعر به امراره على تفضيل عائشة وأكثرهم على تفضيل فاطمة قال السهيلي وهو من أعظم علماء أهل السنة يذكر عن أبي بكر بن داود أنه سئل أعائشه أفضل أم خديجة ؟ فقال : عائشة أقرها رسول الله (ص) السلام من جبرئيل وخديجة أقرها جبرئيل السلام من ربها على لسان محمد «ص» فهي أفضل . قبله : فمن أفضل أم خديجة أم فاطمة ؟ فقال : ان رسول الله «ص» قال : ان فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً . قال السهيلي : وهذا استقراء حسن ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا البابة حين ارتبط نفسه وحلف أن لا يحلله الا رسول الله «ص» فجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله (ص) : انما فاطمة مضنة مني فحلته قال : و يدل على تفضيل فاطمة قوله دعه لها أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة الامريم فدخل في هذا الحديث امها وأخواتها وقد تكلم الناس في المعنى الذي به سادت به فاطمة غيرها الى آخر ما قال ، (ش)

يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً : إلا كتب لهم به عمل صالح » وقال : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وقال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فهذا ذكر درجات الايمان و منازلها عند الله عز وجل .

(باب)

❖ (درجات الايمان) ❖

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمار بن أبي الأحوص ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم على البر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم ، ثم

الاية السابقة والمنع من التخلف عنه وما بعده بحث عليه ويجرى مجرى المنع من التخلف والظلم شدة العطش والنصب الاعياء والنصب والمخمة المجاعة الشديدة والموتى امام اسم مكان أو مصدر ، والضمير في ديبطه عائد الى الوطى وفيه دلالة على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنة تكتب في ديوان عمله .

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير) فيه حث على الخير وترغيب فيه والمراد به الاتفاق أو الامم .

قوله (وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيراً) يدل على أن عمل الخير سبب لعلو الدرجة ورفع المنزلة ، وعمل الشر خلاف ذلك ففيه ترغيب في الخير وتبديد عن الشر .

قوله (إن الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم) هذه الاسهم كلها من أفعال القلب (١) وصفاته الا النادر منها . الاول البرأى الاحسان الى نفسه بفعل الواجبات وترك المنهيات ، والى الوالدين والاقربين والاخوان المؤمنين ، وقد روى عن أبي عبدالله ع ،

(١) قوله « هذه الاسهم كلها من أفعال القلب » ومن مراتب السلوك في اصطلاح العرفاء وهو حركة نفسانية من النقص الى الكمال الانساني وقد تكلم فيها العلماء بهذا الشأن و من أحسن ما صنف فيه كتاب أوصاف الاشراف للمحقق الطوسي الذي أشار اليه الشارح ، واعلم أن تلك المراتب غير متناهية من جهة التقسيم كسائر الحركات كما أن السير في المسافة ينقسم الى الفراسخ والاميال والاذرع والاصابع وباعتبار كل تقسيم يختلف عدد الاقسام فان قسمنا مسافة بالفراسخ وحصل عشرة اقسام مثلاً كانت بالاميال ثلاثين قسماً وبالاذرع مائة وعشرين ألف ذراع والمسافة واحدة كذلك السير الى الكمال الالهي ينضبط باقسام تختلف باعتبارات وقد يعبر عنها

أنه قال: ومن خالص الايمان البر بالاخوان: الثاني: الصدق وهو القول المطابق للواقع كما هو المشهور وينشأ من استقامة اللسان واعتداله في البيان ويطلق أيضاً على فعل القلب والجوارح المطابقين للقوانين المدلية والموازن الشرعية منه والصديق هو من حصل له ملكة الصدق في جميع هذه الامور ولا يصد منه خلاف المطلوب عقلاً أو نقلاً، كما صرح به المحقق الطوسي في أوصاف الاشراف. الثالث: اليقين وهو الحالة التي تحصل للانسان عند كمال قوته النظرية كما ان التقوى هي الحالة التي تحصل له عند كمال قوته العملية وبعبارة اخرى هو الاعتقاد

بـ باللطائف السبع وأشار اليه الشاعر،

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز اندر خم يك كوچه ايم

وضبطها المحقق الطوسي في ستة أقسام ثم قسم كل قسم الى ستة، وقسم مولانا الصادق (ع) في هذا الحديث الى سبعة أقسام، وفي حديث الى عشرة، وفي حديث آخر سيأتي ان شاء الله تعالى أيضاً الى سبعة، وكل قسم منها الى سبعة فصارت تسعة وأربعين، ثم قسم كل منها الى عشرة وللناس فيما يشقون مذاهب وكلها صحيح والاولى بنا حفظ اصطلاح الامام (ع) ووجه الترتيب أن الانسان في مبدء السلوك لا يمكن أن يكون رافياً في الشر مضرراً في الفسق معرضاً عن الخير لان من هذه صفته لا يتصور في حقه التوجه الى الكمال النفساني فأول المراتب البر ولما كان البر ذا درجات أولها أن يكون معتقداً لحسن الحسن وقبح القبيح ومم ذلك يرتكب القبائح مسامحة وغفلة وغروراً كما نرى من كثير من الفساق المعترفين بقبح فعالهم وهؤلاء لا يصدق فعلهم قولهم فتأني الصراتب الصدق، ثم من صدق قوله فعله قد لا يكون ايمانه خالياً عن شوائب الوهم، ولم يكن له محض اليقين بحيث يثبت على الحركة على ما يأتي شرحه ان شاء الله في درجات الايمان و ثالث المراتب لمزيد الكمال اليقين، ولما لم يكن اليقين بنفسه محركاً للانسان الا بالرضا كما أن العلم بالناقص لا يوجب الحركة اليه الا اذا اشتاق فرب عالم بنفع التجارة لا يتجر لعدم شوقه ورب متيقن بالجنة لا يعبد الله لعدم شوقه لذلك كان الرضا رافياً والوفاء بعد الرضا بمنزلة تحريك المضلات بعد الشوق ثم صبر (ع) مما يستلزم للسالك بعد الوفاء بالشروط، بالعلم والحلم وهو العلم المفيد في الآخرة وهو المعرفة بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله بما يسمى عندهم بالفناء أوله العلم وآخره الحلم وهذا وجه قريب الاحتمال في ضبط الاسهم السبعة والله العالم بحقيقة كلام وليه و كل كلام من هذا الجنس في أخبار الائمة عليهم السلام ورد مجعلاً ولم يرد فيه شرح يجوز للمقول التدبر فيها وأبداء أقرب الاحتمالات فيه والا كان ذكرهم هيناً تعالى أولياء الله عن العبث. (ث)

قسّم ذلك بين الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل ، محتمل ، و قسّم لبعض الناس السهم و لبعض السهمين و لبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى [السبعة

الجاذم المطابق الثابت الذى لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بشئ و العلم بأنه لا يمكن خلاف ذلك العلم. وله مراتب مذكورة فى القرآن علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، قال الله تعالى ولو تعلمون علم اليقين لثرون الجحيم ثم لثرونها عين اليقين، وقال ذو تصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين، و هذه المراتب مترتبة فى الفضل و الكمال مثلاً العلم بالنار بتوسط النور أو الدخان هو علم اليقين و العلم بها بمعاينة جرمها المفيض للنور عين اليقين و العلم بها بالوقوع فيها ومعرفة كيفيتها التى لا تظهر بالتعبير حق اليقين، و بالجملة علم اليقين يحصل بالبرهان، وعين اليقين بالكشف، وحق اليقين بالاتصال المعنوى الذى لا يدرك بالتعبير، الرابع الرضاء بقضاء الله فى النفس و المال والولد حلولاً كان ام مرأ، الخامس الوفاء بمهاد الله وهو ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة برؤيته حين اشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى أو الاعم منه و من الوفاء بالرسالة و الولاية و التكليف وعهود الناس و شروطهم الجائزة ، السادس العلم بالاحكام الدينية و الشرايع النبوية و الاخلاق النفسية، و بالجملة المراد به البصيرة القلبية فى أمر الدين وهى التى توجب استيلاء الخوف والخشية على القلب كما قال جل شأنه وإنما يعشى الله من عباده العلماء السابع الحلم وهو هيئة حاصلة للنفس من الاعتدال فى القوة الفضية مانعة لها من الانفعال بسهولة من السواردات المكروهة المؤذية التى من شأنها تحريك النفس الى الانتقام و التسلط و الترفع والغلبة و بالجملة هو صفة يوجب سكون النفس و تأنيها عند هيجان الغضب.

قوله (فهو كامل محتمل) لبلوغ ايمانه حد الكمال واحتماله جميع سهامه وأنجائه.

قوله (ثم قال: لاتحملوا على صاحب السهم سهمين) كما أن القوة الجسمانية ينفذات

فى أفراد الانسان حتى يقدر أحد بحمل من والاخر بحمل اثنين والثالث بحمل ثلاثة و هكذا، و كذلك القوة الروحانية فتكلف الادنى حين كونه أدنى بما كلف به الاعلى تكليف بما لا يطاق، والثواب والعقاب ليسا بمتساويين كما روى وإنما يداق الله العباد فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا، نعم على الاعلى ان ينقل الادنى الى درجته بالتعليم والرفق والوعظ كما سيجىء عن أبى عبد الله (ع) قال اذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، و على الادنى أن يتضرع الى الله عز وجل فى المسألة بان يكمله ويوفقه المنترقى الى درجة أعلى من درجته كما مر فى

ثم قال : لاتحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فنبهضوهم ،
ثم قال : كذلك حتى ينتهى إلى [ال]سبعة .

٢- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان ، عن يعقوب ابن الضحاك عن رجل من أصحابنا سرّاج و كان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال : بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة و هو بالحيرة أنا و جماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمين قال : و كان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً ، فجئت و أنا بحال فرميت بنفسي فبينما أنا كذلك إذ أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل قال : فقال : قد أتيناك أوقال : جئناك ، فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له فأخبرته ، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إننا نبرأ منهم ، إنهم لا يقولون ما نقول . قال : فقال : يتوكلونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم ؟ قال : قلت : نعم قال : فهو ذاعندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم ؟ قال : قلت :

كتاب العقل ، و من ههنا ظهر أن القسمة المذكورة لا توجب الظلم لان المطلوب من كل أحد ما يقتضيه قسمة و نصيبه وأن كل ذي قسم قابل للدرجة الفوقانية اما في نفس الامر أو في ظنه و تجويزه و ان بناء الكمال على التدرج والتعلم والطلب منه تعالى ، و فيه دلالة على أن الرجل بعد تحصيل أصل الايمان لو قصر في كماله لقصور في القوة العقلية أو القوة العملية لا يمد مقصراً ولا يؤاخذ عليه والله أعلم .

قوله (فنبهضوهم) بهضه الحمل يبهضه بالضاد أى أثقله و أعجزه و بالفاء أكثر .
قوله (و هو بالحيرة) الحيرة بالكسر مدينة كان يسكنها النعمان بن المنذر وهى على رأس ميل من الكوفة .

قوله (مغتمين) بالنين المعجمة وفى بعض النسخ مغتمين بالعين المهملة قيل أى داخلين وقت العتمة .

قوله (و كان فراشي في الحائر) الحائر المكان المطمئن والبستان كالحيرو كربلا .
قوله (و أنا بحال) أى من الضعف والكلال .

قوله (انهم لا يقولون ما نقول) من الفضائل أو من المسائل أو من الاعمال الصالحة التى يقولها أصحاب العرفان و يعملها أرباب الايقان ، لامن اصول العقائد .

لا - جعلت فداك - قال : و هو ذا عند الله ما ليس عندنا افتراه أطرحنا ؟ قال : قلت : لا والله جعلت فداك ، ما نفعل ؟ قال : فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم ، إن من المسلمين من له سهم* ومنهم من له سهمان ، ومنهم له ثلاثة أسهم ، ومنهم من له أربعة أسهم ، ومنهم من له خمسة أسهم ، ومنهم من له ستة أسهم ، ومنهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة ، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة ، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة ، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة . ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة ، وسأ ضرب لك مثلاً إن رجلاً كان له جار* و كان نصرانياً فدعاه إلى الاسلام و زينّه له فأجابه فأتاه سحيراً ففرع عليه الباب فقال له : من هذا ؟ قال : أنا فلان قال : و ما حاجتك ؟ فقال : توضاً و البس ثوبيك و مرّ بنا إلى الصلاة قال : فتوضاً و لبس ثوبيه و خرج معه ، قال : فصلّيا ماشاء الله ثم صلّيا الفجر ، ثم مكثنا حتى أصبحنا ، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله ، فقال له الرجل أين تذهب ؟ النهار قصير والذى بينك و بين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ، ثم قال : و ما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتى صلّى العصر .

قوله (ما نفعل) لما رجع السائل بالمقدمات المذكورة عن الجهل المركب و هو القطع بالبراءة منهم إلى الجهل البسيط ، استفهم عما يلزمه من التوسط بين التولى والتبرى أو التولى بقوله ما نفعل على صيغة المتكلم ، والحاصل أن الاحتمالات ثلاثة التولى والتبرى والسكوت ، ولما بطل التبرى استفهم عن أحد الآخرين فأجاب د ع ، بأن اللازم عليكم هو التولى ، وفي بعض النسخ د ما يفعل ، بالياء و هو حينئذ من ثمة السابق ، د و ما ، نافية و الفاعل ضمير عائد إلى الله .

قوله (فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين) كل من القوة العملية والقوة العقلية أما في مرتبة النقص أو في مرتبة الكمال أو الاولى في مرتبة النقص و الثانية في مرتبة الكمال أو بالعكس ، فالاحتمالات باعتبار القوتين أربعة ولا ينبغي أن يحمل الناقص على ما عليه الكامل بل ينبغي أن يراعى التوسط في كل مرتبة كما يظهر من المثل .

قوله (ثم صلّيا الفجر ثم مكثنا حتى أصبحنا) يمكن أن يراد بالفجر الفريضة و

قال : ثم قام و أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إن هذا آخر النهار وأقل من أوّله فاحتبس حتى صلى المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلى العشاء الآخرة ثم تفرقا فلما كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وما حاجتك ؟ قال : توضأ والبس ثوبيك و اخرج بنا فصل ، قال : أطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني و أنا إنسان مسكين و عليّ عيال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال : أدخله من مثله و أخرجه من مثل هذا - .

(باب آخر منه)

١- أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أسبان عن شهاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً . فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟

بالاصباح الدخول في الصبح المضيء الكامل النور و أن يراد به النافلة مع الحذف أي حتى أصبحا وصليا الفريضة .

قوله (أدخله في شيء أخرجه منه) لا يخفى أن هذه العبارة ذات وجهين لأن الشيء يحتمل الاسلام والنصرانية .

قوله (لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً) عدم اللوم باعتبار قصور في القوة النظرية أو في القوة العملية ظاهر و لذلك لا يلام شارب الخمر مثلا لو ادعى عدم العلم بحرمة و أمكن في حقه ولا من أنكر شيئا مما جاء به النبي و ص ، إذا لم يبلغه بل اللازم عليه حيثئذ هو الارشاد والتعليم برفق والحق الناقص بالكامل ، كما دل عليه الثاني من هذا الباب ، و أما إذا كانت القوتان كاملتين بأن علم مثلا وجوب شيء و قدر على فعله و تركه فإنه يلام قطعاً و منه يظهر الجمع بين الروايات الدالة على اللوم و عدمه فليتأمل .

قوله (إن الله تبارك و تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً) (١) كان

(١) قوله « بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً » حاصلة من ضرب سبعة في نفسها فكانه قسم المراتب أولا إلى سبعة ثم كل قسم إلى سبعة نظير ما مر من المحقق الطوسي « ره » حيث قسم أولا إلى ستة أقسام و كل قسم إلى ستة . (ش)

فقال : إن الله تبارك و تعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً . ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ، ثم قسمه بين الخلق فجعل في رجل عشر جزء و في آخر عشري جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً و في آخر جزءاً أو عشر جزء و آخر جزءاً و عشري جزء و آخر جزءاً و ثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين ، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة و أربعين جزءاً ، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العشرين و كذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحداً أحداً .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن محمد بن عثمان ، عن محمد بن حماد الخزّاز . عن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات

المراد بها العقل و ما يتبعه من قوة الأعمال و الأخلاق كالنواك و الزهد و الورع و اليقين و الرضا و غيرها من الصفات النفسانية ، فانها تبلغ تسعة و أربعين ، ثم جعل تلك الأجزاء أعشاراً بأن جعل النواك عشرة أجزاء ، و قوة العمل عشرة أجزاء ، و قوة البصر كذلك و هكذا ، و الحاصل أنه قدر عمل البصر و السمع و اللسان و الرجل و اليد و عمل القلب أعنى التصديق و الأخلاق أعشاراً ، و يؤيده قوله (ع) في آخر الباب و بعضهم أكثر صلاة من بعض و بعضهم أنفذ بصر من بعض و هي الدرجات .

قوله (فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قسمه بين الخلق) أي جعل كل جزء عشرة أجزاء فبلغ المجموع أربعين جزءاً ، و المالك للجميع هو الكامل مطلقاً و الناقص للجميع هو الناقص مطلقاً و مسا بينهما كامل و ناقص بالإضافة و الناس بعد تفاوتهم بهذه المراتب متشابهون في أصل القوة التكليفية و القدرة و اللوم باعتبار هذه القوة و القدرة و ابطال استعدادهما و صرفهما في غير الجهات المشروعة لا باعتبار ما هو فوق طاقتهما .

قوله (أن الإيمان عشر درجات) (١) يجوز أن يراد بالإيمان هنا التصديق و

(١) قوله و الإيمان عشر درجات لا يناهض ذلك تسبيع الأقسام أو جعلها تسعة و أربعين على ما ذكرنا ، و أما اختلاف الناس في درجاتهم و التكلم معهم على قدر عقولهم و عدم جواز

بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق

الايمان الكامل المركب منه ومن العمل والاجزاء الاصلية المذكورة التي جعل كل واحد عشرة أجزاء .

قوله (و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق) ينبئ لارباب الكمال و اهل الصحة والسلامة أن يرحموا أهل النقص و أرباب الذنوب بانقاذهم و اعانتهم على الخروج منهما بالرفق واللطف تدريجاً لان ذلك دأب الانبياء والعلماء العالمين بكيفية التعليم والتفهيم، و في قوله «فارفعه إليك» دلالة واضحة على أن القيام على الدرجة الاولى ليس من باب الحتم والحصر بل هو قابل للترقى الى الاعلى فالاعلى حتى يبلغ غاية ما يمكن له من الكمال. لا يقال الخبر السابق دل على أن صاحب عشر جزء لا يتقدر أن يكون مثل صاحب العشرين فكيف يؤمر صاحب العشرين بأن يرفعه الى درجته برفق ؟ لانقول لعل

يحمل احد على شيء لا يتقدر فهو مما لا يخفى على المزاولين لهذه الامور كالتدريس والسوخط ووصى به الحكماء أيضاً في علومهم التي لا يستلزم الخطأ فيها سوء العاقبة فكيف في علم الدين الذي لانجاة للمضال فيه بدأ. قال الشيخ أبو علي بن سينا في آخر الاشارات القمك قفى الحكم فى لطائف الكلم فسنه عن الجاهلين والمبتدلين و من لم يرقى الفطنة الوقادة والدربة والمادة و كان صناء مع الفاغة أو كان من ملحدة هؤلاء المتفلسفة ومن همجهم انتهى.

و مما أوصى به افلاطون أن لا يتصدى أحد للفلسفة اذالم يحكم العلوم التعليمية وكان مكتوباً على مدرسه: من لا يعلم الهندسة فلا يحضر هنا والسرفيه أن العقل الانسانى قلما يخلص من شائبة الوهم ومثاله المعروف الميت جماد والجماد لا يخاف منه يحكم به العقل ولا يذعن به الوهم والانسان بعد قيام الدليل على عدم الخوف يخاف من الميت متابعة لوهمه و نظير هذا ثابت فى كل قضية عقلية قام على صحتها البرهان والوهم حاضر يمارضه وقل ان يتفق رجل لا يشعشوش خاطره به ويقدر على الجزم بالحق والقطع على الدليل وعدم الاعتناء بالوهم ومما جربنا فى العلوم وجربنا عليه فى تدريس العقليات منذ سنين الاحتراف من تعليم الفلسفة الالهية لمن لم يرتض ذهنه بالرياضيات كالهندسة والهيئة ولا تكلم فى العقليات مع من لا يعرفها فان الخاطر يتبلبل ويشعشوش عند سماع البرهان و يتردد بين قبول البرهان ومتابعة أوهامه المركزة السراسخة فى قلبه منذ حدائته الى أن كمل و من أحسن ما يؤثر فى اقامة الذهن البراهين الرياضية. (ش)

فتكسره ، فان من كسر مؤمناً فعليه جبره .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن سدير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إن المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقو وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقو وعلى صاحب الست سبعا لم يقو وعلى هذه الدرجات .

٤- عنه ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن سنان ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال : ما أنتم والبراءة ، يبرء بعضكم من بعض ، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصرأ من بعض وهي الدرجات .

(باب نسبة الاسلام)

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا رفعه

المقصود أنه صاحب عشر بالفعل وله استعداد اكتساب عشر آخر على أنه لو فرض اختصاصه بالعشر و عدم استعداده للزائد في نفس الامر فلا ريب في أن صاحب العشرين لا يعلم ذلك ، بل ربما يظن أنه قابل للترقي فهو مأمور بهذا الاعتبار رجاء لتحقيق مظلونه والله أعلم .

قوله (من كسر مؤمناً فعليه جبره) ان كان كسره باخراجه عن الدين فعليه أن يدخله فيه بالارشاد و ان كان يكسر قلبه فعليه أن يرضيه .

قوله (و بعضهم أنفذ بصرأ) لعل المراد بالبصر البصر القلبي فهو اشارة الى تفاوت الدرجات في القوة النظرية و ما قبله الى تفاوت الدرجات في القوة العملية ، و كان قوله (وهي الدرجات) اشارة الى الدرجات التي في قوله تعالى و هم درجات عند الله .

قوله (باب نسبة الاسلام) أي صفته التي ينضح بها أمره و حقيقته ، يقال نسبته الى الشيء نسباً من باب طلب أي عزوته اليه و انتسب هو اليه اعتزى والاسم النسبة بالكسر و لما كانت نسبة شيء الى شيء توضح أمره و حاله وما يؤول هو اليه أراد بها هذا من باب ذكر الملزوم و ارادة اللزوم .

قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا نسبنا الاسلام نسبة لا ينسبه أحدٌ قبلي ولا ينسبه أحدٌ بعدي إلا بمثل ذلك : إن الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والقرار هو العمل والعمل هو الأداء ، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه ، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبروا

قوله (ان الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق و التصديق هو الاقرار والقرار هو العمل والعمل هو الاداء) (١) أشار مع الى أن الاسلام و هو دين الله الذي أشار اليه جل شأنه بقوله د ان الدين عند الله الاسلام ، يتوقف حصوله على ستة امور حتى أنه ينتفى بائتفاء واحد منها الاول التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاء بالاحكام الالهية والنواب و ان كان مرة في طبعه ، الثاني اليقين بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب و هو العلم به مع زوال الشك ، الثالث التصديق الذي هو الايمان الخالص ، الرابع الاقرار بما يجب الاقرار به ، الخامس العمل بالجوارح ، السادس أداء ما افترض الله به بل مآنبه اليه الا أنه حمل كل لاحق على سابقه وكل واحد على الاسلام على سبيل القياس المفصول النتائج وان كانا متغايرين يتوقف السابق على اللاحق لشدة الاتصال بينهما ، ثم هذه العبارة لا تخلو من لطف وهو أنه جعل الذي هو الايمان الخالص الحقيقي بين ثلاثة و ثلاثة و اشتراك الثلاثة التي قبله في أنها من مقتضياته و أسباب حصوله ، و اشتراك الثلاثة التي بعده في أنها من لوازمه و آثاره و ثمراته ، و بالجملة جعل التصديق الذي هو الايمان وسطاً عدلاً ، وجعل أول مراتبه من جهة الاسباب مراقبة الاسلام ، و ثانيها التسليم ، و ثالثها اليقين ، و جعل أول مراتبه من جانب المسببات الاقرار ، و ثانيها العمل ، و ثالثها الاداء فليتأمل .

قوله (ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه) هذا بمنزلة التأكيد لقوله د ان الاسلام هو التسليم ، لان دين الحق لا يجوز أخذه من الرأي بل يجب أخذه من الرب بلا واسطة أو بواسطة عالم رباني ، و من أخذه من الرب كان من أهل التسليم له .

قوله (ان المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله) يرى امام مجهول

(١) قوله و العمل هو الاداء ، وفي نهج البلاغة و الاقرار هو الاداء و الاداء هو العمل ، و تكلم في هذا الحديث شراح نهج البلاغة و استدلل به ابن أبي الحديد على صحة مذهبه و هو ان العمل من الايمان . (ش)

إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

٢- عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبدالرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الإسلام عريان ، فلباسه الحياء و زينته الوقار و مروته العمل الصالح و عماده الورع و لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حببنا أهل البيت.

من الرؤية أو معلوم من الارادة و ما بعده على الاول مرفوع و على الثاني منصوب، وهذا بمنزلة الدليل والتأكيد لما لزم من قوله واليقين هو العمل و صريح في أن العمل معتبر في الايمان و ان كل من كان عمله خبيثاً غير واقع على القوانين الشرعية فهو كافر أو منافق و ان كان مدمياً للايمان، و ان الايمان هو التصديق القلبي والعمل دليل عليه فكل ما دل على أن الايمان هو التصديق مع العمل أدل على أنه العمل فلا بد من حمله على أن اضافة العمل اليه اضافة كمال لا أنه جزء منه بحيث ينتفى الايمان بانتفائه، لا يقال اذا كان الايمان نفس التصديق وجب أن لا يتفاوت اذا التصديق لا يزيد ولا ينقص لانه علم والعلوم لا تتفاوت فوجب أن يكون ايمان أحداً مثل ايمان أمير المؤمنين عليه السلام و أنه باطل قطعاً، لاناقول لانسلم أن العلوم لا تتفاوت وقد زعم النووي من العامة أن التصديق الواحد يزيد باعتبار كثرة الأدلة وان كان هذا لا يخلو من شيء لان كثرة الأدلة انما يفيد العلم بالشئ من جهات متعددة لا تتفاوت العلم ولوسلم فلانسلم أن تفاوت مراتب الايمان وقع من جهة التصديق بل من جهة الاعمال المنضافة اليه لاجل الكمال، و الحاصل أن العمل غير داخل في حقيقة الايمان لانه غير داخل في حقيقة أفراد والتفاوت انما هو بين الافراد لا بين الحقيقة فليتلأمل.

قوله (الإسلام عريان فلباسه الحياء) شبه الإسلام بالرجل العريان في النقص و الضعف و أثبت اللباس له ترشيحاً للتشبيه، و شبه الحياء به لانه يمنع من المعاصي ويحجب عن القبايح و يحسن الصورة و يدفع العار كاللباس الفاخر الساتر و زينته الوقار بمعهد الربوبية والرسالة والولاية، أو الاعم منه و من عهود الناس ولا يبعد أن يراد به الاقرار و التسليم، و مروته العمل الصالح و هو من آثارها اذ من شأن المروة وهي كمال الرجولية الحث على فعل ما ينبنى فعله، و عماده الورع من المنهيات والمكروهات بل من المشبهات أيضاً لان ذلك يوجب ثبات الاسلام وبقائه كما أن فعل المنهيات يوجب زواله و فناءه.

قوله (و لكل شيء اساس) الظاهر أنه كلام أبي عبدالله عليه السلام و استعمار أساس

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن مدرك ابن عبد الله بن حمزة ، عن أبي عبد الله مثله .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني . عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه صلوات الله عليهم قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً . فأما عرسته فالقرآن ، وأما نوره فالحكمة

الإسلام لحب أهل البيت عليهم السلام اذ حبهم مبدء للإسلام ودين الحق وأصل له لما يعتبر فيه و به بناء وثباته .

قوله (ان الله خلق الإسلام فجعل له عرصة) شبه الإسلام بالدار في الرجوع اليه و السكون فيه والانس به و جعل له عرصة وهي موضع واسع فيها لا بناء فيه و جعل له نوراً يرى به ما خفى كما أن للبيت نوراً ، وجعل له حصناً يمنع من خروج المصلح عنه ودخول المفسد فيه كما أن للدار حصناً مانعاً من ذلك ، و جعل له ناصراً ينصره و يروجه و يتدبر في أمره واصلاحه كما أن للدار ناصراً كذلك فأما عرسته فالقرآن لان أهله يستريح فيه و يسير اليه و أيضاً لا يدخل في الدين الا ما يدخل في القرآن كما أنه لا يدخل في الدار الا ما يدخل في العرصة ، وأما نوره فالحكمة (١) لان بالحكمة وهي العلم يظهر أوامر الدين ونواهيها ، و آدابها و أسرارها ، و أما حصنه فالمعروف لان المعروف و اقامته يوجب

(١) قوله «وأما نوره فالحكمة» القرآن والحكمة و بعبارة اخرى الشرع و العقل وان يفيد العقل والحكمة ان لم ينظر بهما الى القرآن ولا يستفيد من القرآن اذالم يتدبر فيه بعقله فالقرآن عرصة يرى ما فيها بنور العقل والحكمة وقد روى في آخر كتاب العقل (المجلد الاول صفحة ٣٣٧) عن أمير المؤمنين «ع» «بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل الى آخره» وفي حديث ورد في بعض نسخ الكافي آخر كتاب العقل و الجهل عن الصادق «ع» في حديث طويل : «أن أول الامور ومبداها وقوتها وعمارتهما التي لا ينتفع شيء الا به» العقل الذي جعله الله ذينة لخلقه ونوراً لهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنهم مخلوقون ، و أنه المدبر لهم ، وأنهم المدبرون ، و أنه الباقي وهم الفانون ، و استدلسوا بمقولهم على ما رأوا من خلقه ، من سمائه وأرضه ، و شمس و قمره . و ليله ونهاره ، بأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول ، و عرفوا به الحسن من القبيح ، و أن الظلمة في الجهل ، و أن النور في العلم ، فهذا ما دلهم عليه العقل .

قيل له : فهل يكتفى بالعباد بالعقل دون غيره ؟ قال : ان العاقل لدلالة عقله الذي جعله

و أمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ، فأحبّوا أهل بيتي و أنصارهم فإنّه لمّا أُسري بي إلى السّماء الدّنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السّماء ، استودع الله حبّتي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة . ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض فاستودع الله عزّ وجلّ حبّتي وحبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا

حفظه من خروج الحق عنه و دخول الباطل فيه و أيضاً حفظه بوجب حياة الاسلام و تركه بوجب هلاكه فهو شبه الحصن ، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ولعل المراد بالشّعبة من كان تابعا لهم في العلم والعمل اذ لا يتصور النصرة بدونهما .

قوله (ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض) فان قلت كيف ذكر نسبة لأهل الأرض والمؤمنون به إلى يوم القيامة لم يكونوا موجودين في ذلك الزمان، قلت لعله نادى بقوله «يا أيها الناس هذا محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم النبيين» فسمع صوته من في

بالله قوامه وزيّنته و هدايته، علم أنّ الله هو الحق، و أنّه هوربه، و علم أنّ لخالفه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية ، فلم يجد عقله يدله على ذلك و علم أنّه لا يوصل اليه الا بالعلم و طلبه، و أنّه لا ينتفع بعقله أنّ لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والادب الذي لا قوام له الا به .

قال الراغب الاصفهاني في كتابه المسمى بالذريعة: الله عز وجل رسولان الى خلّائقه أحدهما من الباطن وهو العقل ، والثاني من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الانتفاع بالرسول الظاهر مالم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة و لهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل و أمر أن يفزع اليه في معرفة صحتهما فالعقل قائد والدين مسدد ولولم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولولم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما كما قال تعالى «وور على نوره» ونقل الفيض رحمه الله - في كتاب عين اليقين عن بعض الفضلاء و هو الراغب في تفصيل النشأتين قال: اعلم أنّ العقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لن يتبين الا بالعقل والعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يثبت بناء مالم يكن اس و لن يفنى اس مالم يكن بناء، و أيضاً العقل كالبصر والشرع كالشماع و لن ينفع البصر مالم يكن شماع من خارج ولن يفنى الشماع مالم يكن بصر . قال : و أيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي بعده فما لم يكن الزيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت انتهى . وقال الرضا «ع» : «لا يمسأ بأهل الدين ممن لا عقل له» . وقال الصادق «ع» «ليس بين الايمان والكفر الا قلة العقل» وكل ذلك مأخوذ من كلام أمير المؤمنين «ع» . (ش)

أُمنى يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو أن الرجل من أمتي
عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي و شيعتي
ما فرج الله صدره إلا عن النفاق.

(باب خصال المؤمن)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن محبوب ، عن
جميل بن صالح ، عن عبد الملك بن غالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن
أن يكون فيه ثمانى خصال : وقوراً عند الهزاهز ، صبوراً عند البلاء ، شكوراً عند
الرخاء ، قانماً بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء ، بدنه منه في

أصلاّب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة فأجاب من أجاب كما نادى خليل الرحمن للحج
أو أراد بذكر نسبه لأهل الأرض ذكره في القرآن فانهم يسمونه بطناً بعد بطن وعصراً بعد
عصر إلى يوم القيامة فيحبهم شيعتهم ويبغضهم عدوهم والله أعلم.
قوله (وقوراً عند الهزاهز) الوقور فعول من الوقار وهو الحلم والرزانة ،
والهز : التحريك ، يقال هز زته هزاً فاهتز من باب قتل أى حركته ، والهزاهز الفتن
يهتز الناس فيها.

قوله (صبوراً عند البلاء) البلاء اسم لما يمتحن به من شر أو خير ، ويقال
بالفارسية «زحمت و نعمت» وكثر استعماله في الشر والمصير وهو حبس النفس على الأمور
الشاقة عليها وترك الاعتراض على المقدور وعدم اظهار الشكاية والاضطراب من
أعظم خصال الايمان.

قوله (شكوراً عند الرخاء) الرخاء النعمة والخصب وسعة العيش ، والشكر الاعتراف
بالنعمة ظاهراً وباطناً ومعرفة حق المنعم والاثيان بطاعته وترك معصيته والشكور للمبالغة فيه.
قوله (قانماً بما رزقه الله) لا يبعثه الحرص على الحرام و جمع ما لا يحتاج اليه
وتضييع العمر فيما لا يعنيه.

قوله (لا يظلم الأعداء) المقصود نفى الظلم مطلقاً وانما خص الأعداء بالذكر لانهم
مورد الظلم اذا العداوة تبعث عليه غالباً.

قوله (ولا يتحامل للأصدقاء) أى لا يتحامل على الناس يعنى لا يجوز عليهم لاجل
الاصدقاء وطلب مرضاتهم ، وقبل لا يتحمل الوزر لاجلهم كما اذا كان عندك شهادة على صديقك
لغيره فلا تشهد له رعاية للصداقة.

تعب والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل أمير جنوده والرفق أخوه والبر والده.

قوله (بدنه منه في تعب والناس منه في راحة) لقيامه بالعبادات ليلاً ونهاراً واشتغاله بالطاعات سرّاً وجهاراً حتى أسهرت ليلاليه وأظلمات هواجره وكان همه بعد ذلك رفع الأذى عن الناس وإيصال الخير إليهم، فهم منه في راحة دنيوية وأخروية.

قوله (إن العلم خليل المؤمن) إشارة إلى ما هو الأصل لجميع ما ذكر لتوقف الخصال المذكورة على هذه الأمور، والمخلقة بالضم. الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فسارت خلاله أي في باطنه والخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول، و إنما كان العلم خليل المؤمن لأنه ينفعه غاية النفع كالخليل، والمراد بالمؤمن النفس الناطقة المطيعة المنزلة إلى هذا البدن لتحصيل معرفة الحق من جهة آثاره، ومشاهدة عجائب صنعه، والتقرب منه قبل المود وبنده على الوجه الأكمل كما قال عزشأنه وسرّهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، ولما كان ذلك التحصيل لا يتم إلا بالأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والحلم والعقل وغيرها خلقت لها هذه الأمور وجعلت جنودها وهي سلطان على الجميع تأمر كل واحد بما خلق له تنهاه عن غيره فتأمر اللسان بالقول الصحيح وتأمر البصر بالنظر الصحيح وتأمر الشهوة بطلب ما ينفع البدن وتأمر الغضب بدفع ما يضره، وقس عليه وكما أن للسلطان الظاهر وزيراً يشاورة في نظام أمره ومملكته وأميراً لجنوده يقهر الأعداء بحسن تدبيره ويضبط أمور عماره، كذلك لسلطان البدن وزير وأمير فوزيره الحلم وأميره العقل إذ العقل ينهى إليه أن مرسوم اليد مثلاً الأخذ والأعطاء الصحيحين، ومرسوم اللسان القول اللين والاقوال الصحيحة الموافقة للقوانين الشرعية، ومرسوم الشهوة هو القدر الضروري من الطعام والشراب ونحوهما، ومرسوم الغضب هو دفع المانع منه ودفع المدد المفسد في أمر الوزير وهو الحلم بأن يعطى كل واحد ما أنهأه الأمير إليه ويمتنعه من التجاوز عنه، فأمر البدن إذا رجع إليها تم نظام مملكته وصارت جنوده مسخرة له فتحمّل له السعادة الأبدية والتقرب بالحضرة الربوبية ولو انعكس الأمر وعصت الرعايا وغلبت الشهوة والغضب على الأمير والوزير زالت سلطنته وخربت مملكته ونكست أحواله وبعد عن مولاة وهو من الخاسرين.

قوله (والرفق أخوه والبر والده) أي الرفق وهو اللين والتلطّف بالصديق والعدو والجليس والرفق، بمنزلة الأخ في دفع الشر عنه. والبر هو الاحسان إلى الخلق بمنزلة الوالد في جلب النفع وطلب الخير له.

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الايمان له أركان أربعة التوكل على الله ، وتفويض الأمر إلى الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله عز وجل .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه عمه ذكره ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفون حتى تصدقوا ولا تصدقون حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح

قوله (الايمان له أركان أربعة) المراد بالايمان اما التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو مع العمل ، ولكماله أولثباته واستقراره أركان أربعة لو انتفى أحد ها لبطل كماله وزال استقراره الاول التوكل على الله وهو الاعتماد عليه والثبوت به في الرزق وغيره من الضروريات ، وقطع تعلق القلب بغيره من الأسباب والمسببات وهو يوجب قوة الايمان وثباته اذ لو انتفى التوكل عليه وتعلق القلب بغيره من الأسباب والمسببات والوسائط تحركت الجوارح الى تحصيلها وفرغ القلب عن ذكره وذهلت الجوارح عن طاعته ، وهو يوجب ضعف الايمان ، الثاني تفويض الامر في دفع شر الأعداء وكيد الخصماء ومكائد النفس ووساوس الشيطان أو مطلقاً الى الله كما فوض مؤمن آل فرعون أمره الى الله وفوقاه الله سيئات ما مكروا ، فان من استكفأ كفاء الله وفرغ هو لذكره وطاعته وهو يوجب قوة الايمان وثباته ، الثالث الرضا بقضاء الله في حصول الشدة والرخاء ونزول المصيبة والبلاء ، وهذه خصلة شريفة توجب كمال الايمان وثباته ، وانتفاؤها يوجب السخط بالله وبصنعه ، وذلك يوجب نقص الايمان بل زواله غالباً ، الرابع التسليم لامر الله عز وجل والالتقياد له في الشرايع والاحكام والحدود وكل ما أنزله على رسوله وهو في الحقيقة قبول قول الله وقول الرسول والامور وأفعالهم ظاهراً وباطناً و تلقاها بالبشر والسرور وان كان ثقبلاً على النفس وغير موافق للطبع ، وهو أصل عظيم لرسوخ الايمان وكماله اذ لو انتفى استولى ضده وهو الشك على القلب والشك يناهض أصل الايمان فضلاً عن كماله .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه) قد مر هذا الحديث سنداً و متنأ في أوائل كتاب الحججة في باب معرفة الامام والرد اليه و ذكرنا شرحه مفصلاً .

قوله (انكم لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا) ذكر اموراً أربعة كل سابق موقوف

أولها إلا بآخرها ، ضل أصحاب الثلاثة و تاهوا تيهاً بعيداً ، إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يتقبل الله إلا بالوفاء بالشروط والعهود ، ومن وفى الله بشروطه و استكمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل وعده ، إن الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون ، فقال : « و إنني لفغار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » و قال : « إنما يتقبل

على اللاحق لظهور أن الصلاح وهو التحلى بالفضائل الظاهرة والباطنة والتخلى عن الرذائل متوقف على معرفتها والمعرفة متوقفة على التصديق اذ هي بدونه نفاق واستهزاء ، والتصديق موقوف على تسليم أبواب أربعة . و لعل المراد بها الاقرار بالله ، والاقرار بالرسول ، والاقرار بما جاء به الرسول ، والاقرار بالائمة عليهم السلام بعده ، أو المراد بها الرسول وعلى والحسن والحسين عليهم السلام ، أو المراد بها الاربعة المذكورة في الآية الاتية و هي التوبة والايمان والعمل الصالح والاعتداء وهو متابعة الامام ولكن لا يخلو هذا من مناقشة .

قوله (لا يصلح أولها الا بآخرها) فلا يصلح الاقرار بالله والتسليم له الا بالاقرار بالامام والتسليم له .

قوله (لا يقبل الا العمل الصالح) وهو المشتمل على ما يعتبر في تحققه و صلاحه شرعاً داخلاً كان أم خارجاً ومن جملة ذلك التسليم للأبواب الاربعة وهو شرط الله و عهده على عباده في صلاح العمل و قبوله واستحقاق الاجر به . ولا يتقبل الله من العاملين أعمالهم الا بوفائهم بشروطه وعهوده ومن وفى الله بشروطه وحفظها وأتى بما وصف في عهده على وجه الكمال ورءاء و عبده بإرشاد الرسول والهداء من بعده نال ما عنده من الثواب الجزيل و استكمل وعده من الاجر الجميل كما قال عز وجل أو فوا بعهدي أو ف بعهديكم أى أو فوا بما عاهدتكم عليه من الامور المذكورة أو ف بعهديكم من الثواب والجزاء . وقيل ان للوفاء عرضاً عريضاً أوله الاقرار بالشهادتين و آخره الاستغراق في التوحيد .

قوله (ان الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى) بيان للشروط والعهود المذكورة أو تأكيد لها أو دليل عليها ولذا ترك المطف ، والمراد بطريق الهدى طرق الشرع الموصلة الى المطلوب الهادية الى مقام القرب وبالمنار وهي جمع المنارة على غير قياس يعنى موضع النور ومحل اعلام الهدى وهم الحجج عليهم السلام لانهم محال أنوار الله تعالى و علومه التي بمنزلة النور في الايصال الى المطلوب باخبارهم كيفية سلوكهم طرق الشرع والزامهم باقتفاء آثار الحجج و اتباع أقوالهم وأعمالهم و عنائهم فقال عز وجل :

(و انى لفغار لمن تاب) عن الباطل و رجع الى والى الحجج (و آمن) بى وبهم

الله من المتقين » فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره لقي الله عز وجل مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنوا أنهم آمنوا و أشرکوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى، و صل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ﷺ و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله وهو الاقرار بما نزل (وعمل صالحاً) ببيانهم وارشادهم، (ثم اهتدى) الى والى مقام قربي أو الى العلم بأنه لا يتحقق المغفرة والعمل الصالح بدون التوبة والايمان المذكورين.

(و قال عز وجل انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتمكنون بما جاء به الرسول (ص) و بين لهم الحجج ولم يتجاوزوه ويقومون على ما أمرهم الله به و ينتهوا عما نهاهم عنه. (فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره) من متابعة الحجج و اقتفاء آثارهم . (لقي الله عز وجل) يوم القيامة مؤمناً (بما جاء به محمد ص) هيهات هيهات (أي بعد التقوى واللقاء بالايمن . (فات قوم) في الضلالة (و ماتوا قبل أن يهتدوا) الى الله و الحجج (و ظنوا أنهم آمنوا) بالله و الحال أنهم (أشرکوا) به (من حيث لا يعلمون) انه اتباع الهوى و ترك متابعة الحجج شرك بالله العظيم، ثم أوضح ذلك على سبيل الاقتباس من القرآن الكريم بقوله (أنه من أتى البيوت) بيوت الشرع (من أبوابها) وهي الحجج (اهتدى) الى دين الله الموصول اليه (و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى) أي الضلال و الهلاك و سر ذلك أن الوصول الى الله متوقف على سلوك سبيله المتوقف على العلم بالمبدأ و المعاد و القوانين الشرعية المقررة بالوحي و شيء من ذلك لا يتيسر الا بإرشاد معلم رباني وهو النبي و من يقوم مقامه من الاوصياء و العلماء التابعين لهم فمن أخذ منهم فقد اهتدى ، و من عدل عنهم فقد سلك سبيل الردى و ضل عن سبيل الحق، و مثله كمثل من قصد جهة الشرق وهو سلك سبيل الغرب فكلما بالغ في السير بعد عن المقصد و ضل عن سبيله وهو الضلال البعيد (ثم أكد ذلك بقوله ص، و صل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته) في قوله و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول واولى الامر منكم و هو يفيد التلازم (فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله) لان ترك اللززم يوجب ترك الملزوم و الحال أن الاقرار بطاعة ولاة الامر (وهو الاقرار بما نزل من عنده) وهي الآية الكريمة لان كل من أقربه فقد أقر بالاولين أيضاً دون العكس فان كثيراً من الناس أقرؤا بالاولين دون الاخير فهم لم يقرؤا بما نزل من عنده ثم بالغ في الاقرار بولاية الامر و حث عليه بقوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والزينة مطلق ما يتزين به شرعاً، ومنه الاقرار والتصديق بولاية ولاة الامر لانه أعظم ما يتزين به الظاهر و

من عند الله ، خذوا زينتكم عند كل مسجدة والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع
و يذكر فيها اسمه ، فإنه قد خبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب و
الأبصار ، إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصداقين لذلك في نذره
فقال : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » تاء من جهل و اهتدى من أبصر وعقل ،
إن الله عز وجل يقول : « فأنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »
و كيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم ينذر اتبعوا رسول الله ﷺ وأقروا

الباطن (والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) أي اطلبوها وهي بيوت
النبوة والوصاية التي شرفها الله تعالى على بيوتات سائر الأنبياء والأوصياء ، و يذكر فيها
اسم الله وآياته ، كما أشار إليه بقوله (فإنه قد خبركم أنهم) أي الرسول وولاء الأمر (رجال لا
تلهيهم تجارة) أي مطلق الاكتساب (ولا بيع عن ذكر الله) عز وجل (وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة يخافون يوماً) أي عذابه أو شدة (تنقلب فيه القلوب و الأبصار) ظهر
البطن و من جانب الى جانب كتقلب الحية على الرمضاء و ذلك لكثرة شدائده
و عظيمة مصائبه .

قوله (إن الله قد استخلص الرسل لأمره) والاستخلاص رهائدين خواستن ورهانيد
خواستن وبالك شدن خواستن ، و كان النذر بضمين جمع النذير ، و أن المراد به على بن
أبي طالب و ولادة الأمر بعده ، أي جعل الرسل خالصين لأمره فارغين عما عداه بالمجاهدات
النفسانية والتأبيدات الربانية ثم جعلهم خالصين من باب التأكيد حال كونهم مصدقين لأجل
خلوصهم في نذره أي في وصف الأولياء و تعيين الأوصياء (فقال وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير) فكيف يجوز أن لا يكون في هذه الأمة نذير منصوب من قبل الله و قبل رسوله ، و فيه
رد على من جعل الكفرة أصحابين للخلافة قائلين للنبي (تاء) أي تحير في الدين و ضل الطريق
من جهل النذير و اهتدى من أبصر وعقله .

قوله (إن الله عز وجل يقول فأنها لاتعمى الأبصار) فيه تسهيل للأول و تقبيح للثاني ،
و إشارة الى أن سبب الجهل ذهاب البصيرة و ابطال القوة القلبية التي بها تدرك الصور
الحقة والأسرار الالهية و ابطالها ينحصر تارة بعدم التفكير والتدبر ، و أخرى بمتابعة القوة
الشهوية والغضبية حتى ينزل في الدرجة الحيوانية .

قوله (كيف يهتدى من لم يبصر وكيف يبصر من لم ينذر) إشارة الى أن الهداية

بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فانهم علامات الأمانة والتقوى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار. تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم.

٤- عنه، عن أبيه، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه عليه السلام

الى الدين بدون البصيرة والبصيرة بدون هداية الهادى وارشاد المنذر محال ولذلك أمر باتباع الرسول والائمة الهداة بعده فقال (اتبعوا رسول الله ص) وأقروا بما نزل من عند الله) ومنه طاعة ولاية الامر (واتبعوا آثار) ائمة (الهدى) من العقائد والاقوال و الافعال و الاخلاق (فانهم علامات الامانة والتقوى) اذ بهم يعرف الامانة أى الدين والتقوى، ويعلم أركانها وشرائطها وكيفية الوصول اليهما والتقوى ملكة تحدث من ملازمة المأمورات واجتناب المنهيات والمشتبهات وثمرتها حفظ النفس عن الدنيا.

قوله (واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم) المقصود أن من أنكر واحداً من الائمة أو أزاله عن موضعه لم يؤمن بالله، وذكر عيسى بن مريم على سبيل التمثيل والا فالحكم مشترك وهو أن منكر أحد من الرسل غير مؤمن بالله تعالى مما ذهب اليه هذا المتكلمين ودليلهم على ذلك هو السمع دون العقل اذ لا يمنع فى العقل أن يعرف الله من كذب رسوله لانها معلومان لا ارتباط لاحدهما بالآخر عقلا، لا يقال العقل دل عليه لان منكر الرسول مقر باله غير مرسل لهذا الرسول، ولا شيء من المقر باله غير مرسل لهذا الرسول مقر بالله سبحانه فلا شيء من منكر الرسول مقر بالله سبحانه فلا يكون مؤمناً به وهو المطلوب أما الصغرى فصادقة لانها الواقع وأما الكبرى فلان الاله الذى لم يرسل هذا الرسول ليس هو الله سبحانه، لانا نقول يصير النزاع لفظياً والكبرى فيها مصادرة. أما الاول فلان الخلاف يتوجه الى أن العارف بالشيء المقرب من وجهه وغير مقرب من وجهه آخر هل يسمى عارفاً لذلك الشيء أم لا، وأما الثانى فهو ظاهر فليتلأمل.

قوله (اقتصوا الطريق بالتماس المنار) قص الاثر و اقتصه اذا تبعه، أى اتبعوا الطريق و اطلبوه بطلب أعلامه التى نصبت لمعرفة كلياتها.

قوله (والتمسوا من وراء الحجب الآثار) أى اطلبوا آثار الائمة وأخبارهم من وراء حجب شبهات الجاحدين، أو من وراءهم، ففيه أمر بالرجوع اليهم عند غيبتهم بخلاف السابق فانه أمر به عند حضورهم، و يحتمل أن يراد بالحجب الانبياء ففيه حث على اقتفاء آثار أقدامهم و سلوك طريقهم، ولا ينحقيق ذلك الا بارشاد الاوصياء.

قال : رفع إلى رسول الله ﷺ قوم في بعض غزواته فقال من القوم ؟ فقالوا :
مؤمنون يا رسول الله ، قال : وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر
عند الرخاء والرضا بالقضاء ، فقال رسول الله ﷺ : حلمااء علماء كادوا من الفقه
أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تصفون ، فلا تبثوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا
تأكلون و اتقوا الله الذي إليه ترجعون .

(باب)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ،
و عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن
يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام و بأسانيد مختلفة ، عن الأصمغ
ابن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره - أو قال : في القصر - و نحن
مجتمعون ، ثم أمر صلوات الله عليه فكُتب في كتاب و قرئ على الناس و روى غيره
أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام و الايمان و الكفر و النفاق ،

قوله (فقال من القوم) سأل عما يوجب تعيينهم من الخصال والصفات (فقالوا
مؤمنون) أي نحن أو القوم مؤمنون ، و لما كان للإيمان آثار و لوازم شريفة يدل عليه
سأل عما بلغهم منها من أجل إيمانهم فقالوا : الصبر على المشاق عند البلاء و الشكر للمنعم
عند الرخاء و الرضا بالقضاء ، و لما كانت هذه الامور من آثار العلم و الحكمة و الحلم
و كانت من أعظم صفات الانبياء قال « ص » حلمااء علماء (١) لان وجود الاثر يدل على
وجود المؤثر ، و شبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه و التقارب ، ثم لما كانت هذه
الصفات تقتضي الزهد في الدنيا و التقوى أي الاتيان بالامورات و ترك المنهيات حثهم
على الاول بقوله : ان كنتم صادقين ، فلا تبثوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون و خصهما
بالنهي لانهما من أعظم مطالب الراغبين في الدنيا و على الثاني بقوله (واتقوا الله الذي إليه
ترجعون) و فيه وعد و وعيد جميعاً .

(١) قوله « علماء حلمااء » لانهم استنبطوا الوازم الايمان بعقلهم فانهم فهموا أن المؤمن
يصبر عند البلاء اذ علموا أن ما يصيب الانسان انما هو من الله تعالى و هو لا يريد السوء له بقاء
و الشكر عند الرضا لان النعمة منه تعالى ، و الرضا بالقضاء يعم ذلك وغيره ، و ساءهم الفقهاء
لاستنباطهم و عدم وقوفهم على حفظ ماسموا .

فقال : أمّا بعد فإنّ الله تبارك و تعالى شرع الاسلام و سهل شرائعه لمن ورده و أعزّ أركانه لمن حاربه و جعله عزّاً لمن تولّاه و سلماً لمن دخله و هدى لمن اتّهم به و زينة لمن تجلّله و عذراً لمن انتحلّه و عروة لمن اعتصم به و حبلاً لمن استمسك به و برهاناً لمن

قوله (و روى غيره أن ابن الكواء) الظاهر أن ضمير غيره راجع الى الاصبح بن نباته ، و عبدالله بن الكواء من رجال أمير المؤمنين (ع) خارجي ملعون.

قوله (شرع الاسلام) أى أظهره و أوضحه أو جعله شريعة للمقول و طريقاً لها لتسلّكه اليه .

قوله (و سهل شرائعه لمن ورده) الشرائع جمع الشريعة و هى طريق الماء . و المراد بها قواعد و أركانه و خطاياه على سبيل الاستعارة ، و بتسهيلها اظهارها و ايضاحها و جعلها سهل المأخذ بحيث يفهمها الفصيح و الالكن و يدركها الغبي و الفطن.

قوله (و أعزّ أركانه لمن حاربه) لعل المراد باعزاز أركانه أى قواعده و قوانينه و أحكامه و حدوده . حمايتها بنصره و رفعتها بأهله على من قصد محاربتها و هدمه و اطفاء نوره و ازالة بنيانه مغالبة من المشركين و الجاحدين و الجاهلين.

قوله (و جعله عزّاً لمن تولّاه) فى الدنيا من القتل و الاسر و النهب بالعدوان و فى الآخرة من العذاب و النكال و الخزي و الخذلان.

قوله (و سلماً لمن دخله) استعار له لفظ السلم بالكسر و هو الصلح باعتبار عدم أذاه لمن دخل فيه و انقاد لحكمه فهو كالمسالمة المصالح له ، و قد لاحظ شبهه بالغالب من الشجعان باعتبار مسالمتهم و مصالحتهم لمن تبعهم و انقاد لأمرهم ، و ايذاهم لمن خالفهم و عاندهم و فى معنى مسالمتهم معه جعله محقون الدم مستقراً فى يده ما يملكه و محفوظاً فى الآخرة من عقوبة المخالفة.

(و هدى لمن اتّهم به) فانه يهديه الى سعادة الدنيا و الآخرة التى أعظمها قرب الحق و هو المطلوب من خلق الانسان .

(و زينة لمن تجلّله) أى جعله برداً و لباساً من قولهم جلل فرساً له فتجلّل . ولا ريب فى أن أحكام الاسلام بعضها يتعلّق بالظاهر و بعضها يتعلّق بالباطن ، و من تلبس بها يتزين ظاهراً و باطنه فيصير انساناً كاملاً له صورة مزينة ظاهراً و باطناً (و عذراً لمن انتحلّه) العذر بالضم و ضمّتين و الممذرة اسم لما يرفع به اللوم . و الانتحال اما بمعنى أخذ النحلة و الدين أو بمعنى ادعائه و انتسابه اليه مع عدم كونه له ، و الاسلام على الاول عذر له فى الدنيا و الآخرة و يرفع به اللوم عنه مطلقاً . و على الثانى عذر له فى الدنيا و يرفع عنه لومها مثل القتل

تكلّم به و نوراً لمن استضاء به و عوناً لمن استغاث به و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاج* به و علماً لمن وعاه و حديثاً لمن روى و حكماً لمن قضا و حلماً لمن جرب

والأسر و النهب و الاذى و غير ها .

(و عروة لمن اعصم به) عروة دسته كوزه و دسته هرچيز ، و اعتصام دست درزیدن . لاحظ شبه الاسلام بالعروة لانه عروة الخيبرات كلها فمن اعتم به ملك جميعها و رفعها لنفسه . (و حبلاً لمن استمسك به) لان الاسلام حبل الله المتين بينه و بين خلقه فمن استمسك به خرج من حضيض النقص الى أوج الكمال و من جبب الغربة و الفراق الى منزل القرب و الوصال ، و الحبل يطلق على الرسن و على المهد و الامان و الكل محتمل .

(و برهاناً لمن تكلم به) لان من علم حقيقته و عرف أسرار غلب به على من حجه و أنكره عند المناظرة و لذلك كان العالم بالشرع كما ينبغي فائقاً على الباطل و أهله دائماً .

(و نوراً لمن استضاء به) شبهه بالنور و استعار له لفظه و رشح به بذكر الاستضاءة ، و وجه المشابهة أنه يهدي النفس الناطقة المستضيئة به في ظلمات البشرية و الفساش النفسانية الى فناء القدس و طريق الجنة .

(و شاهداً لمن خاصم به) الشاهد أهم من البرهان لتناوله الجدل و الخطابة مع احتمال ارادة أنه برهان لمن احتج به و شاهد لمن جعله مؤيداً .

(و فلجاً لمن حاج به) الفلج بالفتح و السكون الظفر و الفوز كالافلاج ، و الاسم منه الفلج بالضم و السكون وهو الغلبة و جعله فلجاً من باب المبالغة لكونه تاماً في الغلبة فكأنه نفسها . (و علماً لمن وعاه) اطلاق العلم على الاسلام من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول العلم لمن وعاه و حفظه و توقف و عبه و حفظه على قدر من العلم به لا يناقض ذلك لان العلم به يزداد و يتكامل بالتدريج حتى يبلغ غاية الكمال .

(و حديثاً لمن روى) خبراً جديداً مشتملاً على المواعظ و النصائح و القصص و الاحكام و الحدود و غيرها لمن روى ، و أخبر ، و فيه حث على روايته . و في السابق على درايته .

(و حكماً لمن قضى) أى و جعله حكماً زاجراً عن القبائح باعناً على المحاسن لمن اريد القضاء و الحكم و هو أصل له .

(و حلماً لمن جرب) اطلاق الحكم على الاسلام مجاز من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول ملكة الحلم لمن جرب الامور و تفكر في عواقبها و عرف قبح السفه الناشئ من طغيان القوة الغضبية و تجاوزها عن الاعتدال . و من خفة النفس و حركتها الى ما لا يليق مثل القتل و الضرب و البطش و الشتم و الترفع و التسلط و الغلبة و غيرها

و لباساً لمن تدبر و فهماً لمن تفطن و يقيناً لمن عقل و بصيرة لمن عزم و آية لمن توسم و عبرة لمن اتعظ و نجاة لمن صدق و تؤدة لمن أصلح و ذلقى لمن اقترب و ثقة لمن توكل و رخاءاً لمن فوض و سبقة لمن أحسن و خيراً لمن سارع و جنة

من المفاسد. (و لباساً لمن تدبر) فان من تفكر فيه وتدبر في أوامره وزواجره وربط نفسه بقوانينه ومعارفه حصلت له حالة متوسطة معتدلة محيطية بباطنه شبيهة باللباس في الاحاطة و الشمول والزينة وهي لباس العلم والمعرفة، و أطلق تلك الحالة على الاسلام اطلاقاً للمسبب على السبب لان الاسلام ومعارفه سبب لها .

(و فهماً لمن تفطن) الفهم جودة تهيو الذهن لقبول ما يرد عليه ولما كان الاسلام و الدخول فيه و رياضة النفس بقوانينه لاتصاف الذهن بذلك التهيؤ وقبوله للانوار العقلية و الاسرار الربوبية أطلق عليه لفظ الفهم مجازاً اطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

(و يقيناً لمن عقل) لما كان اليقين هو العلم الاستدلالي مع زوال الشك ، و كان الاسلام و الدخول فيه و التمسك بقوانينه سبباً لحصوله أطلق عليه لفظ اليقين مجازاً على نحو مامر . (و بصيرة لمن عزم) أي من عزم على أي أمر من الامور الدنيوية و الاخرية و قصد فعله فان في الاسلام بصيرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي وهذا الاطلاق أيضاً مثل مامر .

(و آية لمن توسم) أي من تفرس طرق الخير الموصلة الى الحق و مقاصده التي ترشد الى ساحة القدس فان الاسلام آية و علامة لذلك المتفرس المتوسم فاذا اهتدى بهاسلك طريق الهدى . (و عبرة لمن اتعظ) عبرت اعتبار گرفتن و پند گرفتن ، و تمتع پند گیرنده و ذلك ظاهر لان في الاسلام عبرة للمعتبر و عظة للمتغظ لما فيه من أخبار القرون الخالية و أحوال الايام الماضية و كيفية تصرف الزمان بهم و جريان القضاء فيهم مثل قوم فرعون و عاد و ثمود و قوم نوح و صالح و هود و غيرهم ممن لا يحصى كثرة .

(و نجاة لمن صدق) فان الاسلام سبب لنجاة من صدق الرسول فيما جاء به و دخل فيه من القتل و الاسر و النهب و الاذى في الدنيا ، و من العذاب و العقوبة في الآخرة ، و الاطلاق فيه و فيما سبق مثل مامر . (و تؤدة لمن أصلح) التؤدة - بضم التاء و سكون الهمزة و فتحها - الرزانة و التأنى و ذلك ظاهر لان من أصلح بقواعد الاسلام و تبع حكمه كان الاسلام سبباً لتأنيه و رزاقته . (و ذلقى لمن اقترب) ذلقى نزديك شدن يعنى أن الاسلام سبب القرب من الله لكل من اقترب اليه ، و الحاصل أن كل من اقترب فسبب قربه هو الاسلام باعتباره التمسك بذيله ، و العمل بقوانينه .

(و ثقة لمن توكل) أي هو سبب ثقة و اعتماد لمن توكل على الله لاشتماله على

لمن صبر و لباساً لمن اتقى و ظهيراً لمن رشد و كهفاً لمن آمن و أمانة لمن أسلم و

الوعد الصادق مثل من يتوكل على الله فهو حسبه وغير ذلك و هو يوجب زيادة استمداد للتوكل .
(و رخاء لمن فوض) أى هو رخاء سهل غير صعب لمن فوض فعله اليه ولم يتكلف فان الاسلام
ملة سهلة . وقبل من ترك البحث والاستقصاء من الدليل فتمسك باحكام الاسلام ودلائل القرآن
والسنة المتداولة بين أهله ، و فوض أمره اليه استراح بذلك التفويض ولا يقع في تعب ، وقبل :
المراد أن المسلم اذا كمل اسلامه و فوض أمره الى الله كفاه فى جميع الامور وأراحه من
الاهتمام بها . (وسبقة لمن أحسن) السبقة والسبق بفتحين الخطر وهو ما يتراهن عليه
المتسابقان أى الاسلام خطر و حظ لمن أحسن الى أهله وأمن أحسن صحبته ، أو لمن أحسن العمل
فيه ، أو الأعم من الجميع وبالجملة هو نصيب المحسن . وكان غير المحسن ليس له نصيب فيه .
(و خيراً لمن سارع) الخير ما ينفع فى الدنيا والاخرة ، والاسلام خير لمن سارع اليه لانه
ينفعه فيهما . (و جنة لمن صبر) استعار لفظ الجنة للاسلام لانه يحفظ من صبر على العمل
بقواعده وأركانه من العقوبة الدنيوية والاخرية كما أن الجنة تحفظ صاحبها من شر
الاعداء وضروبهم . (و لباساً لمن اتقى) فان من اتقى الله حق تقاته واجتنب عما يضر فى
الاخرة من محرّماته ومكروهاته وترك واجباته حصلت له حالة معتدلة محيطة بظاهره ، و
سمى تلك الحالة الشبيهة باللباس فى الاحاطة والشمول والزينة اسلاماً مجازاً تسمية للمسبب
باسم السبب ، لان تلك الحالة حصلت بسبب الاسلام و متابعتها . فالمراد باللباس هنا لباس
الظاهر وهو لباس التقوى وفى السابق لباس الباطن المحيط بالنفس الناطقة الحاصلة
بالتدبر والتفكر فى معارف الاسلام و أسرار الله أعلم .

(و ظهيراً لمن رشد) ظهير يارى كنده وهم پشت . ورشد راه راست يافتن ، وانما كان
الاسلام ظهيراً لمن رشد وسلك طريقاً مستقيماً وهو طريق الحق لان قواعده ترشد اليه ، و
قوانينه تدل عليه ، فهو يعميه ويمده الى أن يبلغ الى الغاية ويصل الى النهاية .

(و كهفاً لمن آمن) كهف غارى كه دركوه باشد ، و پناهى كه دفع كند از شخص
حوادث را . يعنى من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر فقد دخل فى الاسلام الذى بمنزلة الكهف
فى دفع الضر عنه اذ كل ضرر يعود الى أحد فانما يعود اليه بمخالفة قانون من قوانينه و
خروجه منه . (و أمانة لمن أسلم) أمانة ايمن داشتن و بى ترس شدن . يعنى من أسلم لله ودخل
فى الاسلام كان آمناً من غيره فالاسلام سبب لآمنه ، فاطلاق الامنة على الاسلام للمبالغة فى
السببية . (و رجاء لمن صدق) يعنى من صدق النبى و العترة النبوية دخل فى الاسلام ،
والاسلام سبب لرجائه المثوبات الدنيوية والاخرية .

رجاء لمن صدق و غنى لمن قنع، فذلك الحق، سبيله الهدى و مآثرته المجد و صفته الحسنى فهو أبلغ المنهاج مشرق المنار، ذا كى المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار،

(و غنى لمن قنع) غنى آسوده داشتن و فائده دادن و بس كردن . و قناعت باندك چیزی اكتفا كردن. و لعل المراد أن من قنع بالقليل من المال و اكتفى بالكفاف من الرزق، فالاسلام غنى له اعلان التمسك بقواعده و الاعتماد بقوانينه . يوجب وصول ذلك القدر اليه كما قال عز وجل و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب ، أولانه يحثه على القيام بها و يفيد الثبوت عليها لاشتماله على فوائد القناعة و مضار عدمها و الله أعلم .

(فذلك الحق سبيله الهدى) هدى راه نمودن و بيان كردن و راه راست، د و الفاء، للتفريع، و ذلك للتنبيه على علو المنزلة يعنى ذلك الحق الثابت الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه وهو الاسلام، سبيله اراءه الطريق الموصلة الى المطلوب، أو سبيله السبيل المستقيم الموصل اليه، أو سبيله بيان ما يحتاج اليه الانسان .

(و مآثرته المجد) المآثرة بالسكون بعد الفتح قبل الضم. المكرمه واحده المآثر و هى المكرم من الاثر و هو النفل و الرواية لانها تنقل و تروى و المجد الكرم و الشرف، و رجل ماجد أى كريم شريف، و لعل المقصود أن مكارمه عين الشرف لاهله أو مقتضية له .
(و صفته الحسنى) أى الخصلة الحسنى مثل الدعوة الى الخير و نحوها .

(فهو أبلغ المنهاج) الأبلغ الواضح من بلغ الحق اذا وضح و ظهر، و منهاج الاسلام طريقه التى يصدق على من سلكها أنه مسلم و هى الاقرار بالله و رسوله و التصديق بما جاء به الرسول و وضوحها ظاهر. (مشرق المنار) الاشراف بالانوار، و المنار الاعمال الصالحة التى يتنور بها قلوب العارفين كالمبادات الخمس و نحوها، و كونها مشرقة ظاهر، و قد يقرىء بالفاء. و كونها مشرقة عالية على غيرها من المبادات أيضاً ظاهر .

(ذاكى المصباح) الذاكى المثوقد المستنير يقال ذكت النار اذا اشتد لهبها و استنار، و المصباح جراح، و الجمع مصابيح استعاره للفق و المعارف الاسلامية و رشحه بالذكاء و وصفه بالذكاء و الاستمارة اما لانه فى نفسه نور الهى مستنير و اطلاق النور على العلم شائع أو لظهوره من الأدلة الاسلامية و هى الكتاب و السنة بل يمكن أن يراد به نفس هذه الأدلة، و قيل اريد به علماء الاسلام و كنى بالذكاء عن صفاء عقولهم، أو عن ظهور العلم و اقتداه الخلق بهم.

(رفيع الغاية) كما جعل للاسلام مصباحاً و للمصباح ذكاء كذلك جعل له غاية و للنساية رفعة و لعل المراد ببايته الوصول الى الجنة، و رفعتة ظاهرة اذ لا غاية أرفع منه منزلة و أعلى منه مرتبة، أو المراد الموت المعروف أو موت الشهوات و كون كل واحد رفيعاً لكونه سبباً للوصول المذكور

جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النعمة، كامل العدة، كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه والصالحات مناره والفقه مصايحه والدنيا مضماره والموت غايته والقيامة حللته

والثقوب بالحق. (يسير المضمار) المضمار الميدان و مضمار الاسلام الدنيا وهى يسير قليل يسهل السبق فيها الى الله تعالى، وفى بعض النسخ وبشيرة بالشين المعجمة فكانها تبشر للسابق بما عند الله تعالى. (جامع الحلبة) الحلبة وزان سجدة و ضربة خيل يجمع من كل أوب للسباق ولا يخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى آخر الخيل وهى بمعنى الحلبية، ولهذا تجمع على حلاليب، وقد شبه المسلمين بالحلبة واستمار لهم لفظها حيث اجتمعوا فى الاسلام للسباق الى طاعة الرب وقد شاع اطلاقها على محلها تجوزاً، وهذا الاطلاق هو الاولى بالارادة هنا بالنظر الى ماسياتى ومحلها هنا هو القيامة لانها محل لاجتماعهم فيها للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع الخيل فى الحلبة للسباق الى السبق وهو الرهن.

(سريع السبقة) سبقتها الجنة وسرعتها ظاهرة لان مضمارها وهى الدنيا التى هى مدة العمر فى زمان التكليف يسير.

(أليم النعمة) أليم درد رسانته بمعنى المولم وثقلته النار وإيلامها ظاهر.

(كامل العدة) العدة بالضم والعد ما أعدته وهياتته من مال أو سلاح أو غير ذلك مما ينفعك يوماً ما، والمراد بها هنا التقوى والورع وكمالهما ظاهر.

(كريم الفرسان) المراد بالفرسان أهل الاحسان وعلماء الاسلام، وكونهم كرماء و شرفاء ظاهر باعتبار اقتباس الانوار منهم وهدايتهم للضعفاء.

(فالإيمان منهاجه) لما جمل سابقاً للاسلام منهاجاً أى طريقاً واضحاً يوصل الى الرحمن عينه هنا بأنه الإيمان، فهذا ناظر الى قوله أبلغ المنهاج. وقس عليه ما بعده.

(والصالحات مناره) أى الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة علامات الاسلام بها يعرف الاسلام والداخل فيه. (والفقه مصايحه) المراد بالفقه العلم بأحكام الاسلام وأسراره، أو البصيرة القلبية فى أمر الدين وهو شبهه بالمصباح فى أنه يضئ طريق الحق ويرى به وجه المطلوب ولذلك استمار له لفظ المصباح. (والدنيا مضماره) اذ هى محل للتسابق الى الطاعات، والسعى الى القربات، وقد وصفها سابقاً بأنها يسير للتحريك الى التسابق فيها.

(والموت غايته) أى الموت المعروف غايته التى هى سبب الوصول الى الله تعالى أو موت الشهوات فانها أيضاً غاية قريبة للاسلام موصلة اليه تعالى وهذه الفقرة متعلقة بقوله رفيع الغاية فكان الانسب أن يقدم على قوله دوالدنيا مضماره، ولعل التأخير هنا لاجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع والتقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف.

والجنة سبقته و النار نعمته والتقوى عدته والمحسنون فرسانه، فبالايمان يُستدل على الصالحات و بالصالحات يعمر الفقه وبالفقه يُرهب الموت و بالموت تختتم الدنيا

(والقيامة حلبته) قد ذكرنا أن الحلبة هي الخيول المجتمعة من كل أوب للسباق و انها تطلق على محلها أيضاً و باعتبار هذا الاطلاق استعار لفظ الحلبة للقيامة لانها حلبة الاسلام و محل اجتماع المسلمين للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى الرهن. (والجنة سبقته) السبقة ما يوضع بين أهل السباق وهي الثمرة المطلوبة منه و استثمارها للجنة لكونها الثمرة المطلوبة من الاسلام والغاية المقصودة من الدين كما أن السبقة غاية سعى المراهنين. (والنار نعمته) لما جعل سابقاً للإسلام نعمة مولمة لمن خالفه فسر هنا بأن نعمته النار وهي أشد النعمات.

(والتقوى عدته) لانها تنفع صاحبها في أشد الاوقات وأعظمها وهو القيامة كما أن العدة من المال تنفع صاحبها في وقت الحاجة.

(والمحسنون فرسانه) استعار لفظ الفرسان لارباب الاحسان ، وعلماء الدين وهم فرسان الاحسان والعلوم لملاحظة تشبيه الاحسان والعلوم بالفرس الجواد.

(فبالايمان يستدل على الصالحات) لدلالة المجمع على المفصل اذ يدخل في الايمان التصديق بما جاء به النبي اجمالاً ومنه الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة كالعبادات والخمس ونحوها وأيضاً الايمان منهج الاسلام و طريقه الواضح ولا بد للطريق من زاد يناسبه وزاد طريق الاسلام هو الاخلاق والاعمال الصالحة، وهو يقتضيها ويطلبها فيدل الايمان عليها كدلالة السبب على المسبب، و ما وقع في بعض الروايات من أن الاعمال تدل على الايمان فهو باعتبار أن الاثر يدل على المؤثر ، والمسبب على السبب.

(و بالصالحات يعمر الفقه) ولما شبه آناً الفقه بالمصباح في الهداية الى المطلوب و كان تعمير المصباح الحقيقي بالدهن كان تعمير الشبيه بالمصباح أيضاً يشبه بالدهن وهو الاعمال الصالحة، و لذلك روى أن العلم مقرون بالعمل فان عمل بقى والارتحل ، وبعبارة اخرى الفقه نور نفساني ، والعمل نور جسماني و للظاهر تأثير في الباطن ، فالعمل يوجب ثبات الفقه و زيادته و هو المراد بتعميره.

(و بالفقه يرهب الموت) لان الفقه بما بعد الموت والمعلم اجمالاً وتفصيلاً بما يرد على الانسان بعده من الخير والشر والحساب والميزان والصراط وغيرها من أحوال البرزخ والقيامة وأحوالها يوجب الخوف من الموت لامن حيث هو موت. بل من حيث أنه لا يدري ما يفعل به بعده، و يوجب ذلك كمال الاستعداد لما بعده والله هو الموفق .

و بالدنيا تجوز القيامة وبالقيامة تزلف الجنة والجنة حسرة أهل النار والنار موعظة
المتقين والتقوى سنخ الايمان .

(باب صفة الايمان)

١- بالاسناد الأول، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي
جعفر عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان ، فقال : إن الله عز وجل
جعل الايمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهد . فالصبر من ذلك

(و بالموت تختم الدنيا) لان الدنيا مضمار، والموت غايته فاذا وردت الدنيا و
انقطع السير فيها، ثم لا عود اليها .

(و بالدنيا يجوز القيامة) ومن ثم قبل من مات قامت قيامته . (و بالقيامة تزلف الجنة) أى
تقرب (والجنة حسرة أهل النار) لما رأوا من كمال نعيمها وحرمانهم عنها مع شدائد عقوبتهم
بالنار (والنار موعظة المتقين) موعظه يند دأبهم ، وذلك لان المتقين يتعظون من النار و
شدائدتها ويتركون كل ما يؤثم ، و يجتنبون عن كل ما يوجب الدخول فيها .
(والتقوى سنخ الايمان) السنخ من كل شيء أصله ، والجمع أسناخ . مثل حمل و
أحمال ، و ذلك لان المراد بالايمان الايمان الكامل ، وقد مر أن كماله بالأعمال فله سنخان ؛
أحدهما اليقين وهو الكمال فى القوة النظرية ، والثانى التقوى وهى الكمال فى القوة العملية
فاذا تحققتا تحققت كمال الايمان فهما سنخاه .

(ان الله عز وجل جعل الايمان على أربع دعائم) (١) أى جعل بناءه عليها فهى أساسه
لاحقيقته لان حقيقته التصديق لما مر مراراً ، والدعامة معروفة ، وقد شبه الايمان بالسبب
من الشعر و نحوه مما يكون اعتماده على الدعائم ، ولاحظ فى ذلك أن الايمان هو المقصود
الاصلى وأن الامور الاربعة مقصودة لحفظه وبقائه .

(على الصبر واليقين والعدل والجهد) قدم الهم ولكل واحد منها مدخل عظيم فى
تحقق الايمان و ثباته وبقائه ، والمراد بالصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة و خلع
النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات ، وهو كنز من كنوز الجنة و طريق
عظيم للدخول فيها . و باعث قوى للبقاء على الايمان ، و باليقين العلم مع زوال الشك و

(١) قوله دعى أربع دعائم قدم أن هذه الامور النفسانية التى تعد من درجات الايمان
أو مراتب السلوك ينقسم باعتبارات مختلفة الى أقسام مختلفة لامنافاة بينها وجميعها صحيحة
باعتبار ويتدخل أقسامها (ش) .

على أربع شعب : على الشوق والاشفاق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين على أربع شعب:

عدم احتمال طريانه وحاصله مشاهدة الغيوب بأنوار القلوب وملاحظة الاسرار بمعاونة الافكار وبالمعدل ملكة الاعتدال في القوة النظرية والعملية والتوسط في القوة الشهوية والغضبية وهو مثمر لقوة الايمان وكماله، وبالجهد المجاهدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحانية والجسمانية، والله سبحانه أظهر الدين وطلب الايمان به وجعل عزمها وكمالهما في الجهاد فمن جاهد كمل ايمانه وشارك المجاهدين، ومن فقد نقص ايمانه وشارك المتخلفين والمنافقين. (فالصبر من ذلك على أربع شعب) لما فرغ من دعائم الاسلام شرع في تفصيلها لان الصبر من المباح ليس من دعائمه واليقين بكثير من الاشياء وذكر آثار تلك أيضاً ليس منها وكذا المعدل والجهاد وذكر منها ما هو من الايمان وذكر لكل واحد منها أربع شعب والشعب وثمراتها. والشعب جمع الشعبة، والمراد بها هنا الاغصان فقد شبه الصبر مثلاً بشجرة في كونه أصلاً والشعب بالاغصان في كونها فرعاً، وما يترتب على الشعب بالاثمار في كونه حاصلًا. (على الشوق) أي الشوق إلى الجنة ونعيمها ودرجاتها وهو ميل النفس إلى الشيء بعد تصوره و تصور نفعه، والصبر أصل له اذ هو لا يحصل بدون الصبر عن أحكام الله ومكافئه النفس، وهو مع ذلك سبب لكمال الصبر وثمراته.

(والاشفاق) وهو الخوف من نار جهنم أو من نار الفراق لان الصابر بترقياته يصل إلى أعلى مراتب القرب فيحصل له الخوف مما ذكر وهو سبب لبقاء الصبر وثمراته. (والزهد) أي الزهد في الدنيا وزهراتها وهو لا يحصل بدون الصبر في الطاعات وزجر النفس عن المنهيات وهو مع ذلك سبب لثبات الصبر.

(والترقب) أي ترقب الموت وانتظاره وهو لا يحصل بدون الصبر لان الصابر هو الذي يطلب الحياة الحقيقية التي تحصل بالموت والترقب سبب لبقاء الصبر وكماله ثم أشار إلى فوائد تلك الشعب وثمراتها بقوله.

(فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات) أي فارقها وطيب نفسه عن جميع مشتبهاتها التي هي طرق النار لان من اشتاق إلى شيء يجتنب عما يوصل إلى ضده.

(و من أشفق من النار رجع عن المحرمات) لانها مؤدية إلى النار، وسبب لها ومن خاف من المسبب يفر عن السبب فمن ادعى الاشفاق و ارتكب الحرام فهو كاذب. (و من زهد في الدنيا هانت عليها المصيبات) اذ منشأ صوبتها هو الميل إلى الدنيا

تبصرة الفطنة ، وتأول الحكمة ، ومعرفة العبرة ، وسنة الأولين . فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان مع الأولين واهتدى إلى التي هي أقوم ونظر إلى من

و محبة قنبايتها والشوق إلى لذاتها و راحتها النفسانية والبدنية ، ومن ثم يكون الفقر والبلاء عند الزهاد أحسن من الفراغ والفناء .

(و من راقب الموت سارع إلى الخيرات) حذراً من أن يموت قبل أن يدركها ، و لعلمه بأنها سبب للحياة الأبدية التي هي الحياة الحقيقية فيستعد لها بالتبادر إلى الاعمال الصالحة ، و لما فرغ من شعب الصبر و بيان فوائدها أشار إلى شعب اليقين وفوائدها بقوله ، (واليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة) الفطنة جودة الذهن وتهيؤه لأدراك الاشياء و أحوالها كما هي ، والاضافة من باب اضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد برؤيتها التوجه إليها ، والتأمل فيها و في مقتضاها من العلوم والمعارف ، و جعلها فاعلاً للمصدر و ارادة رؤيتها للاشياء و ان كان محتملاً في نفسه لكن ينافي قوله فمن أبصر الفطنة .

(و تأول الحكمة) التأول بمعنى التأويل و هو تفسير ما يؤول اليه الشيء ، و الحكمة العلم الذي يمنع الانسان من التبيح مطلقاً ، والمراد بتأولها الوصول إلى فورها ليعرف منافع كل شيء و مضاره . (و معرفة العبرة) وهي اسم من الاعتبار بآثار الماضين وأطوار الاولين فانهم عبرة لاولي الابصار و محل لاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها ، والمباهاة بكثرة أسبابها وزهراتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت و بقاء الحسرة والندامة لهم حجباً حائلة بينهم و بين الوصول إلى حضرة جلال الله .

(و سنة الاولين) أي و معرفة سنتهم و طريقتهم من خير يوجب النجاة و شر يوجب الهلاك ، ثم أشار إلى فوائد هذه الشعب والترتيب بينها بقوله :

(فمن أبصر الفطنة) و نظر إلى وجه مقتضاها (عرف الحكمة و من تأول الحكمة) و بلغ غورها (عرف العبرة) بأحواله و أحوال الماضين ؛ (و من عرف العبرة عرف السنة) أي سنة الاولين و طرزهم و طريقتهم .

(و من عرف السنة فكأنما كان مع الاولين) في حياتهم فيرى أعمالهم و ما يتعقبها من العقوبات الدنيوية ، أو بعد موتهم فيرى حسراتهم و عقوباتهم الآخروية (واهتدى) بذلك (إلى) الطريقة (التي هي أقوم) الطرائق و أفضلها .

(و نظر إلى من نجى بما نجى) من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية .

(و من هلك بما هلك) من الاعمال الباطلة والاخلاق الفاسدة .

نجى بما نجى و من هلك بما هلك و إنما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته، والعدل على أربع شعب : غامض الفهم ، و غمر العلم ، و زهرة الحكم و روضة الحلم ، فمن فهم فسر جميع العلم ، و من علم عرف شرائع الحكم ، و من حلم لم يفرط في أمره و عاش في الناس حميداً ، و الجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر ، و الصدق في المواطن و شتآن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد

(و إنما أهلك الله من أهلك) من الامم السابقة و غيرهم (بمعصيته) .

(و أنجى من أنجى بطاعته) يظهر كل ذلك لمن نظر في الايات و الروايات ، و فيه ترغيب في الطاعة و زجر عن المعصية . (والعدل على أربع شعب) أولها (غامض الفهم و غمر العلم) الاضافة فيها اضافة الصفة الى الموصوف أى الفهم الغامض الذى ينفذ في بواطن الاشياء و الفامر أى الفائر الذى يطلع عليه أذهان الاذكياء ، ولو كان الفايص من الفوس بدل الغامض كان له أيضاً معنى صحيح و الفايص الذى يدخل في الماء ليطلع على ما فيه من اللؤلؤ و نجوء لياخذه و استعير للفهم الفايص الذى ينفذ في دقائق الاشياء و يطلع على أسرارها و حقائقها (و) أخرىها : (زهرة الحكم و روضة الحلم) أى نضارتها و فضايرتها و حسنهما و كمالهما ، و التركيب من باب لجين الماء ، و جمعه من باب الممكنية و التخيلية بعيد ، و المراد بزهرة الحكم الحكم الممجب للانام . و بروضة الحلم الحلم المكمل للنظام ، ثم أشار الى ثمرات تلك الشجيرة و فوائدها المترتبة عليها بقوله :

(فمن فهم) بالفهم الغامض أو الفايص . (فسر جميع العلم) الشرعى و القانون العقلى

و النقلى لان هذا التفسير من شأن الفهم المذكور و آثاره .

(و من علم) كذلك . (عرف) جميع (شرائع الحكم) و مشاربه و موارد لان ذلك من آثار العلم الفامر . (و من حلم لم يفرط في أمره) ولم يقصر فيه أصلاً لان شأن الحلم الكامل هو التحرز عن طرف الافراط و التفريط و الاستقرار فى الوسط .

(و عاش في الناس حميداً) أى محموداً لانه يطفى عنائرة الغضب عند نزول التنب و مكاره النفس فيحمده الناس و ينصرونه كما قيل : الحلم يكتسب المدح من الملوك و المحبة من المملوك . (و الجهاد على أربع شعب) أولها (الامر بالمعروف و النهي عن المنكر) أى الامر بالطاعة و النهي عن المعصية بالشرائط و المراتب المذكور فى كتب الفروع (و) ثالثها (الصدق فى المواطن) أى مواطن جهاد النفس و البدو و الفاسق بالامر و النهي و منه أن يكون قوله موافقاً لفعله ، و فعله موافقاً لقلبه ، و قلبه موافقاً لرضا الله تعالى ، (و) رابعها (شتآن الفاسقين) أى بفضهم وهو راجع الى انكارهم بالقلب و مقتضى الايمان ، وليس بداخل

ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شأ الفاسقين غضب الله ومن غضب الله غضب الله له، فذلك الايمان ودعائمه وشعبه.

(باب)

فضل الايمان على الاسلام واليقين على الايمان

١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا جعفر إن الايمان أفضل من الاسلام وإن اليقين أفضل من الايمان وما من شيء أعز من اليقين.

في النهي عن المنكر عند جماعة، ومن اصحاب من أدخله فيه مجازاً، ولما فرغ من شعب الجهاد أشار الى فوائدها بقوله:

(فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده) والمراد بشد ظهر المؤمن تقويته وأمداده، وبأرغام أنف المنافق اهانتها واذلاله وذلك لان الامر بالمعروف تحريص العبد على ما يقربه الى الله تعالى باتباع شرائعه، والنهي عن المنكر زجره عما يبغده منه ومن الندم عاجلاً وآجلاً، ومن البين أن من اتصف بهذه الصفة يكون مقوياً ومرغماً وآمناً.

(و من صدق في المواطن) كلها (قضى الذي) يجب (عليه) من القول الحق وغيره، و دخل في زمرة الصادقين الذين مدحهم الله في كتابه الكريم بقوله ويوم ينفع الصادقين صدقهم (و من شأ الفاسقين) وأبغضهم لفسقهم (غضب الله) طلباً لمرضاته. (و من غضب الله غضب الله له) وأرضاه في الدنيا والاخرة. نعم من كان الله كان الله له؛ رضي الله عنه ورضي عنه. (فذلك الايمان ودعائمه وشعبه) وثمرات شعبه والله هو الموفق للصواب.

قوله (ان الايمان أفضل من الاسلام) (١) لاعتبار خصوصية في الايمان غير معتبرة في الاسلام وهي التصديق والاقرار بالولاية، وقد مر سابقاً ما يوضحه فلا يعيده (وان اليقين أفضل من الايمان) لان الايمان اما نفس التصديق، وهو مع العمل، سواء حصل ذلك بالبرهان أو بالتقليد كما في أكثر العوام وسواء احتمل النقيض أولاً واليقين غاية الكمال في القوة النظرية التي

(١) و ان الايمان أفضل من الاسلام، في صدر الحديث يا أخا جعفر المشهور في اسم هذه الطائفة بصيغة النسبة والنسبة اليه جعفي أيضاً ويسا أخا جعفر فالظاهر أنه تصحيف من بعض النساخ. (ش)

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد والحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد جميعاً ، عن الوشاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين .

لا يحتمل النقيض سواء حصلت بالبرهان وهو علم اليقين أو بالمجاهدات والرياضات النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء وهو عين اليقين وحق اليقين ، وبالجمله هو أعلى مراتب العلم و أشرفها ولا ريب في أنه أفضل من الايمان ، (وما من شيء أعز من اليقين) أى أرفع درجة ، أو أقل وجوداً ومن علامة قلته في أكثر الخلق صدور المعصية منهم ، اذ لا يصدر معصية من أهل اليقين وانما يكون لهم ظن ضعيف يزول بأدنى وسوسة النفس والشيطان ألا ترى أن الطبيب اذا أخبر أحدهم بأن الشيء الفلاني يضره ، أو يوجب زيادة مرضه ، أو بطؤ برئه يتبع قوله المفيد للظن و يترك ذلك الشيء حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف ، ولا يتبع قول الله تعالى ولا قول رسوله بأن هذه معصية مهلكة وليس ذلك الا لان ظنه بقولهما دون الظن بقول ذلك الطبيب .

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة) فاليقين أفضل من التقوى والتقوى أفضل من الايمان ، والايمان أفضل من الاسلام فدل على أن كل مؤمن مسلم دون العكس لاعتبار خصوصية في الايمان دون الاسلام ، كما مر . وان كل متق مؤمن دون العكس لان المتق يؤثر ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان ، وطاعة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان ، ومحبة من لم يزل ولا يزال على محبة من لم يكن فكان ، وكل مؤمن ليس كذلك . وأيضاً التقوى من الوقاية ، وهى فى اللغة فرط الصيانة وفى العرف صيانة النفس عما يضرها فى الآخرة وقصرها على ما ينفعه فيها ولها ثلاث مراتب : الاولى التوقى من المذاب الخلد باظهار الشهادتين وهى أدناها ، والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصنابير عند قوم وهو المتعارف فى عرف الشرع باسم التقوى . والثالثة التوقى عن كل ما يشغل القلب عن الحق والرجوع اليه بالكلية وهو لخاص الخاص ، والمراد بالتقوى هنا أحد المعنيين الأخيرين وكونه فوق الايمان ظاهر اذ كل مؤمن ليست له هذه المرتبة سواء اريد بالايمان التصديق فقط ، أو هو مع العمل . اما التصديق فظاهر ، واما التصديق مع العمل فباعتبار أن التجنب عن الكل حتى عن المباحات والمكروهات والمشتبهات معتبر فى التقوى دون الايمان لانه مقول بالاضافة أو باعتبار أن

شرح اصول الكافي - ١٠ -

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمزان بن أعتين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله فضل الايمان على الاسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمر بن أبان الكلبى ، عن عبد الحميد الواسطى ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد الاسلام درجة قال : قلت : نعم قال : والايمن على الاسلام درجة قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الايمان درجة . قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة ، قال : قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقل من اليقين وإنما تمسكتكم بأدنى الاسلام فإياكم أن ينقلت من أيديكم .

الملكة معتبرة فيها لافيه فليتأمل، وعلى أن كل من اتصف باليقين منصف بالتقوى دون العكس أما الاول فظاهر بالتأمل فيما ذكرنا، وأما الثانى فلان التقوى قد توجد بدون اليقين كما فى بعض المقلدين (وما قسم فى الناس شيء أقل من اليقين) ثم حق اليقين أقل من عين اليقين وعين اليقين أقل من علم اليقين .

قوله (كما فضل الكعبة على المسجد الحرام) فكما أن حرمة المسجد داخلية فى حرمة الكعبة دون العكس، كذلك حرمة الاسلام داخلية فى حرمة الايمان دون العكس . فالايمن أفضل من الاسلام .

قوله (يا أبا محمد الاسلام درجة) لما كان الاسلام أول درجة من الدرجات المطلوبة قال : الاسلام درجة، ولم يقل : الاسلام على الكفر درجة كما قال : (والايمن على الاسلام درجة) . **قوله** (فما أوتي الناس أقل من اليقين) قال بعض الاكابر : معناه ما أوتي الناس شيئاً قليلاً من اليقين، ويحتمل أن يكون معناه أن اليقين فيهم أقل من كل شيء، والاول يفيد نفس اليقين بالمرّة . والثانى يفيد ثبوت قليل منه والاول أنسب بقوله (وانما تمسكتكم بأدنى الاسلام فإياكم أن ينقلت من أيديكم) التفلت والافلات والانفلات التخلص من الشيء فجاء . وفيه ترغيب فى امساك ما لهم من أدنى الاسلام وحفظه، وتحذير من الغفلة عنه و تفلته فان تفلته يوجب الدخول فى الكفر ولعل المراد بالاسلام هنا الايمان مجازاً من باب تسمية الشيء باسم جزئه بقرينة أن المخاطب كان مؤمناً مع أن هذه التسمية لا تخلو من نكتة وهى أن المؤمن اذا خرج من الايمان خرج من الاسلام ودخل فى الكفر .

٥- علي بن ابراهيم . عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : انما هو الايمان ، والايمن فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأى شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله . قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

قوله (قال قلت فأى شيء اليقين) قال : التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله (تفسير اليقين بما ذكر من باب تفسير الشيء بآثاره اذ اليقين سبب للأمور المذكورة . و ذلك لانه اذا حصل لاحد بالبرهان أو الهداية الخاصة أو الكشف بتصفية النفس اليقين بالله وبوحدانيته وعلمه وقدرته و تقديره للأشياء ، و تدبيره فيها ، وحكمته التي لا يفوتها شيء من المصالح ، ورأفته بالعباد ، و احسانه اليهم ظاهراً وباطناً ، و تقديره كمالات الاعضاء الظاهرة والباطنة ، و تدبير منافعها بالاستحقاق والامصلحة منهم ومن غيرهم وايصال الارزاق اليهم حيث لا شعور لهم بطرقها ولا قدرة لهم على تحصيلها مع عدم جوره بوجه من الوجوه حصلت له حالات قلبية شريفة بعضها أرفع من بعض أحدها العلم بأن من كان كذلك كان قادراً على مستقبل اموره ومهمات و ايسال أرزاقه و تحصيل مراداته ، و ذلك يبعثه على التوكل عليه في اموره ، والاعتماد عليه من الوثوق به كما يثق الموكل على وكيله ، وليس معنى التوكل قلع نفسه عن اموره بل لابد من التمسك بها والاعتماد على الله وثانيها العلم بعظمته وكبريائه واشتمال حكمه على مصالح وان لم يعلم خصوصياتها وتفصيلها ، وذلك يبعثه على التسليم لله في أحكامه وغاية الانقياد والاخبات والخضوع والخشوع له . وثالثها العلم بأنه ينبغي المحبة له وتفرغ القلب عن غيره و جملة سرير الحبه ، و ذلك يبعثه الى الرضا بقضاء الله من الصحة والسقم والفنا والفقر وغيرها من المصائب والنوائب الواردة على النفس والمال والولد . بل يجد لذة ذلك في نفسه كما هو شأن المحب بالنظر الى فعل حبيبته وان كانت مرة في نفس الخلس عن حبه . ورابعها العلم بكمال قدرته وجريان حكمه مع ملاحظة المعجز في نفسه وذلك يبعثه على تفويض امره ورده اليه وجعله الحاكم فيه وسلب القدرة عن نفسه ومشاهدة اضمحلال قدرته في قدرة الله و هذا قريب من مرتبة الفناء في الله لانه في هذه المرتبة لا يرى لنفسه وجوداً ولا قدرته اسماً .

قوله (قلت فما تفسير ذلك) كان السائل استبعد تفسير اليقين بالتوكل وما بعده لعلمه

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام قال : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين .

(باب)

حقيقة الايمان و اليقين

١- عدة من أصحابنا . عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع

بأنه غيره أو استعلم عن حاله ووجه صحته لعدم تفتنه به فأجاب وع بما أجاب لضيق المقام عن ذكره ، أو لغير ذلك ومثل هذا الجواب شائع كما تقول : العلم هو العمل فيقال : كيف ذلك ، أو ما وجهه فتقول هكذا قالوا .

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة) قد ذكرنا شرحه ولا بأس أن نعيده لزيادة التوضيح فنقول : الاسلام هو الاقرار ، والايمان اما التصديق ، والتصديق مع الاقرار . وعلى التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجة اما على الثاني فظاهر و أما على الاول فلان التصديق القلبى أفضل وأعلى من الاقرار اللسانى ، كما أن القلب أفضل من اللسان . (والتقوى فوق الايمان بدرجة) لان التقوى هو التجنب عما يضر فى الآخرة وإن كان ضرره يسيراً و له ثلاث مراتب كما مر ، وليست المراد هنا المرتبة الاولى لانها مرتبة الايمان بل المراد الاخيرتان لانهما فوق الايمان (واليقين فوق التقوى) اذ التقوى قد لا يكون فى مرتبة اليقين . نعم من اتقى وثبت قدمه فيها ترقى فى اليقين الى أن يبلغ أعلى مراتبه وهى مرتبة حق اليقين (١) وهى التى أشار أمير المؤمنين وع ، بقوله «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»

(١) قوله «وهى مرتبة حق اليقين» كأنه اريد باليقين غير ما يتبادر الى أذهاننا لان اليقين وهو العلم بالواقع فى مقابل الظن من شرائط الايمان بل الاسلام اذ قد مر أن ظن أن الله واحد ، أو ظن أن محمداً رسول الله ، و قال انى أظن ذلك وفى القلب منه شيء لا يحكم باسلامه كما صرح به أبو سفيان فى مجلس رسول الله وس ، وردعه عباس وقال اشهد و الاضرب عنقك و بالجملة ليس المراد باليقين هنا المعنى المقابل للظن بل معنى آخر وكأنه سلامة الايمان عن معارضة الوهام وغلبة الوسواس فان الانسان قد يعلم ثبوت أمر مثل أن الميت جماد و الجماد لا يخاف منه ولا يعترف بأن الميت لا يخاف منه وان كان متيقناً بأنه جماد كالحجر . وكذلك اليقين بالتوحيد والرسالة قد يكون مع معارضة أو هام كثيرة يمنع الانسان عن الالتزام بلوازم يقينه وانما يحصل بعد ارتكاز التقوى فى قلبه حالة يغلب يقينه على أوهامه ولا يمنعه

عن محمد بن عذافر ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب . فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : ما أنتم؟ فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : الرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله ﷺ : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، [ف] إن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

قوله (بينا رسول الله ﷺ) في بعض أسفاره (ركب) قال بعض المحققين : بينا هي بين الطرفين اشبهت ففتحها فسارت ألفاً ، ويقع بعدها حينئذ اذ الفجائية غالباً و عاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد اذ عند بعض ، و بعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل أى بين أوقات سفره لقي الركب ، و الركب جمع راكب الدابة مثل صاحب و صاحب .

قوله (فقال ما أنتم) وماء كما تكون سؤالاً عن حقيقة الشيء كذلك تكون سؤالاً عن خواصه وآثاره المترتبة عليه وهو المراد هنا فلذلك أجابوا بها (فقالوا نحن مؤمنون) أى متصفون بالإيمان الكامل (يا رسول الله) ولما ادعوا أنهم من أهل الايمان سألهم رسول الله ﷺ عن خواص الايمان وآثاره اللازمة له ليعلم هل علموا الايمان أم لا ؟ (قال : فما حقيقة إيمانكم) أى ما الذى ينبىء عن كون ما تدعونه من الايمان حقاً ثابتاً فاجابوا بأفضل خواص الايمان وأكمل آثاره التى لا تنفك عنه حقيقة الايمان الكامل . (قالوا الرضا بقضاء الله) فى جميع الاحوال (والتفويض إلى الله) فى جميع الامور (والتسليم لأمر الله) و الاخبار له فى جميع الاحكام . (فقال رسول الله ﷺ) فى مدحهم لكون هذه الخصال المرضية من آثار العلم والحكمة ، وهما من أعظم صفات الانبياء (علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء) لان وجود الاثر دليل على وجود المؤثر ، وقد ذكرنا سابقاً أن الحكيم أرفع من العليم ، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب ، ولما كانت هذه الصفات يقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى أى التحرر عما يؤثم وتفرغ القلب عن غيره تعالى حثهم على الاول بقوله (فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون) وانما خصهما بالنهاي لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا ، و على الثانى بقوله (واتقوا الله الذى إليه

يرشى عن الجرى على مقتضى إيمانه كما لا يخاف عمال الموتى عن الاموات ولا يخاف المعارس من المشى على جذع موضوع على جدار عال . (ش)

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي محمد الوابشي وإبراهيم بن مهزم ، عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلي بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه ، مصفر اللون ، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي و أظلماً هو اجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأنني أنظر إلى عرش ربي

ترجمون) وفيه وعد ووعد جميعاً وقد مر تفسير التقوى وبيان مراتبها .

قوله (فنظر الى شاب في المسجد) يحتمل أن يكون حارثة بن مالك الانصاري الاتي (وهو يخفق) أي يضرب أو ينام حتى يسقط ذقنه على صدره وهو قاعد . يقال : خفق برأسه إذا أخذته سنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده و حينئذ قوله (ويهوى برأسه) كالتفسير له . ومنشأ هذا وما بعده من اصفرار اللون و نحافة الجسم و غور العينين قلة الاكل و كثرة السهر والريضة والعبادة والحزن من امر الآخرة . (فعجب رسول صلى الله عليه وسلم وآله من قوله) لانه أخبر بشيء نادر الوقوع موجب لحمده واستحسانه والرضا عنه ، والتمتع بانفعال النفس لزيادة وصف مدح أو ذم في المتعجب منه . ولما ادعى اليقين لنفسه تقاضاه و من بمصادقه أي ما يصدق به وطلب منه شواهد تشهد له بحقيقة دعواه . وقال (ان لكل يقين حقيقة) أي لكل فرد من أفراد الشخصية كما يشعر به قوله (فما حقيقة يقينك) فان الاضافة تفيد الاختصاص و الجزئية أو لكل نوع من أنواعه وهي علم اليقين . و عين اليقين ، ولعل المراد بحقيقة اليقين فسايته التي ينتهي اليها ويستقر فيها ولها آثار شريفة وصفات لطيفة و امارات منيعة دالة على حصولها وتحققها والسؤال وقع عن تلك الآثار فلذلك أجاب بها (فقال : ان يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني) في أمر الآخرة أو بالمر الفراق و شوق اللقاء (وأسهر ليلي) بترك النوم مع التفكير والتضرع والعبادة (و أظلماً هو اجري) بالصيام ، و ترك الشراب والطعام ، ونسبة الاسهار الى الليل والاضطواء الى الهواجر مجاز عقلي ، و اظلماء الهواجر كناية عن الصوم في حر النهار فان الصوم فيه أشق أو أفضل و نوابه أكمل وأجزل (فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها) ومن نعيمها وزهراتها و عزفت بسكون الثاء أي عاقبتها و كرهتها نفسي وانصرفت عنها وضم الثاء محتمل أي مهدت نفسي و سرفتها عنها (حتى كأنني أنظر الى عرش ربي وقد نصب

وقد نُصِبَ للحساب و حُشِر الخلائق لذلك و أنا فيهم و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون ، و كأنني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون و كأنني الآن أسمع زفير النار ، يدور في مسامعي ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : هذا عبدٌ نورا لله قلبه بالايمن ، ثم قال له : إلزم ما أنت عليه ، فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك ، فدعاه رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر .

للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم) تمثيل لحال الغائب بحال الشاهد لزيادة الإيضاح مع احتمال ارادة الظاهر والاضافة للاختصاص كبيت الله و كأنه قصد افادة حصول الفطن بثبوت خبر كان لاسمه من غير تشبيه أو قصد تشبيه النظر القلبي بالنظر العيني لقصد التوضيح ، (و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون) أى يرفون بعضهم بعضاً ويتكلمون (وعلى الأرائك متكئون ، و كأنني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون) أى صايحون مستغيثون . (و كأنني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي) جمع مسمع وهو آلة السمع أو جمع سمع على غير قياس كمشابهه ولامع جمع شبه و لمعة ، وينبنى أن يعلم أن السالك العارف الموقن الزاهد وان كان فى الدنيا بجسده فهو فى مشاهدة عين بصيرته لاحوال الجنة ودرجاتها و سماداتها و أهلها واحوال النار ودرجاتها و شقاوتها و أهلها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعم أهلها كالذين شاهدوا النار و عذاب أهلها ، وهى مرتبة عين اليقين أو حق اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد ، والحق أن الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب (فقال رسول الله ص) بعد ما سمع منه هذه الآثار والامارات التى شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين و غاية كماله فيه : (هذا عبد نورا لله قلبه بالايمن) اريد بالايمن الايمان الكامل ، وقد مر أنه لا يتحقق الا بعد استقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة ، ولا ريب فى أن الايمان بهذا المعنى نور الهى يتنور به الظاهر والباطن ، و كل يهتدى به الى ما هو له وقد مر أيضاً ان بين الظاهر والباطن مناسبة توجب تأثر كل منهما عن الآخر فنور الظاهر سبب لنور الباطن و بالعكس على وجه لا يدور ، و انما اكتفى بذكر نور الباطن وهو نور القلب لانه المقصود الاكظم والمطلوب الاهم و لانه المقتضى للصفات المذكورة بلا واسطة (ثم قال له إلزم ما أنت عليه) دل أن الكمالات البشرية قد تزول بدمم المحافظة ، و لذلك قال العارفون الخائفون من ذوالها : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله! مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات هو اجري وكأني أنظر إلى عرش ربي [و] قد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول الله ﷺ: عبدك أنت الوهاب.

قوله (فقال يا رسول الله مؤمن حقاً) أي كامل في خصال الايمان وهو من سار في طرق الايمان باكتساب مكارم الاعمال والاخلاق حتى يبلغ أعلاه و ترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض نفسه الى أن بلغ ذراه، ولما ادعى هذه المرتبة و نطق بدعوى حق الايمان تقاضا بمصدق ذلك واماراته و طلب منه بيان آثاره وعلاماته (فقال له رسول الله ص، لكل شيء حقيقة) أي لكل شيء من الاشياء الظاهرة والباطنة حقيقة بها تمامه و كماله و غاية اليها انتهائه و مآله (فما حقيقة قولك) الظاهر في دعوى ذلك الأمر الباطن الكامن؟ و ما غايته المترتبة عليه و ما علاماته الدالة عليه. (فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات هو اجري وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون) أي يزور بعضهم بعضاً (في الجنة) وكأني أسمع عواء أهل النار (في النار) أي صياحهم، والعوى صوت السباع، و كأنه بالدب والكلب أخص و السالك اذا اجتهد في زيادة العلم والعمل والاخلاق و قطع تعلقه عن المحسوسات ورسوم المادات ومات مع الحياة بلغ مرتبة عين اليقين وشاهد جمال الاسرار، و انكشف له أحوال الآخرة والجنة والنار، ثم اذا رجع الى نفسه ونظر الى عالم المحسوسات لابين التعلق خطر يباله بعض تلك الاحوال و النقش في نفسه بعض هذه الآثار ولو شاعده الجنة يجد في نفسه السرور والنشاط، ولو شاهد النار يجد في نفسه الحزن والخوف، وبالحيلة تظهر له حالات مع الحياة كما تظهر بعد الموت الآن ظهورها بعد الموت لا ينفذ بل يوجب الحسرة والندامة بخلاف ظهورها قبله فانه يوجب السعادة التي هي قرب الحق و الاغراض من غيره بالكلية، واعلم أن في هذه الرواية ورواية القاسم بن يزيد دلالة واضحة على أن حارثة استشهد في عهد الرسول ص، وقال الفاضل الاسترأبادي في رجاله حارثة بن النعمان الأنصاري كنيته

نور الله قلبه ، أبصرت فاثبت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللهم ارزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ﷺ سرية فبعثه فيها؟ فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية، ثم قتل.

و في رواية القاسم بن بريد، عن أبي بصير : قال : استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إن علي كل حق حقيقة و علي كل صواب نوراً .

أبو عبد الله شهد بدرأ واحداً وما بعدهما من المشاهد وذكر هو أنه رأى جبرئيل دح، دفعته على صورة دحية الكلبي أولهما حين خرج رسول الله ص إلى بني قريظة ، والثاني حين رجع من حنين . وشهد مع أمير المؤمنين دح القتال و توفي في زمن معاوية ولا يخفى المنافاة بينه وبين الرواية الآن يكون هذا غيره .

قوله (ان على كل حق حقيقة) الحق وهو ضد الباطل كل ما جاء به الرسول من الاحكام والاخلاق والشرائع وجميع ما أمر به ودعا اليه فاخبر دح ان على كل حق ظاهر حقيقة هو ينتهي اليها ويراد بها، وفيها كماله واليهامآله، وقول بعض المحققين في تقسيم ما جاء به الشارح الى شريمة وحقيقة اشارة اليهما حيث أرادوا بالشريمة ظاهراً ورد به النقل، وبالحقيقة باطن ما بين العبد وبين الله عز وجل فحكم الشريمة على الظاهر، وحكم الحقيقة على الباطن كما روى عنه دح، ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، فقد ظهر أن الحق كالشريمة أول الحقيقة وهي غايته وهو ظاهر وهي بطائنه، فكل عبادة ظاهرة ان لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين فهي باطلة، وكل طاعة ان لم تنته الى حقيقة ثابتة كأفعال المرأين فهي عاطلة، وكذلك الاخلاق لها حق وحقيقة كالنوكل فان حقه مع العام بضرورة عقد الايمان مع تعلقهم بالاسباب وحقيقته ينتهي اليها الغاص بقطع الاسباب وسكون السر الى مسبب الاسباب، وكالحياة فانه له حقاً مع الكل وله حقيقة مع الخواص، و كالتقوى فان أوله حق وهو تقوى الشرك يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية يبلغها خواص الاولياء ، وكذلك الايمان فان أوله حق وبه يخرج عن الكفر وهو يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية وهي كماله يبلغها خواص المؤمنين الذين قال الله تعالى في شأنهم وانا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تلى عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون، وكذلك اليقين أوله حق وآخره و

باب التفكير

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام : قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبه بالتفكر قلبك ، و جاف عن

باطنه حقيقة هي غايته وكماله وبالجمله الحق في كل شيء بمنزلة النشر والحقيقة بمنزلة اللب ولا ينفع القشر بدون اللب وانما قال : على كل حق ولم يقل لكل حق للتنبيه بالاستعلاء على أن حقيقة كل شيء باعتبار حقيقته التي هو بها هو حتى لو لم يكن حقيقة كاملة وغاية مرادة منه لم يكن حقاً أو باعتبار المجانسة مع قوله (وعلى كل صواب نوراً) الصواب ضد الخطأ أي على كل صواب جلي أو خفي من قول أو فعل أو عقد ، برهان يحققه ودليل يصدقه كالإيمان واليقين فان له ما علامات دالة عليهما وبينات كاشفة عنهما حتى أن من ادعاهما و لم تكن له تلك العلامات والبيانات كانت دعواه باطلة وانما سمى البرهان نوراً لان البرهان آلة لظهور المعقولات كما أن النور آلة لظهور المحسوسات.

قوله (نبه بالتفكر قلبك) دل على أن القلب يغفل عن الحق والاخرة وما ينفع فيها وأنه لا بد من تنبيهه عن الغفلة دائماً بالتفكير واختلفت العبارة في تفسيره والمرجع واحد ، قال الغزالي : حقيقة التفكير طلب علم غير بدهي من مقدمات موصلة اليه كما اذا تفكر أن الاخرة باقية وأن الدنيا فانية ، فانه يحصل له العلم بأن الاخرة خير من الدنيا وهو يبعثه على العمل للاخرة فالتفكير سبب لهذا العلم ، وهذا العلم يقتضي حالة نفسانية وهو التوجه الى الاخرة وهذه الحالة يقتضي العمل لها و قس على هذا فالتفكير موجب للنور القلب وخروجه من الغفلة ، واصل لجميع الخبرات ، وقال المحقق الطوسي : التفكير سير الباطن من المبادئ الى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتقي أحدهم من النقص الى الكمال الا بهذا السير ومبادئه الافاق والانفس بأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته ، وفي الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب و حركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها وتغييراتها ، وفي الاجرام السفلية وتربيتها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها ، وفي أجزاء الانسان وأعضائه من العظام والمضلات والعصبات والمروق وغيرها مما لا يحصى كثرة ، ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتدبير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ماسواه ، وبالجمله التفكير فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته ومن حيث تغييره وانقلابه وفنائه بموجود أثره الانقطاع عنه والتوجه بالكلية الى الخالق الحق ، ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم الى دار الاخرة فانه يوجب انقطاع المتفكر عن

الليل جنبك؛ واتق الله ربك.

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصيقل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس [أن] تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف تفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما [با] لك لا تتكلمين .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته .

غير الله اليه بالطاعة والتقوى ، و لذلك أمر بهما بعد الأمر بالتفكير ، وقال (وجاف عن الليل جنبك) وهو كناية عن الأمر بالقيام للعبادة في ظلمات الليالي فإن العبادة فيها أفضل كما دلت عليه الآيات والروايات (واتق الله ربك) بترك المحرمات بل المكروهات والمشتبهات .

قوله (أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة) أي تفكر ساعة في عظمته وآلاته وتواتر أياديه ونعمائه أو في سكرات الموت وما بعده من العقوبات أو في محن الدنيا وعدم وفائها وما فيها من المصائب والبلبات أو في فناء أهلها وانقطاع أيديهم من التصرفات (خير من قيام ليلة) للعبادة فإن كل ذلك يوجب تنوير القلب وصفاء الذهن وترك الدنيا والميل إلى الآخرة وحلاوة الذكر والطاعة وكمال السعادة ومحبة الحق وأعراضه عن غيره واستعمال الأعضاء الظاهرة والباطنة فيما خلقت له ، وربما يخطر بالقلب بتفكير ساعة حالة مانعة من المعاصي في مدة العمر فهو أفضل من عبادة ليلة لكثرة فوائده وعظمتها (قلت كيف تفكر) أراد إيضاحه بمثال جزئي فلذلك أتى (ع) به (قال يمر بالخربة أو بالدار) التي هلك أهلها (فيقول) تحسراً أو تحزن ناله حاله وحالهم (أين ساكنوك أين بانوك مالك لا تتكلمين) فإنه إذا تفكر في ذلك تجدهم انقطعوا عن الدنيا وثمراتها ، وزالت أيديهم عما كان لهم من أسبابها وزهراتها وانتقلوا عن دار الانس والاحبة وخلوا بيت الغربة والوحشة ، مالهم من أحبائهم ظهير ولا نصير ولا له من أموالهم قطمير ولا فقير إذ أوجدتهم كذلك خطر بباله أنه يصير مثلهم عن قريب ولا يكون له من ماله حق ولا نصيب فتبرد لذلك قنيت الدنيا في بصره وتحقر زهراتها في نظره فيقدم إلى إصلاح أمره ومثواه ولا يبيع آخرته بديناره .

قوله (أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته) أفضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها وكثرة منافعها وآثارها وشرافه لوازمها وأسرارها ولا ريب في أن إدمان التفكير في الله وفي قدرته

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم . إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل .

٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حماد ، عن ربعي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إن] التفكير

أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً وأفخمها رتبة وأرفعها منزلة ، ولذلك وقع الأمر به في آيات متكاثرة وروايات متضافرة وله آثار شريفة ولوازم منيفة كلها عبادات عظيمة كمعرفة الرب وعظمته وعلمه وقدرته واحتقار الدنيا وزهراتها ومعرفة الجنة ودرجاتها ومعرفة النار ودرجاتها والانعطاع عن غير الحق وتفريغ القلب له وبالجملة ادعان التفكير عبادة وأصل لجميع العبادات فهو أفضلها ، وليس المراد التفكير في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وسائر صفاته إذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر ولا يصل إليها العقل والتفكير ، وكان التفكير فيها مؤدياً إلى الضلال المبين والالحاد في الدين بل المراد به التفكير في وضع صنع الله وآثار قدرته فإن التفكير فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع الحق وكمال قدرته ، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال : «ياكم والتفكير في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه ومارواه حسين بن المياح عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : من نظر في الله كيف هو ملك ، وبالجملة التفكير على قسمين : تفكير في الحق . وتفكير في الخلق ، والعبد ممنوع من الأول ومندوب إلى الثاني ، قال الله تعالى : «و يتفكرون في خلق السموات والأرض الآية» .

قوله (إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل) الحصر اضافي بالنسبة إلى غير المتفكر أو حقيقى لان العبادة كلها تابعة للتفكير فلا توجد عبادة بدونه فإن من تفكر أبصر الحق وطرقه الموصلة إليه وهانت الدنيا وما فيها عنده لما رأى من كثرة انقلابها على أهلها وعدم الوفاء لهم فيحصل له كمال الميل إلى المولى الحق وغاية الخشوع والطاعة له والشوق إلى لقائه لعلمه بأن الوصول إلى الدرجة العليا ، والبلوغ إلى السعادة العظمى ، والتخلص عن أهوال العقبى ، والتقرب إلى مقام الزلى إنما يحصل بترك الدنيا والتزام العبادة والتقوى فيصرف نفسه عن ميدان الطفيلان ويجريها في مضمار الطاعة ومرضات الرحمن ، ويقدم لنفسه ما ينفعه في دار الجنان والتوفيق من الله الملك المنان .

قوله (التفكير يدعو إلى البر والعمل به) لان التفكير سراج القلب يرى به المتفكر

يدعو إلى البر والعمل به.

(باب المكارم)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الهيثم بن أبي مسروق، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسين بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المكارم عشر

خيرها و شره و منافعه و مضاره و كل قلب لا فكر فيه فهو مظلم لا يرى إلى البر دليلاً ولا إلى العمل سبيلاً، و من التفكر أن يتفكر لا شيء خلق و من أين جاء وإلى أين يقصد ولا شيء أنزل في هذا المنزل، و فيها سعادته و شقاوته فإن هذا التفكر أشد جاذب له إلى البر والعمل به، ومنه أن يتفكر في قوله تعالى : « أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم - الآية إلى غيرها من الآيات الدالة على الترغيب في التفكر فإن التفكر فيها أقوى زاجر له عن الدنيا و اكمل داع إلى البر والعمل به لآخره اذ من تفكر في أحوال الماضين من الرعايا والسلطين و أعمالهم و أخبارهم و آثارهم و تفكر في أنهم بنوا ما لم يسكنوا و جمعوا ما لم يأكلوا و سموا فيما لم ينتفعوا و في أنهم كم تركوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين تبرد الدنيا و ما فيها عنده، و اشرق قلبه بنور ربه حتى رأى بعين البصيرة أحوال الآخرة و مقاماتها و رغبته عن قنيت الدنيا و زهراتها و مال إلى حضرة الحق والجلال و اشتاق إلى كأس القرب والوصال، و علم أن ذلك لا يحصل إلا بالبر والعمل فعلم أن التفكر يدعو إليهما، نعم ما قيل :

و لم أر كالايسام للمرء واعظاً	ولا كصروف الدهر للمرء هادياً
لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى	إذا هو لم يجعل له الله واقياً
و أحسن فإن المرء لا بد ميت	و انك قد تجزى بما كنت ساعياً

و منه أن يتفكر في معاني آيات القرآن عند تلاوته فإذا بلغ آيات الصفات مثل العزيز والحكيم والقدوس يتأمل في أسرارها، وإذا بلغ آيات الافعال مثل خلق السموات و الأرض يتأمل في عظمة الخالق و كمال علمه و قدرته، وعلى هذا فإنه يحصل له بذلك الانقطاع عن الدنيا وملكة الميل إلى البر والعمل به.

قولته (قال المكارم عشر) المكرمة بزرگى و بزرگوارى و المكارم بزرگيها و بزرگواريها و ينهى أن يعلم أن النفس الناطقة إذا تركت سلطنتها في ملك البدن وصارت مأسورة في يد قواء حصلت له أخلاق مهلكة مثل الكذب والخيانة والحرس والحسد والفخر والنفص والبخل و قطع الرحم وأمثال ذلك مما يعد في هذا الكتاب ثم تسرى تلك الاخلاق إلى الاعضاء الفاضحة فيصدر منها الضرب والقتل والنهب والبهتان و نحوها، و بذلك تهبط عن

فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده
وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر، قيل :
وما هن ؟ قال : صدق البأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء

رب العالمين و تستقر في أسفل السافلين و إن راعت سلطنتها فيه و أسرت قواه و اعطت كل
واحدة ما فيه سلاحها عقلا و شرعاً حصلت لها أخلاق صالحة منجية مثل حسن الخلق والرفق
والحكمة والعدالة والشجاعة و أمثالها مما يعد في هذا الكتاب أيضاً و يصدر بسببها من
الأعضاء أفعال حسنة ومكارم فاضلة مثل الصدق وأداء الأمانة و غيرها من الأمور المذكورة وإن
المكارم غير منحصرة فيما ذكر و إن إطلاقها عليه مجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب
لأن ما ذكر من الأفعال سبب لمكارم النفس (فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن) دل على أنها كسبية
تحصل بمشقة الاكتساب والمجاهدة مع النفس الأمارة ورياضتها، وقد بالغ في ذلك بقوله (فإنها تكون
في الرجل، ولا تكون في ولده وتكون في ولده ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون
في الحر) للتنبيه على أنها نعمة عظيمة يمن الله على عباده ممن أخذت يده العناية الإلهية و
توجهت إليه الثنوفيات الربانية بحسن سياسته وكمال عزيمته و تمام إرادته إلى معالي الأمور
(قيل : وما هن؟ قال صدق البأس) أي الخوف أو الخضوع أو الشدة والفقر و منه البأس الفقير
أو القوة و صدق الخوف عن المعصية بأن يتركها و من التقصير في العمل بأن يسعى في كماله
ومن عدم الوصول إلى درجة الإبرار بأن يسعى في اكتساب الخيرات فلما دعى الخوف في
شئ من ذلك و بقي عليه ولم يسع في إزالته فهو كاذب و صدق الخضوع بأن يخضع لله
تعالى لا لغيره فمن ادعى الخضوع لله تعالى وهو يخضع لغيره فهو كاذب و صدق الفقر بأن
يترك عن نفسه هواها و متمنياتا و آمالها و إلا فهو ليس بفقر، و صدق القوة أن يصرفها في
الطاعات فمن صرفها في المعاصي فهو ضعيف عاجز، (و صدق اللسان) بأن لا يتكلم بما ليس فيه
رشاء تعالى مثل الكذب واللفو والفتح والليبة و نحوها بل يتكلم بما فيه رضاء من الأمور الدينية
أو الدنيوية (وأداء الأمانة) أي أمانة الناس برأكان أو فاجراً أو أمانة الله تعالى أيضاً مثل الأمانة
وفعل الطاعات وترك المنهيات والمهوء.

(وصلة الرحم) أي الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والاسهار والتعطف عليهم
والرفق بهم والرعاية لأحوالهم في السر والعلانية وإن أساءه فكأنه بالإحسان إليهم و صل
ما بينهم و بينه من علاقة القرابة والصهر، ويدخل فيها صلة أقرباء النبي و ص (وأقراء الضيف)
أي المؤمن أو المسلم مطلقاً أو الأعم منه، ومن الكتابي على احتمال لدلالة ظاهر بعض الروايات
عليه، وأما الحرابي ففيه تأمل والظاهر أن الأقراء بمعنى القرى المجرد يقال: قرى الضيف

الضيف وإطعام السائل والمكافاة على الصنائع والتذمم للجار والتذمم للصاحب و
رأسهن الحياء .

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى ، عن
عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خص رسله بمكارم

أقره من باب رمى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (وإطعام السائل) كذلك
والإطعام كما يوجب الثواب الجزيل في الآخرة كذلك يدفع الفقر والبلاء ويوجب زيادة الرزق
في الدنيا ثم يتفاوت ذلك بحسب تفاوت نية المطعم واحتياجه واستحقاق السائل ومصلحته، (و
المكافاة على الصنائع) جمع الصنعة وهي ما صنعت من خير وكل شيء ساء شيئاً حتى صار
مثله فهو مكافئه له والمكافاة بين الناس من هذا، ويقال بالفسارسية پاداش دادن بمثل وقديهم
ويراد مطلق المجازاة الشامل للمساوي والازيد والانقص ثم المكافاة من باب الاداب والاستحباب
لجواز الاخذ من غير عوض للروايات منها رواية اسحاق بن عمار قال قلت له: والرجل الفقير
يهدى الى الهدية يتعرض لما عندي فأخذها ولا أعطيه شيئاً قال نعم هي لك حلال ولكن لا
تدع أن تعطيه (والتذمم للجار، والتذمم للصاحب) التفضل يجيء للتعجب مثل تأثم وتخرج
أي تجنب الأثم والخرج، ومنه التذمم وهو مجانبة الذم والتحرز منه والمقصود أن من مكارم
الرجل أن يحفظ ذمام الجار والصاحب ويطرح عن نفسه ذم الناس له أن لم يحفظه، والذمام
بالكسر الحرمة، وما يذم به الرجل على إضاعته من العهد والأمان وغيرهما (رأسهن الحياء)
هو خلق غريزي أو مكتسب يمنع من فعل القبيح وخلاف الاداب والتقصير في الحقوق خوفاً من
اللوم والذم به، ولا يوجد شيء من المكارم بدونه ولذلك هو رأسهن.

قوله (إن الله عز وجل خص رسله بمكارم الاخلاق) الاخلاق جمع خلق وهو ملكة للنفس
يصدر عنه الفعل بسهولة من غير روية وفكر خلاف الحال؛ وقد توهم أن الاخلاق كلها خلقية فيكون
التكليف بها تكليفاً بما لا يطاق وهذا التوهم فاسد لأن الاخلاق قد تتغير وتبديل كما هو المشاهد
في كثير من الناس فانهم يزاولون ويمارسون خلقاً من الاخلاق حتى يصير ملكة لا يقال مدخول الباء
أما مقصور كما يقتضيه القاعدة، أو مقصور عليه. فعلى الاول لزم أن لا توجد المكارم في غير
الرسل وهو يناقض ما بعده وعلى الثاني لزم أن لا يوجد في الرسل غير المكارم لانا نقول يمكن
دفع الاول بأن للمكارم عرضاً عريضاً والمقصود على الرسل هو الطرف الاعلى، ولا يناقضه وجود
مادونه على تفاوت المراتب في غيرهم، أو بأن خلقية المكارم مقصورة على الرسل جميعاً
ولا توجد في غيرهم جميعاً ولا يناقضه وجودها في بعض الاغيار، ويمكن دفع الثاني بأن
الحصر اضافي بالنسبة الى أعداد المكارم يعني أن الرسل مقصرون على المكارم ولا يتجاوزونها

الاخلاق، فامتنحوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أن ذلك من خير وإن لاتكن فيكم فاسألوا الله و ارغبوا إليه فيها، قال : فذكر [ها] عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة قال : وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق و أداء الأمانة.

الى أضعافها بخلاف فيهم وهذا أظهر على أنه يمكن ان يكون المقصود أنه تعالى خص رسله بانزال المكارم اليهم وتقريرهم لها وعلى هذا لايتوجه شيء.

(فامتنحوا أنفسكم) و اختبروها (فان كانت فيكم فاحمدوا الله) لانها من أعظم نعمائه لديكم (واعلموا أن ذلك من خير) عظيم أفاضه عليكم (و ان لاتكن فيكم فاسألوا الله) عن تيسير ذلك الكمال (و ارغبوا اليه) بالتضرع والابتهال .

(قال فذكرها عشرة) غير العشرة المذكورة في الحديث السابق لكونها غير منحصرة فيها . (اليقين) بالله واليوم الآخر وكتبه و رسله، وهو العلم مع زوال الشك و علامات العمل بمقتضاء (والقناعة) وهى الرضا بالقليل وفيه راحة فى الدارين، و فى الحديث «القناعة كنز لا ينفد» لان الانفاق معها لا ينقطع كلما تمذر عليه شيء من امور الدنيا قنع بمادونه ورضى وفيه عزم من قنع وذل من طمع، لان القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزاً .

(والصبر) على المصيبة وفعل الطاعة وترك المعصية (والشكر) لله فى جميع الاحوال باللسان والجنان والاركان (والحلم) بضبط النفس عن الانتقام عند صدور ما يؤذيه عن الغير وهو سفة لها بالاعتدال فى القوة الغضبية.

(و حسن الخلق) مع الناس بالجميل والطلاقة والبشاشة والتودد والتلطف و الاشفاق عليهم (و السخاء) أى بذل المال بسهولة على قدر لا يد منه فى موضعه و هو فضيلة نفسانية مندرجة تحت الاعتدال فى القوة الشهوية وأفضله ما وقع بغير سؤال كما يدل عليه قول أمير المؤمنين «ع» والسخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتذمم أى استنكاف و مجانبة عن الذم (والغيرة) أى الحمية فى الدين والاستنكاف عما يفاير و تغير الطبع عما يخالفه (والشجاعة) وهى ملكة للنفس حاصلة من الاعتدال فى القوة الغضبية و يبنى عليها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامضاء الاحكام والحدود والجهاد مع النفس والشيطان والعدو (والمروءة) أى كمال الرجولية فى الدين ورعاية حال فقراء المسلمين والمسلمات و المسلمين و تفقد أحوال اليتامى والارامل والمساكين.

(قال وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق) أى صدق البأس و صدق اللسان (و أداء الامانة) الى الناس، أو مطلقاً وهو أى الصدق مفعول روى و زاد على سبيل

٣- عنه، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن محمد الهاشمي، عن إسماعيل بن عباد قال بكر: وأظنني قد سمعته من إسماعيل؛ عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنا لنحب من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً صدوقاً، وفيما التنازع وان توهم زيادة لفظ بعداً وزاد.

قوله (إنا لنحب من كان عاقلاً) له جوهر مجرد (١) نوراني يدرك به المعقولات والمنقولات ويميز بين الحق والباطل والهادي والمضل (فهماً) الفهم من صفات العاقل وهو جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه من الحق وبه ينتقل من المبادئ الى المطالب بسرعة . (فقيهاً) الفقه العلم بالاحكام من الحلال والحرام و بالاخلاق وآفات النفوس (٢) و موانع

(١) قوله له جوهر مجرد، جرى على اصطلاح الحكماء فان العقل عندهم يطلق على العقل النظري والعقل العملي، وهما مما امتاز به الانسان من سائر الحيوانات، فانها تشترك مع الانسان في الحس، ويمتاز الانسان عنها بشيئين: الاول بأنه يدرك الحسن والقبح في الافعال وبحكم بأن بعض الاعمال حسن وبعضها قبيح، ولا يدرك الحيوان شيئاً من ذلك البتة، ولذلك كلف الانسان بتكاليف وصار مسؤولاً عن أفعاله وان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا يسمى العقل العملي وهو الذي أنكره الاشاعرة. والثاني أنه يدرك الكليات والمعاني العامة. ولا يدركها الحيوانات والدليل عليه أنه يتكلم، وأكثر كلماته كليات يدرك معناها ويحكي عنها ولا يقدر على ذلك الحيوانات الاخر. فالحيوان يتوجع ويعرض له الالم ويحس به ويخاف من عدوه، ويحصل له الباعث على الفرار، ويحب أولاده ويحفظها من الافات حتى تكبر وتستغنى عن الام، ولكن لا يقدر على لفظ يحكي به عن معنى الالم والخوف والحب لانه لم يدرك معنى عاماً يشمل أفراد كل منها، وانما يحصل لها مصاديق هذه المعاني كما يحصل للطفل الصغير قبل أن يتكلم، ولذلك عبر عن ادراك الكلى بالنطق، وبالجملة أشار الشارح بقوله «يدرك به المعقولات» الى العقل النظري، وبقوله «يميز بين الحق والباطل» الى العقل العملي وكلاهما حاصل للانسان بسبب تجرده عن المادة ذاتاً وان تعلق بها فعلاً ولا ريب أن الاختيار من لوازم النفس المجردة والطبيعة متهورة مجبورة في أفعالها لاسبيل لها الى التخلف عما أودع فيها، والانسان لكونه مختاراً غير مجبور لا بد أن يكون له قوة يرجع بها ما ينهني أن يفعله ويميز ما يجب أن يتركه وهو العقل العملي، ولكونه مستعداً لاستنباط المجهولات من المعلومات ان يكون له عقل نظري يدرك به الكليات اذ الجزمى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً . (ش)

(٢) قوله و بالاخلاق و آفات النفوس ، جرى على اصطلاح الائمة عليهم السلام في تعريف الفقه . فان الفقه عندهم عليهم السلام كان يشمل علم الاخلاق وغيره . ولكن * شرح اصول الكافي - ١١ -

إن الله عز وجل خص الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتنزع إلى الله عز وجل وليسأله إياها. قال : قلت : جعلت فداك وما هن؟ قال: هن الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء السخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداء الأمانة.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل ارتضى لكم الإسلام ديناً ،

القرب من الحق أو بصيرة قلبية في أمر الدين تابعة للعلم والعمل مستلزمة للخوف والخشية (١)
(مدارياً) المداراة الملائمة مع الناس وترك مجادلهم ومناقشتهم.

(صدوقاً وفيماً) أى دائم الصدق والوفاء ، والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة، والوفاء ملكة تنشأ عن لزوم العهد والامانة والبقاء عليه وهما فضيلتان داخلتان تحت العفة مثلاً، ولذا قال أمير المؤمنين (ع)، إن الوفاء توأم الصدق ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر فى بطن واحد شبه به الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة ، وفى هذا الحديث تحريص على محبة الموصوف بالصفات المذكورة فيه واختيار مصاحبه . فانه دليل الى سبيل الخيرات و مرشد الى طرق النجاة ولكن وجدانه متمسر فان الجاهل قد يدلس فلا بد للمطالب من حزم وتبحر لئلا يتخذ الجاهل مصاحباً ولا يقع فى ويل الخذلان بعد الايمان، واعلم أن المكارم المذكورة فى هذا الحديث اثني عشر كما فى السابق الا أن اليقين وحسن الخلق والمروة المذكورة فى السابق غير مذكورة فى هذا الحديث، والورع والحياء والبر المذكورة فى هذا الحديث غير مذكورة فى السابق. والورع هو الكف عن المحرمات والمشتبهات بل عن المباحات أيضاً والبر هو الاحسان بالوالدين والاقرين بل بالناس أجمعين وقد يطلق على الاعمال الصالحة والخيرات كلها.

المثأخرين رضى الله عنهم خصوا الفقه بالاحكام الظاهرية وميزوا بينه وبين علم الاخلاق ولا مشاحة فى الاصطلاح. (ش)

(١) قوله «مستلزمة للخوف والخشية» فرق بعض علماء الاخلاق بين الخوف والخشية وقال ان الخوف من الضعفاء وأهل الاهواء لكثرة معاصيهم وتصييرهم يخافون العذاب. والخشية حاسلة للعلماء بالله والاولياء لمعرفةهم بمظمة ربهم والاستشعار بشدة قهره وكمال رحمته و عظم قدرته واحاطة علمه وسائر صفاته الكمالية لا للخوف من العذاب اذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى وانما يخشى الله من عباده العلماء. (ش)

فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الايمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله والتوكل على الله و تفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله.

٦- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن سنان عن رجل من بني هاشم قال: أربع "من كن" فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

قوله (فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق) فانهما يوجبان كمال الدين و قراره كما أن البخل و سوء الخلق يوجبان نقصانه و قراره. فالدين كالمصاحبان راعيته قر وان آذيته فر. **قوله (الايمان أربعة أركان الرضا بقضاء الله والتوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله)** الرضا بقضاء الله سكون النفس تحت مجارى القدر و سرورها بما يرد عليها وان كان ثقيلاً عليها لانه من الحبيب و كل شيء من الحبيب فهو حبيب والتوكل جعل الغير وكيلاً في اموره وهو على قسمين أحدهما أن يقصد رجوع الوكيل اليه في امثاتها والاخر أن يقصد استقلاله فيه وهذا القسم هو التفويض فالتفويض قسم من التوكل وأفضل أفراد، ثم التفويض على قسمين: أحدهما أن يرى المفوض، كل ما يفعله المفوض اليه موافقاً لطبعه والاخر أن يجرد نفسه عن ملاحظة الموافقة والمخالفة حتى كأنه فوض نفسه وطبعه أيضاً اليه ، وهذا هو التسليم فالتسليم نوع من التفويض وأكمل أفراد، وانما كانت هذه الاربعة أركان الايمان اذ بانتفاء الرضا بقضاء الله يتحقق السخط عليه وهو يوجب هدم بناء الايمان به، و بانتفاء التوكل يتحقق الحرص في الطلب وفوات كثير من الاعمال الصالحة المعتبرة في الايمان وهو يوجب هدمه و كذا انتفاء التفويض والتسليم يوجب تحقق تملقات كثيرة منافية للايمان الكامل ، وبالجملة هذه الامور من لوازم اليقين فانتفاؤها موجب لانتفائه المنافي للايمان.

قوله (أربع من كن فيه كمل اسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه) أى أربع خصال، والضمير المفعول في لم تنقصه راجع إلى الاسلام، وأولى من (الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) قد مر تفسيرها ، ولا يخفى أن ثبوتها يستلزم انتفاء المعصيان (١) مطلقاً كما لا يخفى على المتأمل.

(١) قوله يستلزم انتفاء المعصيان، أولانه ينتهى أمره إلى التوبة يقيناً ويموت ناهياًً البتة (ش)

٧- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي حمزة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: إن من خير رجالكم النقي، السمح الكفين، النقي الطرفین البر بوالديه ولا يلجى عياله إلى غيره.

(باب فضل اليقين)

١- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن مثنى ابن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس شيء إلا وله حد، قال: قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً.

قوله (ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا بلى يا رسول الله قال إن من خير رجالكم) لا يقال أول هذا الكلام ينافي آخره في الجملة لأن قوله خير رجالكم يفيد أنه الخير مطلقاً، و قوله من خير رجالكم يفيد أنه من جملة خير الرجال وبعضهم لا يقول لعل المراد بالاول الصنف والاخر كل فرد من هذا الصنف أو نقول الاخير قرينة على أن المراد بالاول الخير الاضافي بالنسبة الى من لم توجد فيه الصفات المذكورة دون الخير الحقيقي وعلى الاطلاق.

(النقي النقي السمح الكفين) والنقي المحترز عن كل ما يؤثم خوفاً من الله تعالى و تبعداً لنفسه عن مخالفته والنقي، التنظيف الظاهر والباطن من الوسخ النفساني والدنس الجسماني والسمح الجواد المعطي واسناد الجود والاعطاء الى الكفين لظهورهما منهما و في ذكر الكفين مبالغة في كمالهما.

(النقي الطرفین) أي الفرجين أو الفرج واللسان، أو الفرج والبطن، وقيل الوالدين (والبر بوالديه) أي المحسن اليهما والمطيع لهما والرفيق بهما والمتحرى لمحابهما والمتوقى عن مكارهما.

(ولا يلجى عياله الى غيره) مع القدرة على انفاق ما يكفيهم يقال: ألجأته اليه ولجأته بالهمزة والتضعيف أي اضطررته و أكرهته.

قوله (فما حد التوكل؟ قال اليقين) في المصباح اليقين: العلم الحاصل عن نظر و استدلال، ولهذا لا يسمى علم الله يقيناً. وفي أوصاف الاشراف اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت

٢- عنه، عن معلى، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد الحنطاط وعبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضى

لا يمكن زواله و هو في الحقيقة مؤلف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأن خلاف ذلك العلم محال وله مراتب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين والقرآن ناطق بذلك والحد في اللغة منتهى كل شيء و نهايته وفي العرف التعريف و يمكن اعادة كلا المعنيين: أما الاول فلان التوكل ينتهي الى اليقين و هو منتهى و أثره اذا الانسان قبل التوكل يظن أن له مدخلا في حصول مهماته فليس له يقين بالله و صفاته الذاتية والفعلية كما هو حقه و بعده يرى أن مهماته تحصل على الوجه الاحسن والاكمل فيحصل له يقين كما هو حقه فاليقين حده و منتهاه. وأما الثاني فلان اليقين أثر من آثار التوكل كما عرفت فتعريفه باليقين تعريف له بأثر من آثاره، و أما جعل الحد بمعنى التعريف و جعل اليقين سبباً للتوكل فهو وان كان محتملاً في نفسه لكن لا يناسب ما بعده اذ اليقين سبب لعدم الخوف من غير الله دون العكس.

(قلت فما حد اليقين؟ قال الاتخاف مع الله شيئاً) جعل عدم الخوف من غير الله نهاية لليقين و أثراً من آثاره أو تعريفاً له بمبالغة للمبينة لان الانسان اذا كملت قوته النظرية باليقين بالله و صفاته العظام لا يخاف الا من الله كما قال عز شأنه و انما يخشى الله من عباده العلماء ثم نقول حد الخوف استعمال الجوارح والاعضاء فيما خلقت له و صرفها عن غيره. ثم حد هذا تفرغ القلب عما عداه بحيث لا ينظر الى شيء سواه، ولا يرى في الوجود الا اياه فهو منتهى كل غاية و غاية الغايات كما ورد في بعض الروايات.

(قال من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله) ليس كل من يدعى اليقين له يقين صحيح صادق مستمر بل لصحته وثبوته و كونه ملكة علامات، ومن علامات صحته أن لا يرضى الناس أبداً بما يوجب سخط الله تعالى و غضبه عليه كما هو فعل غير موقن فانه يقول ما يوافق طبع الناس و يعمل ما فيه رضاهم و ان كان فيه سخط الرب لثلا يفوت مقاصده المأمولة منهم ، أو لنير ذلك من الاغراض الفاسدة فيترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و يجالس الفاسقين والظالمين ، و يساهل معهم و يميل الى ما هو مستحسن في طباعهم المموجة ولا يعلم أن أقل ما يفعل الله تعالى بمن جعل رجاء فداء لرضا غيره و سخطه فداء لسخط خلقه بعد مقتته هو أن يضرب على قلبه ذل الحجاب وأن يقلب قلب من طلب رضا بيفضه اياه كما روى من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس بخلاف الموقن فانه لما كانت ثقته بالحق و اعتماده على لطفه و احسانه مع يقينه بأن الخلق مقهورون مضطرون و أن

الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في

قلوبهم بيده يتصرف فيها ما يشاء كان صليبا في الدين قائما على اليقين يقول الحق و يأمر به و ينهى عن الباطل و يزجر عنه و يفرم ما فيه رضى الناس و سخط الرب ولا يبالي أن ذلك بوجوب سخطهم ومنعهم لعلمه بأن حصول المقاصد و وصول الارزاق من عند الله تعالى.

(ولا يلومهم على ما لم يؤته الله) أى ولا ينهمهم على ما لم يؤته الله تعالى من الرزق و هو ما يحتاج اليه و ينتفع به فى التمشى والبقاء وفى اختصاصه بالحلال أو شموله للحرام أيضاً خلاف المذكور فى موضعه والنهى عن الذم لوجوه الاول أن ذمهم ظلم لهم لانهم لم يمنوه بل الله لم يؤته ما طلب منهم، الثانى أن ذمهم ينتهى الى الله لانه انما يذم المانع من الاعطاء ولا ممطى ولا مانع الا الله فيرجع الذم اليه، الثالث ان ذمه المانع من الخلق شرك لانه اعتقد أنهم مانع له فذمه فأشرك فى المنع مع الله غيره ألا ترى كيف رده عن هذا الشرك الى التوحيد وعن الجهل الى العلم وعن الشك الى اليقين وعن الاضطراب الى الاطمينان بقوله:

(فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره) فان أمر الرزق ليس بيد احد حتى يسوقه اليه عند حرصه أو ترده عند كراهته بل هو بيده تعالى يوصله الى عباده على حسب ما يقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، و يحتمل أن يكون المراد أن الرزق لا يسوقه الى أحد حرص حريص ولا يرده عنه كراهة كاره فينبى أن لا يذم الخلق بالرد والمنع. ويؤيده ما روى من طرق العامة «أن رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره» .

(لو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت) بالغ به فى أن رزق كل أحد كموته بيده تعالى يوصله اليه قطعاً أراداه أو كرهه لان الحكيم القادر اذا جعل الوجود موقوفاً على الرزق يمتنع عليه أن يقطع الرزق مع تحقق الوجود بل وجب عليه ايصاله، و ان لم يكن المرزوق عالماً بطرقه و منه ينشأ الاضطراب والهم والحزن، ويحرك الى السؤال والذم والدافع له هو اليقين والرضا عنه تعالى و لذلك حث على طلبهما للنظر بالروح فى القلب والتخلص من الاضطراب و بالراحة فى البدن والتنزه من ذل السؤال و خاسيس الاكتساب بقوله:

(ثم قال ان الله بعدله وقسطه) العطف للتفسير (جعل الروح والراحة) أى راحة القلب وسكونه عن الاضطراب و راحة البدن و فراغه من الاعقاب.

اليقين والرضا و جعل الهم والحزن في الشك والسخط.

٣- ابن محبوب، عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن

العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين.

٤- الحسين بن محمد. عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن زرارة، عن

أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه - على المنبر - لا يجد أحد [كم] طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(في اليقين والرضا) فان الموقن بالله و بصفاته العظمى والراعى عنه بالمنع والاعطاء يطمئن قلبه عن التردد والتلون ، و يفرغ عن الاعتماد والتحزن و ينقطع عن علة الاسباب و يقوى توكله على رب الارباب فيستريح عن تصادم الهموم والاضطراب ويتخلص من تراكم الهموم والاكتساب لثيقته بأن رزقه يصل اليه لانه ضمنه عادل حكيم ثم عكس ذلك تأكيداً بقوله (و جعل الهم والحزن) الهم الهم المقلق للنفس أو الهم في تحصيل المطلوب عند صعوبة خوفاً من فواته، والحزن غم يصيب الانسان بعد فوات المحبوب.

(في الشك والسخط) لان الشك يوجب تردد القلب وانزعاجه وتلونه واضطرابه من تجاذب الاسباب وغفلته عن تقدير رب الارباب وكل ذلك يوقه في الهم والحزن والعذاب وكذا سخط القلب بالمقسوم وعدم الرضا به يوقه في الهم والحزن والهموم ولذلك قيل :

ما العيش الا في الرضا والصبر في حكم القضاء * ما بات من عدم الرضا الا على جمر القضاء قوله (أن العمل الدائم القليل على اليقين) بذلك أو مطلقاً . (أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين) ولا بد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نصاً على أن الافضية باعتبار اليقين ولعل السرفيه أن اليقين يوجب التقوى وكمال الاخلاص والفضل يزداد بهما و لذلك قال أمير المؤمنين «ع» لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل، وفيه ايماء الى قوله تعالى وانما يتقبل الله من المتقين، وإشارة الى أن المقبول من الاعمال لا يعد قليلاً وكيف يعد قليلاً ما يضاعف و ينمو عند الله تعالى، والى أن العمل على غير يقين قد لا يكون مقبولا وقد سمع «ع» رجلاً من الحرورية يتعبد ويقرأ فقال: «نوم على يقين خير من صلاة في شك»، وذلك لان صلاة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لا تنفعه عقلاً ونقلاً، ونوم الموقن ينفعه.

(لا يجد أحد [كم] طعم الايمان) فيه مكنية وتخيلية حيث شبه الايمان بالطعام في أنه غذاء للروح به ينمو ويبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن.

(حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) إشارة الى أن للايمان

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل، يقضي بين

بداية ونهاية وغاية فبدأته حق ونهايته حقيقة كما أشار إليه أجمالاً بقوله سابقاً: إن على كل حق حقيقة وأن المؤمن ينبغي أن يسير في طرق الإيمان باكتساب مكارم الأخلاق حتى يبلغ أعلاه ويترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض النقصان إلى أن يبلغ ذراه فلا يزعمه الهوى ولا تحركه الشهوة والمنى ويقبل بكلية قلبه إلى المولى ويحقق ما قلنا قوله حتى يعلم لذكر الحقيقة بلفظ الغاية وهو حتى الموضوع لها فجعلها حقيقة الإيمان المترقى إليها باستعمال وظائفه وليس المراد بهذا العلم العلم بسابق قدر الله ونفوذ حكمه فيما قدره وقضاء من عطاء ومنع وضر ونفع لأن هذا أول الإيمان وحقه الذي اشترك فيه المؤمنون كلهم (١). بل المراد والله أعلم يقينياً بالمطلوب بالغا مرتبة عين اليقين حتى كأنه يماينه كما أخبر حارثة بحضرة النبي ص، بأنه مؤمن حقاً وادعى حقيقة الإيمان فطالبه بامارات تلك الحقيقة التي ادعى بلوغها، فقالوا عزفت نفسى عن الدنيا إلى آخر ما ذكره، وما كان هذا الحديث الا كما روى أن أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، فلو كان المراد الاعتقاد بأن الله معهم أينما كانوا علماً واحاطة لم يكن للتفضيل معنى وفائدة لاشتراك الكل فيه فلا بد من أن يراد بلوغ صاحب هذا الإيمان (١) قوله واشترك فيه المؤمنون كلهم، قد سبق منا مراراً خصوصاً في مقدمة الكتاب أن اليقين بالمعنى الذي ذكره الشارح أولاً وهو التصديق الثابت الجازم المطابق للواقع معنى واحد لا يقبل الشدة والضعف بنفسه وهو مناط الإيمان والاسلام اذ لم يحكم أحد من علماء المسلمين من صدر الاسلام إلى زماننا هذا باسلام من يظن صدق رسول الله تعالى، وانما يحكم بما يدل على يقينه وعلمه المانع من احتمال النقيض فلا بد أن يلتزم بتأويل ما يوهم خلاف ذلك والظاهر أن يحمل الدرجات والمراتب على درجات تغليب العقل على الوهم. اذ قد يتفق أن يعلم الانسان شيئاً علماً يقيناً ولكن يعارضه وهمه كمن يعلم بمقتله أن الميت جماد لا يخاف ولكن يخاف منه بوهمه ومن يعلم أن البطالة توجب الحرمان والفقر ولا يبالى به لمعارضة وهمه والمؤمن يجب أن لا يعنى بوهمه بكل حال ويغلب عليه، ويلتزم بلوازم يقينه ومثال علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يشير إلى هذا التأويل فإن الذي يعلم بوجود النار، والذي يراها بعينه كلاهما عالمان. لا يحتمل عندهما عدم وجود النار لكن العين باصهارها تغلب على الوهم غلبة لا تحصل من العلم. والذي ماس الناس وأدرك ألم الحرق يجتنب عنها أكثر ممن لم يدركه وهذا حاصل بالتجربة في أفراد الناس، وفي أمثالنا مامعناه لسبع الحية يخاف من الحبل وذكرنا هناك تأويلاً آخر ينطبق على كثير من الروايات. (ش)

الناس فقال: بعضهم ، لا تتعد تحت هذا الحائط ، فأنه معور فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حرس امرء أجله فلما قام سقط الحائط قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام مما يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين.

غاية يفضل بها على غيره فكذا المراد هنا أن أحداً لا يجد طعم الايمان وحقيقته حتى ينتهي الى غاية يعلم بها يقيناً كاليمان ان ما أصابه من خير وشر ونفع وضر لم يكن ليخطئه أى يجاوزه الى غيره، وما أخطأه أى جاوزه الى غيره لم يكن قط ليصيبه ولا يعرف بلوغ العبد الى حقيقة هذا الايمان والعلم الا بظهور أماراته له ولغيره كما أن حارثة أمارات ما دهمى من حقيقة ايمانه فيسلم له ويقف هو عند علمه ومن أمارات من بلغ حقيقة هذا اليقين والايمان أنه يسكن هن طلب الدنيا وثمراتها، وعن التشرف الى منافعها وزهراتها، وتعذيب القلب والمخاطر بانتظارها وتمنيها ثقة بأن ما قسم له منها لا يجاوزه وما جاوزه الى غيره لا يصيبه فيطمئن قلبه و يرضى بسابق قسمته له فلا يحرس فى طلب المنافع ولا يتوجه قلبه اليها كأنه يخاف فيها منع مانع، ولا يتحرك فى أسبابها الا أن يتوجه اليه أمر المولى كقوله وفامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه ، فالظاهر منه متحرك والباطن ساكن مطمئن موقن بأنه لا بد من كون جميع ما قدر الله كونه وامضاءه ، ومن لم يبلغ هذه المرتبة فعليه الصبر على ما يكره فان فيه خيراً كثيراً لعله يوصله الى غاية مقام اليقين والرضا قال بعض الاكابر: الله عباد لا يرضون له منهم بالصبر على ما قدره قضى بل يتلقون أمراً حكامه باليقين والمحبة والرضا .

قوله (فانه معور) بضم الميم وسكون العين وكسر الواو أى ذو عوار بفتح العين وضمها بمعنى فيه عيب وخلل يخاف منه القلع والهدم.

(حرس امرء أجله) امرء مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية والعكس محتمل والمقصود الانكار لان أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه .

(وهذا اليقين) بالقدر فانه يسكن النفس فى مثل هذه المواضع لعلمه يقيناً بأن كل ما قدر وقوعه فهو واقع فلا ينفع الفرار منه وكل ما قدر عدم وقوعه فهو غير واقع فلا يضر عدم الفرار. لا يقال لعل تقدير عدم وقوع الحائط عليه مثلاً مشروط بالفرار فيجب الفرار طلباً للقدر وتحرزاً عن الهلاك لانا نقول الفرار وعدمه أيضاً داخلان فى التقدير، ومن جملة المقدر فان كان المقدر هو الفرار، وقع قطعاً وان كان عدمه لم يقع، فان قلت لا معنى حينئذ للتكليف بالفرار. قلت التكليف به تكليف بالمقدر والتكليف بالمقدر أيضاً مقدر فهو واقع على أنه يمكن أن يقال مناط التكليف به امكانه فى ذاته، أو التكليف به مختص بغير الموقن لان الموقن يتوكل على الله، و يفوض أمره اليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز وجل وليس الله بكاف عبده، وكما قال مؤمن آل فرعون ذو أفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه

٦ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا» فقال: أما إنه ما كان ذهباً ولا فضة وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنه، من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله.

الله سيئات ما مكروا، وسرد ذلك أن المؤمن الموقن المتوكل المفوض امره إلى الله إذا بلغ إيمانه وإيقانه وتوكله وتفويضه حد الكمال لا ينظر إلى الأسباب والوسائط في النفع والنصر ولا يعلق قلبه بها أصلاً وإنما كان نظره إلى مسبب الأسباب وتعلق قلبه به وحده، وأما من لم يبلغ حد الكمال ولم يعلق عليه مشاهدة اليقين كأحد المؤمنين فإنه يخاطب بالفرار قضاء لحق الوسائط، هذا الذي ذكرنا من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين) قال القرطبي كان اسمهما اسرم واسير، وقال عياض كان أبوهما الصالح جدهما السابع وكان اسمه كاشحاً. ففيه أنه تعالى يحفظ الصالح في نفسه وولده وإن بعدوا كما يشعر به قوله تعالى «وإن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين» وروى أنه تعالى يحفظه في سبعة من ذريته.

(وإنما كان أربع كلمات) حث بالاولى على التوحيد المطلق والتنزيه عن جميع مالا يليق به تعالى، وبالثاني على تذكر الموت والاستعداد لما بعده والتحزن لأحوال البرزخ، وبالثالثة على تذكر أحوال القيامة وأحوالها سيما الحساب الذي لا يعلم مآل أحواله وهو يوجب زوال الفرح والسرور عن القلب، وبالرابعة على اليقين بالقدر والخوف من الله وحده، واقتصر بذكر هذه الخصال لأن الاتصاف بها يوجب البلوغ إلى غاية الكمال.

(لا إله إلا الله أنا من أيقن بالموت لم يضحك سنه) السن معروف ويحتمل أن يراد به العمر أي لم يضحك في مدة عمره لأن الضحك ينشأ من الفرح والسرور والموقن بالموت وشدائده وما بعده من القبر وسؤال منكر ونكير فيه وأحوال البرزخ والقيامة والجنة والنار قلبه محزون مغموم دايماً لعدم علمه بمآل حاله وما يفعل به في تلك المواطن فينقطع عنه أسباب السرور بالكلية

(ومن أيقن بالحساب) من القليل والكثير. (لم يفرح قلبه) لشدة الحزن والخوف من رجحان سيئاته على حسناته ويوجب ذلك اشتغاله بحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

(ومن أيقن بالقدر) قيل المراد به التقدير كما أن المراد بالقضاء المخلق على وفق التقدير،

٧- عنه، عن علي بن الحكم ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم
يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الضرر النافع هو الله عز وجل .
٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن
سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى

وقيل المراد به تعلق علم الله سبحانه وإرادته بالكائنات قبل وجودها .

(لم يخش الا الله) ومن علاماته تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل وتخليتها بالفضائل
وعدم الرجوع في جلب النفع ودفع الضرر الى الله . قال عياض قبل : الكنز كان لوحاً من ذهب
مكتوباً في جانب منه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجبت لمن
أيقن بالنار ثم ضحك ، وفي رواية : لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي ، وفي الشق الاخر
« أنا الله الذي لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير و
أجريته على يديه والويل لمن خلقت له للشر وأجريته على يديه ، وقيل المكتوب : عجبت
لمن آمن بالقدر كيف يحزن ولمن آمن بالرزق كيف يتمب ولمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن
أيقن بالحساب كيف يغفل ولمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله » . وقيل كان الكنز مالا مدفوناً انتهى .

قوله (لا يجد عبد طعم الايمان) أي لذته و حقيقته (حتى يعلم) يقيناً لا يعمريه شك .
(ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) لثيقته بأن ما أصابه علم الله أن
بأنه يصيبه فيستحيل أن لا يصيبه ، وما أخطأه علم الله بأنه لا يصيبه فيستحيل أن يصيبه كل ذلك لاستحالة
أن يصير علمه جهلاً هذا فيما لا اختيار للعبد فيه مثل الصحة والسم والحسن والقبح والطول والقصر
إلى غير ذلك ظاهر ، فأما في فعله الاختياري مثل الصلاة وتركها والشرب وتركه . والقتل وعدمه
إلى غير ذلك فكذلك لعلمه تعالى في الازل بكل ما يقع فلا بد من أن يقع لما ذكر ولكن علمه ليس
علة لوقوعه بل تابع له ، وقد مر توضيحه في كتاب التوحيد .

(وأن الضرر النافع هو الله عز وجل) الضر والنفع منه تعالى بلا واسطة ، والضرر
يعود إلى النفع العظيم كحمى يوم مثلاً فانها توجب ثوباً جزيلاً ، وأما الضر والنفع
المستندان إلى الغير ظاهراً فهما مستندان إلى الله تعالى عز شأنه باطناً لانه أقدره
عليهما ، فاذن ليس الضر النافع الا هو ، فاذن لا بد لكل أحد أن لا يطلب الخير الا منه ، ولا
يلوذ في دفع الضر الا اليه .

رجل عليه ثوبان فحر كثر فرسى فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظٌ وواقيةٌ معه، ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بحر، فإذا نزل القضاء خلبا بينه وبين كل شيء.

٩- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان في الكنز الذي قال الله عز وجل: «وكان تحته كنز لهما» كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يشتم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه، فقلت: جعلت فداك أريد أن أكتبه قال: فضرب والله يده إلى الدواة ليضعها بين يدي، فتناولت يده، فقبضتها وأخذت الدواة فكتبته.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العزمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان قبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي صلوات الله عليه خرج علي أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قبر مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟ فقال: لا، بل من أهل الأرض،

قوله (ملكان يحفظانه) يدل من حافظ وواقية، والقضاء الأمر أو الحكم بوقوع الشيء على النحو المقدر والحاصل أن مع وجود الحافظ لا يضر شيء ومع عدمه لا ينفع شيء فليس في تحمل آلات الحرب مثل الدرع وغيره فائدة وهذا أمر يقتضيه اليقين بالله وبقدره. فان المستغرق في بحر اليقين لا يرى غيره ولا يخاف أحداً سواء فضلاً عن أن يتحرد منه ويحترز من شره، وأما غيره فلما لم يكن له هذه المرتبة كان عليه التمسك بالأسباب والجريان على ظاهر الشريعة.

قوله (كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم) كان فيه تأكيد لما سبق والقضاء مشترك بين الحكم والأمر ويحمل على أحدهما بالقربة، وهو هنا يحتمل كلا المعنيين، ولا ينافي هذا الخبر مأمراً ولا مذكراً من طرق العامة وأقوالهم، لجواز أن يكون كل ذلك مكتوباً فيه.

فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بأذن الله من السماء فارجع، فرجع.
 ١١- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس عمش ذكره قال: قيل
 للرّضا عليه السلام: إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً، فقال: إن الله وادياً من
 ذهب، حماه بأضعف خلقه: النمل: فلو راحه البخاتي لم تصل إليه.

(باب الرضا بالقضاء)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن
 بعض أشياخ بني النجاشي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصبر والرضا

قوله (إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بأذن الله) فيه وفيما بعده إشارة
 إلى أن الإيمان بالقدر والايقان به كما روى عنه هو لكل امرء عاقبة سوف يأتيك ما قدر
 لك، ومن كلامه وع، لما خوف من الدبيلة وان علي من الله جنة حصينة فإذا جاء يومى انفرجت
 عنى وأسلمنى، أراد بيومى حضور الموت، وبالانفراج زوال أسباب الحياة المستلزم
 لعدمها وبإسلام الجنة إسلامها له إلى المنية تشبيهاً للجنة بمن يحفظه ثم يسلمه إلى
 القاتل، ومن كلامه المنظوم:

فى أى يومى من الموت افر ايوم لم يقدر أم يوم قدر
 فيوم لم يقدر فلا أرهبه ويوم قد قدر لا يفنى الحذر

وفى ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً فإذا
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الموقن بالله وقدره لما كان
 توسله بالله تاماً بالنا حد الغاية كان الله يكفيه، ويحصل له أسباب النفع ويدفع عنه أسباب الضر
 ومن يتوكل على الله فهو حسبه. وأما غيره فلما لم يكن له مثل هذا التوصل والتوكل فربما كان
 تمسكه بأسباب النفع سبباً وشرطاً للحصول له، وفراره عن أسباب الضر باعثاً لدفعه عنه.

قوله (قال رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره) الرأس
 العضو المعروف والاصل ومنه رأس المال والاشرف قدراً، ومنه رئيس القوم. وكل واحد
 منهما محتمل والاول من باب المكنية والتخييلية، والصبر نوع من العفة الحاصلة من الاعتدال
 فى القوة الشهوية، وهو قوة للانسان يقدر بها على حبس نفسه على الامور الشاقة مثل البليات
 والمصيبات، وفعل الطاعات وترك المنهيات، والرضا عن الله بقضائه فيما أحبه العبد مثل
 الصحة فى الجسم، والسعة فى الرزق، ونحوهما، أو فيما كرهه مثل السقم والضيق وغيرهما

عبارة عن الاقبال الى الواردات من الحق و تلقيها بالقبول، والسرور بها لكونها تحفة و هدية منه تعالى له منافع كثيرة. والقضاء الامر والحكم والخلق على وفق التقدير الازلي، و من ثمة قيل: القضاء والقدر مثلان لا ينفك أحدهما عن الآخر اذ القدر بمنزلة الاساس و القضاء بمنزلة البناء ووجه كون الصبر والرضا رأس الطاعة ظاهر اذ بانتفاء الصبر في المصيبات والعبادات والمنهيات يتحقق الجزع والشكوى من الله. و ترك الطاعات وفعل المنهيات و كل ذلك يوجب انتفاء الطاعة، و بانتفاء الرضا يتحقق السخط وهو أيضاً يوجب انتفاء الطاعة لان بناء الطاعة على المحبة، و بناء السخط على البغض، وهما لا يجتمعان. و اعلم أن رضا العبد و سروره فيما أحب سهل. لانه موافق لطبعه. و أما رضاء فيما كرهه فصعب لانه مخالف لطبعه و ميله الى شيء والى ضده مشكل، و من ثمة ذهب جماعة من الناس الى أن الرضا بما يستكرهه الطبع و يخالف هوى النفس كالبلايا والمصائب غير ممكن، وغاية ما يمكن هي الصبر عنه، والجواب عنه أن الرضاء ثمره المحبة الكاملة و محبة العبد للرب اذا بلغت حد الكمال يمكن أن يرجع ارادته على ارادة نفسه. بل يمكن أن لا يرى لنفسه مراداً غير مراده تعالى لاستغراقه في بحر المحبة، أولان فعل المحبوب مثله محبوب. أو لانه لا يجد في نفسه الالم لاشتغال قلبه به. و غفلته عن نفسه فضلاً عن الامور الموافقة لها، كما أن المجاهد لتوغله في الجهاد قد لا يجد ألم الجراحة وبالجملة هو أمر ممكن الا انه صعب نادر ثم الرضاء بالشئ لا ينافي الدعا لرفعه خلافاً لطائفة من المتصوفة المبتدعة حيث قالوا: ان شرط الرضاء ترك الدعاء لرفع البلاء و طلب النعماء. لان طلب رفع امر وارد منه تعالى و حصول غيره ينافي الرضا بما حكم به، وهم في طرف الافراط، والطائفة الاولى في طرف التفريط. والجواب عنه أولاً بالنقض وهو أن دعاء الانبياء والاصياء وحثهم عليه أمر مشهور، و في الكتب السماوية و غيرها مذكور ولا ينكره أحد من أهل الاسلام، وثانياً بالمنع لانا لانسلم أن الطلب المذكور ينافي الرضاء وانما المناهى له استكره النفس بالواردات من عند الله تعالى والطلب لا يستلزم الاستكره، و ثالثاً بالحل وهو أن الدعاء عبادة أمر الله تعالى بها غير مرة لتضمنها انكسار القلب وعجزه وتضرعه وتواضعه وخشوعه ومخالفة أمر الله تعالى تنافي الرضا وههنا بحث مشهور وهو أن المعصية والكفر بلية، والرضا بهما معصية وكفر فكيف يعد من الفضائل وكيف يطلبه الشارع، واجيب عنه بأنه مستثنى لورود النهي عنه كما نقله الفزالي، وأجاب هو بأن المعصية من قضاء الله تعالى ولكن لها وجهان: أحدهما كونها من فعل العبد باختياره وسبباً لمقتته، و ثانيهما كونها بقضاء الله و تقديره عدم خلو العالم منها ولا بد من الرضا بها على هذا الوجه

عن الله فيما أحب العبد أو كره ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيراً له فيما أحب أو كره.

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل.

٣- عنه، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره لم يقض الله عز وجل له فيما أحب

دون الاول الذي هو صدورهما من العبد، واجيب عنه أيضاً بأن الرضاء بالقضاء لا يستلزم الرضاء بالمقضى، والمقضى ان كان فعله تعالى أو فعل العبد وهو خير، فالرضاء به مطلوب من دليل خارج وقد مر لهذا زيادة توضيح في كتاب العقل في حديث جنوده.

(ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره الا كان خيراً له فيما أحب أو كره) اسم كان راجع الى ما قضاء الله بقرينة المقام أي كاف ما قضاء الله خيراً للعبد فيما أحبه وما كرهه لاشتماله على مصالح جليلة جليلة أو خفية كما قال سبحانه دعى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، أو الى رضاء العبد وهو خير له لانه يوجب أجراً عظيماً وذلك كما أن الدواء مرفى مذاق المريض مكروه له الا أنه خير له في الواقع، فكما أن الحكيم منا يداوى المريض بما هو خير له، وإن كان مكروهاً لطبعه كذلك الحكيم المطلق يفعل بعباده ما هو خير لهم.

قوله (ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل) دل على أن الرضاء بالقضاء تابع للعلم والمعرفة، وأنه قابل للشدة والضعف مثلهما، والوجه فيه أن بناء الرضاء على العلم بأنه عدل حكيم يفعل الاشياء على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة، فكلما كان العلم بالله أزيد وأتم كان الرضاء بقضائه أكثر وأعظم، وأيضاً الرضاء به ثمره المحبة والمحبة تابعة للعلم به فكلما زاد العلم زادت المحبة وكلما زادت المحبة زاد الرضاء به ألا ترى أن المحبة اذا بلغت حد الكمال وجد المحب كلما صدر من الحبيب لذيذاً موافقاً لطبعه وإن كان كريهاً بالنسبة الى الغير سيما اذا علم أن الحبيب يجعل ذلك وسيلة الى البر والاحسان.

قوله (ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه) دل بحسب المفهوم على أن من أم يصبر ولم يرض قد يقضى الله عليه ما هو شر له فلا بد من القول بأن المفهوم غير ممتبر، أو القول بأن ما قضاء شر له لفقده أجر الصبر والرضاء، أو في نظره بخلاف الصابر والراضي فانه خير،

أو كره إلا ما هو خير له.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقي عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: "إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم وإن من عبادي المؤمنين لعبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فينهجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاء عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارى عليها ولو أدخلني بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيره العجب إلى في نظرهما، وفي الواقع.

قوله (قال الله عز وجل إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم) الدنيا كلها وكل ما فيها من خير وشر ونفع وضر وصحة وسقم وغنى وفقر إلى غير ذلك محض الاختبار والامتحان، فيختبر الغنى بالغنى ليرى أنه يشكره أم يكفره، وللمعلم بأنه أصلح لدينه، ويختبر الفقير بالفقر ليختبره بأنه يصبر أم يشكو وللمعلم بأنه أصلح لدينه، ووجوه الابتلاء والاختبار متكررة وطرق الامتحان متعددة، والله تعالى عالم ببلكل أحدهما هو أصلح له فلو اختبر الغنى بالفقر أو بالعكس لفسد دينهما وقس عليها.

(وهو ماقت لنفسه زارى عليها) أي مبغض لها معيب ومعاتب عليها لتقصيرها في العبادات، وتركها بالنوم وهذا مع كونه دافئاً للمعجب من أعظم العبادات.

(ولواخلى بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب) وهو ابتهاج الانسان و سروره بتصور الكمال في نفسه واستمظامه اياه لامن حيث أنه من عطايا تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته، والخوف من نقصه أو زواله، بل من حيث أنه وصف له موجب لملو قدره ورفع درجته وسمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع الغفلة عن قياس نفسه الى الغير بكونه أكمل وأفضل منه، وبهذا التقيد ينفصل عن الكبر اذا لبد فيه أن يرى لنفسه مرتبة، وللغير مرتبة، ثم

الفتنة بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه قدفاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إليّ ، فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع درجات العلى في جوارى ولكن فبرحمتي فليثقوا و بفضلي فليفرحوا وإلى حسن الظن بي فليطمأنوا ، فإنّ رحمتي عند ذلك تداركهم ، ومنّي يبلغهم رضواني ومغفرتي ، تلبّسهم عفوي فأنسى أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت.

٥- عدّة من أصحابنا؛ عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن صفوان الجمال، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا

يرى مرتبته فوق مرتبة غيره، والمعجب من أعظم الذنوب المهلكة حتى روى عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك المعجب المعجب، وفيه دلالة على أنه تعالى قد يبلو العبد بالذنوب ليدفع عنه العجب.

(فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي) وإن كانت حسنة تامة الأركان والأفعال لانهم، وإن بالغوا واجتهدوا كانوا مقصّرين غير بالغين كنه العبادة وحقيقتها ولأنه لا قدر لعبادتهم في جنب ثوابها وهو الجنة ونعيمها ودرجاتها وقرب الحق ولان مفسدات العبادة كثيرة لا يتحقق العلم بخلوسها منها إلا عند المعاينة وحضور الموت ، وفيه دلالة على أنه يجوز العمل لقصد الثواب .

(والى حسن الظن بي فليطمأنوا) كان يظن منه الفران حين يستغفر وقبول العمل حين يعمل، والثوبة إذا تاب، والاجابة اذا دعا، والكفاية اذا استكفاه ونحو ذلك. وبالجملة ينبغي أن يعمل ولا يتكل بحسن عمله وكثرته بل يحسن ظنه بالله في قبول عمله ورفع درجته واحسانه، وأما من يحسن ظنه بالله بدون العمل فهو احمق ونظيره من لم يزرع في وقته ويتوقع الحصاد كما يتوقعه الزارعون.

قوله (ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطله في رزقه) المجرور في رزقه بمودالى الله أوالى ومن، أى من عرفه ينبغي أن لا ينسب اليه البطؤ والبخل في إيصال الرزق كاليهود قالوا

يستبطنه في رزقه ولا يشمه في قضاؤه.

٦- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن عمرو بن نهيك بياع الهروي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عز وجل "عبدني المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي و ليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام أن "فيما أوحى الله عز وجل" إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدني المؤمن فإني إنما ابتليته لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدني، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي و ليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري.

يد الله منلولة. (ولا يشمه في قضاؤه) بالظلم والجور أو بنفيه، أو لا يشك فيه بل يستيقن من اتهمته في قوله بمعنى شككت في صدقه.

قوله (عن عمرو بن نهيك بياع الهروي) قال في المغرب ثوب هروي بالتحريك ومروى بالسكون منسوب إلى هرات ومرو، وهما قريتان معروفتان بخراسان، ومن خواهرزاده هما على شط الفرات ولم يسمع ذلك لغيره و في الاشكال سوى هراء خراسان هراء أخرى هي بنواحي اسطخر من بلاد فارس.

(أكتبه يا محمد في الصديقين عندي) الصدق راست گفتن وراست شدن وراست داشتن والمراد هنا تقويم العبد ظاهراً وباطناً وتقويم الباطن يتحقق بتخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل وتقويم الظاهر يتحقق بفعل الطاعات وترك المنهيات واليه يشير قوله تعالى "وانما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا إلى قوله- أولئك هم الصادقون، ولا ريب في أن الصدق بهذا المعنى قابل للزيادة والنقصان، ومن بلغ حد الكمال فهو صديق ومنهومه في الصدق أيضاً على أفراد متفاوت، والصديق الاكمل هو الذي قطع منازل الناسوتية ورفع عوائق البشرية حتى شاهد جمال الاسرار وجلال الحق، واستغرق في توحيده بحيث لا يطلب الاياه و يغفل عن مشاهدة ما سواه.

(إذا عمل برضائي وأطاع أمري) لعل المراد ان كتب من اتصف بالخصال المذكورة

٨- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل ابن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عجبت للمرأة المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له وإن قرض بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن سنان، عن صالح بن عقبة عن عبد الله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل: من عرف الله عز وجل. ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره.

١٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: قال [لي] علي بن الحسين صلوات الله عليهما:

وهي المبز على البلاء والشكر على النعماء والرضا بالقضاء في زمرة الصديقين مشروط بالعمل بما فيه رضا الله تعالى وإطاعة أمره بالشرائع والأحكام ولا يتحقق ذلك إلا بأخذها من أهل العلم.

قوله (عجبت للمرأة المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له) أي عظمت له ذلك وأعده أمراً عظيماً لكونه تفضلاً مشتملاً على نفع عظيم وخير جليل، والاصل أن الانسان لا يتعجب من الشيء إلا إذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فأخبره دع، بذلك ليعلم موقع القضاء ويرضى به لملو منزلته، وإنما حملنا تعجبه دع، على المجازلانه لا يخفى عليه أسباب القضاء والتعجب ما خفى سببه ولم يعلم وجهه، والمقاريض جمع المقراض بالكسر وهو آلة القرض، تقول: قرضت الشيء قرضاً من باب ضرب أي قطعته.

قوله (أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل) أي من عرف الله حق معرفته وعرف حكمته وعدله ولطفه وإحسانه فهو أحق أن يسلم ما قضاء الله عليه من غيره لان التسليم له، تابع للمعرفة فكما كانت المعرفة أكمل وأكثر كان التسليم أولى واجدر. (و من رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره) تعظيم الاجر لجريان القضاء عليه والرضاه، فله أجران كاملان، وأما الاحباط فيحتمل أن يكون المراد به احباط أجر الرضا، أو احباط أجر جريان القضاء أيضاً ويؤيد الاول ما روى عن أبي عبد الله دع، قال «ثواب المؤمن من ولده اذا مات الجنة صبراً ولم يصبر».

الزهد عشرة أجزاء، أعلا درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا.

١١- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن علي بن أسباط، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقي الحسن بن علي عليه السلام

قوله (الزهد عشرة أجزاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا) دل على أن الرضا فوق اليقين، واليقين فوق الورع، والورع فوق الزهد، وجه الترتيب أن الدنيا رأس كل خطيئة فلا بد للسالك من الزهد فيها أولاً، ثم بعد الزهد يسهل له ترك المعصية لأن المعصية كلها عائدة إلى الدنيا فيحصل له مرتبة الورع. فإذا حصلت له هذه المرتبة قرب من الحق فيحصل له مرتبة عين اليقين أو حق اليقين، واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضا لأن الرضا لازم للمحبة وتابع له وعلى أن لكل واحد منها عشرة أجزاء كل جزء يصدق عليه اسم الكل، فكل جزء من الزهد مثلاً زهد فله أفراد متفاوتة والظاهر أن كل جزء فوقاني مشتمل على جزء تحتاني مع زيادة فعلى هذا الجزء العاشر من الزهد مثلاً عبارة عن الزهد على وجه الكمال، وإنما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون العاشر جزء من الزهد الكامل كالسوابق، وإن شئت زيادة توضيح المقال فنقول على سبيل الاجمال أن كل خصلة من خصال الخير ليست لها مرتبة شخصية لا تقبل الزيادة والنقصان. بل لها عرض عريض يمكن أن يفرض فيها درجات بعضها فوق بعض، والعلم بتلك الدرجات تفصيلاً وتعييناً ليس في وسعنا، وإنما هو عند أهله ففرضها عشرة وبين تفاوت مراتبها على سبيل الاجمال وتفاوت مراتب بعض الخصال على سبيل التفصيل وأشار بذلك إلى أن الرضا فوق الجميع، ومن ثم كان مقام الرضا فوق جميع مقامات السالكين لأن الرضا ثمرة المحبة الكاملة إذا المحبة في الجملة تكون في كل مؤمن مع انتفاء فضيلة الرضا عن أكثرهم والمحبة الكاملة ثمرة اليقين بالله وبكمال ذاته وصفاته وصدق مقاله وحسن فعاله بحيث يرى كل سبب من أسباب المحبة مختصاً به، واليقين ثمرة الورع، وهو الأمراض من كل ما يوجب الائم، والورع ثمرة الزهد وهو الأمراض عن الدنيا وزهراتها المانعة من السير إلى الحق، وبالجملة السالك إذا أخذ ما يعنيه وترك ما لا يعنيه وصل إلى مقام المشاهدة وإذا وصل إلى هذا المقام يستولى على قلبه المحبة التامة، وإذا حصلت له المحبة حصلت له فضيلة الرضا فيرضى بكل ما صدر منه كما هو شأن المحب مع محبوبه.

عبدالله بن جعفر فقال : يا عبدالله ! كيف يكون المؤمن مؤمناً و هو يسخط قسمه و يحقر منزلته و الحاكم عليه الله ، و أنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضاء أن يدعو الله فيستجاب له .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن ؟ قال : بالتسليم لله و الرضاء فيما ورد عليه من سرور أو سخط .

١٣- عنه ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، عن الحسين بن المختار ، عن عبدالله

قوله (كيف يكون المؤمن مؤمناً) وكيف ، لانكار و المقصود نفي الكمال ان لم يقصد تحقير الحاكم . (و هو يسخط قسمه) الواو للحال و القسم - بالكسر - الحصة و النصيب المقدر له لصالح حاله .

(و يحقر منزلته) عند الله تعالى لانه تعالى جعل ذلك قسماً له لرفع منزلته فتحقير القسم السبب لها تحقير لها .

(و الحاكم عليه الله) عطف على منزلته ، و الله بدل عن الحاكم . أي و يحقر الحاكم عليه و هو الله لان تحقير حكم الحاكم تحقير له ، و يحتمل أن يكون الواو للحال و الحاكم حينئذ مبتدأ و الله خبره ، و المقصود أن تحقير القسم و المنزلة مستلزمة لتحقير الله لانه الحاكم عليه ، أو أنه لاجور في تقسيمه فكيف يحقر ما قدره له من القسم .

(و أنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضاء) هجس الامر في القلب أي وقع و خطر (أن يدعو الله فيستجاب له) الرضاء بالقسم شكر للنعمة و المنعم و هو يوجب الزيادة فكيف اذا طلبها من الله فانه لا يرد .

قوله (بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن) لعل المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وله علامات اقواها التسليم لله في حكمه و تلقيه بالقبول ظاهراً و باطناً و الرضاء بكل ما ورد عليه مما يوجب السرور أو السخط و يوافق الطبع أو يخالفه . قال المحقق الطوسي في اوصاف الاشراف نقل ان واحد من أهل الرضاء مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذاك و ليت لم يكن هذا و سئل ان أي أثر بلغك من الرضاء قال بلغني شائبة من الرضاء و ربح منه ومع ذلك لو جعلني الله صراط جهنم و مر على الخلايق كلمهم و دخلوا الجنة ثم أدخلني وحدى في النار لم يخطر ببالى لم كان حظى هذا و حظ غيرى ذاك .

ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى : لو كان غيره .

(باب)

التفويض إلى الله والتوكل عليه

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن مفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام ما اعتصم به عبد من عباده دون أحد من خلقه، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن

قوله (لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى لو كان غيره) روى مسلم عن النبي ﷺ قال : وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لم يصبنى كذا فإن ولو، فتفتح عمل الشيطان (١) أقول ينبغي للمؤمن أن يطالب من طريق أحله الله ما ينتفع به في أمر دنياه وآخرته الذي يصون به دينه وعياله ومروته وعرضه، ولا يمحز في تحصيل ذلك ويتكل على القدر فينسب إلى التفريط شرعاً وعادة ومع الطلب فلا بد من الاستعانة بالله والدعاء إليه، وبسلوك هاتين الطريقتين يحصل خير الدارين. ثم إن أصابه شيء بعد ذلك ينبغي له التسليم والرضا بقضاء الله وترك أن يقول لو أننى فعلت كذا لم يصبنى كذا، فإنه يجر إلى وسوسة الشيطان، وأن التدبير يسبق القدر، وقال الأبي في كتاب أكمال الأكمال وألحق الشاطبي بلوه ليت وهو كذلك إذا أريد بليت الندم والتأسف على عدم فعل ما لو فعله لم يصبه، أى تمنى لو فعل ذلك، وقال عياض النهي عن هذا القول مختص بالماضى لأن النهي إنما هو عن دعوى رد القدر بعد وقوعه. وأما المستقبل فيجوز فيه ذلك، ومنه قوله دع، ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسؤال عند كل صلاة، لأنه مستقبل لا اعتراض فيه على قدر مضى، وإنما أخبر فيه أنه كان يفعل ما هو في قدرته لولا المانع، وأما ما مضى وذهب فليس في القدرة والامكان فعله. وقال الأبي، والذي عندي أن النهي على عمومته ولكنه نهى تنزيهه، وقال المازري النهي عن هذا القول في الماضى ينافي ما جاء منه من دلو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى، وأجاب بأن الظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فهو نهى تنزيهه، وأما من يقول تأسفاً على فعل طاعة فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر ما جاء من استعمال ذلك في الأحاديث

قوله (ما اعتصم به عبد من عباده دون أحد من خلقه) الاعتصام به دون غيره عبارة عن الانقطاع عن الغير بالكلية والرجوع إليه والركون إلى فضله وهو معنى التوكل والتفويض

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٦ بأدنى اختلاف، في اللفظ

إلا جعلت له المخرج من بينهم" وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي" واد هلك.

٢- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن محبوب، عن أبي حفص الأعشى، عن عمر [و] بن خالد، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فأتكأت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ، ينظر في تجاه وجهي ثم قال : يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر، قلت : ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر - أو قال : قادر- قلت: ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول، فقال: مم حزنك؟ قلت: مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن

والوكيل كما يدفع الضرر عن موكله يجلب النفع إليه أيضاً واقتصر على الاول لان دفع الضرر أهم من جلب النفع على أن جلب النفع لدفع الضرر أيضاً.

(و أسخت الأرض من تحته) السخت بالفتح الصلب الشديد فارسي معرب يستعمله العرب والمجم على معنى واحد، وهو كناية عن تضيق الامر عليه لان صلابه الأرض يستلزم الضيق والضنك في العيش لعدم خروج الزرع والثبات منها.

(ولم أبال بأي وادهلك) اشارة الى سلب اللطف والتوفيق عنه وعدم المبالاة بسيره في وادي الضلالة او وقوعه في وادي جهنم وهلاكه فيهما .

قوله (ينظر في تجاه وجهي) تضم التاء وفتحها ما يواجهه، وأصله و جاء قلبت الواو تاء جوازاً ويجوز استعمال الأصل فيقال وجاء لكنه قليل وقعدوا تجاهه أي مستقبلين له (قال فعلى الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر أو قال قادر) الترديد من الراوي حيث لم يحفظ أنه سمع هذا اللفظ أو ذلك لا يقال قوله «فوعد صادق» لا يدفع الحزن على الآخرة ولا ينفيه بل يؤكد لانا نقول لعل المراد أن العامل للآخرة لا ينبغي أن يحزن عليها لان الله تعالى وعد لهم الاجر الجميل ووعد صادق، وهو في أمثاله قادر قاهر لا يمنعه أحد، أو المراد أن وعده بالمنفرة : أو وعده أهل العصمة بالدرجات العالية صادق.

(قلت مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس) حيث خرج وادى الخلافة و بايعه أهل مكة وغيرهم في دولة بني أمية وسلطانهم وخوفه وع من ثوران نار الفتنة والحرب

الحسين هل رأيت أحدا دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا ، قال فهل : رأيت أحدا توكل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم غاب عني . علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب مثله .
 ٣- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن حسان ، عن عمه عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الغنى والعز يجولان ، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا .
 عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن علي ، عن علي بن حسان مثله .

بينه وبينهم ، وقيل السادة العلوية وغيرهم .

(قال فضحك) لعل وجه الضحك تنشيط نفس المخاطب وتفريج همه باظهار أن ذلك سهل ودفع سبب الحزن في غاية السهولة وذلك بأن يدعو الله و يتضرع اليه في دفع الفتنة ورفع النوائل ويسأله حصول الرفاهية والامن ويتوكل عليه في جلب المنافع ورفع المكاره حتى في هذا الدعاء والمسئلة (قال فهل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه) هذا تأكيد لما سبق للحث على الدعاء والسؤال ولذلك لم يقل شيئا بمد ذلك وغاب .

قوله (قال إن الغنى والعز يجولان) أي يتطعان النواحي و يمران في الاطراف كالطير طلباً للمسكن (فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا) فالمتوكل في غنى وعز دائماً أما الاول فلان الله يكفيه ويأتي بمهماتة فهو أغنى الاغنياء . وأما الثاني فلاعتزله من الذل المطلق وهو الالتجاء الى الخلق وتمسكه بالمزال وفرو هو اللجأ الى الله . ومعنى التوكل على الله هو الرجوع اليه والاعتماد عليه والثقة بكفايته ، ويمكن أن يقال توكل العبد فيما ينبغي أن يفعله أو يتركه من أمر الدنيا والاخرة هو الاعتماد على الله والثقة بكفايته ، والتمسك بحوله وقوته و ترقب التوفيق والاهانة منه دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من الاسباب الضرورية والمادية وغيرها لا ترك وظائفه وعمله وأسبابه في جلب المنافع و دفع المضار ، ومن ثم اشتهر أن التمسك بالاسباب لا ينافي التوكل وفيما يجرى عليه من غيره سواء كان من قبل الله أو من قبل غيره هو تفويض نفسه وأمره الى الله توقفاً من أن يرد عليه ما هو خير له والمعلوم أنه لا يرد عليه بمد ذلك الا ما هو خير له في الدنيا والاخرة فعليه حينئذ القيام بمقام الرضا بالقضاء وهذا أقصى مراتب الكمال ، وقال المحقق الطوسي المراد بالتوكل أن يوكل العبد جميع ما يصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى وأقدر ويفعل ما قدر عليه على وجه أحسن وأكمل ثم يرضى بما فعل وهو مع ذلك يسمى ويجهتد فيما وكله اليه ويمد نفسه وعلمه وقدرته

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب ومن اعتصم بالله عصمه الله ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب الله بالتقوى من كل بليّة، أليس الله عز وجل يقول: «إن المتقين في مقام أمين».

٥- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلال، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام إرادته من الأسباب والشروط المخصصة لتعلق قدرته تعالى وإرادته لما صنعه بالنسبة إليه، ومن ذلك يظهر سر لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين. وإن أردت زيادة التوضيح فارجع الى كلامه في أوصاف الأشراف.

قوله (أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب) يقال أقبل قبلك أى قصد قصدك وتوجه اليك، وجعلك قبالة وجهه وتلقاه، والمراد بأقبال العبد نحو ما يحبه الله قصده والاتيان به طلباً لرضاء، وبأقبال الله نحو ما يحبه العبد إفاضة ما يسر به قلبه وتقربه عينه (و من اعتصم بالله عصمه الله) من الضياع والحاجة كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله «و افوض أمري الى الله إن الله بصير بالعبادة» فلجأ من شر فرعون وجنوده اليه سبحانه واعتصم به فوفاؤه الله سيئات ما مكروا، واعتصم به يونس دعه في الظلمات بقوله «لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين» فلجأ من غضبه اليه واعتصم به فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه بقوله «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين» واعتصم به أيوب وأقبل اليه بقوله «رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين» فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر. وكذلك لجأ اليه كثير من الانبياء والمرسلين والصالحاء والمتقين والفاسقين فأقبل الله اليهم بقضاء حوائجهم وإزاحة مكارهم.

(و من أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء) ان جعل لم يبال وحده جواباً للشرط السابق كان جواب الشرط اللاحق قوله (كان في حزب الله) وان جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق كان قوله وكان في حزب الله استينافاً.

(بالتقوى من كل بليّة) أى يقيه من كل بليّة في الدنيا والاخرة

(ان المتقين في مقام أمين) أى المأمون من البليّة والافقهيهما.

قال: سألته: عن قول الله عز وجل: «و من يتوكل على الله فهو حسبه» فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً و تعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها.

٦- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطى الدعاء أعطى الإجابة و من أعطى الشكر أعطى الزيادة و من أعطى التوكل أعطى الكفاية ثم قال: أتلوت كتاب الله عز وجل: «و من يتوكل على الله فهو حسبه» وقال: «لئن شكرتم لأزيدنكم»

قوله (فقال التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها) قد عرفت أن شرط التوكل فيها ليس رفع اليد عن أسبابها بل شرطه عدم الاعتماد عليها والوثوق بها فلو طلب طالب الرزق مثلاً رزقه من أسبابه المشروعة كالناتج من التجارة، والزراع من الزراعة، و ليس اعتمادهما على عملهما بل على الله سبحانه، وعلى أن الرزق عليه أن شاء رزقه منهما وإن شاء رزقه من غيرهما حتى لو فسد العمل لم يحرزنا لم يكن ذلك منافياً للتوكل، وكذلك لو حمل الخائف من العدو سلاحاً وقفل الخارج من البيت باباً و شرب المريض دواء، و لم يكن اعتمادهم على السلاح والقفل والدواء اذ كثيراً ما يغلب العدو مع السلاح ويسرق السارق بكسر القفل ولا ينفع الدواء بل اعتمادهم عليه عز وجل لم يكن هذا منافياً للتوكل، و بالجملة قلب المتوكل متوجه إلى الله وتوجهه إلى الوسائط والأسباب باعتبار أن العالم عام الأسباب وأن الله تعالى أي أن تجري الأمور إلا بأسبابها فهو أن ظن سبباً وتعرض له ولم يعتمد عليه بل على خالقه فان ترتب عليه اثر شكر وان لم يترتب لم يسخط و رضى لعلمه بأنه تعالى عالم بمصالح الأمور، و أن ما فعله كان محض الخير فهو متوكل مفوض أمره إلى الله (تعلم أنه لا يألوك خيراً) الا لو التقصير واذا عدى إلى مفعولين يضمن معنى المنع أي لا يمنعك خيراً وفضلاً مقصراً في حقك.

قوله (ومن أعطى التوكل أعطى الكفاية) نقل أن خليل الرحمن حين وضع في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل، فلما رمى لاقاه جبرئيل وع، في الهواء وقال ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا. قال ذلك ابقاء لتوكله الذي أظهره أولاً فكفاه الله عن النار.

(و من يتوكل على الله فهو حسبه) النشر على غير ترتيب اللف فالاول للاخير

وقال : « ادعوني أستجب لكم. »

٧- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي علي، عن محمد بن الحسن، عن الحسين بن راشد، عن الحسين بن علوان قال: كنت في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي: بعض أصحابنا من يؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً فقال: إذا والله لاتسعف حاجتك ولا يبلغك أملك ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبد الله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لا قطعن أمل كل مؤمل [من الناس] غيري بالياس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولا نحينه من قربي ولا بعدنه من فضلي، أيؤمل غيري في الشدائد؟ والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري؟ ويبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي

وهكذا الى الاول. والشكر الاعتراف بالاحسان والتحدث به والانقياد للمشكور، وهو بالفعل أظهر منه بالقول.

قوله (وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي) العزة الشدة والقوة والعلبة والسلطنة والملك والجلال والمعظمة. والمجد الشرف والكرم الواسع، والارتفاع كناية عن الاستيلاء على جميع الممكنات والاستعلاء على جميع المخلوقات والاحاطة علماً وقدره بها لكون العرش محيطاً بجميعها.

(لاقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري بالياس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولا نحينه من قربي ولا بعدنه من فضلي) بالياس متعلق بقوله لاقطعن، وفيه وعيد على كل من يؤمل غيره تعالى في المقاصد بامور أربعة: الاول اليأس من حصول ما موله غالباً أو الا باذنه تعالى بقرينة ما سيجي. الثاني احاطة المذلة به وازافة الثوب اليها من باب اضافة المشبه به الى المشبه، والكسوة ترشيح للتشبيه، والثالث تبعيده أو ابعاده من قرب رحمته، والرابع تبعيده من احسانه وافضاله، وكل ذلك يوجب خسرانه في الدنيا والاخرة.

(أيؤمل غيري في الشدائد؟ والشدائد بيدي) ذكر اليد مجاز في بيان أن الشدائد تحت قدرته لاقدرة غيره وقد جرت الحكمة على أن يختبر الله تعالى عبده في الدنيا بالشدائد ليرجع اليه وينتصرع بين يديه في دفعها فإذا رجع الى غيره مع كون الشدائد بيد ذلك الغير كان ذلك موجباً للتوبيخ والانكار (و يقرع بالفكر باب غيري) تشبيه الفكر باليد مكنية واثبات القرع لها تهييلية،

مفتوح* لمن دعاني فمن ذا الذي أمّلتني لنوائبه فقطعته دونها ١٩ و من ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ١٩ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلّقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم [أن] من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني، فمالى أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي مالم

وذكر الباب ترشيح، والمتصود ذمه بصرف قلبه وفكره عند الحاجة إلى غيره تعالى (و بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة) أي أبواب الحاجات مغلقة ومفاتيحها بيده تعالى وهو استمارة على سبيل التمثيل للتنبيه على أن قضاء الحاجة المرفوعة إلى الخلق لا يتحقق إلا بإذنه إن شاء أذن به وإن شاء لم يأذن.

(و باي مفتوح لمن دعاني) وهو أيضاً استمارة لتشبيه الغائب بالحاضر، وترغيب السائل بالرجوع إليه، وتنبيه الغافل على سهولة عرض المطلب عليه.

(فمن ذا الذي أمّلتني لنوائبه فقطعته دونها) أي قطعته عند النوائب وهجرته أو منعه من أمه ورجائه ولم أرفع نوائبه. تقول قطعت الصديق قطيعة إذا هجرته، وقطعته عن حقه إذا منعته (رجائي لعظيمة) أي لمطالب عظيمة.

(جعلت آمال عبادي عندي محفوظة) لاردها إليهم عند طلبهم كالوديعة. (فلم يرضوا بحفظي) حتى جعلوها عند غيري وطلبوها منه (و ملأت سماواتي ممن لا يمل بتسبيحي) وهم الملائكة عليهم السلام الذين لا يفترون من تسبيحه، ولا يأسأون من تقديسه، ولا يخالفونه في أمره (و أمرتهم أن لا يغلّقوا الأبواب بيني وبين عبادي) كناية عن عدم منعهم لمن أراد الوصول إليه والسؤال منه، وعرض المقاصد عليه كما يمنع حجاب الملوك، أو عن إيصال حوائج السائلين ومطالبهم إليهم فإنه تعالى قد يأمرهم بذلك كما دل عليه بعض الروايات.

(فلم يثقوا بقولي) والدليل على عدم الوثوق رجوعهم إلى الغير وجعلهم له موضعاً للحاجات و منشاء ذلك معارضة الوهم والخيال، ولو رجعوا إلى صرافة العقل وحكمه لوجدوا أن ذلك من أقبح الفعال (ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي) أي أتته مطلقاً ولا وجه لتخصيص أتيانها بالليل (أنه لا يملك كشفها) أي دفعها.

(أحد غيري إلا بعد إذني) دل ظاهراً على أن المبدء لورجع إلى غيره تعالى في كشف نوائبه فقد تكشف بأذن الله تعالى فهذا مخصص لما دل على اليأس وعدم القضاء على الإطلاق لا يقال العالم عالم الأسباب فكيف يذم من رجع إلى الغير لظنه أنه سبب لانا نقول الذم باعتبار

يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده و سأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سألني ١٩ أبخيل أنا فيبختلني عبدي ١٩ أوليس الجود والكرم لي ١٩ أوليس العفو والرحمة بيدي ١٩ أو ليس أنا محل الآمال ٩ ! فمن يقطعها دوني ١٩ أفلا يخشى المؤمنون أن يؤملوا غيري ، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة و كيف ينقص ملك أنا قيمه ، فيا بؤساً للقائطين من رحمتي و يا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

أن قلبه تعلق به واعتمد عليه ، و أما من لم يركن اليه و لم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر أنه ليس بمذموم والاولى مع ذلك أن يرجع الى الله فان شاء الله أن يكون قضاء حاجته على يد أحد جملة وسيلة له شاء أولم يشأ.

(أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب) الاستفهام للانكار والتعجب فان من تأمل مثلاً في وجوده وذاته و حالاته السابقة يجد أنه تعالى شأنه أكرمه ونعمه وأحسن اليه بلا سابقة مسئلة واستحقاق ما لا يقرره اللسان ولا يحيط به البيان و أنه أخرجه من حد النقص الى حد الكمال بلا التماس أحد ولا معاونة مدد ولا شفاعة شفيع ، ثم لا يحصل له العلم بأنه يعطيه في مستقبل الاحوال جميع ما يحتاج اليه ، و يصلح جميع ما يرد عليه عند السؤال و التفويض والتوكل والرجوع اليه بالتضرع والابتهال، ولم يتيقن أنه تعالى يقوم بكفايته و رعايته و اضطر الى أن يقرع باب غيره و يلجأ اليه ويظهر الفقر والعجز بين يديه. كان ذلك محل التعجب والانكار وان هذا الشيء عجاب.

(أفلا يخشى المؤمنون أن يؤملوا غيري) الخشية اما من العقوبة أو من قطع الامال والياس عنها ، أو من الابعاد عن مقام القرب ، أو من ازالة النعماء عنه، أو من رفع الوجود والفيض والجود عنه .

(و كيف ينقص ملك أنا قيمه) أي قايم بسياسة اموره (فيا بؤساً للقائطين من رحمتي) البؤس والياس والياساء الشدة والفقر والحزن و كأنه كان غير متعين وقت ندائه لعظمته فتأدام و أحضره لبروه و يتمتعوا منه ، و يحتمل أن يكون منصوباً على المفعول لفعل مقدر تقديره يا عبادي أبصروا بؤساً للقائطين و نحوه ، أو على المصدر تقديره يا عبادي بؤساً لهم. و فيه وعيد عظيم لاهل القنوط من رحمته (و لم يراقبني) أي لم يخف عذابي أو لم يحفظ حقوقى.

٨- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن عباد بن يعقوب الرضائي ، عن سعيد بن عبد الرحمن قال : كنت مع موسى بن عبد الله بينبع وقد ثقت في بعض الأسفار ، فقال لي بعض ولد الحسين : من تؤمل لما قد نزل بك ؟ فقلت : موسى بن عبد الله ، فقال : إذا لا تقضى حاجتك ، ثم لا تنجح طلبك ، قلت : و لم ذاك ؟ قال : لأنني قد وجدت في بعض كتب آبائي إن الله عز وجل يقول - ثم ذكر مثله - فقلت : يا ابن رسول الله أمل علي ، فأملأه علي ، فقلت : لا والله ما سأله حاجة بعدها .

(باب الخوف والرجاء)

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن منصور بن يونس ، عن الحارث بن المغيرة ، أو أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما كان في وصية لقمان ؟ قال : كان فيها الأعاجيب و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه خف الله عز وجل خيفة لوجنته ببر الثقلين لعذبك و ارج الله رجاء لوجنته بذنوب الثقلين لرحمك ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : كان أبي يقول : إنه ليس من عبد مؤمن

قوله (قال كان فيها الاعاجيب) جمع الجمع ، كالناheim والمجب ما يوجب انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه والمعجب چیزی که اذو بغایت شگفت گیرند .
(خف الله عز وجل خيفة لوجنته ببر الثقلين لعذبك و ارج الله رجاء لوجنته بذنوب الثقلين لرحمك) الخوف حالة نفسانية موجبة لتألمها بسبب توقع مكروه سببه ممكن الوقوع أو توقع فوات أمر مرغوب فيه ولو كان وقوع سببه معلوماً أو مظلوناً ظناً غالباً يسمى ذلك انتظار المكروه أيضاً كما يسمى خوفاً والتألم فيه أزيد ، و أما الخوف والتألم بسبب توقع مكروه علم قطعاً عدم وقوع شيء من أسبابه فذلك وسواس وما ليخولياء والرجاء بالمدح حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع حصول أمر مطلوب سببه متوقع أو مظلون أو معلوم و يسمى الاخير انتظار المطلوب أيضاً والفرح فيه أشد ، و أما الرجاء والفرح بسبب توقع مطلوب علم عدم وقوع سببه فذلك غرور و حماقة ، و سبب الخوف من الله معرفته ومعرفة جلاله و عظمته وكبريائه و غناؤه عن الخلق و غضبه وقهره و كمال قدرته على الخلق ، و عدم مبالاته بتعذيبهم و اهلاكمهم و معرفة عيوب نفسه وتقصيره في الطاعات والاخلاق والاداب مع التفكير في أمر الآخرة و شداendها ، و كلما زادت تلك المعارف زاد الخوف وثمرته في القلب و

إلا وفي قلبه نوران : نور خيفة و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن

البدن والجوارح، اذ بالخوف يميل القلب الى ترك الشهوات والندامة على الزلات، والعزم على الخيرات ويخضع ويراقب ويحاسب وينظر الى عاقبة الامور ويحترز من الرذائل كالكبر والحسد والبخل و يذبل البدن ويصفر اللون من النهم والسهر و تشتغل الجوارح بوظائفها و يحصل له بترك الشهوات العفة والزهد وبترك المحرمات التقوى، وبترك ما لا ينمي الورع والصدق والاخلاص ودوام الذكر والفكر، و يترقى منها الى مقام المحبة، ثم منه الى مقام الرضا وسبب الرجاء معرفته ومعرفة سعة رحمته و فيضه ولطفه ورأفته و احسانه على العباد، و اجراء نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، جليلة وخفية ، ضرورية و غير ضرورية حين كونهم أجنة في بطون امهاتهم بلا سبق استحقاق ولا تقدم استبهاال والتفكر في غنائم عن عبادتهم و تعذيبهم مع عجزهم و مسكنتهم و فقرهم و حاجتهم اليه و ذلهم بين يديه ، و من استقرت في قلبه هذه المعارف حصل له الرجاء بنيل الثواب والمغفرة والرحمة، وثمرته الاتيان بما يوجب الوصول اليها كما أن ثمرة الخوف من العقوبة ترك ما يوجب الوجود عليها، (ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران: نور خيفة و نور رجاء) لان المؤمن لا يخلو من تصور أسباب الخوف والرجاء و تجويز وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الآخر وانتهاء سيره الى القرب كاهل الايقان، أو الى البعد كاهل الحرمان بحيث لا يرجح أحدهما على الآخر اذ لو رجح الرجاء لزم الامن لافي موضعه فأقمنوا مكر الله فلا يأم من مكر الله الا القوم الخاسرون ، ولو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للمهلك ، أنه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومنه ظهر أن الخوف غير القنوط وأنه والرجاء ينبئ أن يكونا متساويين مطلقاً وقد ذهب اليه أيضاً بعض العامة، و قال عياض عبادة الله بين أصلين الرجاء والخوف، و يستحب أن يغلب في حال الصحة الخوف فاذا زاد في الاجل أو انقطع الاجل يستحب أن يغلب الرجاء ليلقى الله على حاله هي أحب اليه اذ هو الله سبحانه الرحمن الرحيم ويحب الرضاء ولا يغلب الخوف حينئذ خشية أن يقنط فيهلك و فيه أن الدليل لو تم لدل على رجحان الرجاء قبل الاجل أيضاً ولم يقتل به، والتعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته أيضاً قبله، وقد قال بخلافه وقيل ينبئ أن يغلب الخوف ليكف عن المخالفات ويكثر من الطاعات، فاذا دلت امارات الموت ينبئ أن يغلب الرجاء لان ثمرة الخوف وهي الانكفاف والاكتثار في الطاعة تمذرت حينئذ وهو قريب مما ذكر، وقال الابي في كتاب اكمال الاكمال مقامات الصالحين عند الاحتضار تختلف، فمن بعضهم أنه قال لابنه يا بني حدثني عن الرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به، و عن بعضهم أنه رجي حين احتضر، وقيل له تقدم على غفور رحيم فقال أفلا تقولون لسي

هذا لم يزد على هذا.

٢- محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا إسحاق خف الله كأنك

تقدم على شديد المقاب يعاقب على الكبيرة ويؤاخذ بالصغيرة، وهذا بحسب مقامات الخوف بقى شيء وهو أنه قال بعض الافاضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية في النشأ الآخرة، وإنما هو من الامور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي، وفعل الطاعات ما دامت في دار العمل، واما عند انقضاء الاجل والخروج من الدنيا التي هي دار العمل فائدة فيه، واما الرجاء فانه باق ابدأ الى يوم القيامة لا ينقطع لانه كلما نال العبد من رحمة الله أكثر كان ازدياد طمعه فيما عند الله أعظم وأشد لان خزائن جوده وخيره ورحمته غير متناهية لا تبديد ولا تنقص فثبت أن الخوف منقطع والرجاء ابدأ لا ينقطع، وفيه نظر لان الظاهر أن الخوف من العقوبة أو من فوات الثواب أو من فوات التفضل أو من فوات رفع المنزلة أو من ظهور أساءة على رؤس الاشهاد أو من زلة القدم على الصراط باق بعد الخروج من الدنيا ثم بقاء الرجاء والطمع فيما عند الله كما حكم به يستلزم الخوف من عدم تحقق المطموع والله أعلم.

قوله (يا إسحاق خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك) و شبه الرؤية القلبية بالرؤية العينية قسداً للظهور والايضاح والاول اشارة الى مقام المشاهدة وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين وهي أعلى مراتب السالكين، وفي تلك المرتبة يتصل الطالب بالمطلوب اتصالاً معنوياً بحيث لا يشاهد الاجماله وكماله. الثاني اشارة الى مقام المراقبة و هي ثمرة الايمان و مرتبة عظيمة من مراتب السالكين روى عن رسول الله ص، أنه قال: داعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك و قال جل شأنه واقمن على كل نفس بما كسبت ان الله كان عليكم رقيباً والمراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والمثمر لها هو العلم بأن الله تعالى مطلع على كل نفس بما كسبت وأنه تعالى عالم بسرائر القلوب وخطراتها كما هو عالم بظواهر الاشياء وجلياتها وهذا العلم اذا استقر في القلب ولم يبق فيه شبهة يجذبه الى مراعاة الرقيب و المتصفون بها على صنفين منهم الصديقون ومراقبتهم استغراق القلب بملاحظة العظمة والجلال وانكساره تحت الهيبة واستعمال الجوارح بوغائف الطاعات بحيث لا يلتفت القلب الى الغير أصلاً والجوارح الى المباحات فضلاً عن المحظورات، ومنهم الورعون وهم قوم لم تدعهم ملاحظة العظمة والجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال يتسمها التلطف الى الاقوال والاعمال ومراقبتهم أن ينظروا الى جميع حركاتهم وسكناتهم ولحظاتهم و

تراه و إن كنت لا تراه فإنه يراك ، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت ،
و إن كنت تعلم أنه يراك ، ثم برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون
الناظرين عليك .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن
الهيثم بن واقد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن
لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن حمزة بن عبد الله
الجعفري ، عن جميل بن دراج ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : من عرف الله

اختياراتهم ويرصدوا كل خاطر يسئح لهم فإن كانت الهية عملوا بمقتضاها ، و إن كانت شيطانية
رفضوها استحياء من الرقيب ، و إن كانت مبهمه توقفوا حتى يظهر لهم أمرها .
(فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت) رؤيته تعالى نوع من العلم وهو العلم بالمبصرات
ظاهرها و باطنها كما هي والمنكر له كافر بالله العظيم .

(و إن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك)
حيث تترك المعصية عند مشاهدة غيره خوفاً من اللوم و حياء و لا تترك عند مشاهدته مع علمك
بأنه شاهد حاضر وليس ذلك إلا لأنه أهون عندك من ذلك الغير و هو لازم عليك ، و إن لم
تقصده و أنا أستدفر الله و أقول يا رب فعلنا كذلك لالذلك بل لاجل أنا نأمن منك و نرجو
رحمتك و لا نأمن غيرك .

قوله (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) ظاهره أن الله تعالى يلقى الخوف منه
على الاشياء مع احتمال أن يكون سر ذلك أن الخائف من الله نفسه قوية قدسية مقربة للحضرة
الالهية قادرة على التأثير في الممكنات فلذلك يخاف منه كل شيء حتى الوحوش و السباع
و الحيات كما نقل ذلك عن كثير من المقربين و من لم يخف الله نفسه ضعيفة متمسكة بالنقصان
بعيدة عن التأثير في عالم الامكان فلذلك يخاف من كل شيء و يتأثر منه ولما كانت القوة و
الضعف و التأثير و التأثر بسبب القرب من الله و عدمه نسبت الاخافة اليه .

قوله (من عرف الله خاف الله) دل على أن الخوف من الله لازم لمعرفته فكما زادت
زاد و لذلك قال عز شأنه دائماً يخشى الله من عباده العلماء و ذلك لان من عرف عظمته و
غلبته على جميع الكائنات و قدرته على جميع الممكنات بالاعدام و الافناء من غير أن يسأله
سائل أو يمنعه مانع أو يعود اليه ضرر تهيب و خاف منه ، وأيضاً من عرفه علم احتياجه اليه
شرح الاصول الكافي - ١٣ -

خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا.

٥- عنه ، عن ابن أبي نجران ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : قوم يعملون بالمعاصي و يقولون نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال : هؤلاء قوم يترجعحون في الأمانى ، كذبوا ، ليسوا براجين ، إن من رجا شيئاً

في وجوده و بقاءه و كمالاته في جميع حالاته و من البين أن الاحتياج اليه في مثل تلك الامور العظام يستلزم الخوف منه في سلب الفيض والاکرام .

(و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أى تركها تقول سختى عن الشيء يسخت من باب تمب أى ترك فمن ادمى الخوف و مال الى الدنيا غير تارك لها و ناهض للعبادة فهو كاذب لان الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه الى العبادة .

قوله (و يقولون نرجو) أى نرجو رحمة الله أو مغفرته لدلالة الايات والروايات على سعة عفوه و جزيل رحمته و وفور مغفرته .

(فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت) بالآتوبة ولا تدارك بالندامة والعبادة .

(فقال هؤلاء قوم يترجعحون في الأمانى) الترجع ميل كردن از طرف بطرف دیگر والامانى آرزوها و دروغها و بى ترسبها جمع الامنية ، و فى للسببية ، اوللظرفية أو بمعنى على أى يميلون من الحق بسبب الامانى أو فيها أو عليها باعتبار أنها يميل بهم كما تميل الارجوحة بمن فيها أو عليها و هى بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان و هو أن يوضع خشبة على تل و يقعد غلامان على طرفيها .

(كذبوا) فى دعوى الرجاء (ليسوا براجين) بل هم انتحلوا اسم الرجاء وليس لهم معناه أصلاً و علل ذلك بقوله :

(أن من رجا شيئاً طلبه بالضرورة و أما تمسكهم بسعة الرحمة فلا يوجب صدقهم فى الرجاء فان سعة الرحمة حق ولكن لا بد لمن يرجوها من العمل الخالص المعد لحصولها و ترك الوغول فى المعاصى المفوت لهذا الاستعداد و هذا هو الرجاء الصادق الممدوح كرجاء من ألقى البندى الأرض و أتى بأداب الزراعة رحمته فى الحاصل ، و أما من توغل فى المعاصى فرجاؤه الرحمة غير ممدوح ولا معقول كرجاء من لم يزرع أن ينبت الله له زرعاً فان هذا حقيق يذم به العقلاء ولا تتبع هؤلاء و انظر الى الانبياء (ع) فانهم مع كونهم اعلم بسعة الرحمة صرفوا أعمارهم فى الطاعة لعلمهم بأن توقع الاجر بدون الطاعة محض الضرور والقول بأننا نرجو بدون العمل قول الزور ، وانظر أيضاً الى من رجا امراً من السلطان فانه

طلبه و من خاف من شيء هرب منه.

٦- ورواه علي بن محمد، رفعه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً من مواليك يُلْمِثُونَ بالمعاصي و يقولون نرجو؟ فقال: كذبوا ليسوالنا بموال، أولئك قوم ترجحت بهم الأمانى. من رجا شيئاً عمل له و من خاف من شيء هرب منه.

٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن صالح بن حمزة، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل يقول الله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وقال جل ثناؤه: «فلا تخشوا

لا يصيبه بل يطلب منه ذلك الأمر و يخدمه خدمة بالغة طلباً للرضا و يكون خدمته بقدر قوة التوقع والرجاء ولما كان رجاء شيء مستلزماً للخوف من فوائده و بالعكس ولذلك قيل الخوف والرجاء متلازمان كان رجاءهم رحمته مستلزماً لخوفهم من فواتها و لذلك أشار الى أن دعواهم الخوف باطل أيضاً على وجه العموم بقوله.

(و من خاف من شيء هرب منه) بالضرورة فليس لهم خوف من فوات الرحمة والا لهربوا منه بترك المعاصى الموجبة لفواتها.

قوله (ان قوماً من مواليك) أى ناصريك و ناصريك القائلين بولايته المحبين لك، (يلمون بالمعاصى) أى ينزاون بالمعاصى و يفعلونها.

(و يقولون نرجو) الرحمة والمغفرة لانه تعالى واسع الرحمة والمغفرة (فقال كذبوا) فى دعوى الولاية والرجاء (ليسوالنا بموال) لان الموالاة ليست بمجرد القول بل هى محبة فى الباطن ومتابعة فى الظاهر لانفكاك بينهما والحصر المفهوم من تقديم الظرف يفيد أنهم موال لغيرهم و هو الشيطان (أولئك قوم ترجحت بهم الامانى) الباء للتمعية أى امالتهم الامانى عن طريق الرشاد الى سبيل الفساد حيث رجوا الباطل مع انتفاء سببها و هو التمنى المستعمل فى المحال دون الرجاء.

قوله (ان من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل) الخوف مبدؤه تصور مظنة المخالق ووعيده وأهوال الآخرة والتصديق بها و بحسب قوة ذلك التصور و التصديق يكون قوة الخوف و شدته، وهى مطلوبة مالم يبلغ حد القنوط، و ربما يشعر ذلك باعتبار زيادة الخوف على الرجاء، ويمكن أن يقال شدة الخوف تستلزم شدة الرجاء أو يقال ذكر شدة الخوف على سبيل التمثيل كما يشعر به قوله «من العبادة» فان منها شدة الرجاء.

(يقول الله عز وجل: «إنما يخشى الله من عباده العلماء») لابد أن نشير الى هؤلاء العلماء

الناس و اخشون، وقال تبارك وتعالى : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، قال : و قال أبو عبد الله عليه السلام : «إنَّ حُبَّ الشَّرَفِ وَالذِّكْرِ لَا يَكُونَانِ فِي قَلْبِ الْخَائِفِ الرَّاهِبِ» .
٨- علي بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن أبي سعيد المكاري ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات-

والى العلم الذى يورث الخوف والخشية فانا نرى كثيراً من أهل العلوم الدينية وغيرها لا يخشون من الله و يقتنون بحب الدنيا والاستكثار منها وصحبة الامراء وسلاطين الجور للرجاء والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على أى وجه اتفق ويتبعون أهواء النفس والشیطان فنقول المراد بهذا العالم العالم الربانى وهو الذى علم مظنة الله وجلاله وعزه وقهره لاعلى وجه الاعتقاد فقط بل على وجه يحيط نور العلم ظاهراً القلب وباطنه بحيث يمنعه من التوجه الى الدنيا وما فيها فضلاً عن الوسائط اليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة فى هواها وورداها فان هذا العلم هو الذى يورث الخشية وثمرته التقوى والورع وسائر الاخلاق النفسانية والعمل بعلم كتاب الله و سنة رسول الله ، والامراض عن الدنيا وأهلها ويرشد الى ما ذكر ماروى عن النبى و ص ، أنه قال وأنا أهرفكم بالله وأشدكم له خشية، فانه كالمفسر للعلم والعالم الخاشى لله والمخصص لهما (١) هذا، وقال المحقق الطوسى فى أوصاف الاشرف أن الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد فى اللغة الا أن بينهما فرقاً بين أرباب القلوب وهوان الخوف تألم النفس من المكروه المنتظر والعقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات، والخشية حالة نفسانية تنشأ من الضمور بمظنة الرب وهيبته وخوف المحجب عنه بسبب الوقوف على نقصانه وتقصيره فى أداء حق المبودية ورعاية الادب فهى خوف خاص واليه يرشد قوله تعالى ويخشون ربهم و يخافون سوء الحساب، والرغبة قريب من الخشية

أقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى اللغوى بدليل الاستشهاد بالآية «فلا تخشوا الناس واخشون» دل على أن الخشية وهى شدة الخوف عبادة لان الله تعالى أمر بهما كآية السابقة الا أن الامر فيها وقع ضمناً، ثم من خشى الله يخشاه الناس فكفا الله من خشيتهم لما مر ، و من يتق الله يجعل له مخرجاً، والتقوى على مراتب الاولى التبرى عن الكفر والشرك وهى تحصل بالشهادتين، وثانيها التجنب عما يؤثم، وثالثها التفرغ عما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبعد من الحق، ولعل المراد هنا احدى الآخرين مع

(١) قوله «والمخصص لهما» عطف على المفسر أى هذا الحديث مفسر للعلم والعالم و

مخصص لهما بالعلم الموجب للخشية والعالم الخاشى، (ش).

الله عليهما قال: قال إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممتن كان في السفينة إلا امرأة الرجل، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسيّة أم جنبيّة؟ فقالت: إنسيّة، فلم يكلّمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق عن هذا وأومات بيدها إلى السماء - قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزّته،

احتمال الاولى بعيدا أي ومن يتق الله خوفاً منه يجعل له مخرجاً من شدائد الدنيا والاخرة كما نقل عن ابن عباس، أو من ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى «ويرزقه من حيث لا يحتسب» وكان السر في الاول أن شدائد الدارين من الحرس على الدنيا واقتراف الذنوب والغفلة عن الحق والتمتني منزّه عن جميع ذلك وفي الثاني أن فيضه تعالى وجوده عام لا يخل فيه واما المانع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم استعداده له بالذنوب، فاذا اتقى منها قرب منه تعالى واستحق قبول فيضه بلا تعب ولا كلفة، فيجمع بذلك خير الدنيا والاخرة. (و قال أبو عبدالله «ع» أن حب الشرف والذكر) أي حب الجاه والرياسة والعزة بين الناس وحب الذكر والمدح والثناء منهم والشهرة فيهم.

(لا يكونان في قلب الخائف الراهب) لأن حب ذلك من آثار الميل إلى الدنيا وأهلها وهما منزّهان عنه، وأيضاً حبها من الامراض النفسانية المهلكة والخوف والرهبة يهذبان النفس منها، ومن ثم قالوا: الخوف نار تحرق الوسوس والهواجس. وذكر الراهب بعد الخائف من باب ذكر الخاس بعد العام لزيادة الاهتمام اذ الرهبة بمعنى الخشية وهي أخص من الخوف كما مر، وأيضاً الراهب هو الخائف التارك لاشغال الدنيا وملاذها حتى حلالها والممتزل عن أهلها والمتحمل لمشاقها ومشاق التكالييف وغيرها.

قوله (أن رجلاً ركب البحر) أراد بالبحر السفينة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل بقرينة رجوع الضمير المستتر في قوله فكسر إلى أهله بمعنى مع. (الا انتهكها) انتهك الحرمة تناولها بما لا يحل والحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق والجمع حرمان وقال أفرق من هذا الفرق محرّكة الخوف يقال فرق فرقاً من باب تعب أي خاف و يتمدى بالهمزة فيقال افرقته واما خافت من الله مع كونها مستكرهة لاجل التمكين فلذلك اضطربت لئلا تمكنه بقدر الامكان ويفهم منه أن المستكره على الحرام وجب عليه الدفع على قدر القدرة ليتخلص من العقوبة.

قال: فأنت تفرق بين منه هذا الفرق ولم تصنع من هذا شيئاً وإنما استكرهتك استكراهاً فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك. قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست له همّة إلا التوبة والمراجعة، فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظّلنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعوا أنا وتؤمن أنت، قال: نعم فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها ملياً من النهار ثم تفرقت الجادة جادتين فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحابة مع الشاب فقال: الراهب أنت خير مني، لك استجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غفر لك ماضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون

(فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب) بين ظرفية والالف للإشباع و ميمولة لفعل يفسره الفعل الواقع بعد اذ الفجائية أو خبر عن مصدر أى صادفه راهب بين أوقات مشيه، أو بين أوقات مشيه مصادفة الراهب: والمصادفة يكديكر را يافتن، والراهب عابد النصارى وهو المنقطع للمبادة، وفي بعض النسخ، اذغامه، بالضاد المعجمة، وفي بعضها اذجاءه، والمضامة نزديك كسى رقتن.

(و تؤمن أنت) أى تقول آمين وهو بالقصر في الحجاز (١) والمد اشباع بدليل أنه لا يوجد في العربية كلمة على فاعيل ومعناه اللهم استجب وقيل كذلك يكون، وقيل وكذا فليكن، وعن الحسن البصري أنه اسم من أسماء الله تعالى والموجود في مشاهير الأصول المعتمدة أن التشديد خطأ وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم ووجه الوهم مذكور في المصباح. (فمشيا تحتها ملياً من النهار) أى زماناً كثيراً وساعة طويلة.

(١) قوله وهو بالقصر في الحجاز أى آمين على وزن شريف، قال الشاعر:

تباهد منى فطحل اذ رأته آمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وهي كلمة غير موضوعة في الأصل للدعاء، بل بمعنى كذلك فليكن، فتسعمل بعد كل كلام يليق بأن يظهر المخاطب بعده الشوق إلى وقوعه، ولذلك يبطل به الصلاة عندنا، لانه بمنزلة كلام الادميين نظير أهلا وسهلاً ومرحباً وسقياً ورعياً، والتمبير بالدعاء نظير اللهم استجب، لتقريب المعنى. (ش)

فيما تستقبل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن ممّا حفظ من خطب النبي ﷺ أنّه قال: يا أيّها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قدبقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن ديناه لاخرته وفي

(فقال غفر لك ماضى حيث دخلك الخوف) دل على أن ترك كبيرة واحدة مع الاقتدار عليها خوفاً من الله وخالفاً لوجهه موجب لغفران الذنوب كلها ولو كان حق الناس على احتمال لأن الرجل كان يقطع الطريق مع احتمال أن يكون المغفرة للخوف مع التوبة إلى الله والمراجعة إلى الناس في حقوقهم كما يفهم من قوله وليس له مهمة إلا التوبة والمراجعة.

قوله (أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم) لعل المراد بها مواضع العلوم والحقايق وهي القوانين الشرعية، أو الحجج العالمون بها.

(و إن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم) كان المراد بها الغاية المطلوبة للإنسان وهي الكمالات الموجبة للقرب وحملها على أجل الموعود بعيد.

(ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قدبقى لا يدري ما الله قاض فيه) دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة إلى ما يأتي يكون بالنسبة إلى ماضى أيضاً وتخصيصه بما يأتي وإطلاق الحزن على ماضى اصطلاح عند قوم وهذا الخوفان يوجبان تحقق كمال الإنسان، لأن الخوف مما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة والاستغفار والتدارك والاعتراف بالتقصير واشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتي من احتمال المعصية والاعتقاد ونقصان الدرجة عن درجة الإبرار وانقلاب القلب والغفلة وترك الطاعات يوجب الاجتهاد في اكتساب الخيرات والمبادرة إلى تحصيل الكمالات والمحافظة لأوقات العبادات، والنجاة عن الخوف قاسي القلب فاسد العقل وفويل للناسية قلوبهم أولئك في ضلال مبين، (فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه) بأن يأخذ في الدنيا من نفسه فعل الطاعات والتقربات وترك المنهيات والمهويات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه في الآخرة (و من ديناه لاخرته) بأن ينفق متاعها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهي مزرعة الآخرة.

(و في الشبهة قبل الكبر) لأنه قد لا يصل إلى الكبر فالتأخير مفوت للمقصود ولأن القدرة

الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار .

على العمل وتحمل المشاق في أيام الشباب أقوى أولان القوى في أيامه قوية وكمال العمل تابع لقوتها . أولان العمل اذ صار ملكة في أيامه سهل عليه في أيام الكبر أولانه ينبغي أن يكون ميول القلب في أيامه الى الطاعة والانقياد للأوامر والنواهي ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة (١) على لوح صاف عن كدر الباطل ولوعكس وجعل أوائل ميوله وإرادته الى المعاصي تسود مرآة نفسه بالملكات الردية فلم يكدر يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الآخرين أعمالا .

(و في الحياة قبل الممات) لان العمل بعد الموت منقطع كما أشار اليه بقوله :
(فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب) مستعتب مصدر على زنة المفعول طلب الرضا أو اسم فاعل على احتمال بمعنى طالبه والعنب والعناب التوبيخ و السخط للذنب والتقصير ، يقال عنب عليه عتبا من بابي ضرب وقتل ، وعاتبه معاتبة وعتاباً أي وبخه ولامه وسخط عليه لذنبه وتقصيره والاعتاب الازالة لكون الهمزة للسلب فهو بمعنى الرضا ، يقال أعتبه اعتباً أي أزال عنه العتاب وعاد الى مسرته ورضاه ، والاستعتاب طلب الاعتساب والرضا بازالة ما عوتب عليه والمعنى ليس بعد الدنيا من استرضاء وإقالة ذنب وقبول عذر كما قال تعالى «و ان يستعتبوا فمأهم من المعتبرين» فالعتب بفتح التاء المرضي أي أن يطلبوا الرضا والمسرعة عنه تعالى ويستقبلوه فلا يرضى عنهم ولا يسرهم ولا يقللهم لان محل الاستعتاب والاعتاب والاستقالة والإقالة إنما هو الدنيا قبل حضور الموت وأما بعده فهو دار جزاء .

(وما بعدها من دار الجنة أو النار) فمن أطاع ربه في الدنيا فالجنة داره ومثواه ومن عصاه فالنار منزله وماواه . والمقصود من هذا الحديث حث المكلف على اغتنام الفرصة في زمن المهلة للاستعتاب والاعتذار والتوبة والاستغفار والاستيقاظ عن سنة الغفلة والاجتهاد ورأى الأعمال والاستعداد لما بعد الموت لئلا يقع بعده فسى الحسرة والندامة فيمتذر فلا -

(١) قوله «على لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة» هذا ما جرى عليه علماء الاخلاق ويدل عليه قوله تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» لان بناءهم على أن المؤثر بالذات في السعادة الآخروية هو الكمالات الحاصلة للنفس الانسانية بسبب الملكات الكريمة، وأما عمل الجوارح كالصلاة والصيام والحج فانما يؤثر بالتسبيب وبالعرض لانه يوجب رسوخ الملكات، ورسوخ الملكات يوجب السعادة في الآخرة . فعمل الجوارح سبب سبب السعادة ولا يفيد ان لم يكسب للنفس ملكة راسخة، أوصفة ثابتة. (ش)

١٠- عنه، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال: من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول ويعلم ما يعمل من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

١١- عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن الحسن بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً.

يقبل معذرتة فيقول: أو لم نمركم ما يتذكر فيه من تذكركم بل قد يمنع من الاعتذار فيقول: واخسؤا فيها ولا تكلمون .

قوله (و لمن خاف مقام ربه جنتان) قال الشيخ بهاء الملة والدين والمراد بمقام ربه والله أعلم موقفه الذي يوقف فيه العباد، للحساب، أو هو مصدر بمعنى قيامه على أحوالهم و مراقبته لهم، أو المراد مقام الخائف عند ربه وفسر الجنتان بجنة يستحقها العبد بمقامه الحقبة وأخرى بأعماله الصالحة. أو أحدهما لفعل الحسنات والأخرى لترك السيئات أو جنة يثاب بها و أخرى يتفضل بها عليه أو جنة روحانية وأخرى جسمانية، وقال صاحب الكشاف الخطاب للثقلين فكأنه قيل للخائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى وجوز أيضاً أرادته الثاني والثالث المذكورين.

أقول يجوز أن يراد جنة للخوف لانه عبادة كما مر و جنة للإلزام وهو فعل الطاعات و ترك المنهيات ويشعر به ما بعده، وما روى عن النبي «ص» أنه قال: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفرع الأكبر وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فان ترتب استحقاق الجنتين على الخوف والاجتناب يشعر بما ذكرنا.

قوله (فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أشار به الى أن الموصول في قوله تعالى «وأمامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» من علم أن الله يراه الى آخره، وأنه الذي في مقام المراقبة، وأنه الذي له جنتان وأن نهى النفس عن الهوى تابع للخوف، وأن الخوف تابع للعلم المذكور، فلا خوف بدونه كما قال عز وجل «انما يخشى الله من عباده العلماء» .

قوله (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجباً) قدشاع إطلاق الإيمان على

راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

١٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف.

١٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا [و] في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا.

(باب)

(حسن الظن بالله عز وجل)

١ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن داود بن كثير، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لنوابي

ما يمنع من الدخول في النار وهذا الايمان لا يكون الا مع الصفات المذكورة التي أولها الخوف من الله وأسبابه على كثرتها اما امور مكروهة لذاتها كشدائد الدنيا والاخرة كشدّة الموت و عذاب القبر وهول المطلع والموقف بين يديه عز وجل وكشف السر والمناقشة في الحساب و العبور على السراط والدخول في النار وحرمان الجنة، والحجاب منه تعالى وخوف الحجاب أعلى رتبة وهو خوف العارفين وما قبله خوف العابدين والصالحين والزاهدين وأوامر مكروهة لانها تؤدي الى ما هو مكروه لذاته كتنقض التوبة والموت قبلها والتقصير في الطاعة والافراط في القوة الشهوية والغضب وسوء الخاتمة والشقاوة في العلم الاذلي، والاغلب على المتقين خوف الخاتمة والاعظم خوف السابقة لكون الخاتمة تبعاً لها.

قوله (فهو لا يصبح الا خائفاً) أصبح دخل في الصباح وهذا تأكيد لما سبق من قوله و المؤمن بين مخافتين، أو الغرض منه افادة استمرار الخوف دائماً.

قوله (ولا يصلحه الا الخوف) أذهب يثلافي ما فات ويتدارك ما هوآت كما مر.

قوله (لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم) أي لا يمتدوا في دخول الجنة ونيل درجاتها على محض تلك الاعمال و ان كان صحيحة تامة الاركان في نفسها وواقعة مع

فإنهم لو اجتهدوا و اتعبوا أنفسهم - أعمارهم - في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جناتي، و رفيع -

المبالغة في الاجتهاد لانها بالنسبة الى عظمة الحق وما يستحقه من العبادة ناقصة وقد نطقت السنة الاولياء بأنهم ما عبدوه حق عبادته فكيف غيرهم وبالنظر الى نعيم الجنات ورفع الدرجات وكرامة الرب وجوار القرب قاصرة غير قابلة لاقتضاءها مع أن مفاصد الاعمال كثيرة لا تخلص منها التي آخر العمر الا نادراً والاتكال عليها موجب للعجب المهلك غالباً، وعلى هذا لا ينبغي للمعاملين أن يتكلموا على محض أعمالهم ولا يثقوا بمجرد أفعالهم، بل ينبغي لهم مع الاجتهاد فيها والاتباع بها تامة الاركان وتخليصها عن طريان المفاصد وشوائب النقصان أن يثقوا برحمة ربهم في دخول الجنان ويرجو افضله في الكرامة والاحسان ويطمثوا الى حسن الظن به في قبول العمل وجبر النقصان، فان رحمته عند ذلك تدركهم ورضوانه يبلغهم في دار السلامة، ومغفرته تلبسهم لباس المغفرة والكرامة وبهذا التقرير ظهر أن طمع من ترك العمل لحسن الظن به مقطوع، وأن قول من قال في هذا الخبر دلالة على أن العمل ليس سبباً لدخول الجنة ممنوع كيف وقد قال جل شأنه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، وملخص القول أن الاحسان بالعمل مع عمل آخر وهو الثقة بفضل الله ورحمته في قبوله سبب لدخولها وليل درجاتها كما قال و ان رحمة الله قريب من المحسنين، هذا وقد ذهب جماعة من العامة ان العمل ليس سبباً لدخول الجنة أصلاً واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ولن يدخل أحدكم الجنة بعمله الجنة، وهذا بناء على أصلهم من أن الله تعالى يجوز أن يعذب المؤمن المطيع ويشيب الكافر، و أوردوا على أنفسهم أن ذلك منقوض بالاية المذكورة وأن العمل اذا لم يكن سبباً أصلاً فما الفائدة فيه؛ فأجابوا عن الاول بأن معنى الاية: ادخلوها بأعمالكم رحمة من الله لاستحقاقاً عليه، و قال المازري معناها أن دخول الجنة بالعمل لكن بهدايته له وفضله فصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل. وأجاب أبو عبد الله الابن عن الثاني بأن القائلين بأن دخول الجنة انما هو بنعمة الله لا يملكون أثر الاعمال بل يقولون انما هو في رفع الدرجات

أقول: يرد على الجواب الاول أن استفادة ذلك من الاية ممنوعة وعلى تقدير التسليم

لا يخلو من تناقض لان قولهم ادخلوها بأعمالكم يفيد أن الاعمال سبب للدخول في الجملة و قولهم لاستحقاقاً عليه يفيد أنها ليست سبباً له و على جواب المازري أنه لا ينافي كون الاعمال سبباً في الجملة وعلى جواب الابن أنه اذا جاز أن تكون الاعمال سبباً للملوك والدرجات

الدرجات العلى في جوارى ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا ، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ، و مني يبلغهم رضواني و مغفرتي ، تلبسهم عفوي فإنني أنا الله الرحمن الرحيم و بذلك تسميت .

٢- ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن يزيد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال - وهو على منبره - والذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خيراً الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له

لم لا يجوز (١) أن يكون سبباً لدخول الجنة.

(والى حسن الظن بي فليطمئنوا) هذا هو المطلوب ولذا ذكره في هذا الباب وأما ذكره في باب الرضا بالقضاء فمن باب التبعة وينبغي أن يعلم أن الخوف يقتضى ترك المنهيات والرجاء يقتضى فعل الطاعات والمكلف بعد اتصافه بهما على السواء ينبغي أن لا يتكل على أعماله فإن العابد كما مر وإن بالغ كان مقصراً بعد، بل ينبغي أن يحسن ظنه بالله في قبول عمله و رفع درجته ويعتمد على فضله وكرمه ولا يسوء ظنه به فإن حسن الظن ينبعث منه المحبة و هى أعلى مقامات السالكين و سوء الظن ينبعث منه النفرة و هى من أعظم خصال الشياطين ، و مما ذكرنا يندفع توهم أن حسن الظن يوجب ترجيح الرجاء على الخوف وهذا يناهى ما مر من اعتبار التساوى بينهما .

قوله (والذى لا اله الا هو ما أعطى مؤمن قط خيراً الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله) قال بعض الأفاضل معناه حسن ظنه بالفقران اذا ظنه حين يستغفر و بالقبول اذا ظنه حين يتوب وبالإجابة اذا ظنه حين يدعو وبالكفاية حين يستكفى لان هذه صفات لا تظهر الا اذا حسن ظنه بالله تعالى وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله اياه . فينبى للمستغفر و التائب و الداعى والعامل أن يأثروا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادق فان الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة ، وأما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن أنها لا تقبل ولا تنفعه فذلك قنوط

(١) قوله دأن تكون الاعمال سبباً لملو الدرجات و مبنى كلام المارح أن عمل الجوارح سبب لدخول الجنة ، ولكن سبببته بالواسطة لانه سبب لملو الدرجة ، و علو الدرجة سبب لدخول الجنة ، و على هذا فلا معنى لنفى سببية العمل لدخول الجنة أصلاً .
نعم ان اراد قائله نفى السببية بالمباشرة كان له وجه لكن يأبى عنه ظاهر كلام القائلين بالغاء أثر الاعمال ، (ش)

وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه و اغتيابه للمؤمنين. والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبده مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه و رجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أحسنوا الظن بالله. فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بى، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك.

من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المنفرة مع الاسرار وظن الثواب مع ترك الاعمال فذلك جهل وغرور يجر الى مذهب المرجئة والظن هو ترجيع أحد الجانبين بسبب يقتضى الترجيع فاذا خلا عن سبب فانما هو غرور وتمنى للمحال.

قوله (قال أحسنوا الظن بالله فان الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بى ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً) أقول قد مررت معناه ومثله من كتب العامة روى مسلم عن النبى وص، قال: يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بى، قال القاسم يحتمل أنه تحذير للمريد مما يقع فى نفسه مثل قوله تعالى «فاحذروه» وقال الخطابي معناه أنا عند ظن عبدي بى فى حسن عمله وسوء عمله لان من حسن عمله حسن ظنه ومن ساء عمله ساء ظنه.

قوله (قال سمعت أبا عبد الله دع) يقول حسن الظن بالله أن لا ترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك) يعنى حسن الظن أن ترجو الفوز بالسعادة الدنيوية من حول الله وقوته وتترقب النعماء الآخروية من فضله ورحمته لا من محض عملك ومجرد سعيك فان العمل وان كان فى حد الكمال قاصر فى جناب عزته، ناقص فى جنب عظمته، لا يوجب الوصول الى كمال قرب و نعمته، وأن تخاف من ذنبك فانه يؤدبك الى مقام الوعيد لا من الله تعالى فانه ليس بظلام للمبيد وفيه اشارة الى أن حسن الظن مركب من الرجاء والخوف وبه يشعر لفظه أيضاً فلو تخلف أحدهما عن الآخر

(باب الاعتراف بالتقصير)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سعد ابن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال لبعض ولده : يا بني عليك

كان ذلك خروجاً من التوسط بالافراط والتفريط المذمومين عقلاً ونقلاً ويشير إليه أيضاً قول أمير المؤمنين «ع» والمبدأ بما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله، و مراده «ع» في قوله على قدر خوفه من ربه على قدر خوفه من عذاب ربه لأجل ذنبه فلا ينافي هذا الخبر، وبالجملة المستفاد من هذين الخبرين أن حسن الظن والخوف متلازمان لانهما معلولا علة واحدة وهي معرفة الله سبحانه الآن كل واحد منهما يستند الى صنف من المعرفة ونوع من الاعتبار يكون هو مبدؤه، أما حسن الظن يمتنى الرجاء فإن العبد إذا عرف ربه ولاحظ غناه عن العالمين وعن طاعتهم بحيث لا يزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة واعتبر جميع أسباب نعمه عليهم ظاهرة وباطنة جليلة وخفية مما هو ضروري لهم كالاتى التغذية والتنمية ونحوهما مما لا يحصى وما لهم حاجة ما كالأطفار ونحوها وما هو غير ضروري ولكن زينة لهم كتنقوس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وغيرهما وتفكر في صفات رحمته ولطفه وإحسانه وإنعامه وفي أن العناية الإلهية إذا لم ترض أن يفوتهم تلك النعماء والمزايا في الحاجة والزينة كيف ترضى بسياقهم الى الهلاك الأبدى بمد معرفته وتوحيده والاخلاص في عبادته، يحصل له بمد تلك الاعتبارات والملاحظات حسن الظن به والرجاء الى رحمته وعفوه وأما الخوف فإنه إذا عرف الله تعالى ولاحظ صفات جلاله وعظمته وتعالى وسلوته واستغناؤه عن الخلق أجمعين وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ولم يسأل له سائل وتفكر في سخطه وغضبه وعظم رذية مخالفته ومعصية في اخراجه آدم من الجنة بسبب المخالفة السهلة مع كمال عزته ونشوة بين الملائكة وسجوده له واخراج الشيطان من رحمته بسبب مخالفة أمر واحد من أوامره وتكبره على آدم وتفكره في الامم الماضية وكيفية أخذهم وأهلاكمهم بسبب المعصية فمنهم من أهلكتهم بالصيحة ومنهم من أفرقتهم ومنهم من خسل بهم الأرض ومنهم من مستخهم الى غير ذلك من أنواع المذاب، يحصل له بتلك الاعتبارات والملاحظات خوف وخشية واحتراف وذبول وذلة وانكسار. ثم ان الخوف لا يسمى خوفاً الا بعد أن يفيض أثره على الاعضاء الباطنة فيمنعها عن الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وسوء الخلق وغيرها، وعلى الاعضاء الظاهرة فيكفها عن المماسى كما أن الرجاء لا يسمى رجاء حتى يوجب ميل الباطن الى الاخلاق الفاضلة وميل الظاهر الى الاعمال الصالحة فالجمع بينهما يوجب استقامة الظاهر والباطن والصبر عند المعصية والطاعة.

بالجد لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته.

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض العراقيين، عن محمد بن المنثري الحضرمي، عن أبيه، عن عثمان بن زيد، عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لا أخرجك الله من التقصير ولا [التقصير].

٣- عنه، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك الله وتعالى

قوله (فإن الله لا يعبد حق عبادته) أي لا يعبد حق عبادته كما وكيفاً، كيف وقد اعترف خاتم الانبياء وسيد الاوصياء بالتقصير، وفيه تنبيه على حقارة عبادة الخلق في جنب عظمته و احسانه و استحقاقه لما هو اهله لبدوم شكرهم و جدهم في عباداتهم ولا يستكبروا شيئاً من طاعاتهم.

قوله (يا جابر لا أخرجك الله من التقصير ولا التقصير) أي وفقك لأن تعد عبادتك ناقصة ونفسك مقصرة اولان تعد نفسك ناقصة مقصرة، فبالنقص تخرج من الكبر و بالتقصير من العجب وللكمل في العبادة مع ما فيها من الاعتراف بالحاجة والذل والعبودية لان من عرف تقصير نفسه ونقصها كان في مقام الحاجة والذل والانكسار ولا عبودية أشرف منها.

قوله (ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه) القربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة وغيرها. قيل قبوله عندهم كانت عبارة عن خروج النار واحراقه.

(فقال لنفسه ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك) هذا الاعتراف من توابع العلم والحكمة لان العالم الحكيم يعلم أن فيضه تعالى (١) عام لكل قابل وان الاعمال الصالحة مقبولة قطعاً فاذا

(١) قوله ولان العالم الحكيم يعلم أن فيضه مذهب الحكماء أن وجود الممكن عن مبدئه اما أن يتوقف على استعداد مادة لقبوله كوجود أشخاص الحيوان والنبات وحينئذ لا يوجد الا بعد حصول ذلك الاستعداد، ولا يتأخر عن الاستعداد البتة، فاذا صار البذر مستعداً لان يوجد فيه الصورة النباتية وجد من غير بطؤ وريث لان فيضه تعالى عام لا يتأخر عن قابلية المستفيض البتة، وان لم يكن وجود الممكن متوقفاً على الاستعداد. بل كان وجوده ممكناً دائماً لم يتأخر وجوده الا عن مشيئة الله تعالى لان فيضه عام لكل قابل كنور الشمس فانه يضيء

إليه ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.

وجد عمله غير مقبول علم أن ذلك لتقصير في عمله ونقص في نفسه ثم عدم تأثير عبادته مدة أربعين سنة في صفاء قلبه مع ما روى أن من عبد الله أربعين يوماً خالصاً لوجهه الله ينفجر في قلبه ينابيع الحكمة انما هو لفساد في عمله مثل الرياء والحسد أو الفخر والمجب أو غيرها، ومنه يعلم أن العمل بدون تصفية القلب غير مقبول (١) كما قال جل شأنه إنما يتقبل الله من المتقين، فلا بد للمعابد إذا أراد بلوغه حد الكمال من أن يطهر نفسه من الفساد وينزه ظاهره وباطنه عن الملائق و يوجه قلبه إلى الله و يتفكر في معاني الكلمات التي يناجيها بها وأسرار الآيات التي يتلوها و يعترف بالمعجز والتقصير، فإنه إذا كان كذلك في جميع الاوقات أو في أكثرها بلغ قبول الحق وأدرك وصاله حتى تصير ارادته كإرادته لا يتخلف عنها المراد، والله ولي التوفيق. (فاوحى الله تبارك وتعالى إليه) ظاهره بلوغ الوحي إليه و يحتمل نزوله إلى

كل شيء يمر في مقابلته، ولا يتوقف إضاءته الأعلى المقابلة، وعليه إذا فاعل المؤمن عملاً مؤثراً في تهذيب نفسه وحصول ملكة صالحة في قلبه من غير مانع ومفسد كالعجب والرياء فلا معنى لعدم قبوله كما لا يحتمل عدم تأثير الماء في نمو النبات وعدم تأثير الغذاء في شبع الحيوان (ش). (١) قوله «بدون تصفية القلب غير مقبول» ويدل عليه أيضاً قوله تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» ويؤيد هذا الكلام ما ذكرناه سابقاً من أن العمل سبب بالواسطة للسعادة الآخرة لا بالمباشرة، وإن السبب المباشر القريب هو الملكة الصالحة الراسخة، وإنما أمر بهذه الأعمال الظاهرة لتحصيل تلك الملكة. والغرض الأصلي فيها تحصيل السعادة في الآخرة. ومن زعم أن حكمة انزال الكتب وإرسال الرسل وتشريع الشرائع حفظ نظم هذا العالم وحسن سياسة المباد فهو بمنزل عن الحق قاصر النظر على الماديات ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون». وقال تعالى «ونفس وما سوها فالهـما فجورها وتقواها قد افلح من زكها وقد خاف من دسيها» فبين أن فلاح نفس الإنسان بالتزكية واستدلال عليها بأن نفسه مجردة موجودة بأمر الله تعالى ويعرف الفجور والتقوى بالهامه تعالى وكل شيء كان له صفة من الصفات إما كانت فالها جملة فيه لغاية يتوخاها البتة بتلك الصفة وليس إدراك الحسن والقبح واستبشاع المنكرات وتحسين المعروفات بالهام خالقه عبثاً في وجود الإنسان، بل لابد من أن يكون لغاية هي تزكية نفسه كما أن وجود رغبة أو رهبة في كل موجود إنما هو لأن ما يرغب فيه غايته ومكمل لوجوده كرهبة الشجر إلى نور الشمس وجعل إدراك الفجور والتقوى في طبيعة النفس لأن فلاحها بتزكيتها وذكرنا شيئاً يتعلق بذلك في المجلد الرابع ص ٢٨٥ (ش)

٤- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن الفضل ابن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير، قال: قلت: أمّا المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه، فمأعنى لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كل عمل تريد به الله عز وجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عز وجل.

(باب الطاعة والتقوى)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أخي عرام عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل.

بنى قبله. قوله (فقال كل عمل تريد به وجه الله عز وجل) وهو عمل الدين والآخره وأما عمل الدنيا فلا ينبغي أن تعد نفسك في ترك الجهد فيه مقصرة .
(فان الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون) ادليس أحد وان اشد في طلب رضا الله تعالى حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر و توجه القلب اليه وأداء حق شكر نعمه. اذ هو بكل نعمة يستحق الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة كما قال و ان تمدوا نعمة الله لا تحصوها فاذا قوبلت الطاعة بالنعمة بقي أكثر نعمه غير مشكورة لامقابل لها من الطاعة .
(الا من عصمه الله عز وجل) وهم الانبياء والاصياء لان عصمتهم و نورانية ذواتهم و صفاء صفاتهم وخلوس عقائدهم وعزيمة قلوبهم وكمال نفوسهم ودوام ذكرهم اخرجتهم عن حد التقصير، ومع ذلك اعترفوا به اظهاراً للمعجز والنقصان ، و ان جاؤا بما هو المطلوب من الانسان على نهاية ما يتصور من القدرة و الامكان ، ويمكن أى يكون المراد بهم الملائكة المقربون الذين لا يمضون الله وهم بأمره يعملون لكن الاستثناء حينئذ منقطع الآن يراد بالناس العابد، والله أعلم.

قوله (لا تذهب بكم المذاهب) أى لا تذهبكم المذاهب الى سبيل الضلال وتضمني المحال فالبراء للتمدية واسناد الاذهاب اليها مجاز عقلي لان فاعله النفس الامارة والشيطان، ولعل المراد به الاعمال القبيحة والعقائد الكاسدة والاماني الفاسدة التي من جعلتها أن تفعلوا شرح الاصول الكافي - ١٤ -

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس والله ما من شيء يقر بكم من الجنة و يباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وما من شيء يقر بكم من النار و يباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير

ما تريدون و تقولوا نحن متشيمون، و نحن نجب أهل البيت، و نرجو شفاعتهم، فان ذلك لا ينفعكم كما أشار إليه بقوله:

(فوالله ما شيعتنا الا من اطاع الله عزوجل) بالقلب و الجوارح مع محبتنا لظهور أن معنى التشيع هو المتابعة لهم قولاً و فعلاً ولا يتحقق هذا المفهوم الا لمن اطاع الله كما اطاعوه.

قوله (ما من شيء يقربكم من الجنة و يباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به) المقرب من الجنة هو الاداب الكاملة والمقائد الحقة والاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة والمقرب من النار أضرارها (الاوان الروح الأمين) جبرئيل عليه السلام (نفث في روعي) النفث النفخ، و نفث الله الشيء في القلب من باب ضرب اللقاء، والروح بالضم الخاطر والقلب.

(انه لن تموت نفس) موتها مفارقتها للبدن ورفع يدها عن التصرف فيه بأمر الله تعالى (حتى تستكمل رزقها) أي تأخذ رزقها المقدر على وجه الكمال ضرورة أن بقاء تعلقها بالبدن متوقف على الرزق. فمن المحال أن يبقى التعلق وينقطع الرزق.

(فاتقوا الله) التقوى هي الاقتداء بالنبي ﷺ و المتقون من يعمل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيه منه و هو منه اتقوا النار ولو بشق تمره فأصل التقوى الخوف من الله بملاحظة جلال الله و عظيمنت وقبح مخالفته و شدة عقوبته، ولما كانت التقوى هي الحاجزة عن تقحم الدنيا والوغل فيها، و طلبها من حيث لا يجوز أمر أوليائها وعطف عليها ما هو من لوازمها فقال: (و أجملوا في الطلب) من الجميل أو الاجمال قال في المصباح: أجملت في الطلب رفقت أي أحسنوا في الطلب ولا يكن كدكم فيه كدافاحشاً ولا مذهب اكتسابكم مذهباً باطلاً أو ارفقوا فيه واقتصدوا، من رفق في السير اذا قصد.

(ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله) أي لا يبيت أحدكم ذلك على طلبه بطريق غير مشروع، فالمصدر المستفاد من أن يطلبه منصوب بنزع الخافض.

حلّه فانه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته.

٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم؛ وأحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه ، جميعاً عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي: يا جابر أيمكنني من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله و أطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع

(فانه لا يدرك ما عند الله) عن الثواب الجزيل والاجر الجميل والرزق الحلال . (الا بطاعته) في الاوامر والنواهي ، فكما أن من سلك سبيل المعصية ضل عن سبيل الجنة واستحق العقاب و حرم عن الثواب. فكذلك من طلب الرزق من غير حله حرم عما عنده تعالى من الرزق الحلال واستحق العقاب بكسب الحرام كما روى عن النبي (ص) من دان الله تعالى قسم الارزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله و صبر أثناء رزقه من حله ، و من هنك حجاب الله عز وجل و اخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة، و اعلم أن الرزق عند المعتزلة كل ما صح الانتفاع به بالتفدى وغيره و ليس الحرام عندهم رزقاً ، وهذا الحديث يدل عليه ، وعند الاشاعرة كل ما ينتفع به ذوة حياة بالتفدى وغيره و أن كان حراماً و خص بعضهم بالاغذية والاشربة و للطرفين دلائل و مؤيدات تركناها تحرزاً من الاطناب.

قوله (فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله و أطاعه) لعل المراد بالتقوى الامثال بالزواج و بالطاعة الامثال بالاوامر و يحتمل أن يراد بالتقوى تقوى القلوب وهي تخلية عما يفسدهم وتحليته بما يصلحهم ، و بالطاعة طاعة الظواهر بترك المنهيات وفعل المأمورات (وما كانوا يعرفون يا جابر) في عهد الائمة الماضين عليهم السلام. (الا بالتواضع والتخشع) المراد بالتواضع التذلل لله عند أوامره و نواهيه وتقليد العبودية بمعرفة عجزه بين يديه، وكمال افتقاره اليه، ولعباده المؤمنين تعظيمهم واجلالهم وتكريمهم واظهار حبهم والميل الى مجالستهم ومواكلتهم ولين القول عندهم وحسن المعاشرة معهم والابتداء بسلامهم والرفق بذوى حاجاتهم والاقدام الى قضاء حوائجهم والمبادرة الى خدمتهم و غير ذلك مما يدل على ضعفه عندهم وعدم تكبره عليهم، والمراد بالخشوع التذلل لله مع الخوف منه كما صرح به بعض المحققين، ثم قال وبذلك فسرفى قوله تعالى ووالذين هم في صلوٰتهم خاشعون، وقال صاحب المصباح : خضع لمرئيه خضوعاً ذل واستكان والخشوع قريب من الخشوع الآن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والخشوع في الاعناق، أقول : ثم شاع وصف القلب والجوارح به كما روى عن النبي (ص) وأنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في

والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف^(١) الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في جميع الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك

صلاته فقال: أمانه لو خضع قلبه لخشمت جوارحه، والمراد بخشوع القلب اشتغاله بذكر الله تعالى وتوجهه إليه، وأعراضه عما سواه، وإذا حصل له هذه الفضيلة حمل الجوارح على ما هو المطلوب مع انكسار وتذلل وخوف على مخالفتها لفظة أوسهو أولفرض من الأغراض النفسانية، واشتغال الجوارح بذلك عبارة عن خشوعها.

(والأمانة) وهي حالة نفسانية توجب سكون القلب وطمأنينته، وعدم ميله إلى المكر والحيلة، ومنه فلان مأمون الغائلة أي ليس له مكر يخشى، ولعل المراد بها حفظ الودعة والمهد مع الله تعالى أو مع الناس، ومن طرق العامة الأمانة غنى أي من شهر بها كثر معاملة سوء فاستغنى. (وكثرة ذكر الله) باللسان والقلب خصوصاً في مقام الأوامر والنواهي والنوايب (والصوم والصلاة) على أركانها وشرائطها وفعلها كذلك دليل على كمال القوة النظرية والعملية، والواو للمطف على الكثرة أو على ذكر الله.

(والبر بالوالدين) بتعظيمهما وإطاعتهما في كل ما جاز شرعاً وعقلاً والاحسان إليهما دفع الأذى عنهما، وأداء ديونهما وطلب الخير لهما حين وميتين.

(والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة) أي حفظ حالهم ورعاية أحوالهم وإيصال الخير إليهم وترك أذاهم وتحمل الأذى منهم وعبادة مريضهم وتشجيع جنائزهم وعدم التطلع إلى عوراتهم، والفقير والمسكين من ليس له مال ولا كسب يفنى بقوت السنة له ولعِياله واختلفوا في أن أيهما أسوأ حالاً فقال الأصمعي والشافعي وابن أديس والشيخ الطوسي في المبسوط والخلاف: أن الفقير أسوأ حالاً، وقال الفراء وابن السكيت وثلث أبو حنيفة، وابن الجنييد وسائر الشيخ الطوسي في النهاية: أن المسكين أسوأ حالاً ولطرفين دلائل مذكورة في محلها.

(والغارمين والأيتام) بأداء ديونهم وتفقد أحوالهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم والمطف على الفقراء أو على الجيران والآخر أنسب لأنه أعم.

(وكانوا أمناء عشائريهم في جميع الأشياء) العشائر جمع العشيرة وهو المعاشرة، ولما كانت الأمانة عامة مطلوبة من جميع الجوارح والشئ عاماً صادقاً على جميع أفعالها صار المقصود أنهم كانوا أمناءهم بجميع الأفعال في جميع الأفعال.

المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً فلو قال: إنني أحب رسول الله ﷺ فرسول الله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فأتقوا الله واعمَلوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته يا جابر! والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولياً ومن كان لله عاصياً فهو لنا

(حسب الرجل أن يقول أحب علياً) التركيب مثل حسبك درهم أي كافيك، وهو خبر لفظاً واستفهام معنى للانكار والتوبيخ أي لا يكفيك ذلك ولا ينجيهِ من العقوبة بدون أن يكون فعلاً مبالاً في الفعل ظاهراً وباطناً وتاباً له عليه السلام قولاً وعملاً، والمحبة والشفاعة وإن كنا نأفتم في دفع الخلود من النار، ولكنهما لا توجبان عدم الدخول فيها كما نقل عن علي وع في حديثه أنه قال: والمؤمن المسرف على نفسه لا يدري (يعني عند الموت) ما يؤل إليه حاله يأتيه الخبر مبهمًا مخوفًا لم يسويه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا (يعني على شفاعتنا) ولا تستصغروا عقوبة الله فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاثمائة سنة.

(فاتقوا الله واعمَلوا لما عند الله) قد عرفت أن المؤمن لا يخلو من خوف ورجاء وأن الخوف يقتضي ترك المنهيات وهو التقوى وأن الرجاء يقتضي فعل الطاعات وإنما قدم التقوى لأن تخليته النفس عن الرذائل أقدم من تحليته بالفضائل.

(وأكرمهم عليه أتقاهم) كما قال عز وجل: وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، والمراد بالكرامة القرب منه تعالى والاستحقاق لقبول فيضه الديني والآخرى مثل الجنة ودرجاتها وثمراتها وقطوفها الدانية وغير ذلك مما أعد الله لأوليائه الأبرار وظاهر أن الكرامة لا تحصل لأحد إلا بالتقوى وهي ضبط النفس عما يوجب البعد عنه تعالى من الرذائل النفسانية والجسمانية.

(من كان لله مطيعاً فهو لنا ولياً) أي من كان مطيعاً لله لا لغيره من النفس والشيطان فهو لنا ولي ذاتاً وفعلاً لا لغيرنا، والولي فعيل بمعنى فاعل أي ناصر ومحِب، أو بمعنى مفعول كما في قولهم: المؤمن ولي الله.

(ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو) أي من حيث أنه عاص فيرجع النقص والعداوة إلى فعله؛ ولا إلى ذاته، ولذلك تدركه الشفاعة وتنجيه من الخلود في النار مع أعدائهم ذاتاً وفعلاً يدل على ذلك ما روى عن أبي عبد الله ع قال: إن الله خلق السادة والشقاء قبل أن

عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه ؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم : من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر

بخلق خلقه فمن خلقه الله سعيداً لم يبنضه أبداً وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبنضه وإن كان شقياً لم يحبه أبداً وإن عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير إليه فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً.

(وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع) أى الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات، قال بعض المحققين للورع أربع درجات الأولى: ورع النائبين وهو ما يخرج به الانسان عن الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة، الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب عن الشبهات خوفاً منها من الوقوع فى المحرمات. الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال خوفاً من أن ينجر الى الحرام مثل ترك التحدث بأحوال الناس لمخافة أن ينجر الى الغيبة. الرابعة : ورع السالكين وهو الامراض عما سواه تعالى خوفاً من سرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب منه تعالى وإن علم أنه لا ينجر الى الحرام.

قوله (إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس) العنق الرقبة، والنون مضمومة للاتباع فى لغة حجاز و ساكنة فى لغة تميم، والمراد بها الجماعة من الناس

(فيقولون كنّا نصبر على طاعة الله و نصبر على معاصى الله) لا ريب فى أن النفوس البشرية مائلة الى اللذات، هاربة عن المشقات، وأن المعاصى لذات حاضرة والطاعات مشقات ظاهرة فالنفس تريد المعاصى و تهرب عن الطاعة. و لذلك ورد فى بعض الادعية والالهم لا تكلنى الى نفسى طرفه حين فأنك ان تكلنى الى نفسى أقرب الى الشر و أبعد من الخير، فمن حاولها بحسن تقديره و ملك زمامها بلطف تديره حتى صرفها عن مرامها و استخرجها عن مقامها و حبسها فى مراتب العباد و مرابط الطاعات و صبر على مجاهدتها ملك غنيمة عظيمة هى رأس مال الصابرين و أقوات الملوك السالكين و الزاد فى السير الى رب العالمين و أسباب الدخول فى الجنة التى أعدت للمتقين، و اليه أشار أمير المؤمنين ع، «إن الله جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط الفجرة» و إنما جعل الطاعة غنيمة الاكياس وهم الذين لهم جودة القرايح لانهم يأخذونها بالمحاربة مع النفس الامارة كما يأخذ النائمون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم أعظم من الكفار كما قال دسء بعد رجوعه من

عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا، ادخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل: «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

٦- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد، كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار

بعض الفزوات ورجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهي جهاد النفس، وإذا حصلت لهم تلك النعمة وتمكنت فيهم هذه المزية أمكن لهم الدخول في الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لأن أولئك هم المتقون الذين صبروا في دار الدنيا وأدوا حسابهم فيها، وقد قال الله تعالى: «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» لأن الحساب إنما هو على من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأما المتقون فلا حساب عليهم كما لا حساب على المشركين فانهم يدخلون النار بغير حساب

قوله (لا يقل عمل مع تقوى) كل عمل بنى على التقوى لا يقل لكونه عظيماً في ذاته وكثيراً ينمو عند الله تعالى مع توقفه على كثير من الأعمال القلبية التي لا توجد إلا بالمجاهدات النفسانية، ولا يهدم ولا يلحق بآنية الخسران كما قال عز وجل: «ومن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم» ثم أكد ذلك وأشار إلى أنه لا ينبغي أن يعد قليلاً بقوله:

(وكيف يقل ما يتقبل) لأن العمل مع التقوى مقبول قطعاً لقوله تعالى: «انما يتقبل الله من المتقين».

قوله (كونوا النمرقة الوسطى) النمرقة وسادة وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاء وجمعها نمارق، ولعل المراد كونوا بين الناس كالنمرقة الوسطى بين النمارق في الشرف والحسن لأن النمرقة الوسطى أشرف النمارق وأحسنها (١) والمقصود كونوا

(١) قوله «أشرف النمارق وأحسنها» لا يجب أن يكون الوسطى أشرف النمارق ولا حاجة إلى هذا أيضاً بل المراد كون النمرقة الوسطى مستندة للطرفين إذ يعتمد عليها الجلوس من جانبيها بخلاف النمرقة الموضوعة في طرف فانها يعتمد عليها الجالس في أحد جانبيها، وليس في جانبها الآخر مكان يجلس أحد فيه فيتركها عليها وبالجملة النمرقة الوسطى وسادة موضوعة

يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يوجر عليه. ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لاتفتروا، ويحكم لاتفتروا. ٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى،

وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، أو كونوا أهل النمرقة الوسطى كما هو شأن أهل الشرف والمجد. أما على حذف المضاف وهو الأهل، أو على إرادتهم من النمرقة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل أو تسمية أحد المتجاورين باسم صاحبه ووجه التشبيه أو الفرض منه هو قوله يرجع اليكم الغالي و يلحق بكم التالي. وقيل كونوا ذوي النمرقة الوسطى بحذف المضاف، والنمرقة العليا للرسول وعترته المصومين عليهم السلام، والنمرقة الدنيا لعبيد الدنيا وأبنائها فأمر دع بالوسطى، لأن من استقر عليها وتمسك بها أطمأن على الحق واستقر دينه على الهدى وأمن من الضلال والردى كما أن من اتكأ على النمرقة الوسطى استقر عليها ووثق بالراحة مطمئناً آمناً من التعب.

(قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا) فسر التالي بأخص صفاته التي بها يمتاز عن غيره وهو أنه يقول بأن واحداً من الأئمة اله أو يجري عليه ما هو من أخص صفاته تعالى من غلا في الدين غلواً من باب قعد تصلب و تشدد حتى جاوز الحد.

(قال المرتاد يريد الخير) فسر التالي بأنه المرتاد أي الطالب، من ارتاد الرجل الشيء إذا طلبه والمطلوب أهم من الخير والشر فقوله يريد الخير تخصيص و بيان للمعنى المراد هنا (يبلغه الخير يوجر عليه) من الإبلاغ والتبليغ وهو الإيصال، و فاعله معلوم بقرينة المقام أي من يوصله إلى الخير المطلوب له يوجر عليه لهدايته وإرشاده.

(و يحكم لاتفتروا ويحكم لاتفتروا) بالفتن المعجمة في الموضعين من الافتراء بالولاء والشفاعة وقد ذكرنا سابقاً أن الشفاعة قد لا تنال أحداً إلا بعد تلبثه في جهنم زماناً طويلاً فلا ينبغي ترك العمل والافتراء بها أو بإلقاء فيهما من الفتور في العمل والتفكير للتأكيد أو بأحدهما في الأول وبالآخر في الآخر.

في مكان يمكن أن يتكئ عليها جالس من طرف و جالس آخر من طرف آخر بخلاف الوسادة الموضوعة في الطرف إذ لا يتكئ عليها إلا من جانب واحد، وكذلك اتباع الأئمة عليهم السلام يجب أن يرجع كل من الطرفين إليه ويعتمد في رأيه عليه. (ش)

عن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه، استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامة ويرفق جيرانه ويوطئ رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه.

٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي داود المسترق، عن محسن الميثمي عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما نقل الله عز وجل عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه من غير مال وأعزه من غيره عشيرة و

قوله (فقلت أنا ما أضعف عملي فقال مه استغفر الله) أمره بالاستغفار عن ذلك القول لانه ظلم و جار حيث وضع الضعف في غير موضعه وفيه مدح للمفضل بأنه من أهل التقوى الا أنه هو ناقله و جماعة من أصحاب الرجال جرحوه عدا الشيخ فانه في ارشاده ، عده من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته و بطانته وثقاته الفقهاء الصالحين فان قلت تضعيف العمل وتقليله اعتراف بالتقصير وانه مطلوب من كل أحد فكيف أمره بالسكوت و نهاء عن ذلك و أمره بالاستغفار المشعر بأنه خطيئة ؟ قلت: الاقوال والافعال يختلف حكمها باختلاف النيات والقصود وهو لم يقصد بذلك القول أن عمله ضعيف قليل بالنظر الى عظمة الحق و ما يستحقه من العبادة و انما قصده به ضعفه وقلته لذاته وبينهما فرق ظاهر، والاول هو الاعتراف بالتقصير دون الثاني .

(ثم قال لي ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى) دل على أن العمل القليل مع التقوى كثير ، والعمل الكثير بلا تقوى قليل و به تبين خطأ المفضل حيث عد الكثير قليلا .

(قلت كيف يكون كثير بلا تقوى) كأنه ظن أن التقوى ما يقي من النار وهو يصدق على الاعمال الصالحة فحينئذ يستبعد تحقق كثير منها بلا تقوى، و حاصل الجواب أن التقوى فعل الطاعات و ترك المحرمات و هو الذي يقي من النار و حينئذ يتحقق كثير من الطاعات بدون التقوى عند فعل المحرمات.

(ويوطئ رحله) كناية عن كثرة الضيافة و قضاء حوائج المؤمنين بكثرة الواردين على منزله فذكره بعد الاطعام من باب ذكر العام بعد الخاص أو الاطعام مختص بالسائل و هذا بأهل الدعوة.

آنسه من غير بشر.

(باب الورع)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي المغراء، عن زيد الشحام عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنني لألثاك إلا في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا يتنعج اجتهد لا ورع فيه.

قوله (و آنسه من غير بشر) أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله اللهم انك آنس الانسين بأوليائك ولا ريب في أن المتقى من أوليائه إذ باطنه متوجه اليه و ظاهره هاكف على الامتثال بين يديه، ولما كانت أوليائه في الدنيا غرباء في أبنائها، منفردين عنهم في سلوك سبيله، ومبتهجين بمشاهدة أنوار كبريائه كان الله تعالى هو الانيس لهم وهم برحمته يألفون و بمناجاته يبتهجون، و بفيض جوده يستفيضون و بالغفلة عنهم يضطربون و يستوحشون.

قوله (فقال أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد) الوقاية الحفظ يقال وقاه الله السوء يقيه وقاية أي حفظه، و اتقيت الله اتقاء أي حفظت نفسي عن عذابه أو عن مخالفته والتقوى اسم منه والثاء مبدلة من الواو والاصل وقوى من وقيت لكنه أبدل ولزمت التثنية في تصريف الكلمة، والورع الكف عن المحارم يقال ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحتين ورعة مثل عدة فهو ورع أي كثير الورع وورعته عن الأمر تورعاً كلفته فتورع، إذا عرفت هذا فنقول إذا نظر العبد في العظمة الإلهية و تفكر في الهيبة الربوبية حصل له خوف وخشية يوجب حفظ نفسه عن المخالفة وميلها إلى الطاعة و ترك المعصية و يسمى ذلك الخوف أو الحفظ أو الميل أو الجميع بالتقوى و هي تقوى القلوب المذكورة في الآيات والروايات وقد يسمى أثر ذلك و هو فعل الطاعات و ترك المنهيات بالتقوى أيضاً. والفرق بينها بالمعنى الأول و الورع وهو ترك ما ينهى تركه ظاهر.

أما الفرق بينها بالمعنى الثاني وبينه ففيه خفاء يمكن رفعه بتخصيص التقوى بفعل الطاعات أو بتعميم الترك في الورع بحيث يشمل ترك المباحات بل الأعم منها أو بأن ذكر الورع بعد التقوى من ذكر العام بعد الخاص أن كانت التقوى عبارة عن مجموع الفعل والترك أو بالعكس أن كان عبارة عن كل واحد منهما ثم نقول للورع خمسة أقسام ذكرها أرباب القلوب ولا بأس أن نشير اليها وإن ذكرناها آنفاً لأن ذكرها هنا لا يخلو من فائدة ما، الأول ورع العادلين وهو ترك الفسوق، الثاني ورع الصالحين وهو ترك ما يحتمل التحريم ولكن

- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن حديد بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع.
- ٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن يزيد

رخس في تناوله بناء على الظاهر كطعام الملوك وعمالهم وعطاياهم ، الثالث ورع المتقين وهو ترك مالبس في حليته شبهة خوفاً من أن يؤدي إلى المحرم أو الشبهة ، الرابع ورع الصديقين وهو ترك مالبس في حليته شبهة ولا يخاف من أن يؤدي إلى حرام أو شبهة لعدم تعلقه بالدين كالمباحات أو لاتصاله بمن يكره اتصاله به كما نقل أن ذا النون المصري لحقه جوع وهو مسجون فأرسلت إليه امرأة سالحة بطعام على يدي السجن فابى أن يأكله واعتذر بأنه وصل إليه يدي ظالم، يعني أن القوة التي أوصلت إليه الطعام لم تكن طيبة، ومن ذلك ما نقل أن بعض العرفاء كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرتها الأمراء فالماء وإن كان مباحاً في نفسه لكنها رأى أن النهر حفر بأجرة دفعت من مال حرام، الخامس ورع المقربين وهو صرف القلب عن الاشتغال بما سواه تعالى، وينبغي أن يعلم أن الورع كما ذكره بعض أهل التحقيق قد يشبه بالسواس كمن وجد ثوبين أحدهما لم تلحقه نجاسة والآخر لحقته وغسلت فيترك الصلاة بالمفسول لأنه مسته نجاسة وكمن قبل أحديهما فينسلها ويقول إن الخروج من عهدة التكليف بيقين يتوقف على غسلها لأن من الجائز أن يكون بيده من مسه أو بغيره من قبل يده نجاسة لا سيما العوام ومن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة والظاهر أن أمثال هذه الأمور من الوسواس إذا كان المس ممن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة فإن الظاهر أن الاجتناب منه من الورع، وقال بعض العامة كل هذا من باب الورع وإنما الوسوسة مثل ما يتفق لبعض الناس من كثرة الماء للوضوء وكثرة التدلك ونحو ذلك والمراد بالاجتهاد المبالغة في طلب الدين وأحكامه والعمل بها من الجهد بالفتح وهو طلب الشيء الموجب لوصوله إلى نهايته، يقال جهد في الأمر جهداً من باب نفع إذا طلبه حتى بلغ نهايته.

قوله (اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع) أي اتقوا عذاب الله و مخالفته و صونوا دينكم عن الضياع والفساد بالورع وترك ما ينهي الاجتناب عنه من المشتبهات وإن بعد احتمال الحرمة فيها قال أمير المؤمنين (ع) والورع جنة، أي جنة من النار، أذن ترك ملاذ الدنيا فإز بالعبقبي ونجا من سهام النار، وقال بعض أهل المعرفة: رأيت في المنام كان القيامة قد قامت والخلق كلهم في الموقف فرأيت طيراً أبيض يأخذ واحداً واحداً من الموقف ويدخله الجنة فقلت ما هذا الطير الذي من الله تعالى على عباده، فنادى مناد أن هذا الطير شيء يقال له الورع.

ابن خليفة، قال: وعظنا أبو عبد الله عليه السلام فأمر وزهد، ثم قال: عليكم بالورع، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع.

٤ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن فضال،

قوله (فأمر وزهد، ثم قال عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع) أي لا ينال ما عند الله من الأسرار اللاهوتية والأنوار الملكوتية واللوامع الدببية والصور الميمنية والمثوبات الآخروية والذات الروحانية والدرجات العالية في الدار الباقية إلا بالورع فإن المتورع يحاسب نفسه دائماً في حركاتها وسكناتها ويتهمها في كل ما تأمر به فإذا خلس من مهلكاتها تنور قلبه (١) وانفتح له باب الملكوت وظهرت له لوامع الأنوار ولاحت له لوائح الأسرار مرة بعد أخرى فيشاهد أموراً غيبية في صور مثالية (٢) وعند ذلك يرغب في العزلة والخلوة والذكر

(١) قوله «فإذا خلس من مهلكاتها تنور قلبه» تكلم علماء هذا الشأن في الحالات التي يتبادل على الإنسان من أول سلوكه إلى أن يبلغ ما يمكن بلوغه إليه وقد يقدم بعض المقامات على بعض أحدهم ويؤخره آخرون لاختلاف الحالات الطارئة ونظيره رتبة الحكماء في تدرج الإنسان من العقل الهبولاني إلى العقل بالفعل والعقل المستفاد قدم بعضهم العقل المستفاد والآخر العقل بالفعل باعتبار وقد يكون عقل الإنسان بالنسبة إلى أمور عقلا بالملكة وبالنسبة إلى أخرى عقلا بالفعل أو مستفاداً، ولا خلاف بين أهل السلوك في أن الورع والاجتناب عن المحارم بل عن الالتفات إلى حفظ النفس يوجب توجهه إلى الموالم المعنوية وانفتاح باب عالم الملكوت على قلبه وقد علم بالتجربة أن توجه النفس إلى بعض شؤونها يصرفها عن غيرها والذات والشهوات بعض شؤون النفس والاختلاس من عالم الملكوت أيضاً بعض شؤونها يمنع أحديهما الأخرى. (ش)

(٢) قوله «في صور مثالية» أول ما يبدو للسالك في المنام فيرى رؤيا صادقة ويشاهد الدبيب في صورة مثالية كالعلم في صورة اللبن والمال في صورة القاذورات ثم يراها في البقطة إذا حصل له ملاك النوم من الأعراض عن عالم الحس ويقل ويكثر للناس بحسب اختلاف حالاتهم فقد لا يرى المنعصر في الماديات المقطوع عن عالم المجردات رؤيا أصلاً أو لا يرى رؤيا صادقة وبعده من يرى في النوم كثيراً ويشاهد ما يتفق له بعد ذلك قبل وقوعه وهذا يدل على وجود عالم مجرد وموجودات كاملة في ذلك العالم يعلمون ما يأتي قبل وقوعه ويحصل له مرتبة من عين اليقين بعالم التجرد فاذن يتوجه إلى ذلك العالم ويرغب في العزلة والخلوة على ما ذكره الشارح إلى آخر ما ذكره (ش).

عن أبي جميلة ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه .

٥٥ عنه ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن الحسن بن زياد الصيقل ، عن فضيل ابن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن أشد العباداة الورع .

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حنان بن سدير قال : قال أبو الصباح الكنانى لأبي عبد الله عليه السلام : ما نلقى من الناس فيك ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وما الذي تلقى من الناس في ؟ فقال : لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفري خبيث ، فقال : يعيركم الناس بي ؟ فقال له أبو الصباح : نعم فقال : ما أقل والله من يتبع جعفرأ منكم ، إنما أصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالفه ورجا ثوابه ، فهو لأ أصحابي .

المواظبة على الطهارة التامة والجد في العبادة والمراقبة والاعراض عن المشاغل الدنيوية الحسية بالكلية فيحصل له الوجد والشكر والشوق والمحبة فيمحوه تارة بعد أخرى ويجعله فانيأ من نفسه وهكذا حتى يتمكن ويتخلص من التلويح وينزل عليه السكينة ويصير ورود هذه الاحوال ملكة له واذا بلغ هذه المرتبة دخل في عالم الجبروت ولا يرى الا الحى الذى لا يموت وتم له نظامه ونال ماله عند الله كما له وتمامه .

قوله (لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه) أى لا ينفع الاجتهاد فى الاعمال المطلوبة و الافعال المرغوبة بلا ورع عن المحرمات والمشتبهات وغيرها فان احداث الباطل للكرامة لا ينفع مع الاتيان بالمانع منها .

قوله (ان أشد العبادة الورع) اذ فى كل عبادة جهاد مع النفس الامارة ولا ريب فى أن تفاوت العبادات فى الشدة والفضيلة باعتبار تفاوت الجهاد مع النفس فى الشدة والضعف ولا فى أن الجهاد معها فى الورع عن المحرمات أشد فاذن الورع أشد العبادة .

قوله (انما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالفه ورجا ثوابه) فى ذكر الرجاء بعد العمل والورع تنبيه على أنهما سبب لرجاء الثواب وللثواب و على أنه لا ينبغي لاحد أن يتسكل على عمله ، غاية ما فى الباب له أن يجعله وسيلة للرجاء وقد مر أن الرجاء بدونهما غرور و حيق وفيه دلالة على أنه د ع ، كره ما قاله أبو الصباح لما فيه من الخشونة و سوء الادب .

٧- حنان بن سدير، عن أبي سارة الغزال، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: "ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أورع الناس".
 ٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الورع من الناس، فقال: الذي يتورع عن محارم الله عز وجل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زينة ولا تكونوا شيناً وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن أبي زيد، عن أبيه

قوله (ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس) الظاهر أن الموسول مام وحينئذ معنى التفضيل واضح.

قوله (وحسن الجوار) من حسن الجوار إيصال الخير إلى الجوار والتحمل لأضراره ودفع الضرر عنه وعدم الأضرار له وعدم التطلع إلى داره ونحو ذلك.

(وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم) يعني بأعمالكم وأخلاقكم وورعكم فإن الناظر إليها يطلب المتابعة لكم.

(فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه فقال يا ويله) الهتف

الصيحة والصراخ والويل الحزن والمشقة والهلاك من العذاب، وقد يراد به معنى التعجب وإضافته إلى ضمير الغائب دون ياء المتكلم كراهة أن يضيفه إلى نفسه ومعنى النداء فيه يا حزنه ويا هلاكه أحضر فهذا وقتك وأوانك، فكانه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع وهو الندم على ترك السجود لادمع، ولحق ما لحقه من اللعن والطراد ويهيم من قوله: (أطاع وعصيت وسجد وأبيت) أن تأسفه أولاً على تركه طاعة الرب مطلقاً

و اتيان ابن آدم بها وثانياً على تركه خصوص الأمر بأصل السجود و اتيان ابن آدم به و ان كانت السجدة ثانياً متفايرتين .

قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عيسى بن عبدالله القمي فرحب به و قرّب من مجلسه ، ثم قال : يا عيسى بن عبدالله ليس منّا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه .

١١- عنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أبي كهمس ، عن عمرو بن سعيد بن هلال قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أو صني ، قال : أو صيكت بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه .

١٢- عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أعينونا بالورع ، فإنه من لقي الله عزّ وجلّ منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، وإن الله عزّ وجلّ يقول : « من يطع الله و رسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً » فمنّا النبي و منّا الصديق و الشهداء و الصالحون .

١٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن أبي عبدالله عليه السلام

قوله (فرحب به) رحب بالتشديد أي قال مرحباً أي أثبت أو نزلت مكاناً واسعاً من الرحب بالضم السمة وبالفتح الواسع وهذا يقال للتنظيم والتكريم .

(ليس منّا ولا كرامة) أي ليس منّا أهل البيت أو ليس من خلص شيعتنا و لعل المراد بالكرامة هي الكون في دار المقامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين كما يظهر من الخبر الاتي أو دخول الجنة والفوز بنعيمها بغير حساب . (و كان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه) قيل أراد بالاحد غير الشيعة من أهل الخلاف ، والتعميم محتمل ، فيه حث بليغ لكل أحد على تحصيل نهاية الورع والله ولي التوفيق .

قوله (أعينونا بالورع) الائمة عليهم السلام يتكفلون نجاة الشيعة بالشفاعة و كلما كان ذنوبهم أقل و ورعهم أشد و أكمل كانت التنجية والشفاعة عليهم أسهل فلذلك قال و ع ، أعينونا بالورع .

(كان له عند الله فرجاً) فرجاً في النسخ التي رأيناها بالجيم والنصب والحاء محتمل و هو خبر كان واسمه ضمير يعود الى اللقاء أو الورع (من يطع الله و رسوله) لا يرب في أن اطاعتها لا تتحقق بدون الورع وبذلك يتم الاستشهاد .

قال : إنا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبوعاً مريداً ،
ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع ، فتزيتوا به يرحمكم الله ، وكيدوا أعداءنا
[به] ينعمشكم الله .

١٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحجاج ، عن العلاء ، عن ابن أبي
يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ، ليروامنكم الورع
والاجتهاد والصلاة والخير ، فإن ذلك داعية .

١٥- الحسين بن محمد ، عن علي بن محمد ، بن سعيد ، عن محمد بن مسلم ، عن محمد بن
حمزة العلوي قال : أخبرني عبيد الله بن علي ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام :
قال : كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول : ليس من شيعتنا من لا يتحدث بالمخدرات بورعه
في خدورهن ، و ليس من أوليائنا من هو في قرية ، فيها عشرة آلاف رجل فيهم [من]
خلق [أ] الله أورع منه .

قوله (إنا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبوعاً مريداً) قد ذكرنا آنفاً
أن المؤمن في عرف الأئمة عليهم السلام هو المؤمن الكامل وأن الكمال لمراتب متفاوتة و
الذي يظهر هنا أن المراد به الفرد الكامل وهو نادر جداً كما دل عليه ما روى عن أبي عبد الله
وع ، قال والمؤمنة أعم من المؤمن والمؤمن أعم من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت
الأحمر (كيدوا أعداءنا به ينعمشكم الله) الكيد المكر والاحتيايل والمراد هنا الحرب وسميت
كيداً لاحتيايل الناس فيها ، والنمش الرفع والاقامة يقال نمش الله وأنفسه أى رفعه وأقامه كذا
في المصباح ، وفيه رد على الجوهري حيث قال يقال نمش الله ينمسه ولا يقال أنمسه الله ، و
المعنى حاربوا أعداءنا بالورع لتغلبوا عليهم يرفعكم الله كما يرفع درجات المجاهدين و
تلك الغلبة أما بقطع السنة طعنهم بنسبة الخبث الى هذه الفرقة الناجية ، أو ليرجعوا
اليهم بمشاهدة حسن أفعالهم و يؤيد هذا ما مر من قوله وع ، و كونوا دعاة الى أنفسكم بغير
ألسنتكم والله اعلم .

قوله (فإن ذلك داعية) أى داعية للناس على الاقتداء بكم اذ مشاهدة الخير فى الغير
يدعو الطالب القابل المستعد الى الاقتداء به وهو مجرب ، والناء للمبالغة كما فى كافية لا
للتأنيث باعتبار المذكورات لان ذلك اشارة الى المذكور .

قوله (ليس من شيعتنا من لا يتحدث بالمخدرات بورعه فى خدورهن) المراد بالشبيمة

(باب العفة)

- ١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج.
- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير،

خلصهم الذين هم من أهل الكرامة المذكورة سابقاً، والخدر بالكسر الستر والجمع خدور، و يطلق الخدر على البيت ان كان فيه امرأة والافلا، واخذرت الجارية لزمت الخدر، واخذرها أهلها يتمدى ولا يتمدى وخدورها بالثقل أيضاً وبالتخفيف أى ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها وفيه أن شهرة الصلاح بل اظهاره ليشتهر أمر مطلوب ولكن بشرط أن لا يكون الاظهار لقصد الرياء والسمة بل لغرض صحيح مثل الاقتداء به والتحفظ عن نسبة الفسق اليه ونحوهما.

قوله (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج) لا يبعد أن يراد بالبطن ما يشمل الفم أيضاً ويؤيده ما روى من طرق العامة وأكثر ما يدخل النار الاجوفان الفم والفرج، و العفة فى اللغة الامتناع يقال عف عن الشيء يعف من باب ضرب عفة بالكسر و عفافاً بالفتح اذا امتنع عنه فهو عفيف، وفى العرف حالة ففسانية تمتنع بها عن غلبة الشهوة. وتلك الحالة من الاخلاق الشريفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة الشهوية التى هى مبدأ طلب الغذاء و شوق التذاذ بالمواكل والمشارب والمناكح واعتدالها بأن تقتصر فى هذه الامور على قانون الشرع والعقل ولا يتجاوز عن حكمهما وذلك بأن يعف البطن والفم عن الاكل والشرب من الحرام والفحشاء والنميمة والقذف والكذب وشهادة الزور والبهتان واللغو والهذيان وغير ذلك من ماصى اللسان و يعف الفرج عن الزنا وما يشبهه ويلحق به الرفث والنظر و اللمس و جميع ما حرم من مقدماته وعند ذلك يكون الشرع محفوظاً والعقل غالباً وتلك القوة مغلوبة مقهورة لامره ونهيه. وأما اذا أفرطت تلك القوة فى طلب اللذات البطنية والفرجية و خرجت عن حكمهما صار الشرع متروكاً مدروساً والعقل مغلوباً مقهوراً و صار الامر مأموراً والسايطان رعية كما فى الاكثرفان عقولهم صارت خادمة لشهواتهم، مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكورة ولو كان من الحرام، و مما ذكر يظهر أن عفة البطن و الفرج عبادة أفضل العبادات لان كل ما يتصف به العبد و يوجب قرب الحق فهو عبادة و لها مراتب متفاوتة فى الفضل و أفضلها العفة بكسر القوة الشهوية و كسرها مستلزم لكسر القوة الفضيبية لان القوة الفضيبية مبينة للقوة الشهوية فى تحصيل مقتضاها برفع الموانع على وجه شرح الاصول الكافي - ١٥ -

عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: "إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج.
٣- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن
عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه
يقول: أفضل العبادة العفاف.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن النضر بن سويد
عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلى أبي [بن خ] عثمان، عن أبي بصير قال: قال رجل
لأبي جعفر عليه السلام: "إنني ضعيف العمل قليل الصيام ولكنني أرجو أن لا آكل إلا حلالاً"
قال: فقال له: أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن و فرج.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفاً البطن والفرج.

٦- وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ثلاث أخافهن على أمتي من بعدي
الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج.

التسلط و من البين أن العفة بكسر هاتين عبادة وأصل لسائر العبادات فهي أفضلها.
قوله (أن أفضل العبادة عفة البطن والفرج) وهي الامتناع عن المحرمات و
المشتبهات بل من الاكثار أيضاً فإن البطنة توجب خمود الفطنة و منابذة الشهوة في السفاد
تورث الفساد الامن عصمه الله. والحاصل أن عفتها كناية عن كسر القوة الشهوية بل النفسية
أيضاً لما عرفت و هو أفضل العبادات اذ به يستقيم الظاهر والباطن و بدونه يقع الفساد فيهما
وذلك لان شهوة البطن والفرج والقيام بمقتضاها لا يحصل الا بالشرع بالمال والحرس في الدنيا
و جمع زخارفها و هذا لا يحصل الا بالجاء وحب الرئاسة وهما لا يحصلان الا بالخصومة مع
الخلق وهي تورث الحسد و التمسب و المداوة و الحقد و الكبر و ترك الفضائل الظاهرة
و الباطنة و توجب جميع المعاصي و من ههنا علم أن عفة البطن والفرج أصل لجميع
العبادات و أفضلها.

قوله (و بإسناده قال قال رسول الله ص) أي بإسناد السكوني أو علي بن إبراهيم
عن أبي عبد الله وع، قال: قال: وقد وقع كل ما خافه دس، بعده من الامور الثلاثة لطيفان قوة
الشهوية والنفسية و متابعة الاهواء النفسانية في الامة الا من شد. قبل: هذا الحديث ليس في
كتاب الشهيد الثاني.

٧ - أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابه، عن ميمون القداح قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج .
٨ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم : عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما من عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج .

(باب اجتناب المحارم)

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن داود ابن كثير الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ» قال : من علم أن الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله و يفعله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

٢ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي جعفر عليه السلام قال : كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث : عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله .

قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قد مر تفسيره في باب الخوف .

(قال من علم ان الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله) هذا مقام المراقبة وهو يقتضى تجويد العمل و تحسينه لان من عمل عملا و علم أن عليه في عمله رقيباً لا يدع شيئاً من وجوه الاجادة الاياتى به كما هو مشاهد في أعمال الناس بعضهم لبعض ، و ينبغي أن يعلم أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات الاول أن يفعلها مستوفاء للاركان والشرائط وهذا هو الذى يسقط معه التكليف و هو مقام أكثر العابدين . الثانى أن يفعلها كذلك و قد علم أن المعبود جل شأنه يراه و يشاهده و هو مستحضر القلب بذلك و هذا مقام المراقبة ، الثالث أن يفعلها كذلك و قد استغرق في بحر المكاشفة حتى كأنه يرى الله المعبود بالحق وهذا مقام المكاشفة و مقام خاص الخاص كما قال دس و جعلت قره عيني في الصلاة والمقام الاول ادنى المقامات بحيث لو لم يكن العابد من أهل هذا المقام لم يكن عابداً بل مستهزئاً اعاذنا الله من ذلك ، و الثالث أشرف المقامات وفقنا الله و اياكم لما يحبه و يرضاه .

قوله (عين سهرت في سبيل الله) سبيل الله شامل لجميع الخيرات و منها طلب العلم وهو السبيل الاعظم .

٣- علي، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عثمان ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام يا موسى ما تقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإني أبيعهم جنّات عدن لا أشرك معهم أحداً.

٤- علي [بن إبراهيم]، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً،

(و عين فاضت من خشية الله) الخشية الخوف و الفرق بينهما بأن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير في الطاعات، و الخشية خوف يحصل عند الشعور بمظلمة الحق و هيئته و الحجب عنه اصطلاح لجديد حسن عند الاجتماع دون الانفراد.

(و عين فضت عن محارم الله) كناية عن ترك النظر فيما لا يجوز.

قوله (ما تقرّب إلى المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي) هذا أول الاقسام المذكورة و هو ورع الدلول فليس التفضيل بالنسبة إلى الاقسام التي بعده بل بالنسبة إلى فعل الطاعات فدل على أن الاجتناب عن المنهيات من العقائد والاعمال أفضل من الاتيان بالطاعات مع اشتراكها في تعظيم الرب اما لان التخلية أفضل من التحلية كما هو المشهور، أو لان مخالفته أفهم من موافقته أو لان المعصية أكثر من الطاعة.

(فإني أبيعهم جنّات عدن) أي آذن لهم في دخولها و أنزلهم فيها وهي مقام عال من مقامات الجنة أعدها للورعين لا يدخلها غيرهم.

قوله (قال من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً) قال الله تعالى و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وقال الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم، وقال و اذكر ربك في نفسك تضرعاً و خفية و دون الجهر من القول بالدو والاصال، وأصل الذكر التذكر بالقلب و منه اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، أي تذكروا. ثم يطلق على الذكر اللساني حقيقة، أو من باب تسمية الدال باسم المدلول ثم كثر استعماله فيه لظهوره حتى صار هو السابق إلى الفهم فنصّح، على ارادة الاول دون الثاني فقط دفعاً لتخصيصه بالثاني و اشارة إلى أكمل أفراده مع الايماء إلى أن الذكر اللساني بدون الذكر القلبي ذكر يثاب به. و قال بعض أرباب القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لا يخلو من فائدة لانه يمنعه من التكلم باللغو و يجعل لسانه معتاداً بالخير، وقد يلتقي الشيطان اليه أن حركة اللسان بدون توجه القلب حيث ينبغي تركه؛ فاللافت بحال الذاكر أن يحضره قلبه حينئذ رغباً

ثم قال: لأعني سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان منه ولكن ذكر الله عند ما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها.

للشيطان ولولم يحضره فاللائق به أن لا يترك ذكر اللسان رغماً لأنه أيضاً وأن يجيبه بأن اللسان آلة للذكر كالقلب ولا يترك أحدهما بترك الآخر فإن لكل عضو عبادة، وأعلم أن الذكر القلبى من أعظم علامات المحبة لأن من أحب أحداً ذكره دائماً أو غالباً، وأن أصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه، وهكذا يتبادلان إلى أن يستولى المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه، فالذاكر حينئذ يحبه حباً شديداً ويغفل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه إذا الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمونه مقام الفناء فى الله، والواصل إلى هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو، وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لأنه محال (١) و زندقه بل بمعنى أن الموجود فى نظر الفانى هو لا غيره لأنه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره و غفل عنه فافهم.

(١) قوله ولا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لأنه محال، بل لم يقل به أحد ولا يمكن أن يتفوه به عاقل، وأعلم أن علماءنا رضى الله عنهم قد يذكرون احكاماً لامور لا تنفق فى الواقع و لا يتحقق الا نادراً لمزيد التوضيح و البيان كما يذكرون احكام الخنثى المشكل والمنجم الذى يعتقد الوهية الكواكب وتأثيرها فى الحوادث بالوهيتها، مع انهم يعلمون انه لا يوجد بعد ظهور الاسلام فى هذه الامة منجم قائل بها وهكذا القائلون بوحدة الوجود فى الامة وفى كل امة لا يمتقدون اثبات الممكنات وحلول ذات الواجب فيها بل لا يثبتون معه تعالى غيره حتى يحل الواجب فى غيره فمرجع وحدة الوجود الى انكار الممكنات و نفسى الكثرة لا الى اثبات الكثرات والممكنات وحلول الواجب فيها ومعلوم ان انكار الممكنات ليس كفراً نعم ان لم يفرض له معنى صحيح كان خرافياً نظير مذهب السوفسطائية و ان أول بمعنى صحيح فهو حق وليس كل رأى باطل خرافى كفراً وهذا البيت مشهور من العلاج:

بينى وبينك انبى ينارنى فارفع بطفلك انبى من البين

و هذا صريح فى ان اعتقادهم نفى شخصية الممكن عن نظره حتى لا يرى غيره تعالى لانفى حقيقة الواجب بجعله مستهلكاً فى الممكنات و بعبارة اخرى الظاهر عند غيرهم اثبات ممكن و واجب متغايرين متفاضلين مستقل أحدهما عن الآخر وأما الاتحاد وهو ارجاع الاثنين الى الواحد فلا يتمثل الا بنفى أحدهما لامحالة فإن نفى احدهم استقلال الواجب و اثبت الممكن فهو كفروان نفى الممكن واثبت الواجب فهو ليس بكفر وهذا مراد الشارح (ش)

٥- ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "و قد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً" قال: أما والله إن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه.

٦- عليّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ مَخَافَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَرْضَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

(باب أداء الفرائض)

١- عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، و عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما من عمل بما افترض الله عليه فهو خير الناس.

قوله (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) أي عمدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل كترى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وإغاثة المظلوم وغيرها فجعلناه هباءً منثوراً فلم يبق له أثر، والهباء غبار يرى في شمع الشمس الطالع من الكوة من الهبو وهو الغبار وفيه دلالة على حبط الأعمال بالفسق سواء كان كفراً أم غيره، وخصه بعض المفسرين بالكفر وهو على تقدير الكفر ظاهر إذا عبرة بالفرع بعد فقد الأصل وهو الإيمان وأما على تقدير غيره فلعل المراد به حبط ما يساويه مع بقاء الزائد، وفي هذا المقام كلام طويل (١) مذكور في موضعه، وانقباطي جمع القبطية بالكسر وهي ثياب بيض رقائق تتخذ من كتان بمصر، وفي تشبيه أعمالهم بها تنبيه على أن رد أعمالهم ليس من أجل فسادها في نفسها بل لأجل ارتكابهم للحرام سواء كان حق الله تعالى أو حق الناس ولعل ذلك فيمن أخذه عادة. والله أعلم.

قوله (من ترك معصية الله) المعصية تشتمل ترك الواجبات وفعل المنهيات و لم يذكر ما أَرْضَاهُ اللَّهُ به لأن عقل البشر لا يصل إلى كنه حقيقته ورضوان من الله أكبر.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس) الظاهر أن لفظ دماء شامل

(١) قوله دو في هذا المقام كلام طويل، وهو الاختلاف المشهور في الاحباط بيننا وبين المعتزلة ومذهبنا عدم الاحباط و يأول كل ما يؤهم منه خلافه على عدم كون العمل المحبط ثوابه صحيحاً في الأصل لأنه صحيح يستحق به الثواب ويرتفع بالفسق فان عدم ايصال الثواب المستحق إلى صاحب العمل ظلم وكلام الشارح مشبه والحق واضح. (ش)

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المخناد، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض.

٣- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب و رابطوا على الأئمة عليهم السلام.

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي السفاتج [و زاد فيه] «فاتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم».

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس».

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: «ما تحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه».

للأعمال القلبية والبدنية والمالية، والخيرية تنفاوت (١) بحسب تفاوت مراتب هذه الأعمال كما و كيفاً، والخير المطلق من وصل إلى مرتبة العلياً منها.
قوله (قال اصبروا على الفرائض) لم يرد قصر الصبر عليها بل ذكرها لان الصبر عليها أعظم والظاهر أن ترك الحرام داخل فيها لانه أيضاً فرض.

(و رابطوا على الأئمة عليهم السلام) بالنفس و المال و الخدمة والانتساب لهم والانتظار لفرجهم . قوله (وفي رواية ابن محبوب عن أبي السفاتج وزاد فيه واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم) ليس في بعض النسخ قوله «وزاد فيه» ولعل التقوى فيما افترض وهو الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المنهيات تفسير للصبر .

قوله (قال الله تعالى ما تحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه) مثله ما روى عنه ورس

(١) قوله «الخيرية تنفاوت» الخير يستعمل بمعنى التفضيل وهو المراد بقرينة المقام ولا تنفاوت مراتبه والاولى أن يقال التفضيل بالنسبة إلى من يعمل بالمستحبات ويترك الفرائض فمن عكس وعمل بالفرائض وترك النوافل خير منه وهو تفسير المجلس رحمه الله تعالى (ش).

(باب)

(استواء العمل والمداومة عليه)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا كان الرجل على عمل فليدوم عليه سنة، ثم ينحوّل عنه إن شاء إلى غيره وذلك أن ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ، ما شاء الله أن يكون .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما دأب عليه

أنه ويقول الله عز وجل ما تقرب عبدي إلى شيء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه ، ولعل السبب فيه أنه تعالى عالم بالاسباب التي تقرب إلى محبته وكرامته من بعد عنه بنفسه و هواء و عادته فجعل أكبرها فرائض لعظم حرمانه وأوعد بالنار من ذممه وفرط فيه فيجب على العبد تعظيمه والمبادرة إليه والمبالغة في أحكامه و تفريغ القلب عما يشغله عنه وجعل أصغرها نوافل وجعل قبول النوافل موقوفاً على أداء الفرائض ومتمماتها ولزيادة التقرب بها و مانعاً من التمرس لزهرات الدنيا ومباحاتها بعد الفرائض فينبغي للعبد أن لا يتهاون بها بالاشتغال بالنوافل فيترك الأصل و يتمسك بالفرع فيفوته الفرع أيضاً ولا يقبل منه ، بل ينبغي أن يهتم بالفرائض ثم بالنوافل لتكامل فرائضه وتزداد محبته .

قوله (إذا كان الرجل على عمل فليدوم عليه سنة) لعل المراد بالعمل عمل المندوب كالدعاء وسائر المرغبات بقرينة جواز التحول وأما الفرائض فيجب دوامها على الوجه المقدر ولا يجوز تركها وفي الدوام منافع جليلة هي ارتباط النفس في العبادة و اعتيادها عليها وثبات القدم فيها وضبطها عن التقلب والاعتیاد به ورجاء القبول وإن لم تكن ابتداء من أهله كما روى عن النبي ص : أن العبد ليقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه ، ثم يقول اللهم اغفر لي فيقول سبحانه للملائكة ألا ترون إلى عبدي سألتني المغفرة وأنا معرض عنه ثم سألتني المغفرة وأنا معرض عنه ، ثم سألتني المغفرة و علم عبدي أنه لا يفر من الذنوب إلا أنا أشهدكم أنني قد غفرت له و توقع مضاعفة الاجر بوقوعها في الاوقات الشريفة التي تكون في السنة مثل ليلة القدر وهي خير من ألف شهر و العبادة فيها كذلك. وفي قوله ثم ينحوّل عنه ان شاء إلى غيره، اشارة إلى أن له ترك مع بدل اما لامه فلا ينبغي لانه تعطيل في العبودية ولا يليق ذلك بحال العابد المعامل لله.

العبد وإن قل .

٣- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار، عن نجبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من عمل يداوم عليه وإن قل .

٤- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قل .

٤- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مستو.

قوله (أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد (١) وإن قل) و إنما كان أحب لأن يداوم القليل تدوم الطاعة والمباداة والعبودية وهو أحسن من العبادة في زمان وتركها بعده بالكلية ولأنه يربو ثواب القليل مع المداومة على ثواب الكثير المنقطع كما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «قليل يدوم عليه أرجا من كثير مملول» وقوله قليل يدوم عليه خير من كثير مملول، أي الذي يمل فيه فإن البركة فيه أكثر والثواب فيه أزيد والعبودية فيه أدام و تأثيره في تنوير القلب بتكراره أشد ، و احتمال كون رضاء سبحانه فيه أعظم كما رواه الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام «قال إن الله أخفى رضاء في طاعة فلا تستصغروا شيئا من طاعته فربما وافق رضاء وأنت لا تعلم».

قوله (إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مستو) استوى الأعمال اعتدلت وتساوت ولم يفضل بعضها على بعض ولعل المراد به تساوى أفراد كل نوع منه في الكم والكيف بحيث لا يكون بعضها أضعف من بعض وما روى من «أن من ساء يوماء فهو مغبون» ولعل المراد به الحث على الاكثار في الخير نظرا إلى اليوم السابق لأن الأعمال كالفسوق يعجز بعضها إلى بعض، أو المراد به التساوى في القرب والمنزلة لأن إضافة عمل إلى عمل قبله وإن تساوى لا بد أن تكون موجبة لزيادة القرب والمنزلة والا فتكون في العمل خلل وفي النية نقص وهو غيب فاحش فلا ينافي المساواة بالمعنى المذكور.

(١) قوله وما داوم عليه العبد يدل على ما مر من أن تأثير العمل في الجزاء يتأثر في النفوس وتجسم ما أثر فيها. (ش)

٦- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن جعفر بن بشير، عن عبد الكريم بن عمرو، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إيتاك أن تفرض على نفسك فريضة فتفارقها اثني عشر هلالاً.

(باب العبادة)

١- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعلني أن أسد فافتك، واملأ قلبك خوفاً مني وإن لا تفرغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدنيا، ثم لا أسد فافتك، و أكلك إلى طلبك.

٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فأنكم تنعمون بها في الآخرة.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه وبارها بجسده و تفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا،

قوله (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى) التفرغ للعبادة والجد فيها وعدم تقلها على النفس لا يحصل إلا بتزج القلب من شهوات الدنيا، وقطع التعلق بملايقها، والتحرر عن المعاصي وكسر القوة الشهوية والغضبية، فإذا حصل ذلك حصل الشوق إلى الله والمحبة له واللذة بعبادته ومشاهدة الأسرار اللاهوتية والأنوار الربوبية ورسوخ القلب في الصوف عن الدنيا بحيث لا يوازن بواحد منها الدنيا وما فيها وغنى القلب عبادة عن حصول هذه الأمور له ومن ثمة قبل سعادة المرء معرفة الرب ودوام ذكره وخلوس العبادة له فإن الثمرات عليها يوصله إلى مقام القرب والمحبة والاعراض عن غيره.

قوله (يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا) الباء إمالة أو سببية لان العبادة غذاء روحاني بها يربو الروح و تزداد قوته وسبب للرزق و سمته كما قال ومن يثق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب.

قوله (أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها) عشق يعشق عشقا من باب تعب والاسم

على عسر أم على يسر.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن شاذان بن الخليل قال: - و كتبت من كتابه بإسناد له، يرفعه إلى عيسى بن عبدالله قال: - قال عيسى بن عبدالله لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما العبادة؟ قال: حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها، أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ، قال: قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: فقال: أليس تكون مع الإمام موطئاً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام ويأتي إمام

المشق بالكسر وهو الإفراط في المحبة أي أحبها حباً مفرطاً من حيث أنها وسيلة إلى المحبوب الحقيقي وذريعة للوصول إليه والقرب منه فحبها تابع لحبه وفي قوله دأماً على يسره دلالة على أن اليسر لا ينافي حبها وتفرغ القلب من غيرها لاجلها وإنما المنافي له تعلق القلب به. قيل ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية أن المشق ضرب من المالبغوليا الجنون والأمراض السوداوية وقرروا في كتبهم الالهية أنه من أعظم الكمالات وأتم السعادات وربما يظن أن بين الكلامين تخالفاً وهو من واهي الظنون فإن المذموم هو المشق الجسماني الحيواني الشهواني والممدوح هو الروحاني الانساني النفساني والاول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويسمو أبداً لا يباد على كل حال.

قوله (قال حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها) لعل المراد بهذه الوجوه الأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد لانهم الوجوه التي يطاع الله تعالى منها لارشادهم وهدايتهم وبالطاعة الطاعة المملومة بتعليمهم أو اطاعتهم والانقياد لهم وبحسن النية تعلق القلب بها من صميمه بلا منازعة ولا مخاطرة كما قال جل شأنه فلا وربك لا يؤمنون - الى قوله و يسلموا تسليماً و يحتمل ان يراد بالوجوه وجوه العبادات وأنواعها وبحسن النية تخليصها عن شوائب النقص.

قوله (أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ قال قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ) دل على جواز الخطاب بالمجمل وهو ما لم يتضح دلالة أو بالعام المراد به بعض أفراد أو بالمحتمل وقد بينا جوازه في اصول الفقه قالت الممثلة لا يجوز لانه تجهيل للمخاطب وهو قبيح من الحكيم ولا نسلم أنه تجهيل بل هو تقرير للحكم وتثبيت له في ذهن السامع حيث يطلبه والمفهوم بعد الطلب اعز من المناسق بلا طلب و باحث للشواوب له لقصد الامثال بعد البيان غايته لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

آخر فتوطن نفسك على حسن النية في طاعته: قال: قلت: نعم، قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ.

٥ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [إن] العبادة ثلاثة. قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً، فتلك عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، و قوم عبدوا الله عز وجل حباً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

٦ - علي بن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته.

٧ - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن

قوله (قال إن العبادة ثلاثة) أي العبادة المترتب عليها الثواب والكرامة في الجملة ثلاثة أقسام و غيرها مثل عبادة المرائي ونحوها ليس بعبادة فليس بداخل في المقسم.

(قوم عبدوا الله) أي عبادة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً من ناره حتى لو لم تكن النار لم يعبده فذلك عبادة العبيد إذا العابد فيها شبيه بالعبد في فعله خوفاً من السيد وتحزناً من عقوبته و عبادة قوم عبده طلباً لثوابه ونعيم الجنة فتلك عبادة الاجراء اذ حالهم في العبادة مثل حال الاجراء في المعاملة لو لم يكن الاجر لم يعملوا و عبادة قوم عبده لحبهم له و استغراق قلوبهم في ذكره واعتقادهم بأنه أهل للمباداة وغاية الخضوع له فتلك عبادة الاحرار الذين لا ينظرون الا اليه ولا يمكنون الاعليه و يغفل قلوبهم بالكلية عن الاغيار فضلًا عن الجنة والنار و هي أفضل العبادة لخلوصها من جميع الجهات. و في صيغة التفضيل دلالة على ان العبادة على الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة لها فضل في الجملة فيكون حجة على من قال يبطلان عبادة من قصد التحرز عن العقاب أو الفوز بالثواب.

قوله (ما أقبح الفقر بعد الغنى) أي وجود الفقر بعد الغنى و تعيش الغنى و تعيش الفقر.

(و أقبح الخطيئة بعد المسكنة) لضعف آلتها و قلة أسبابها.

(و أقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته) و كان السرفيه ان كل واحد منهم انتقل من المقام الاعلى الى المقام الادنى. ومن اليبين ان مقام الطاعة ارفع من مقام الغنى والمسكنة فترك الطاعة أقبح.

أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس.

((باب النية))

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : لا عمل إلا بنية.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو أعبد الناس) كان الموصول عام و حينئذ وجه التفضيل ظاهر.

قوله (لا عمل إلا بنية) قال المحقق الطوسي في بعض رسائله النية هي قصد الى الفعل وهي واسطة بين العلم والعمل اذ ما لم يعلم الشيء لم يمكن قصده وما لم يقصده لم يصدر منه ، ثم لما كان غرض السالك العامل هو الوصول الى مقصدين كامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا بد من اشتغالها على قصد التقرب به وعرفها العلامة في القواعد بأنها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً ، وأراد بالارادة ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله تعالى لأفعالنا و بالفعل ما يعم توطئ النفس على الترك فدخلت الصوم والاحرام وأمثالهما ، وبالمأمور به ما يرجع فعله شرعاً فدخل المندوب وخرج المباح ، اذا عرفت هذا فنقول استدلال اصحابنا بمثل هذا الخبر بقوله تعالى ووما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، على أنه لا بد في العبادات من النية حتى قال بعضهم النية بمنزلة الروح والعبادة بمثابة البدن وقال بعضهم النية بذر والعبادة زرع والاخلاص ماء . ومثل هذا الخبر رواه مسلم بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله واما الاعمال بالنية واما لامر مانوي ، قال القرطبي ذكر الائمة أن هذا ثلث الإيمان و قبل ربه و أن أصول الدين ثلاثة أحاديث أو أربعة هذا أحدها ، وقال المازري : قال الشافعي هو ثلث الاسلام وفيه سبعون باباً من الفقه وأجمع المسلمون على صحته ، وقالت الائمة ولكنه لم يتواتر ، و قال الابي تأمل فيه فان ابن الصلاح قال لم يتواتر الاحديثان حديث واما الاعمال بالنيات و حديث من كذب على متعمداً و حكى الخطابي عن ائمتهم أنه ينبغي لمن صنف كتاباً ان يبدأ بهذا الحديث ليبعث الطالبين على تصحيح النية ، ثم نقول النفي والاستثناء للحصر قد يكون مطلقاً وقد يكون باعتبار أمر خاص مثل ما زيد الا قايماً فان الحصر فيه بالنسبة الى العقود مثلاًدون سائر الصفات والضايف في ذلك انه ان دلّت قرينة على تخصيص الحصر باعتبار أمر معين فهو للحصر باعتبار ذلك الامر والا فهو للحصر المطلق وانظر الحصر في الحديث من أي النوعين هو وتعرف ذلك بعد أن تعرف أنه لا بد من تقدير محذوف يتم به المعنى و يحتمل

٢- عليٌّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته.

أن يكون التقدير لأعمل على وجه الكمال الإبالنية، و يحتمل أن يكون لأعمل على وجه الصحة الإبها، وهذا هو الأرجح لأن الصحة أكثر لزوماً للحقيقة من الكمال والحمل على الأكثر أولى ولأن نفي الصحة أقرب إلى نفي الحقيقة، وإذا تمذر حمل اللفظ على الحقيقة وجب حمله على أقرب المجازات كما بيناه في أصول الفقه، وعلى هذا يفهم منه اشتراط النية في الأعمال كما ذهب إليه الأصحاب. ثم الظاهر أن لفظ العمل يشمل عمل الجوارح والقلب وتخصيصه بالاول لأوجه له ولا بد من تخصيص عمل الجوارح باخراج مالا يحتاج إلى النية كفسل الثوب و البدن والظروف من النجاسات وتخصيص عمل القلب باخراج النية لئلا تتسلسل وفيه دلالة على أن المعتبر في ألفاظ الإيمان والنكاح وغيرها من العقود والایقاعات النية دون الألفاظ وحدها إلا ما خرج بالدليل مثل ما ثبت من أن في الحلف تعتبر نية المدعي وفي الأقرار يحكم على الظاهر ولا يسمع دعوى عدم القصد.

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله) الحديث متفق عليه بين العامة والخاصة وله وجوه: الاول أن نية المؤمن اعتقاد الحق و اطاعة الرب لوخلد في الدنيا وهي خير من عمله إذ ثمرتها الخلود في الجنة بخلاف عمله فإنه لا يسوجب الخلود فيها ونية الكافر اعتقاد الباطل و معصية الرب لوخلد فيها وهي شر من عمله إذ ثمرتها الخلود في النار بخلاف عمله يدل على هذا الوجه حديث آخر هذا الباب، و اضافته إلى المؤمن والكافر فإن الوصف مشعر بالعلية، الثاني أن المؤمن ينوي خيرات كثيرة خارجة عن قدرته وهو يثاب بها بدون عمل فنيته بهذا الاعتبار خير من عمله لأن ثوابها أكثر من ثوابه كما يدل عليه الخبر الاتي والكافر ينوي شرواً كثيرة لا يقدر على العمل بها فنيته شر من عمله ولا ينال في ذلك ما روي من أن العبد إذا هم بشر لم يكتب عليه شيء حتى يعمل، لأن كون النية شراً لا ينافيه عدم كتب المنوى وعدم العقوبة به على سبيل التفضيل على أن أكثر العامة والمتكلمين والمحدثين ومنهم القاضي البيضاوي ذهبوا إلى أنه يؤاخذ بهم سيئة إذا بلغ مرتبة العزم والتصميم وتوطين النفس على الفعل لكن بسيئة العزم والتوطين لأنها معصية لا بسيئة المعزوم عليه لأنه لم يفعله فإن فعله كتبت سيئة ثانية، الثالث أن النية روح العمل والعمل بمثابة البدن لها فخيرية العمل و شرهته تابعتان لخيرية النية و شرهتها كما أن شرافة البدن وخبائثته تابعتان لشرافة الروح و خبائثته فبهذا الاعتبار نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله، الرابع أن نية المؤمن و

٣- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب أرزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير ، فإذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم .

قصده أواهو الله وثانياً العمل لانه يوصل اليه ونية الكافر وقصده غيره تعالى وعمله يوصله اليه وبهذا الاعتبار صح ما ذكره وهذان الوجهان استفدناهما من كلام المحقق العاوسي في بعض رسائله وان لم يكن سريحا فيهما، الخامس أن خيراً ليس للتفضيل ودمن، تبعية صفة له يعنى أن نية المؤمن عمل خير من جملة أعماله ونية الكافر عمل شر من جملة أعماله وهو منقول عن السيد المرتضى وبه يندفع التناقض بين هذا الحديث وبين ما روى عنه «س» أفضل الأعمال أحمرها، وأما الوجوه السابقة فبإدراكها أن العمل أشق من النية فيكون خيراً منها بحكم هذا المروى فكيف تكون النية خيراً منه والجواب أن العمل ليس أشق من النية بل الأمر بالعكس لان النية ليست مجرد التلفظ بلفظ مخصوص وحصول معناه في القلب بل حصولها متوقف على تنزيه الظاهر والباطن عن الرذائل كلها وتوجه القلب الى المولى بالكلية وإعراضه عن جميع ما سواه وتطهير العمل عن جميع ما يوجب نقصه وفساده ولا ريب في أن النية على هذا الوجه أشق من العمل كما يدل عليه ما روى عن أمير المؤمنين «ع» وأن تصفية العمل أشد من العمل وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد ، الحديث طويل مذكور في كتاب الروضة أخذنا منه موضع الحاجة ، ثم أشار الى أن قبول العمل ورده وخيره وشره تابعة للنية بقوله وكل عامل يعمل على نيته ان خيراً فخير وان شراً فشره ومن طرق العامة دان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم، يعنى الى نياتكم من باب اطلاق المحل على الحال.

قوله (كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله) يمكن ان يجعل تفسيراً لما مر من ان نية المؤمن خير من عمله لان المؤمن ينوى خيرات كثيرة لا يساعده القدرة أو الزمان على فعلها فيثاب بها فيكون الثواب على النية أكثر من الثواب على العمل فتكون النية خيراً منه وهذا الوجه ينسب الى ابن دريد اللغوي كما صرح به الشيخ في الأربعين، ولعل المراد أنه يكتب له أجره مضاعفاً كما يقتضيه لفظ المثل وأن أجر النية من حيث هي مثل أجر العمل من حيث هو ، لا أنه مثل أجره مع النية فلا يلزم زيادة الشيء على نفسه أو البناء بالعمل واثابة المؤمن بنيته امر متفق عليه بين الامة روى مسلم بإسناده عن رسول الله «ص» قال

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن أسباط، عن محمد بن إسحاق بن الحسين، عن عمرو، عن حسن بن أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حدّ العبادّة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدّيّاً؟ فقال: حسن النية بالطاعة.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما خُلد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خُلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنّما خُلد أهل الجنة في الجنة لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خُلد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى: «قل كلّ يعمل على شاكلته» قال: على نيّته.

(باب)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إنّ لكلّ

د من طلب الشهادة صادقاً أعطيا ولولم تصبه و باسناد آخر عنه ومن قال د من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه قال المازري وفيهما دلالة على أنّ من نوى شيئاً من أفعال البر ولم يفعله لمذّر كان بمنزلة من عمله، وعلى استحباب طلب الشهادة ونية الخير وقد صرح بذلك جماعة من علمائهم حتى قال الأبي لولم ينوّه كان حاله حال المنافق لا يفعل الخير ولا ينويه، و قيل دمر رجل من بني إسرائيل سنة القحط على جبل من الرمل فقال: لو كان حنطة لانفتحت على الفقراء فأوحى الله الى رسول ذلك العصر أن يقول له ان الله قبل صدقتك وأعطاك أجر انفاقه لو كان حنطة.

قوله (فقال حسن النية بالطاعة) لعل المراد به حسن النية بطاعة الامام و الاقبال عليها من صميم القلب أو المراد به تزكية نية العبادة عن جميع النقائص و تصفيتها عن غيروه الله تعالى، وجعله حد العبادة لان العبادة به عبادة فينهم أنه شرط لقبولها.

قوله (قل كل يعمل على شاكلته قال على نيّته) كان المراد نظراً الى ظاهر الاستعداد أن كل أحد بمنزلة من يعمل على نيّته فان كانت نيّته الطاعة أبداً فهو مطيع أبداً فيستحق الخلود في الجنة و ان كانت نيّته المعصية أبداً فهو عاص أبداً فيستحق الخلود في النار.

قوله (ألا ان لكل عبادة شرة ثم تصير الى فترة فمن سارت شرة عبادته الى سنئتي فقد

عبادة شرّة ثمّ تصير إلى فترة ، فمن صارت شرّة عبادته إلى سنّتي فقد اهتدى ومن خالف سنّتي فقد ضلّ وكان عمله في تباب أما إنّي أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن منهاجى وسنّتي فليس منّي . وقال : كفى بالموت موعظة ، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلاً .

٢- عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحجّال ، عن ثعلبة ، قال :

اهتدى) الشرة وزان الشدة: الحدة والرغبة والنشاط في العمل والفترة بفتح الفاء الضف والكسل فيه وأصلها الانكسار ، يقال فتر عن العمل فترة وفتورا إذا انكسر حدته ، والمراد أن للمبتدى في العبادة نشاطاً تاماً وإرادة حادة ورغبة كاملة تبتث النفس على الجهد فيها وتحمل مشاقها فإذا دام ذلك يعتري النفس فتور وضف عن العبادة أما الملل الطبع وسمته أوامنع من جهة الحق عز وجل يمتحن به العابد ليريه عجزه فلا يعجب بعمل نفسه بل يرى تمكنه من العمل بحسن توفيقه أو ليختبر ما عنده من الصدق فإن هوسكن ولم يتألم لذلك فلا يردّها عليه فإنه لا يعرف قدرها وإن هو توجع وتضرع وجزع فردّها إليه وزاده ثم بين حال الشرة بقوله ومن صارت شرّة عبادته إلى سنّتي ، أى طريقتي وهى طريقة العدل والاقتصاد ولم تتجاوز عنها فقد اهتدى لأن طريق الاقتصاد قلما يعتريه الفتور وأما المتجاوز عنه فإنه فى معرض الفتور لسأمة النفس وملالها غالباً كما يظهر من الباب الاتى. هذا الذى ذكرنا على سبيل الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال قال (كفى بالموت موعظة) الموعظة هى الزاجرة عن الدنيا والركون اليها والداعية الى الآخرة وقرب الحق وأعظمها هو الموت إذا لما قل إذا تفكر فيه وفى غمراته وما يعقبه من أحوال البرزخ والقيامة وأهوالها والحساب والمقاب وما فعله بأهل الدنيا من قطع أيديهم عنها وإخراجهم منها طوعاً أو كرهاً هانت عنده الدنيا وما فيها واجتهد فى الطاعة وتحرز عن المعصية (وكفى باليقين غنى) الغنى ما يغنى عن غير الله تعالى ويرفع الحاجة اليه واليقين بالله وباليوم الآخر وبحصول ما وعد الله من الجزاء والارزاق أقوى ما يغنى عن غير الله سبحانه لأنه نور موجب لو صول السالك الى الحق واتصاله به اتصالاً معنوياً بحيث لا يشاهد غيره فضلاً عن الاحتياج اليه (وكفى بالعبادة شغلاً) لأن كل شغل غير العبادة فهو لهو ولعب يوجب البعد عنه تعالى وتنقطع ثمرته بخلاف العبادة فإنها توجب قرباً تعالى وتدوم ثمرته وفيه ترغيب فى العبادة وهى مرتبة عظيمة لا يعطىها الله تعالى الا لمن يحبه ألا ترى أن الله تعالى حين أراد أن يلبس نبيه صلى الله عليه وآله حلة الشرف والكرامة نسب اليهودية اليه فقال «أنزل على عبده الكتاب» .

قال أبو عبد الله عليه السلام : لكل شرعة و لكل شرعة فترة ، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير .

(باب الاقتصاد في العبادة)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكثرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالركاب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى". محمد بن سنان، عن مقرن، عن محمد بن سوقة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.
- ٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان،

(لكل أحد شرعة ولكل شرعة فترة فطوبى لمن كانت فترته إلى خير) لعل المراد أن الشرعة قد تنفض إلى التجاوز عن حد الاقتصاد وتوجب الكلال والفتور في الأعمال فطوبى لمن كانت فترته إلى الخير وهو القصد لا إلى الأعراض فالإقتصاد أمر مطلوب قد وقع الحث على التمسك به حيث مدح في الأول من انتهت شرعته إليه، وفي هذا الحديث من رجع عن شرعته عند التجاوز وقام عليه. وللحديث احتمالات آخر ذكرناها في آخر كتاب العلم.

قوله (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) اسم الدين يقع على جميع ما تمبداه به خلقه من توحيده وطاعته والانقياد لحكمه وهو جملة الاسلام كما قال تعالى وان الدين عند الله الاسلام، ووصفه بأنه متين أى قوى شديد من مثل الشيء - بالضم - متانة اشدد وقوى فهو متين للنبيه على أنه لا يقدر على تحمله الا المؤمنون وذلك كما قال الله تعالى فى وصف الصلاة و انها لكبيرة الاعلى الخاشعين، وهم المؤمنون العارفون، والايفال السير الشديد، يقال أوغل القوم وتوغلوا اذا أغموا فى سيرهم، والمنبت الرجل الذى انقطع به فى سفره وعطبت راحلته وهو مطاوع بته بئاً من باب ضرب وقتل أى قطعه يعنى سيروا فيه سيراً سريعاً وابلغوا الغاية القصوى منه بالرفق ولا تحملوا على أنفسكم من العمل ما لا تطيق فينقطع كالذى لا يقطع طريقه ويهلك راحلته. والمراد بالرفق الاقتصاد فى العبادة وترك التعمق فيها لان التعمق فيها يوجب غالباً كراهة النفس لها وبغضها إياها والأعراض عنها وهو مذموم قطعاً و لقد أحسن فى ايضاح المقصود بالاتيان بالتمثيل البديع لانه شبه النفس الناطقة فى السير الى الله بالمسافر. وشبه البدن وقواه بالمركب لان النفس فى سيرها تحتاج اليهما كما أن المسافر فى سيره يحتاج الى المركب وكما أن المسافر اذا جد فى السير جداً وحمل على مركوبه أثقالاً كثيرة يهلك دابته قبل أن يقطع سبيله ويبلغ مقصده فيبقى متحيراً كذلك النفس اذا

جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً فعمل [عملاً] قليلاً جزاه بالقليل الكثير ولم يتعاطمه أن يجزي بالقليل الكثير له.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم عن منصور، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرت بي أبي وأنا بالطواف وأنا

جدت في طرق الأعمال وحملت على مركوبها أعمالاً كثيرة شاقة تمل البدن وتكل قواه وذلك يضعفها ويهلكها فتبقى متحيرة قبل الوصول إلى المطلوب فلا بد لها من ترك الإفراط والتفريط واختيار التوسط كما أنه لا بد من ذلك لذلك المسافر. وبالجملّة العبادة خلاف مقتضى الطبع فلا بد من أن يسلك فيها سبيل التدريج والمداواة ليكون له نشاط في الأعمال والأفعال وهذا في المرغبات وأما المفروضات فلا بد من أدائها وتعاونها في محلها وإن كانت ثقيلة.

قوله (قال لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة) زجر بهذا الكلام المباليين في الجد والاجتهاد وتحمل مشاق العبادات فربما كرهت النفس العبادة وذهب أجراها وندبهم إلى أخف العبادات على النفوس وأسهلها ليعملها بخفة ونشاط وطواعية لا بمسر وكراهية، فيكون ذلك أنشط لها في عبادة الله وأبلغ في حضور القلب مع الله واجتماع الهم بين يديه فيقبل الله عليه ويوصله إليه، وبالجملّة أحاديث الباب ظاهرة في الأمر بالرفق في العبادة وترك طلب النهاية فيها إذ خير الأمور أوسطها، فلا يستحسن قيام جميع الليالي وصيام جميع الأيام فإن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولأن العمل إذا قل دأماً واجتمع فقليله لطول الزمان كثير وخف على النفس تهده بخلاف ما إذا كثرت ولم تضبطه عادة، فإنه قد يؤدي إلى الترك فيحرم من العبادة وهو مع ذلك مكروه لها وهذا مذموم جداً، ألم تسمع أن أشرف العابدين وسيد المرسلين كان ينام ويأكل ويشرب وينكح ويصاحب الناس ويصوم ويفطر ومع ذلك كان قادراً على أكثر من ذلك، كل ذلك تعليم للامة ورحم لهم وتعطف عليهم ولذلك لم يكلفهم الله الامادون الطاقة بكثير، نعم من استيقن أنه لا يفتر بكثرة العبادة ولا يبهنها بطول مداومتها لا يبعد أن يكون ذلك راجعاً بالنظر إليه كما ورد الأمر بعبادات كثيرة المشاق مثل صيام الدهر وبعض الصلوات ونحوهما.

حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصاب عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بني "إن الله إذا أحب عبداً أدخله الجنة ورضي عنه باليسير".

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: يا بني "دون ما أدرك تصنع، فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً رضي عنه باليسير".

٦- حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن بقاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك" [ف] "إن المنبت" يعني المفرط لاظهراً أبقي ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هراماً و احذر حذر من يتخوف أن يموت غداً.

(باب)

(من بلغه ثواب من الله على عمل)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه، كان له، وإن لم يكن على ما بلغه.

٢- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمران الزعفراني

قوله (فاعمل عمل من يرجو أن يموت هراماً واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً) أي اعمل في الطاعات والخيرات برفق وتأن وأخذ حظ من جميع أنواعها كعمل من يرجو أن يكون أجله ممّداً إلى الهرم واحذر عن المنهيات كحذر من يخاف أن يموت غداً ولعل السر فيه أن العبادات أعمال وفيها تعب الاركان وشغل عما سواها فأمر فيها بالرفق والاقتصاد كيلا تكل بها الجوارح ولا تبغضها النفس ولا تفوت بسببها حق من الحقوق فاما الحذر من المماسى والمنهيات فهو ترك والطراح ليس فيه كثير كد ولا ملالة ولا شغل عن شيء فيترك ترك من يخاف أن يموت غداً على معصية الله تعالى و لهذا قال دع، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وقيل الفرق أن فعل الطاعات نفل وفضل وترك المخالفات حتم وفرض.

قوله (من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه) الحديث حسن الطريق مضمونه مؤيد

عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على

بالخير الذي بعده (١) وان كان ضعيفاً وبما رواء الصدوق في كتاب ثواب الاعمال عن أبيه علي بن بابويه عن علي بن موسى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن هشام بن صفوان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ومن بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك وان كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقله كان المراد أن من سمع رواية صادقة بحسب ظنه دالة على الثواب المترتب على فعل شيء أو تركه فصنع ذلك الشيء وأتى به طلباً لذلك الثواب كان له أجر ذلك الشيء وان لم يكن المسموع على ما بلغه. وقال الشيخ في الاربعين احتمال أن يراد بسماع الثواب مطلق بلوغه اليه سواء كان على سبيل الرواية أو الفتوى أو المذاكرة أو نحو ذلك كما رآه في شيء من كتب الحديث أو الفقه مثلاً ويؤيد هذا التعميم أنه ورد في حديث آخر عن الصادق عليه السلام ومن بلغه شيء من الثواب ، ويمكن أن يراد السماع من لفظ الراوي أو المفتي خاصة فإنه هو الشائع الغالب في الزمن السالف، وأما الحمل على التحمل بأحد الوجوه الستة المشهورة فلا

(١) قوله «مضمونه مؤيد بالخبر الذي بعده» وهو من فروع حسن الظن بالله المرغوب اليه فيما سبق من الاحاديث ومن الصفات التي تبقى مع النفس بعد مفارقة البدن وتنفع الانسان بنفسها مباشرة في الآخرة لأن الصفات المقدمات التي لا تنفع الا بالواسطة والعرض فان الملكات الحسنة على قسمين قسم منها كالعفة والشجاعة والسخاء يختص بهذه الحياة الدنيا ما دامت النفس في البدن و ممنوعة بالشهوات والاهوام والصفات البدنية وفائدة هذه الملكات حفظ النفس عن غوائل الشهوات وأمثالها فلولا يمكن في الانسان شهوة لم يكن عفة ولو لم يكن خوف لم تحسن الشجاعة والسخاء وبعد فراق النفس عن البدن لم تكن فيه شهوة القبايح فلا معنى لوجود العفة ولم يتحقق فيه خوف الموت فلا معنى لتحسين صفة الشجاعة له ، واما معرفة الله تعالى وصفاته الكمالية وحسن الظن به والاعتماد عليه والتلذذ بقربه فهي مما يعقل وجودها للنفس الانسانية بعد الموت وقد تكون الملكة غير الباقية مستلزمة لصفة يمكن ان تبقى مع النفس كنية فعل الخير فانها تستلزم حب الخير والصبر فانه يتضمن الرضا بحكم الله تعالى، و لمثل تلك الصفات حكم في الآخرة و يثاب عليها وقد مر في سر خلود المؤمنين في النعيم و خلود الكفار في الجحيم بقاء نية الخير أو الشر في قلوبهم فهم يعذبون بسبب النية كشجرة تثمر ثمراً ردياً لم يبق طرى على أصله و بالجملة فحسن الظن بالله ملكة فاضلة اذ ارسخت في النفس كمال ايمانها بالله ورجاء الثواب من عمل لا يحتمل كونه مفروضاً تقرب اليه و ذكر لآله و لطفه و هو حسن عقلا يستحق به الثواب والطريق الذي ذكرناه في التسامح في أدلة السنن أنسب وألحق بعلم الاخلاق والكلام مما ذكره الشارح فانه أنسب بالفقه (ش)

يخلو من بعد وظاهر الاطلاق أن ظن صدق الناقل غير شرط في ترتب الثواب فلو تساوى صدقه و كذبه في نظر السامع وعمل بقوله فاز بالاجر نعم بشرط عدم ظن كذبه بقيام بعض القرائن والظاهر أن تصريح الراوى بترتب الثواب غير شرط بل قوله ان العمل الفلاني مستحب أو مكروه كاف في ترتب الثواب على فعله أو تركه انتهى، وأنت خير بأن هذا الحديث على الاحتمال الاول يدل على أنه يجوز العمل باخبار الاحاد المعتبر وعلى الاحتمال الذى ذكره الشيخ يدل عليه وعلى جواز العمل بالاخبار الضعيفة الدالة على استحباب فعل عمل أو تركه وهو الموافق لمذهب الاصحاب، ويورد عليهم اشكال وهو أن الاستحباب حكم شرعى وقد اتفقوا بأن الحكم الشرعى لا يثبت بالحديث الضعيف فكيف يصح قولهم باستحباب الاعمال التى ورد بها اخبار ضعيفة و حكمهم بترتب الثواب عليها ولهم فى التفصى عنه أقوال فقال الشيخ - رحمه الله - حكمهم باستحباب تلك الاعمال و ترتب الثواب عليها ليس مستنداً فى الحقيقة الى الاحاديث الضعيفة بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر الممتد بغيره من الاحاديث، ووجه عدم استنادهم الى هذا الحديث فى وجوب ما تضمن الخبر الضعيف وجوبه كاستنادهم اليه فى استحباب ما تضمن استحبابه، ظاهر فان هذا الخبر لم يتضمن الا ترتب الثواب على العمل وهو يقتضى الامر بالعمل، وقيل اذا وجد حديث ضعيف فى فضيلة عمل ولم يكن هذا العمل ما يحتمل الحرمة والكراهة فانه يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل لرجاء الثواب وأما اذا دار بين الاستحباب والحرمة فلا وجه لاستحباب العمل به و كذا اذا دار بينه وبين الكراهة الشديدة اذ فى العمل به دغدة الوقوع فيها وأما اذا كانت الكراهة أضعف من الاستحباب فالاحتياط العمل وكذا اذا تساوى، وقيل: معنى قولهم يجوز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال دون مسائل الحلال والحرام أنه اذا ورد حديث صحيح أو حسن فى استحباب عمل وورد حديث ضعيف فى أن ثوابه كذا وكذا جاز العمل بهذا الحديث الضعيف والحكم بترتب الثواب على ذلك الفعل وليس هذا الحكم أحد الاحكام الخمسة التى لا تثبت بالاحاديث الضعيفة، وقيل: معنى قولهم الاحكام لا تثبت بالاحاديث الضعيفة أنها لا تستقل بآبائها لأنها لا تصير مقوية ومؤكدة لما تثبت تلك الاحكام به ومعنى تجويزهم العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال انه اذا دل على استحباب عمل حديثان صحيح وضعيف مثلاً جاز للمكلف حال العمل ملاحظة دلالة الضعيف أيضاً عليه فيكون عاملاً به فى الجملة و الشيخ (ره) رد هذه الاقوال الثلاثة أما اولها فبان خطر الحرمة فى هذا الفعل الذى تضمن الحديث استحبابه

عمل فعمل ذلك العمل ، لئلا يمس ذلك الثواب ، اوتيه ، وإن لم يكن الحديث كما بلغه .

(باب الصبر)

١- عدثة* من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي* ابن رثاب ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبر رأس الايمان .

حاصل اذا لم يمتد شرعا بما فعله المكلف لرجاء الثواب ولا يصير منشأ لاستحقاق الثواب الا اذا فعله بقصد القربة ولا حظ رجحان فعله شرعاً ، فان الاعمال بالنيات وفعله على هذا الوجه مردد بين كونه سنة ورد الحديث بها في الجملة و بين كونه تشريفاً وادخالاً لما ليس من الدين فيه ولا ريب ان ترك السنة اولى من الوقوع في البدعة فليس الفعل المذكور دائماً في وقت من الاوقات بين الاباحة والاستحباب ولا بين الكراهة والاستحباب بل هو دائماً دائر بين الحرمة والاستحباب فتاركه متيقن للسلامة وفاعله متعرض للندامة ، وأما ثانياً فبأنه مخالف لمنطوق عبارات القوم فانها صريحة في استحباب الاتيان بالفعل اذا ورد في استحبابه حديث ضعيف غير قابلة لهذا التأويل الضعيف ، وأما ثالثاً فبأنه مع بعده وسماجه يقتضى عدم صحة التخصيص بفنائل الاعمال دون مسائل الحلال و الحرام فان العمل بالحديث الضعيف بهذا المعنى لا نزاع بين أهل الاسلام في جوازه في جميع الاحكام .

قوله (الصبر رأس الايمان) في الخبر الاتي والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس للايضاح والوجه ما أشار اليه بقوله «فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان» وذلك لما ذكرنا سابقاً من أن الانسان مادام في هذه النشأة كان مورداً للمصائب والافات ومحلًا للنوائب والمآفات ، و متوجهاً اليه الاذى من بنى نوعه في المعاملات ومكلفاً بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتبهات و كل ذلك ثقل على النفس بشع في مذاقها وهي تتنفر منه نفاراً وتتقاعد منه فراراً فلا بد من أن يكون فيه قوة ثابتة وملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب وعدم الاعتراض على المقدر باظهار الشكوى وعدم مؤاخذه من أذاه والانتقام منه وتلك القوة أو ما يترتب عليها أعنى حبس النفس على تلك الامور ومقاومتها لهواها هي المسماة بالصبر ومن البين أن الايمان الكامل بل نفس التصديق أيضاً يبقى ببقائه و يفتنى بفنائله فلذلك هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وفي طرق العامة والصبر نصف الايمان قال ابن الاثير اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نكس وورع فالنكس ما أمرت به الشريعة والورع ما نهت عنه وانما ينتهي بالصبر فكان الصبر نصف الايمان ، أقول الايمان الكامل نصفه متعلق بالباطن ونصفه متعلق بالظاهر وقوام الظاهر بالصبر فالصبر نصف الايمان .

٢- أبو علي الأشعري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن العلاء بن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .
 ٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، و علي بن محمد القاساني ، جميعاً ، عن القاسم ابن محمد الإصبهاني ، عن سليمان بن داود المتقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا حفص إن من صبر صبر قليلاً و إن من جزع جزع قليلاً ، ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك ، فإن الله عز وجل بعث محمد عليه السلام فأمره بالصبر والرفق ، فقال : « و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً و ذرني والمكذبين أولي النعمة » و قال تبارك وتعالى : « ادفع بالتي هي أحسن (السيئة) »

قوله (عن القاسم بن محمد الإصبهاني) قال عياض أصبهان سمعناه بفتح الهمزة وحكاية البكري بالكسر لا غير (ان من صبر صبر قليلاً و من جزع جزع قليلاً) نسب قليلاً أماً على المصدرية أو على الظرفية أي صبر صبراً قليلاً أو صبر زماناً قليلاً و هو زمان العمر أو زمان البلية فيه وفيه حث على الصبر لانه يوجب مع قلته راحة طويلة .
 (ثم قال عليك بالصبر في جميع أمورك) الجمع المضاف يفيد العموم خصوصاً مع لفظ الجميع فيدل على ان الانسان في كل ما يسدر منه من الفعل والترك والمقد و كل ما يرد عليه من المصائب و النوائب من قبله تعالى أو من قبل غيره يحتاج الى الصبر اذ لا يمكنه تحمل ذلك بدون جهاده مع النفس والشیطان و ثباته في مقام المجاهدة بالصبر و حبس النفس عليه قال أمير المؤمنين «ع، الصبر شجاعة» .

(و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً) أمره بالصبر على تكذيبهم و بالهجر عن ذواتهم أو عن مخاصمتهم ، وفيه ترغيب في حمل النفس على الصبر و المجاهدة لتخلص من عداوة الخلق و الغضب عليهم و شهوة الدنيا و الاشتغال بغيره تعالى ، و الهجر الجميل هو ان يجانبهم و يداريهم و لا يكافئهم و يكل أمرهم الى الله كما قال ،
 (و ذرني و المكذبين أولي النعمة) أي ذهني و اياهم فاني اجازيهم في الدنيا و الآخرة و أولي النعمة سناديد قريش وغيرهم .

(و قال تبارك تعالى ادفع بالتي هي أحسن) قال هز وجل « و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » قال بعض المفسرين صبر الله تعالى بهذه الآية رسوله «ص» على سفاقة الكفار و علمه الادب الجميل في باب الدعاء الى الدين بل في مطلق امور -

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقبها إلا الذين صبروا وما يلقبها إلا ذو حظ عظيم ، فصبر رسول الله ﷺ حتى نالوه بالعظام ورموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عز وجل : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » ثم كذبوه ورموه ، فحزن لذلك ، فأنزل الله عز وجل : « قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

التمدن ، ودلاء زائدة لتأكيدني الاستواء والمعنى لاساواة بين الحسنة و السيئة بدأ يعنى بكسان نيست نيكي وبدى هر كز كالايمن والكفر والحلم والفضب والطاعة والمصيبة والالطف والعنف والعفو والاخذولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه كيف يصنع بالخبيث المودى قال وادفع بالتي هي أحسن السيئة ، أى ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن منها وهى العفو واسم التفضيل مجرد عن من معناه أو أصل الفعل معتبر فى المفضل عليه على سبيل الفرع أو المعنى ادفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن من العفو والمكافاة و تلك الحسنة وهى الاحسان فى مقابل الاساءة و معنى التفضيل حينئذ بحاله لان كل واحد من العفو والمكافاة أيضاً حسنة الا أن الاحسان أحسن منهما وهذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من أن دلاء غير مزبدة والمعنى أن الحسنة و السيئة متفاوتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن اذا اعترضك حسنتان فادفع بها السيئة ، مثاله رجل أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته .

(فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم) أى اذا فعلت ذلك صار عدوك مثل الولي الشفيق ، ثم مدح هذه الحصلة الكريمة و صاحب هذه السيرة الشريفة بقوله :

(وما يلقبها الا الذين صبروا) أى لا يعمل بهذه السجية العظيمة و هى العفو عن الاساءة أو مقابلتها بالاحسان الاكل صبار على تجرع المكاره .

(وما يلقبها الا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا تتأثر من الواردات الخارجة وقيل الحظ العظيم وقيل الثواب الجزيل .

(و لقد نعلم أنك يضيق صدرك) كناية عن الغم (بما يقولون) من الشرك والظلم فبك وفى القرآن والاستهزاء بك وبه .

(فسبح بحمد ربك) أى فزده ربك عما يقولون مما لا يليق به مثلباً بحمده فى توفيقك له أو فافزع الى الله فيما نابك من الغم بالتسبيح والتحميد فانهما يكشفان الغم عنك .

(و كن من الساجدين) للشكر فى توفيقك أو رفع غمك أو كن من المصلين فان فى الصلاة قطع الملائق عن الغير .

(قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون) قد للتحقيق و ضمير أنه للشأن (فانهم لا

بآيات الله يجحدون. ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتيتهم نصرنا، فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك و تعالى وكذبوه ، فقال : قدصبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولاصبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عز وجل "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب، فاصبر على ما يقولون" فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله ثم "بُشِّرَ في عثرته بالأئمة ووصفوا بالصبر، فقال: جل ثناؤه: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز وجل ذلك له ، فأنزل الله عز وجل "و تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون

يكذبونك) في الحقيقة. (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) قيل يجحدون مكذبين بآيات الله في الحقيقة ، فالباء لتضمين الجحود معنى التكذيب و وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن ظلمهم بسبب الجحود. (ولقد كذبت رسل) عظام أو كثير.

(من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) أي على تكذيبهم وإيذائهم ، فمصدرية وفيه تسلية له دس، و ترغيب في الصبر كما قال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل . (حتى أتيتهم نصرنا) بشارة بالنصر للصابرين كما قيل الصبر مفتاح الفرج (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) فيه أيضاً ترغيب للخلق بالصبر في جميع الأمور (وما مسنا من لغوب) أي تعب وأعياء.

(فاصبر على ما يقولون) أي على ما تقولونه اليهود من الكفر والتشبيه أو على ما يقوله المشركون من إنكارهم البعث فان من خلق العالم بلا أعياء يقدر على حصر الخلق والانتقام منهم . (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) دل على أن الصبر للجعل المذكور وإليه أشار أرسطو طاليس بقوله بالصبر على مضى السياسة ينال شرف الرئاسة (فشكر الله عز وجل ذلك له) شكر الله تعالى لعباده عبارة عن قبول العمل ومقابلته بالاحسان والانعام في الدنيا والآخرة. (و تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) أي مضت عليهم واتسلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين بسبب صبرهم على الشدائد وهي قوله «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض و نرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون».

(و دمرنا) أي أهلكنا دمره تدميراً، و دمر عليه بمعنى (ما كان يصنع فرعون وقومه)

وقومه وما كان يعرشون، فقال ﷺ إنه بشرى و انتقام ، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين فأنزل الله دأقنلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم و احصروهم و اقمدا لهم كل مرصد، و اقتلوهم حيث ثقتهموهم، فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ و أحبائه و جعل له ثواب صبره مع ما ادخله في الآخرة ، فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر [الله] له عينه في أعدائه ، مع ما يدخر له في الآخرة .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي محمد عبدالله السراج ، رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

٥- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبدالله ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان .

٦- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن علي بن

قبل هو القصور والعمارات و يحتمل الاعم (و ما كانوا يعرشون) قيل هو ما كانوا يرفسون من البنين كصرح هامن أو ما كانوا يعرشون من الجنات و يحتمل الاعم ، يقال عرش يعرش أى بنى بناء من خشب (و احصروهم) من الدخول فى المسجد الحرام أو الاعم منه ومن السير فى البلدان (واقعدوا لهم كل مرصد) أى كل ممر و طريق لئلا ينسلوا فى البلاد نصبه على الطرف من رصد رسداً و مرصداً أرقبه ، والمرصاد الطريق والمكان يوجد فيه العدو .

(و جعل له ثواب صبره مع ما ادخله فى الآخرة) أى جعل له ثواب صبره فى الدنيا بنصره و قتل عدوه وفى الآخرة بمزيد الزلفى والكرامة و رفع الدرجات ، و هذا معنى شكره للصابرين ، و من ثم روى النصر مع الصبر ، وقيل : للصبر عاقبة محمودة الاثر .

(فمن صبر و احتسب) أى احتسب صبره على أذى الأعداء واعتده فيما يدخر عند الله و يثاب عليه ونوى به وجهه تعالى لا غيره ، والاحتساب بالعمل الاعتداد به و ارتقاب الاجر من الله تعالى (لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه فى أعدائه) أى يجعل الله عينه قارة باردة فى قتل أعدائه و خذلانهم ، و هذا كناية عن السرور لان دعة السرور باردة (مع ما يدخره فى الآخرة) من الاجر الجميل والثواب الجزيل كما فعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم .

النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله، إن نأبته نأبته صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وإن أسروقه وأستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حرَّيته أن استعبد وقهر وأسر ولم تضره ظلمة الحبِّ ووحشته وما ناله إن منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان [له]

قوله (قال سمعت أبا عبد الله وع) يقول إن الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله (الحرَّ تقيض العبد والمراد به هنا من نجي عن رق الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية و عن سلاسل الزهرات الدنياوية و توجهت نفسه القدسية الى مشاهدة الانوار الالهية والاسرار الربوبية وهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم الآية. ويتحملون في نيران الصبر على فقدان المألوف والمرغوب ويسبرون على أذى القوم وعدم وجدان المطلوب، وحالاتهم متفاوتة و يمود حال أعلاهم الى أن لو صار البحر مздаً والأشجار أقلاماً وعاش الخلائق مخلصين يكتبون أشواقهم الى يوم التناد لا يستطيعون احصاء ما بهم من الاشواق المبرحة في فؤادهم ومن ثم قيل: من صبر صبر الاحرار نال من فيض الجبار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقال الله سبحانه وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. (ان نأبته نأبته) نأبه أمر ينوبه نوبة أصابه والنأبة النازلة والجمع نوائب (صبر لها) لتوجه قلبه اللطيف الى جمال الله تعالى و جلاله ولا يخطر غير الحق بباله فضلا عن أن يكون مخالفاً لطبعه ولو خطر وقتاً وذاق مرارته تحمل طلباً لرضاء.

(و ان تداكت) الدك الدق و في التفاعل مبالغة في الشدة والصولة (و استبدل بالسر يسراً) الظاهر أنه عطف على قهر ولا يتم الابتكاف لان ظاهره أن السر مدفوع و السر مأخوذ فلا يناسب الوصل و يمكن أن يكون عطفاً على قوله: د و ان تداكت، فيكون غاية للصبر وإشارة الى ما يترتب عليه. وفي بعض النسخ «واستبدل بالسر عسراً» وهو واضح (لم يضر حرَّيته أن استعبد وقهر وأسر) يعنى هذه الصفات الشاقة الكريمة على النفوس البشرية لم تدفع حرَّيته أى توجه قلبه الى الله و سبره في الله على تحمل ثقلها. (ولم تضره ظلمة الحبِّ و وحشته وما ناله أن من الله عليه) الظاهر أن قوله د و ما ناله عطف على ظلمة الحبِّ و لعل المراد به نوائب الزمان وجور الاخوان و أن قوله وان من الله عليه، بتقدير اللام أى لان من الله عليه فيكون تعليلاً لقوله لم يضر في الموضعين وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون مبتدأ وخبراً، والجملة عطف على لم يضر أو يكون قوله د وما ناله عطفاً عليه وما بعده بياناً لما بتقدير من أو يكون الواو بمعنى مع و

مالكاً، فأرسله ورحم به أمة، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبد الله ابن بكير، عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة مخوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم مخوفة بالذنات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن مرحوم، عن أبي سيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه

فاعل نال حينئذ يوسف دح، والماتى من العتو وهو التجبر والتكبر والتجاوز عن الحد والمراد بارساله ارساله الى الخلق نبياً و برحم الامة به نجاتهم من العقوبة الابدية بايمانهم به او عن القحط والجوع لحفظه ما ذكره السنة القحط وادخاره لهم والله أعلم.

(و كذلك الصبر يعقب خيراً) أى كما ان صبر يوسف دح، اعقب خيراً عظيماً له كذلك صبر كل احد يعقب خيراً له و من ثم قيل اصبر تظفر و قيل

انى رأيت وللأيام تجربة
للمصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى امر يطالبه
فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

(فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا) توطئ النفس على الصبر كناية عن لزومه فان لزومه توجب الاجر الثام فى الآخرة و دفع المكروهات و اعتساب الخيرات فى الدنيا.

قوله (قال الجنة مخوفة بالمكاره والصبر - الخ) الحديث متفق عليه بين الخاصة و العامة روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله «ص» و حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات، وهذا من بدیع الكلام وجوامع و من التمثيل الحسن و أحفاف الشىء جوانبه و المقصود انه لا يوصل الى الجنة الا بتخطى المكاره والصبر عليها ولا يوصل الى جهنم الا بتخطى الشهوات والمرور عليها والاطمينان بها و يدخل فى المكاره الجسد فى العباداة والصبر على مشاقها و كظم الغيظ والصبر على الشهوات ويدخل فى الشهوات جميع المحرمات كالزنا و شرب الخمر والفيبة و أمثالها، و أما المباحات فلا يدخل فيها ولكن يكره الاكثار منها لانها قد تنفسى القلب و تجر الى الرغبة فى الدنيا بل قد تجر الى المحرمات.

قوله (اذا دخل المؤمن فى قبره كانت الصلاة عن يمينه - الخ) دل ظاهره على تجسم

والزكاة عن يساره والبرء مظل عليه ويتحنى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسأله قال الصبر للصلاة والزكاة والبرء: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه.

٩- علي، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي [وأمتي] وأخي وأخشي أن أكون قد وُجِلْتُ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً، والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد

الاعمال والاخلاق والروايات الدالة عليه وعلى تجسم الاعتقادات أيضاً كثيرة فلا ينبغي انكاره وحمله على التمثيل (١) ولسان الحال وإن أمكن .

(فان عجزتم عنه فأنا دونه) فالصبر كما حمله صابر وكل شيء من الحسن حسن. قوله (وأخشي أن أكون) قد وُجِلْتُ الخشية والخوف والوجل الفزع وخلاف الصبر (عليك بتقوى الله والصبر) أمر بالصبر عند المصيبة والاجتناب عن الشكاية وغيرها مما يوجب نقص الإيمان أو زواله وهما من أعظم الخصال ولذلك جمعهما الله تعالى في قوله **وإن تصبروا وتنفقوا فإنا ذلك من عزم الأمور** .

(١) قوله «فلا ينبغي انكاره وحمله على التمثيل» يعني انكار أصل ورود الخبر لان الروايات الدالة عليه فوق حد الاحصاء ولعله متواتر معنى. واما حمله على التمثيل ولسان الحال فمجاز بعيد لا يذهب اليه بغير قرينة ولو بنينا على التأويل لهدم أكثر الأصول والمعجب ان المجلسي الثاني - رحمه الله - انكر تجسم الاعمال مطلقاً في بعض كتبه مثل حق اليقين ولكن والده - رحمه الله - في شرح من لا يحضره الفقيه أثبت حقيقته ولا استبعاد في أن يكون لكل مهية في كل عالم سورة كالمعلم في صورة اللبن على مائتة في موضعه، فان قيل ألا تحمل قوله تعالى «إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر» على التمثيل لان الصلاة لا تتكلم الا بلسان الحال وقوله «أن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» وان منها لما يشقق فيخرج منها الماء وان منها لما يهبط من خشية الله» وقوله «يتغيروا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله» كذلك تحملها على التمثيل لان الحجارة لا تتأثر بالوعظ وظل الاشياء لا يسجد الا ان حالتها تشبه السجدة والتأثر قلنا بينهما فرق لان الايات بيان حال الاجسام في هذا العالم المحسوس واما تجسم الاعمال ففي عالم آخر واختلاف الصور في المواليم المختلفة غير بعيد نعم يتوقف ذلك على اثبات تجرد الخيال وهي حافظة الحس المشترك للنفس وبقائها بعد فساد البدن ولعلنا نبين ذلك ان شاء الله تعالى (ش)

فاذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سماعة ابن مهران، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي: ما حبسك عن الحج؟ قال قلت: جعلت فداك وقع علي دين كثير وذهب مالي، وديني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهب مالي، فلولا أن رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج، فقال لي: إن تصبر تغتبط وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره، راضياً كنت أم كارهاً.

١١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن الأصبع قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الصبر صبران: صبر عند المصيبة،

(تقدم عليه غداً) بعد الموت والقيامة (والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد) المراد بالأمور الأمور المطلوبة شرعاً سواء كانت أفعالاً أو تركاً أو عقايد أو أخلاقاً ولو فارقها الصبر لفسدت بفلبة الشيطان على العقل اذ لو لم يكن للعقل صبر في محاربه لا نهزم في أول صولته وإذا انهزم فسدت تلك الأمور كلها.

قوله (ان تصبر تغتبط وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً) الاغتباط مطاوع غبط تقول غبطته ما نال أغبطه غبطاً و غبطة فاغتبط هو كقولك منمته فامتنع و الغبطة أن تمنى حال المهبوط لكونها في غاية الحسن والكمال من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد و حال الصابر في غاية الكمال كما نقل عن بعض الأكابر قال يقول الله تعالى ولو أن ابن آدم قصدني في أول المصائب لرأى مني العجايب ولو انقطع الى في أول النوائب لشاهد مني الثرائب ولكنه انصرف الى أشكاله فرد في أشدائه ثم الغبطة اما في الآخرة بجزيل الاجر أو في الدنيا بتبديل الضراء بالسراء و ذلك لان شدة المصائب وتداخل بعضها في بعض دليل على قرب الفرج كما قال أمير المؤمنين «ع» وأضيق ما يكون الحرج أقرب ما يكون الفرج ثم ان الله تعالى ينفذ مقاديره على نحو ما أراد فان كنت راضياً صابراً كان لك أجر الراضى الشاكر، و ان كنت كارهاً ازدادت مصيبتك فان فوات الاجر مصيبة أخرى والكراهة الموجبة لحزن القلب و تألمه مصيبة عظيمة و من ثم قيل المصيبة للصابر واحدة و للمجازع اثنتان. أقول بل له مصيبات أربع الثلاثة المذكورة و شامنة الاعداء، و من ثم قيل الصبر عند المصيبة مصيبة على الشامت.

قوله (قال أمير المؤمنين «ع» الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك) سواء كان فعل القلب كالمعجب والتكبر و

حسنٌ جميلٌ ، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عزّ وجلّ عليك ، والذي ذكر ذكران: ذكر الله عزّ وجلّ عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك، فيكون حاجزاً.

١٢- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن العزرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالغصب والبخل ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدقةً يقاً ممن صدق بي.

١٣- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن إسماعيل بن مهران، عن درست بن أبي منصور، عن عيسى بن بشير، عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما حضرت أبي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بني أوصيك

غيرهما من الاخلاق الذميمة أو فعل الجوارح كالزنا والغيبة وأمثالهما والصبر باعتبار المتعلق أقسام متكررة متفاوتة ، منها الصبر على الفقر بأن يربط نفسه على رضا تعالى و يرضى به ولا يقول ما يسخطه، ومنها الصبر على الغنى بأن يصير على أداء الحقوق المالية و يترك البطر والفرح على انفاق الأزواج والأولاد والخدم من غير اقتار ولا اسراف ، و منها الصبر على ما يأتي به باختياره من فعل الطاعات و ترك المنهيات بأن يذكر الله تعالى عند كل أمر و نهى فيأتي بما فيه رضا . و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره أصلاً كالمصائب والنوائب النازلة عليه من قبله تعالى بأن يحبس نفسه عليه من غير اضطراب ولا شكاية و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره وله اختيار في الاتيان بمثله مثل ضرب الغير و ظلمه عليه فإن الأولى أن يصبر أو يعفو عنه ولا يمامله بمثله كما قال تعالى مخاطباً للنبي ص «و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجرًا جميلاً» .

قوله (ولا الغنى الا بالغصب والبخل) كان ذكر الغصب على سبيل التمثيل أو اريد به الاكتساب من غير حل فيشمل الطرق الغير المشروعة كلها و في ذكر البخل معه إشارة الى أن أكثر الغنى محفوف بالذيلتين الجلب بالغصب و نحوه والحفظ بالبخل.

(و صبر على الذل وهو يقدر على العز) بنيل الملك بسبب القتل و التجبر فهو ناظر الى قوله «لا ينال الملك».

بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة و بما ذكر أن أباه أوصاه به يا بني "إصبر على الحق وإن كان مرًا".

١٤- عنه عن أبيه [عن يونس بن عبد الرحمن] رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام

قال : الصبر صبران صبر على البلاء ، حسن جميل ، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم .

١٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى قال : أخبرني يحيى بن سليم

الطائفي قال : أخبرني عمرو بن شمر اليماني ، يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله : الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة و صبر على الطاعة و صبر عن المعصية ،

فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين

الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين السماء إلى الأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله

له ستمائة درجة ما بين الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، ومن صبر عن

المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين تخوم الأرض

إلى منتهى العرش .

قوله (اصبر على الحق وإن كان مرًا) وقد اشتهر أن الحق مر لكونه ممسا

يستكرهه الطبع و يتقل عليه كالشيء المر ، و سر ذلك أن الحق وكل ما هو من أعمال الجنة

شاقة على النفوس و مرة في مذاقها لما فيها من مخالفة أهوائها و كسر أغراضها و منع لذاتها

و من ثم روى أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفس ، و اشتهر تجرع مرارة الدنيا لحلاوة

الآخرة بخلاف أعمال النار فانها سهلة على النفوس غير شاقة عليها لموافقة أهوائها و بلوغ

مراداتها ولذاتها من التمتع بأسباب الدنيا و استعمال الدعة والرفاهية .

قوله (الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وأفضل الصبرين الورع عن المحارم)

كان الصبر على الطاعة داخل في الصبر على البلاء لان الطاعات ابتلاء و يمكن ادراجها في

الورع عن المحارم لان ترك الطاعة حرام في الجملة والمزاد بالصبر على البلاء ترك الشكايه

الى الناس ورفض الجزع و ضرب اليد على الفخذ وامثال ذلك .

قوله (كما بين السماء إلى الأرض) التشبيه لبيان المقدار في نفس الامر أو لمجرد

اظهار الملو والرفعة (كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش) التخوم جمع التخم كالفلوس

جمع فلس وهو منتهى الأرض و في المصباح ، قال ابن الأعرابي : الواحد تخوم والجمع تخم

مثل رسول و رسل ، ولعل المراد بالعرش الفلك الأعظم ،

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه باسماعيل و قال: اقرأ المفضل السلام وقل له : إنا قد أصبنا باسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنا أردنا أمراً أو أراد الله عز وجل أمراً، فسلمنا لأمر الله عز وجل.

١٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

١٨- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عثمان بن مروان، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل أنعم على قوم، فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة.

١٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبان بن أبي مسافر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا» قال: اصبروا على المصائب.

و في رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صابروا على المصائب.

٢٠- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عيسى، عن

قوله (قال أمرني أبو عبد الله د) أن آتى المفضل وأعزيه باسماعيل) قيل الحاصل أن اسماعيل بن أبي عبد الله د مات والمفضل كان يحبه كثيراً و يقر بأمانته بعد أبيه فأرسل د، يونس بن يعقوب إليه بأن يصبره ويعزيه على موته كما أنه د صبر على موته فيندفع اعتقاده ويعتقد بأمانة ابنه موسى د.

قوله (من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد) البلاء مطلق و كأنه اريد به الفرد العظيم بقرينة عظيمة الاجر مع احتمال حمله على الاطلاق.

قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا) قد مر تفسيره في باب أداء الفرائض حيث قال د اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الائمة عليهم السلام ، والكل صحيح.

علي بن محمد بن أبي جيلة، عن جده أبي جيلة، عن بعض أصحابه قال: لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تنفطر البيضة على الصفا.

٢١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار وعبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «إني جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرصاً أعطيته بكل واحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرصاً فأخذت منه شيئاً قسراً [فصبر] أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضاها مني. قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم (فهذه واحدة من ثلاث خصال) ورحمة (اثنتان) وأولئك هم المهتدون» ثلاث، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً.

٢٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، عن يحيى بن آدم، عن شريك، عن جابر بن يزيد، عن أبي -

قوله (لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تنفطر البيضة على الصفا) التفطر التشقق من الفطر وهو الشق ومن لطف الله على المؤمن نزول البلاء عليه حين اتصافه بالصبر لينتاب بالثواب الجزيل والاجر الجميل ولونزل عليه وهو عار عن الصبر لا تكسر وفسد وفيه إيماء إلى أن المؤمن هو الصابر وغير الصابر ليس بمؤمن لأن الصبر رأس الايمان، فإذا ذهب الصبر ذهب الايمان ويتحقق الصبر بمنع النفس عن الجزع عند ورود المكروه، ومنع الباطن من الاضطراب ومنع اللسان من الشكاية ومنع الجوارح عن الحركات الغير الممتادة ولو تحقق مع هذه الامور الالتذاذ بالمكروه لكونه تحفة من الحبيب كان أفضل أفرادها وأكملها في الجزاء، ويمكن حمل قوله تعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات» وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» على هذه المرتبة الشريفة لانه أقرب إلى استرجاع انه ملك له تعالى ونشأ منه وانه يهلك ويمود اليه، فالظاهر أنه رضى بتصرفاته في نفسه أشد رضاء والتذاذ أكمل التذاذ، وجعل الرحمة خصلة ثانية، وطفها على الصلوات يدلان على أنها غير الصلوة مع أن المشهور أن صلواته تعالى عبادة عن الرحمة ويمكن حملها على نوعين من جنس الرحمة، والله أعلم.

جعفر عليه السلام قال: مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الفنى أكثر من مروءة الإعطاء.

٢٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: یرحمک الله ما الصبر الجمیل؟ قال: ذلك صبرٌ ليس فيه شكوى إلى الناس.

٢٤- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن أبي النعمان، عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليه السلام قال: من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز.

قوله (مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الفنى أكثر من مروءة الإعطاء) المروءة كمال الرجولية و الفاقة الحاجة و التعفف ترك السؤال عن الناس، والمراد بالفنى الفنى عنهم، و فى بعض النسخ «مرادة» بدل «مروءة» فى الموضعين، و نقل عن بعض الأفاضل أنه حك نقطة الفنى و هو المضبوط فى جميع النسخ و جعله العناء بالعين المهملة، و إنما كانت مروءة الصبر أو مرادته فى الحالات المذكورة أكثر و أزيد من مروءة الإعطاء أو مرادته لأنها على النفس أشق و أيضاً فيها انتظار الفرج منه تعالى، و فيه وجوه من المبادات الأولى عبودية الرب بالأعراض من الدنيا و زهراتها ، الثانى صدق التوحيد حيث يرى أنه لا يفرج ما به من ضرر الأهل ، الثالث تعلق أمله به لا بغيره . فأنزل كشف ضرره إليه لا إلى غيره ، الرابع عدم الشكاية منه إلى أحد ، و بالجملة أشرف الطاعات أن يوجه القلب همومه إلى مولاه و لا يتعلق بأحد سواه لعلمه بأنه لا يقدر على العطاء و المنع و الضر و النفع إلا هو .

قوله (ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس) ظاهره عموم الناس و هو الأولى و الأفضل، و يمكن أن يراد بهم أعداء الله تعالى لأن الشكاية إلى المؤمن جائز كما دل عليه قول أمير المؤمنين «ع» : «من شكى الحاجة إلى المؤمن فكانما شكاه إلى الله و من شكاه إلى كافر فكانما شكاه إلى الله» ، وذلك لأن المؤمن حزب الله فالشكاية إليه شكاية إلى الله و الكافر عدو الله فالشكاية إليه شكاية عن الله و الأول محمود و الثانى مذموم عقلاً و نقلاً .

قوله (من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز) لأن النائمة داء بدنى و مرض و روحانى دواؤها الصبر فمن لم يهيأ الصبر لها يعجز طبعه عن دفعها و عن حملها فيهلك بالجزع و الهم و من ثم قيل إذا وقع الإنسان فى البلية دواؤها الصبر فإن لم يصبر و جزع هلك.

٢٥- أبو علي الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنا صبرٌ وشيعتنا أصبر منا ، قلت : جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأننا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون .

(باب الشكر)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب ،

قوله (أبو علي الأشعري) الظاهر أنه أحمد بن إدريس القمي الثقة ، وفي بعض النسخ أبو عبد الله الأشعري وهو حسين بن محمد بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي الثقة .

قوله (أنا صبر وشيعتنا أصبر منا) صبر - بالضم والتشديد - جمع صابر كطلب جمع طالب وفيه دلالة على أن الصبر على شيء لا يعلم الصابر حقيقة ما يصل إليه من تحمله أعظم من الصبر عليه مع العلم بحقيقته لا يرى أن صبر من أتى إلى الحب على ما لقيه من ظلمته ووحشته و غيرهما مع عدم علمه بما يؤول إليه حاله أعظم من صبر من أتى فيه مع علمه بسبب اخبار مخبر صادق كجبرئيل دج ، أو غيره بأنه سيخرج و يملك سلطنة العباد كيوسف الصديق دج ، وهذا مما لا ينبغي انكاره ولكن كون الثواب المترتب على ذلك الصبر أعظم محل تأمل .

قوله (الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب) في المصباح طعمته أطعمه طمعا بفتح الطاء و يقع على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشيء ، وفي التنزيل دو من لم يطعمه فإنه مني . وعلى هذا فالطاعم يصدق على الأكل والشارب ، والاحتساب الاعتداد و فلان احتسب عمله إذا نوى به وجه الله لان له حينئذ أن يستد ، وفيه دلالة على أن الشكر على الأكل والشرب مثل الصوم في الأجر ، وقال المحقق الطوسي الشكر أشرف الأعمال وأفضلها ، وأعلم أن الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية وله أركان ثلاثة الأولى معرفة المنعم و صفاته اللايقة به ومعرفة النعمة من حيث أنها نعمة ولا تتم تلك المعرفة إلا بان يعرف أن النعم كلها جليها وخفيها من الله تعالى و أنه المنعم الحقيقي و أن الاوساط كلها متقادون لحكمه مسخرون لامره . الثاني الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي الخضوع و التواضع والسرور بالنعم لامن حيث أنها موافقة لفرض النفس فان في ذلك متابعة لهواها و اقتصار همه في رضاها ، بل من حيث أنها هدية دالة على عناية المنعم بك وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا إلا بما يوجب القرب منه ، الثالث العمل الذي هو ثمرة تلك الحال فان تلك الحال

والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبلى الصابر، و المعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع.

٢- وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن جعفر بن محمد البغدادي، عن عبد الله بن إسحاق الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكره، فإنه لازوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها

إذا حصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه، وهذا العمل يتعلق بالقلب و اللسان والجوارح أما عمل القلب فالتقصد الى تنظيمه وتحميده وتمجيده و التفكير في منامه و أفعاله وآثار لطفه والعزم على إيصال الخير والاحسان الى كافة خلقه، وأما عمل اللسان فإظهار ذلك المقصود بالتحنيد والتعجيد والتسبيح والتلهيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك، وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والثوق من الاستعانة بها في معيسته ومخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته ومشاهدة كتابه و علاماته واستعمال الاذن في سماع براهينه وآياته وقس عليهما سائر الجوارح و من ههنا ظهر أن الشكر من أشرف معارج السالكين و أعلى مدارج العارفين ولا يبلغ اليها الا من ترك الدنيا وراء ظهره وهم قليلون ولذلك قال الله سبحانه وقليل من عبادي الشكور.

(والمعافي الشاكر له - الخ) المعافي اسم المفعول من عافاه الله اذا سلمه من الاسقام والبلايا والمغاية اسم منه وهي أيضاً مصدر على فاعلة.

(والمعطي الشاكر له من الاجر كأجر المحروم القانع) المعطي أيضاً اسم مفعول وضمير وله راجع الى الاصطاء سواء كان من الله تعالى أو من غيره والقانع من القناعة وهي الرضا بما آتاه الله تعالى لا من القنوع و هو السؤال قال في المصباح قنع يقنع قنوعاً سأل و في التنزيل وواطمعوا القانع والمعتز، والقانع السائل الذي يطيف ولا يسأل. و قنعت به قنماً من باب تعب و قناعة رضيت به.

قوله (ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة) مثله في نهج البلاغة وما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر و يخلق عليه باب الزيادة، ودل عليه أيضاً الآية الكريمة وولئن شكرتم لازيدنكم، وقال بعض الاكابر من شكر القليل استحق الجزيل.

قوله (اشكر من انعم عليك) اما المقابلة بالمثل أو الثناء باللسان أو غير ذلك من أنواع التعظيم قال بعض الاكابر أن قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر.

إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن علي، عن علي بن أسباط، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن [أبي جعفر أو] أبي عبدالله عليه السلام قال: المعافي الشاكر له من الأجر ما للمبتلى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كالمحروم القانع.

٥- عنه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر و عن داود بن الحصين، عن فضل بن البقباق قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» قال: الذي أنعم عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن إليك؛ ثم قال: فحدث بدينه وما أعطاه

(فانه لازوال للنعماء اذا شكرت) بالاعطاء أو الاعتراف بها و معرفة قدرها أو المدح والثناء للنعم أو الايثان بالافعال والامتناع من الاعمال الموافقة لأوامره و نواهيها و من ثم قال صاحب بن عباد: الشكر قيد النعمة ومفتاح الزيادة.

(ولا بقاء لها اذا كفرت) بابتكارها أو استحقاقها أو بترك الامور المذكورة، يدل على ذلك قوله تعالى «ولئن كفرتم ان عذاباً لشديد» و زوال النعمة منه.

(الشكر زيادة في النعم) لان الشكر مع كونه نعمة اخرى سبب لتواتر النعم على الشاكر، و من ثم قال أمير المؤمنين (ع) «واذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر». (و أمان من الغير) أي من تبديل النعمة بالنقمة و تدهورها، وفي طرق العامة «من يكفر بالله يلتقى الغير» و هو بكسر الهمزة وفتح اليااء اسم من غير الشيء فتغير أي يلتقى تغير الحال و انتقالها عن الصلاح الى الفساد و غير الدهر أحداثه المفيرة و هذا لفظه خبر ومعناه نهى عن ارتكاب ما يزيل النعمة و يضادها من كفر انها و مقابلتها بسائر المعاصي الموجبة لتبديل النعمة وانكسار الحال.

قوله (قال الذي أنعم عليك بما فضلك) الظاهر أنه تفسير للنعمة للإشارة بأن المراد بها جميع ما أنعم الله على عبده من الدين والعلم والمال وغيرها والتحدث بها و افتشاءها شكر والمظهر لها شاكر كما أنه تعالى شاكر باعتبار أنه يظهر ما أودعه العبد من العبادة والاعمال الصالحة على الملائكة وخلص خلقه. والتحدث بها مع كونه عبادة مطلوبة قد يورث اقتداء الغير به واذاعة الشكر بين الخلق، وهذا انما هو مع الامن و أمان مع الخوف فالاعتصام على الشكر القلبي متعين.

(ثم قال فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه) الظاهر أن فاعل حدث رسول الله (ص) يعني أنه حدث الناس بآثار الرسالة من الاحكام الدينية والاخلاق النفسية وغير ذلك مما

الله و ما أنعم به عليه .

٦- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلاً، فقالت: يا رسول الله لم تنعبد نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً، قال: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى «طه» ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .

٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن حسن بن جهم، عن أبي اليقظان، عن عبيد الله بن الوليد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام أعطاه الله من نعم الدنيا والآخرة .

قوله (قال كان رسول الله «ص» عند عائشة ليلاً فقالت يا رسول الله لم تنعبد نفسك) كان عائشة (توهمت أن ارتكاب الاشق انما يكون لدفع المولم وطلب المغفرة من الذنوب فأجابها «ص» بقوله يا عائشة الا أكون عبداً شكوراً) يبنى أن ارتكاب الاعمال الشاقة لا يتعين أن يكون لذلك بل قد يكون من باب الشكر في مقابلة النعمة الغير المحصورة والاعتراف بالاحسان واستحقاق التنظيم وابرام العتيد وطلب المزيد و جلب الخيرات ورفع الدرجات واستحلاء العبادات فان ما يجد قائم الليل من اللذة في العبادة لا يوازنه بالدنيا وما فيها، وقال بعض أهل العرفان انا في لذة لو علمها الملوك لجادلونا عليها بالسيف ، و كأنه وجه ما يحكى عن كثير من السلف من الجهد والاكتثار في العمل مع أن ظاهر كثير من الاخبار أن الراجح هو التوسط .

قوله (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) إشارة الى قوله تعالى «انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» توجيهه على ما استفدناه من كلام أبي الحسن الرضا «ع» وكلام الشيخ في الاربعين أنه «ص» كان أعظم ذنباً من كل أحد عند مشركي مكة باعتبار أنه كان يدعوهم الى اله واحد وهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً وكانوا يقولون ان مكنه الله من بيته وحكمه من حرمه بينا انه نبي حق فلما فتح الله له مكة دخلوا في دين الله أفواجاً وأذعنوا بنبوته وتركوا عبادة الاصنام فنزلت الآية ومعناها انا فتحنا لك مكة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الهجرة وما تأخر بعدها الى أو ان الفتح بزعم مشركي مكة، وهذا الجواب بالنظر الى الآية أحسن مما قيل من أن المراد ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنب أمتك أو ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر منه أيضاً لانه لا يصح تعليل الفتح بغفران الذنب الا بتكليف بعيد كان يقال لما كان الفتح متضمناً لجهاد صريح بهذا الاعتبار جعله سبباً لغفران الذنب المتقدم والمتأخر ، ولا يخفى بعده ، و أما الجواب

يقول : ثلاث لا يضر معهن شيء : الدماء عند الكرب و الاستغفار عند الذنوب و الشكر عند النعمة .

٨ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أعطي الشكر أعطى الزيادة ، يقول الله عز وجل : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

٩ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن إسحاق بن عمار ، عن رجلين من أصحابنا ، سمعا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يأمر له بالمزيد .

١٠ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن محمد بن هشام ، عن ميسر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر قول الرجل : الحمد لله رب العالمين .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عيسى ، عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل عليها .

المذكور فاستقامة التعليل مما لا ريب فيه (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب ، والشقاء شائع بمعنى التعب والشدة والعسر .

قوله (ثلاث لا يضر معهن شيء الدماء عند الكرب) لان الدماء يدفع الكرب و يوجب زواله و الاستغفار يوجب محو الذنوب و السيئات و تبدلها بالحسنات . و الشكر على النعم يوجب عدم الاستدراج بها و عدم زوالها و تبدلها بالنعم بخلاف كفرانها و مقابلتها بالمعاصي فانه يوجب زوالها و النعمة تقع على ما يتمتع به فى الدنيا و على العلم و العمل و الاخلاص و المجاهدات النفسانية و كسر القوة الشهوية و الفسبية و غيرها .

قوله (فعرفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه) أى تصورها و صدق بأنها من الله و فيه اشعار بان الزيادة و فوريته تترتب على الشكر القلبي و اللسانى معاً .

قوله (قال شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر - الخ) دل على أن اجتناب المحارم شكر لنعمائه تعالى و أن الحمد لله رب العالمين فرد كامل من الشكر لانه شكره على جميع

١٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حد؟ إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال: نعم قلت: ما هو؟ قال: يحمدا لله على كل نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حق أداه، ومنه قوله جل وعز: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين» ومنه قوله تعالى: «رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين» وقوله: «رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً».

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن صلوات الله عليه يقول: من حمدا لله على النعمة فقد شكره و كان الحمد أفضل [من] تلك النعمة.

١٤- محمد بن يحيى، عن أحمد، عن علي بن الحكم، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله إلا أدنى شكرها.

١٥- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي مهزيار، عن القاسم بن-

كمالاته الذاتية والفعلية مثل التربية والاحسان والانعام وغيرها.

قوله (يحمدا لله على كل نعمة عليه في أهل ومال) يحتل الاجمال والتفصيل وقوله «وفي ماله» يدل عن قوله «فيما أنعم الله عليه» وهو يدل على أن أداء الواجبات المالية شكر لنعمة المال (ومنه) أي من الشكر.

(قوله تعالى وسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي مطيقين يقال أقرنت الشيء أقرناً أطلقته وقويت عليه ويقال هذا عند الاستواء على الدابة (وقوله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) أي أدخلني في القبر أو في مكان أو أمر أو الألام ادخلا مرضياً وأخرجني منه عند البعث أو الألام منه ومما ذكر اخراجاً مقروناً بالكرامة. (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) أي حجة تنصرنى على مخالفتي أو ملكاً ينصر الاسلام على الكفر. قوله (و كان الحمد أفضل من تلك النعمة) لعل المراد أن الحمد نعمة أفضل من تلك النعمة، ففيه تنبيه على أن العبد لا يقدر على شكر النعمة حق الشكر، أو المراد أن الحمد باعتبار أنه يوجب القرب منه تعالى والوصول إلى محل كرامته أفضل من تلك النعمة لنقصان أثرها بالنسبة إلى أثر الحمد.

عنه، عن إسماعيل بن أبي الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدى شكرها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة، ثم قال: إنه ليأخذ الماء فيضعه على فيه فيسمى ثم يشرب فينحبه وهو يشتهي فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحبه فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحبه فيحمد الله، فيوجب الله عز وجل بها له الجنة.

١٧- ابن أبي عمير، عن الحسن بن عطية، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني سألت الله عز وجل أن يرزقني مالاً فرزقني وإنني سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني ولداً، وسألت أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً، فقال: أما - والله - مع الحمد فلا.

١٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان قال خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره، قال: فما لبث أن أتى بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل:

قوله (من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها) المراد بمعرفتها معرفتها مضافة إلى المنعم ومن عرفها كذلك وإن كانت صغيرة وعرف قدرها فقد أدى شكرها، هذا شكر قلبي وهو فرد من الشكر، وقيل نظر العبد إلى من دونه لا إلى من فوقه شكر لما أنعم الله عليه وبالعكس كفران، وذلك لأن الإنسان إذا نظر إلى من دونه عرف قدر نعمته عليه وهذا شكر لها مع أنه يفضي إلى الشكر أيضاً وإذا نظر إلى من فوقه طلب اللحاق به فازدري ما أنعم الله عليه واحتقرها وهو كفران.

قوله (إنه ليأخذ الماء فيضعه على فيه فيسمى) دل على أن الشرب ينبغي أن يكون ثلاث مرات وأن يكون التسمية في أول مرة والحمد بعد كل مرة وبعض الروايات دل على أن التسمية في أول كل مرة.

قوله (وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً) في الصباح استدرجته أخذته قليلاً قليلاً وفي المساء استدرجه خدعه، واستدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئته جدد له نعمة وأنساء الاستغفار أو أن يأخذ قليلاً قليلاً ولا يبالغه.

جعلت فداك أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعي قلت: الحمد لله ؟

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن المثنى الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمرٌ يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمرٌ يفتّم به قال: الحمد لله على كلِّ حال.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل، قال: من قال ذلك

قوله (كان رسول الله ﷺ) إذا ورد عليه أمر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة وإذا ورد عليه أمر يفتّم به قال الحمد لله على كلِّ حال (أى على حال الصحة والبلى والنعمة لأن كل ذلك مصلحة ينهى الحمد عليها وفيه مع ذلك إشارة إلى أنه لكونه كاملاً في ذاته و صفاته مستحق للحمد أحسن أولم يحسن، وإلى أن نظر الخادم ينهى أن يكون إليه لا إلى منافع نفسه فينبى الشكر على البلاء كما ينهى الشكر على النعماء لأن كل بلاء غير الكفر والمعصية خير للمبد، قال الفزالي في كل بلاء خمسة أنواع من الشكر الأول يمكن أن يكون دافعاً أشد منه كما أن موت دابته دافع لموت نفسه، فينبى الشكر على عدم ابتلائه بالأشد، الثاني البلاء أما كفارة للذنوب أو سبب لرفع الدرجة فينبى الشكر على إزالة تلك الذنوب ورفع الدرجة، الثالث أن البلاء مصيبة دنيوية فينبى الشكر على أنه ليس مصيبة دينية، وقد نقل أن عيسى وع مر على رجل أعمى مجذوم مبروس مفلوج فسمع منه يشكر ربه ويقول الحمد لله الذي عافاني من بلاء ابتلى به أكثر الخلق، فقال وع ما بقي من بلاء لم يصبك. قال عافاني من بلاء هو أعظم البلاء وهو الكفر فمسه وع، فشفاه الله من تلك الامراض وحسن وجهه فصاحبه وهو يعبد معه، الرابع أن البلاء كان مكتوباً في اللوح المحفوظ وكان في طريقه لا محالة فينبى الشكر على أنه مضى ووقع خلف ظهره. الخامس أن بلاء الدنيا سبب لثواب الآخرة وزوال حب الدنيا عن القلب فينبى الشكر عليها.

قوله (إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه) لئلا يكسر قلبه ولا يحزنه والظاهر من المبتلى المبتلى بالبلاء المعروف ويمكن حمله على الأعم منه فيشمل المبتلى بالمعصية لأن

لم يصبه ذلك البلاء أبداً.

٢١- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن حفص الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عبد يرى مبتلى فيقول: «الحمد لله الذي عدل عني ما ابتلاك به وفضلني عليك بالعافية، اللهم عافني مما ابتليته به إلا لم يبتل بذلك البلاء».

٢٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيت الرجل وقد ابتلى وأنعم الله عليك فقل: «اللهم إني لأسخر ولأأفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي». ٢٣- عنه، عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعواهم، فإن ذلك يحزنهم.

٢٤- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ كان في سفر يسير على ناقه له، إذ نزل فسجد خمس سجرات فلما أن ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عز وجل، فسجدت لله شكراً لكل بشري سجدة.

٢٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن يونس بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر أحدكم نعمة الله عز وجل فليضع خده على التراب، شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خده على التراب وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة، فليضع خده على قربوسه وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه.

٢٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن هشام ابن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله

المعصية بلاء عظيم إلا أن قوله «من غير أن تسمعه» لا يلائمه.

قوله (إذا رأيت الرجل وقد ابتلى) أي قد ابتلى بالفقر أو السقم أو غيرها اللهم إني لأسخر أي لأستهزئ، سخر منه وبه كفرح هزى.

عن دابته ، فخر ساجداً ، فأطال وأطال ، ثم رفع رأسه وركب دابته ، فقلت : جعلت فداك قد أطلت السجود ؟ فقال : إنني ذكرت نعمة أنعم الله بها علي ، فأحببت أن أشكر ربي .

٢٧- علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي عبد الله صاحب السابري فيما أعلم أو غيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى أشكرني حق شكري ، فقال : يا رب وكيف أشكرك حق شكري وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني .

٢٨- ابن أبي عمير ، عن ابن رئاب ، عن إسماعيل بن الفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات : اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو غافية من دين أو دنيا فمذكرك ، لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب .

(يا موسى أشكرني حق شكري فقال يا رب) تقول أديت حق فلان إذا قابلت أحسانه بأحسن مثله ، والمراد هنا طلب أداء شكر نعمته على وجه التفصيل وهو لا يمكن من وجوه الاول أن نعمه غير متناهية لا يمكن احصائها تفصيلاً فلا يمكن مقابلتها بالشكر ، الثاني أن كل ما تقاطع مستنداً الى جوارحنا وقدرتنا من الافعال فهي في الحقيقة فيه نعمة وموهبة من الله تعالى وكذلك الطاعات وغيرها نعمة منه فتقابل نعمته بنعمته ، الثالث أن الشكر أيضاً نعمة منه فمقابلة كل نعمته بالشكر يوجب العجز والتسلسل وهو غير مقدور للعبد وقول موسى وع ، يا رب كيف أشكرك حق شكري الى آخره ، يحتمل الوجهين الآخرين وروى أن هذا الخطر خطر لدوده وع ، أيضاً فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني ، واما ما يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله فمبنى على ان التكليف تسمى حقوقاً له و ذلك الاداء في الحقيقة من أعظم نعم الله تعالى على عبده قال الله عز وجل يمينون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمين عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين .

قوله (اللهم ما أصبحت بي من نعمة) الاصباح الدخول في الصبح وقد يراد به الدخول في الاوقات مطلقاً وما الموصولة مبتدأ والمائد اليه مستقر في الظرف والظرف هو دسى ، مستقر حال عن الموصول أي متلبساً بي و من نعمة ، بيان له ودمذك ، خبر له والفاء لتضمن

حتى ترضى وبعد الرضاء فانك إذا قلت ذلك كنت قد أدت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة .

٢٩- ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسمي بذلك عبداً شكوراً ، و قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صدق الله نجا .

٣٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة، عن عمار الدقني قال : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : إن الله يحب كل قلب حزين و يحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلاناً ؟ فيقول: بل شكرتك يارب ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثم قال: أشكركم الله أشكركم للناس .

الموصول بمعنى الشرط بمعنى أن ما به من نعمة سبب للحكم بكونه منه تعالى . وفيه دلالة على أن الشكر الاجمالي يقوم مقام الشكر التفصيلي .

قوله (من صدق الله نجا) تصديقه في تكليفه عبارة عن الاقرار بها والاتباع بمقتضاها و في نعمائه عبارة عن معرفتها بالقلب ومقابلتها بالشكر والثناء .

قوله (أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يارب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره) لعل معناه أن الله تعالى لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال أحد الامرين بالآخر ، والحاصل أن من لم يشكر الناس كان كمن لم يشكر الله وان شكره ، وقيل معناه ان من كان في طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له ولا ينافي هذا الخبر ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : ولا يحمد حامداً الا ربه حيث قصر الحمد والثناء على الله لان المراد أنه مبدء كل نعمة يستحق بها الحمد و ان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بأن الغير يتحمل المشقة بحمل رزق الله اليك فالنهي عن الحمد للغير الله على أصل الرزق لان الرزق هو الله والترغيب في الحمد له على تكلف من حمل الرزق وكلفة ايصاله باذن الله ليعطيه أجر مشقة الحمل والايصال ، وبالجمله هناك شكران شكر للرزق وهو الله وشكر للحمل وهو للغير ويؤيده ما روى في طرق العامة ولا تحمدن أحداً على رزق الله ، وقيل النهي مختص بالخواص من أهل اليقين الذين شاهدوه رازقاً وشفلوا عن رؤية الوسائط فنهاهم عن الاقبال عليها لانه تعالى يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه والامر

(باب حسن الخلق)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن جميل ابن صالح، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً".

٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن رجل من أهل المدينة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

بالشكر مختص بغيرهم ممن لاحظ الأسباب والوسائط كالأكثر لأن فيه قضاء حق السبب أيضاً والتعميم أولى لأن الوسيلة في الخير أيضاً عزيز كما حبه ومستحق للشكر مثله وقد شكر الله عبده مع كمال غناه عنه فقال ونعم المبد أنه أوأب، وقال دانه كان صديقاً نبياً.

قوله (ان أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فإن الإيمان الكامل لا يتحقق إلا بتحقيق شروق الباطن بالمعارف الإلهية والعلوم الربانية والفضائل النفسانية واشتغال الظواهر بالأعمال الحسنة المرضية، وذلك يتفاوت بحسب تفاوت الجذبات الربوبية فمن كان ذلك الشروق والعلوم والاشتغال والفضائل فيه أتم كان إيمانه أكمل وظاهر أن جملة تلك الفضائل هي حسن الخلق وهو إنما يحصل من الاعتدال بين الإفراط والتفريط في القوة العقلية والشهوية والقوة الفضائية ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل والتودد والصلة والصدق واللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة والمراعاة والمواساة والرفق والحلم والصبر والاحتفال لهم والاشفاق عليهم، وبالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وحالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الأخلاق النفسانية واشتباك بعضها ببعض، ومن ثم قيل هو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة الناطقة كما أن حسن الخلق حسن الصورة الظاهرة وتناسب الأجزاء من الأنف والعين والحاجب والفم وغيرها إلا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا واختيارنا بخلاف حسن الصورة الباطنة فإنه من فيض الحق وقد يكون مكتسباً ولهذا تكررت الأحاديث على البحث به وبتحصيله في مواضع عديدة.

قوله (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) دل على أن الذواب والعقاب يتعلقان به كما يتعلقان بالأعمال الظاهرة بل قيل تعلقهما به أكثر من تعلقهما بهما وعلى أن الأخلاق توزن يوم القيامة، ولعل المراد أنها توزن بمد تجسيمها في تلك النشأة وهو المشهور بين أهل الإسلام وعليه الروايات المتكثرة وقيل وزنها كناية عن التسوية والمدل لأن الأعراض لا يعقل وزنها، وقال الشيخ : العرض في هذه النشأة قد يتجسم في

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد الحنط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أربع من كن فيه كمل إيمانه وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك ، [قال] وهو الصدق و أداء الأمانة والحياء وحسن الخلق ، ٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن محبوب ، عن عنبسة العابد قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه .

٥- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن ذريح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم .

٦- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق . ٧- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حسين الأحمسي وعبد الله ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث

الآخر و بسط الكلام في توجيهه في الأربعين .

قوله (أربع من كن فيه) أى خصال أربع فأربع خلف من موصوف وهو المصحح للإبتداء بها وجملة الشرط بعده خبره (وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً) مبالغة في كثرة ذنوبه أو كناية عن تجسمه منها أو عن صدورهما من كل جارحة من جوارحها وحملها على الصفات محتمل كحملها مطلقاً .

قوله (وهو الصدق و أداء الأمانة) هذه الأربعة أعنى صدق اللسان أو جميع الأجزاء و أداء أمانة الخالق و الخلق والحياء المانع مما يذم وحسن الخلق معهم مائة من ارتكاب الذنوب وما حبة لما سبق منها كبيرة كانت أو صغيرة واحتمال تخصيصها بالصغيرة بعيد .

قوله (من أن يسع الناس بخلقه) و إن كان الناس يسيئون ، قيل لبعض الكرام قد اجترأ عليك خدمتك حتى أنهم ما يجيبون ندائك فقال : انى مثلت بين أن يفسدوا أو يفسد خلقي فوجدت فسادهم أهون على من فسادى .

قوله (أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله و حسن الخلق) لان بالتقوى يستقيم الامر مع الله و بحسن الخلق يستقيم النظام مع الناس وهما من أعظم الأسباب للدخول في الجنة لان صاحبهما طيب والجنة للطيبين .

قوله (ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد) الميث والموت

الشمس الجليلد.

٨- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالله بن سنان . عن أبي عبدالله

عليه السلام قال : البرُّ و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان في الأعمار .

الاذابة . مثل الشيء أميته و اموته - من بابى باع وقال - فانمات اذا ذقته و خلطته بالماء و أذبته و الجليد هو الماء الجامد من البرد ، و ذلك لان الحسن الخلق لكونه مستلزماً لكثير من الفضائل الظاهرة و الباطنة يظهر الظاهر والباطن من الاعمال القبيحة ، فانه يمنع اليد من الضرب و اللسان من الشتم و الفحش و القلب من الحقد والحسد و الكبر و قس على ذلك (١).

قوله (البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان في الاعمار) لانها من أعظم

(١) قوله في ص ٢٨٧ د بحسب تفاوت الجذبات الربوبية الانسان لا يجد بالادلة العقلية و البراهين العلمية أكثر من علم اجمالي بوجود الواجب تعالى و عرفان فيبي تعارضه الاوهام الكثيرة بخلاف ما اذا واجده بالكشف والشهود نظير ما يجد في نفسه من عشقه وشوقه وخوفه ورغبته و تقواه وفجوره ولذته وألمه الى غير ذلك من ملكاته وحالاته بحيث لا يشك في هذه الحالات من نفسه ولا يمارضه معارض من أوهامه كذلك يمكن أن يجد في نفسه ارتباطه مع عبده قادر قيوم حكيم وتعلقه به ويعرف في هذا التعلق صفاته تعالى وأسمائه وسائر ما يمكن له معرفته من المبدء عز وجل وبه يتم ايمانه ويكمل ويصير بمنزلة من رأى بعينه ويكلمه في خلواته ويؤنس في وحشته ولا يشك فيه كما لا يشك في جوعه وشبهه ولا يمارضه وهمه ولا يمكن الاتصال بالمبدء الا برفض الرغبة الى الدنيا فيترتب عليه ترك الحسد والبخل والحرس والسرقة والكذب والخيانة فان ارتكاب هذه وأمثالها ليس الا للدنيا وتحصيل المال أو الجاه وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه حتى يحب باحدهما الدنيا وبالاخر الله تعالى ، كما أن المستغرق في الدنيا يترك الله لامحالة والمستغرق في حبه تعالى يترك الدنيا اذا تعارضاً . (ش)

قوله أيضاً في ص ٢٨٧ د بل قيل تعلقها به أكثر ، هو الظاهر من أحاديث هذا الباب والمجيب ان الناس تركوا علم الاخلاق والعمل بما يقتضيه هذا العلم واقتصروا على الاعمال الظاهرة وظنوا انحصار السعادة الاخرية فيها ولا يهتمون بتزكية النفوس من مهلكاتها عشر ما يهتمون بازالة النجاسات عن أنوارهم وهو من مضلات الفتن وقال الله تعالى د يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال د ان ينال الله لحوماً ولادماً ولكن يناله التقوى منكم ، وقال تعالى د و نفس ما سويها فالهمهما فجورها وتقويها قد افلح من زكيا وقد خاب من دسيا ، ولكن اقبالهم على الفقه انما هو لتقرب مسائله من المحسوسات وكونها أقرب الى الفهم والعمل ، ويظهر العدالة والفسق بالاعمال الظاهرة دون الملكات . والحقائق المالية يحفظ بالفقه ويطلب باحكامه ولذلك ظنوا احتياجهم الى الفقه أشد من علم الاخلاق . (ش)

٩- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد قال : حدثني يحيى بن عمرو ، عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أوحى الله تبارك و تعالى إلى بعض أنبيائه عليه السلام الخلق الحسن يميث الخطيئة ، كما تميث الشمس الجليد.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي الوشاء عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله ما يعمل حديدنا في الأرض، فكأنما نضرب به في الصفا، فقال : ولم إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتوني بقدر من ماء، فأتوه به، فأدخل يده فيه ، ثم رشه على الأرض رشا ثم قال : احفروا، قال : حفر الحفاريون، فكأنما كان رملا يتهايل عليهم.

١١- عنه ، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه، فمنه سجية ومنه نية، فأيتهما

أسباب العشرة والخلطة والتعاون و ذلك يوجب تمير الديار و البلاد، وأما أنهما يزيدان الأعمار فبالخاصية أو باعتبار (١) دعاء كل لكل أو باعتبار أنهما يوجبان رفع المدواة الموجبة للقتل والفساد.

قوله (ان كان صاحبكم لحسن الخلق) ان مخففة بدليل اللام في خبر كان وليس للشرط ودايتوني، جزاء بل هو ابتداء كلام. فكانما كان رملا يتهايل عليهم أى يصب عليهم من هلت الدقيق في الجراب هبلا من باب ضرب صبيته. وقال أبو زيد هلت من الثراب صبيبة بلارفع اليدين. و يقرب منه قول الازهرى هلت الثراب الرمل وغير ذلك اذا أرسلته فجري، و بعضهم يقول هلت الرمل حركت أسفله فسال من أعلاه.

قوله (ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه) المنيحة والمنحة العطية والمنح

(١) قوله وفيها لخاصية او باعتبارها، والظاهر أن طول العمر بسبب أن شراسة الطبع وسوء الخلق يوجبان هيجان الروح وقلق النفس واضطراب القلب وامراض الاعصاب والدماغ و ربما يوجب شدة الغضب فجاء أو سكتة. (ش)

أفضل؟ فقال: صاحب السجية، هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً، فهو أفضلهما.

١٢- و عنه^١، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي^{*}، عن عبد الله بن إبراهيم عن علي بن أبي علي^{*} اللهبي، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: إن الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يفتدو عليه ويروح.

الاصطاء فمنه سجية ومنه نية، السجية الخلق والطبيعة والنية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نويته أنويه أي قصدته، والاسم النية مثقلة والتخفيف لغة. وهذا صريح في أن الخلق منه طبيعي عزيزي خلقه الله في بدء الفطرة ومنه مكتسب بأن يثمرن عليه حتى يصير كالغريزة فبطل قول من قال أنه غريزة لا مدخل للاكتساب فيه (١) وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما يشير إليه قول أمير المؤمنين (ع) و و عود نفسك الصبر على المكروه فتمم الخلق التصبر وفيه إشارة إلى الصبر المكتسب والترغيب فيه؛ والمراد بالتصبر مشقته بتكليف تحمل الصبر لكونه غير خلقي وهو محمود عند الخالق ومشكور لدى الخلائق وليس المراد به اظهار الصبر مع عدم اتصافه به اذ لا يحصل له.

قوله (قال إن الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله) لا اشتراكهما في حفظ نظام الخلق ورعاية حقوق أهل الإيمان وأصل الجهاد مع النفس والعدو.

(يفتدو عليه ويروح) حال عن المجاهد أي يفتدو المجاهد على سبيل الله أي يذهب فيه أول النهار أو مطلقاً ويروح ويرجع أو يذهب في آخره أو مطلقاً، والمقصود أن ثواب العبد في حسن خلقه مثل ثواب هذا المجاهد الساعي في الجهاد المستمر فيه، وفي الصباح غداً غدواً من باب قعد ذهب غدوة وهي ما بين صلاة الصبح و طلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان وراح يروح رواحاً أي رجع كما في قوله تعالى و غدوها شهر و رواحها شهر أي ذهابها شهر و رجوعها شهر وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا في آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والدنو عند العرب يستعملان في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار قاله الأزهري وغيره، وعليه قوله (ع) ومن راح إلى الجمعة في أول النهار فله كذا أي ذهب.

(١) قوله لا مدخل للاكتساب فيه، والالزم الجبر والتكليف بما لا يطاق اذ أمر بنحوه

الحسن والفضائل و اوعد على القبايح. (ش)

١٣ - عنه ، عن عبدالله الحجتال ، عن أبي عثمان القابوسي ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم .
وفي رواية أخرى : لولا ذلك لما تروا ولياً لله إلا قتلوه .

١٤ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن العلامة بن كامل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل ، فإن العبد يكون فيه بعض التقصير من العبادة ويكون له حسن خلق ، فيبلغه الله به [حسن] خلقه درجة الصائم القائم .
١٥ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن حماد بن

قوله (أن الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً) أشار بالاعارة الى أن أخلاقهم (١) الحسنة لا تبقى بعد موتهم ولا تنفعهم فيما بعد . وإنما هي كالعارية فيهم لمصالح المؤمنين و حفظهم من غايلتهم .

قوله (فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل) كأنه يريد باليد العليا المنفقة أو المعطية فإن اليد العليا منفقة و المعطية واليد السفلى سائلة آخذة ، أو يريد بها اليد اليمنى فإن اليمنى أعلى من اليسرى في القوة ، وهي على التقديرين كناية عن حسن الخلق كما يشعر به التعليل .

(١) قوله و أشار بالاعارة الى أن أخلاقهم ، انما يبقى الملكات الحسنة مع النفوس بعد الموت اذا كانت راسخة فمن عمل حسناً أو أظهر فضيلة من الفضائل وقتاً و اعرض عنها في سائر أوقاته لم ينفعه شيء ، و اعلم أن الله تعالى هدى عقولنا الى أن سعادة الانسان في تحصيل الملكات الفاضلة لانه تعالى لم يجعل شوقاً في قلوب الانسان ولا رغبة في أوهام الحيوان ولا صفة من الصفات في شيء الا لمصلحة فيها فعمل المحبة في قلوب الامهات لحفظ الاولاد ، والنفرة من المعونات للنجس من الامراض و استحسان الماء والخضر لتعمير البلاد وازدياد الارزاق ، و الشهوة لبقاء النسل وكذلك هم الانسان استحسان الفضائل و تقبيح الرذائل فكل احد يميز بمقله العمل بين الحسن والقبح ويلوم الظالم والقاتل والسارق والزاني و يمدح المحسن السخي العفيف العادل وليس ذلك الخلق في الانسان عبثاً بل لابد أن يكون هذا يفيد فائدة كسائر غرائزه و ملكاته قال تعالى و نفس ماسويها فالهمها فجورها و تقويها ، أي اعطاها معرفة الحسن والقبح بمقله ولذلك مصلحة البتة وهي ما ذكره تعالى بقوله و قد أفلح من ذكرها وقد خاب من دسها . (ش)

عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن بحر السقا قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا بحر حسن الخلق يسر، ثم قال : ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة ؟ قلت: بلى ، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار و هو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات ، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك و فعل حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، لاتقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه ؟ قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه، [١] يستشفى بها ، فلمّا أردت أخذها رأيته فقام فاستحييت منه أن آخذها و هو يراني و أكره أن أستمره في أخذها، فأخذتها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن حبيب الخثعمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون

قوله (حسن الخلق يسر) أى سبب اليسر لان الناس مجبولون بحب من يلاقهم بحسن الخلق و رعايته. (ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة) الجملة صفة الحديث و دماء نافية.

قوله (فقام لها النبي و سر) حسن الخلق من صفات الانبياء والاولياء و افضلهم و اكملهم فى هذه الفضيلة هو نبينا و سر، ولذلك وصفه الله تعالى بقوله و انك لعلى خلق عظيم، فان تنكره مع وصفه بالمعظيم يدل على أنه فى علو قدره بحيث لاتصل اليه عقول البشر ولا يحوم حوله طائر الفكر والنظر.

(فأخذت هدبة من ثوبه) هدبة الثوب مما يلى طرته و القطعة منه مثال غرفة و ضم الدال للاتباع لغة.

قوله (الموطؤون أكنافاً) هذا مثل لمن لان طبعه و حسن خلقه و حقيقته من التوطية و التمهيد و التذليل، و فراش و طوى أى مذل ناعم لا يؤذى جنب النائم . و الاكناف جمع الكنف بالتحريك و هو الجانب و الناحية ، أراد الذين جوانبهم و نواحيتهم و طئة يتمكن منها من يصاحبهم و لا يتأذى بخلاف سبىء الخلق و المنكبر.

(الذين يألفون و يؤلفون) أى يأنسون بالناس و يحبونهم و يجتمعون معهم ، فى

أَكْنَفًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَتَوَطُّأَ رَحَالِهِمْ.

١٧- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله ابن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المؤمن مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف.

١٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

(باب حسن البشر)

١- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسن بن الحسين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر. ورواه عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام إلا أنه قال : يا بني هاشم.

المصباح الفقه ألفاً من باب علم آنت به وأحببته والاسم الالف بالضم والالف أيضاً اسم من الايلاف وهو الالتيام والاجتماع واسم الفاعل ألف مثل عالم والجمع الاف مثل كفار، وتوطأ رحالهم للزيارة أو الضيافة أو لقضاء الحاجة، ورحل الرجل منزله ومأواه وأثاث بيته وفيه ترفيب في حسن الخلق لانه موجب لذلك كما في قول أمير المؤمنين ع ، د أكرم الحسب حسن الخلق، و اما كان أكرم لانه أكثر فائدة وأوفر عائدة .

قوله (ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف) لان عدم الالف في أهل الدين يوجب أذاهم وتبددهم و تقاطعهم و تفرقهم فيه وتدابرههم و عداوتهم وكل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم بين المتقاطعين.

قوله (يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم) الوسع والسمة والجدة الطاقه أى لا ينسج أموالكم لمطامعهم ورفع احتياجهم. فوسموا أخلاقكم لصحبتهم كما أشار اليه بقوله (فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر) أى فالقوهم باستبشار الوجه و بشاشته و انبساطه و هو من لوازم التواضع وحسن الخلق .

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الاتفاق من اقتار والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه.

٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أوصني فكان فيما أوصاه أن قال: ألق أخاك بوجه منبسط.

٤- عنه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حد حسن الخلق؟ قال: تلين جناحك و تطيب كلامك و تلقى أخاك بغير حسن.

٥- عنه، عن أبيه، عن حماد، عن ربعي، عن فضيل قال: صنائع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبة و يدخلان الجنة والبخل و عبوس الوجه يبعدان من الله و يدخلان النار.

مركز تحقيق كتب التراث

قوله (الاتفاق من اقتار) الاقتار والتقتير التضييق في الرزق يقال اقتار الله رزقه و قتره ضيقه و قلله و ذلك بأن ينقص من كفافه شيئاً و يعطيه من هو أحوج منه أو من لاشئ له أو بأن ينفق مع ضيقه فيكون ترغيباً في الايثار كالاية، (والبشر لجميع العالم) البشر بالكسر طلاقة الوجه و بشاشته و هو مطلوب اما للمؤمنين فلعلامة الايمان و لزومه و اما لغيرهم فلحفظ النفس و دفع الضرر عنها وعن المؤمنين كما قيل و دارهم ما دمت في دارهم، (والانصاف من نفسه) أنصف الرجل انصافاً عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتح نين لانك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك فالمراد به التسوية بين نفسه وبين غيره و عدم رجحان نفسه عليه فشيء مأخوذ من النصف.

قوله (تلين جناحك) أي تواضع لخلق الله و قد امر الله به سيد المرسلين فقال دو اخفض جناحك للمؤمنين و فيه استعارة تمثيلية (و تطيب كلامك) و منه أن تسمى أخاك بأحسن أسمائه ولا تفلظ في نصحه.

قوله (يكسبان المحبة) أي محبته تعالى بمعنى افاضة الرحمة والاحسان أو محبة الخلق له و يؤيد الاول قوله دو يبعد ان من الله لان الظاهر أن يترتب على أحد الضدين نقیض ما يترتب على الضد الآخر.

٦- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حسن البشر يذهب بالسخيمة.

(باب الصدق وأداء الأمانة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر.

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عمار وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة.

٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنى الحنّاط عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله.

قوله (حسن البشر يذهب بالسخيمة) أى بالغبينة والموجدة والحقّد قال أمير المؤمنين وع، والبشاشة حباله المودة، أراد أن طلاقة الوجه و حسن البشر تصطاد القلوب بها ولاحظ مشابهة الطلاقة بالحبالة و مشابهة القلوب بالصيد.

قوله (إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث) صدق الحديث دائماً تابع لمملكة استقامة اللسان التابعة لاستقامة القلب ومن ثم قيل: اذا استقام القلب استقام اللسان. واستقامة القلب تابعة لاستقامة الحقيقة الانسانية و تمام صورته الممنوية و هذا مستلزم لفيضان النفس القدسية على تفاوت مراتبها و أعلى مراتبها للانبياء و المرسلين و ما دونه لخواص المؤمنين و من هذا يتحقق التناسب بينهما .

(و أداء الأمانة الى البر والفاجر) كما قال تعالى و ان الله يأمركم أن تؤدوا أمانات الى أهلها و قد ابتلى به جم غفير من السالكين وليس لاختبار الناس أعظم منه.

قوله (من صدق لسانه زكى عمله) لان صدق اللسان تابع لطهارة القلب و هى مستلزمة لزكاة عمله و طهارته و نموه و بر كته والمدح عليه و أيضاً اللسان مورد لجميع الاعضاء الظاهرة و الباطنة و متناول لمدرجات جميعها فصحته و هى صدقه فى الحديث توجب صحة جميع الاعضاء و صدور أعمال الاصحاء منها فلذلك يزكو عمله على الاطلاق كما أن مرضه و هو الكذب يوجب مرض جميع الاعضاء و صدور أفعال المرضى منها، فلذلك لا يزكو شىء من أعماله. و أيضاً علة

٤ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه : تعلموا الصدق قبل الحديث .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي كهمس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام ، قال عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فاقراءه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه ، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي إسماعيل البصري ، عن الفضيل بن يسار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا فضيل إن الصادق أوّل من يصدق الله عزّ وجلّ ، يعلم أنّه صادق وتصدقّه نفسه تعلم أنّه صادق .

٧ - ابن أبي عمير ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة ، فسمّاه الله عزّ وجلّ صادق الوعد ، ثمّ [قال] إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل :

صدقه و هو الخوف من الله والفرار من اللوم في وقت ما وهو وقت أن يسأل عن أعماله الصالحة واضطراره الى الجواب عنها بيمينه على تزكية الاعمال .

قوله (قال قال لي أبو جعفر دعه في أوّل دخلة دخلت عليه تعلموا الصدق قبل الحديث) الظاهر أن القبل متعلق بتعلموا وفيه ترغيب في التفكير في الكلام لشرف الصدق ، ثم التكم بهو مثله قول أمير المؤمنين دعه ولسان العاقل وراء قلبه ، و قلب الاحق وراء لسانه ، يعني أن العاقل يعلم الصدق والكذب أولاً ويتفكر فيما يقول ثم يقول ما هو الحق والصدق والاحق ، يتكلم و يقول من غير تأمل و تفكر فيتكلم بالكذب والباطل كثيراً و إنما قلنا الظاهر لا احتمال أن يكون بدلا عن قوله وفي أوّل دخلة ، أو متعلقاً بقال ، يعني قال دعه ابتداء قبل التكم بكلام آخر تعلموا الصدق ولكنه بعيد لفظاً ومعنى .

قوله (إن الصادق أوّل من يصدق الله) فالكذب أوّل من يكذبه الله ثم نفسه وفيه ترغيب في الصدق وتنفير عن الكذب لان العاقل يتنفر عن تكذيب المخاطب ويستنكف منه كما قال موسى دعه و رب اني أخاف أن يكذبون ، فكيف اذا كان المخاطب هو الله عز وجل .

مازلت منتظراً لك.

٨- أبو علي الأشعري عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر الخزاعي، عن جدّه الربيع بن سعد قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام يا ربيع إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً.

٩- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن العبد ليصدق حتى يكتبه عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتبه عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله عز وجل صدق وبر، وإذا كذب قال الله عز وجل : كذب وفجر.

١٠- عنه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كونوا دعاة للناس بالخير بغير السننكم، ليروامنكم الاجتهاد والصدق والورع.

١١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم قال : قال أبو الوليد حسن بن زياد الصيقل : قال أبو عبد الله عليه السلام : من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن برّه بأهل بيته مدّ له في عمره.

١٢- عنه، عن أبي طالب، رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا تنظروا إلى طول

قوله (إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً) الصديق فبيل للمبالغة في الصدق وهو يطلق على فعل اللسان إذا طابق الواقع فلو قال ضرب زيد و هو لم يضرب أو قال و وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض و كان وجه قلبه إلى غيره تعالى مثل الدنيا و غيرها فهو كاذب وعلى فعل القلب مثل النية وصدقها تجريدتها عن غير وجه الله تعالى و هو الاخلاص والمزم على الخيرات مع عقد القلب عليها ان وجد ما لا فلو كان بدون المقدار كاذباً وعلى التوافق بين الظاهر والباطن فلو كان لظاهره وقار فصدق به بأن يكون لباطنه أيضاً وقار وعلى كل مقام من مقامات الدين اذا حصلت حقيقته مثل الصوم والصلاة والحج والزهد والمحبة و التوكل والخوف والرجاء والرضا والشوق وغيرها فان هذه الامور صادقة اذا حصلت حقيقتها للمتصف بها و كاذبة اذا لم تحصل. وعلى الوعد اذا وفى بها كما قال سبحانه و رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه و من بلغ في هذه الامور وغيرها حد الكمال أو قريباً منه فهو صديق.

ركوع الرجل وسجوده ، فإن ذلك شيء اعتاده ، فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته .

(باب الحياء)

١- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن الحسن الصيقل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الحياء والعفاف والعلم - أعني عي اللسان لاعي القلب - من الإيمان .

قوله (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده) يريد بطولهما الحقيقة أو كثرة الصلاة وتخصيصهما بالذكر من بين الأعمال البدنية على سبيل التمثيل أو للتنبيه على أنهما مع زيادة الفضيلة إذا لم يمتدافيرهما أولى بعدم الاعتداد .

قوله (الحياء من الإيمان) الحياء وصف للنفس يوجب اقتباسها عن القبيح وانزجارها عن خلاف الآداب خوفاً من اللوم وإنما جعل كالبعض من الإيمان لمناسبة له في أنه يمنع من المعاصي كالإيمان أولان المراد بالإيمان الكامل المعتبر فيه الأعمال والحياء لكونه داعياً إلى فعل المأمورات وترك المنهيات جزء منه ، وبمباراة أخرى الإيمان تصديق و اقرار و ائتمار بالمأمور به وانتهاء عن المنهى عنه فإذا حصل الائتمار والانتهاج بالحياء كان الحياء بعض الإيمان و جزءاً منه أو المراد أن الحياء من شيم أهل الإيمان ومكارم أخلاقه ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها .

قوله (أعني عي اللسان لاعي القلب) العي بالكسر يطلق على منبئين أحدهما داء في اللسان وهو لكثرة وفهاة توجب العجز عن البيان والإفصاح بمراد الانسان ، وثانيهما داء في القلب يوجب العجز عن إدراك الحق وإبصار المقولات فأشار وع ، إلى أنه ليس المراد به المعنى الثاني الذي ينقص الإيمان به نقصاناً فاحشاً بل المراد به المعنى الأول الذي يوجب نقصان الدنيا وزيادة الآخرة والإيمان والمعنى أن الحياء الذي يوجب مراقبته ثمالى و مراعاة أوامره ونواهيه وأدابه والعفاف عن كثير الدنيا أو عن المعاصي أو عن السؤال و عي اللسان وهو قصوره عن البيان أو حفظه عن التكثير فيه والتناول للأقوال الباطلة والمباحة ، من الإيمان أى من قبله في المنع عن القبايح أو من أفراد أو من أجزاء أو من شيم أهله ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها .

٣- الحسين بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدى، عن مصعب بن يزيد، عن العوام ابن الزبير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من رقى وجهه رقى علمه.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن يحيى أخي دارم، عن معاذ بن كثير، عن أحدهما عليهما السلام قال الحياء والايمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه .

٥- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن الفضل بن كثير ، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا إيمان لمن لا حياء له.

٦- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: الحياء حياءان : حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل.

قوله (من رقى وجهه رقى علمه) لعل المراد أن من ضعف حياؤه ضعف علمه لتوغلته في القبايح وهو يوجب نقصان العلم أو المراد أن من ضعف وجهه من السؤال في العلم لحياء الحق المانع منه ضعف علمه و في هذا المعنى ما نقل من أنه قيل لبعض الحكماء : بم بلغت ما بلغت؟ قال بدم الاستحياء من السؤال في استكشاف الامور وحل الاشكال.

قوله (الحياء و الايمان مقرونان في قرن) القرن بالتحريك الجبل الذي يشد الاسران به والمعنى أن الحياء و الايمان مجموعان في جبل واحد فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر وتبعه وفيه إشارة الى أن بينهما تلازماً و الى أن الحياء ليس جزء من الايمان ولا فرداً منه فلا بد من القول به أو بحمل الايمان هنا على التصديق والقول بأنه لا يستقر في القلب بدون الحياء.

قوله (لا ايمان لمن لا حياء له) لما عرفت من انهما مقرونان في جبل واحد اذا ذهب أحدهما تبعه الآخر، وان اريد بالايمان الايمان الكامل وجعل الحياء جزءاً منه فالوجه ظاهر.

قوله (الحياء حياءان- الخ) قد ذكرنا في أول الكتاب أن انقباض النفس عن فعل الخير حياء مجازاً كاستحياء المرأة عن تعلم مسائل الحيض وأحكام غسل الجنابة مثلاً و ان تقسيم الحياء اليه. و هو حياء الحمق والى حياء العقل الموجب للانقباض عن القبيح لا يدل على أنه حقيقة في كلا القسمين.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن إبراهيم، عن علي بن أبي علي اللببي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً أبد لها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

(باب العفو)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في خطبته: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك.

٢- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد، عن يونس ابن يعقوب، عن غرة بن دينار الرقي، عن أبي إسحاق السبيعي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله نشيب اللفائي، عن حمزان بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك.

قوله (العفو عمن ظلمك) من صفات الكرام العفو عن الظالم والتجاوز عن المسيء ومن صفات اللئام الانتقام وطلب التشفى والمعاينة لدفع الفيض وهو آفة نفسانية تدبر الجهال والناقصين من أجل تأثر نفوسهم من كل ما يخالف هواها.

قوله (وتصل من قطعك) باليد واللسان ومراقبة أحواله في كل زمان والإحسان إلى من أساء إليك وهو الإحسان من الإحسان إلى من أحسن إليك.

(وإعطاء من حرمك) فإذا أحسنت إلى أحد ولم يقابل إحسانك بإحسان أولم يشكرك أو أساء إليك لا ترغب عن الإحسان إليه والذي غيره بسبب الكفران فإنه إذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره ولو لم يشكرك أحد فإن الله يحب المحسنين كما نطق به القرآن المبين وكفى به شرفاً وفضلاً.

- ٤- عليؑ، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الأولين و الآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا نصل من قطعنا و نعطي من حرمتنا و نغفو عن ظلمنا، قال: فقال لهم: صدقتم أدخلوا الجنة،
- ٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن جهم بن الحكم المدائني، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله.
- ٦- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي خالد القمط، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة.

قوله (فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً في الدنيا) لان من عوف بالعفو ساد و عظم في القلوب فيزيده عزه، أو في الآخرة لانه يوجب زيادة الاجر و رفع الدرجة .

قوله (الندامة على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة) أما انها أيسر فلان الفعل الواقع اذا ندم عليه لا يمكن عدم إيقاعه قطعاً بخلاف غير الواقع اذا ندم على عدم إيقاعه فانه يمكن إيقاعه غالباً فالتدارك في الاول متعذر و في الثاني ممكن، وقد تنبه بهذا بعض الملوك فقال ينبغي أن يكون عفو الملك أكثر من عقوبته لانه ان عفى في مقام يقتضى العقوبة و أخطأ فندم عليه أمكنه أن يتدارك و يعاقب و ان عاقب في مقام يقتضى العفو و أخطأ فندم عليها لا يمكنه التدارك، و أما انها أفضل مع أن النفس في الندامة على العفو راجعة الى هواها و مقتضاها في القوة الشهوية والغشبية و في الندامة على العقوبة راجعة الى الله و الى خلاف مقتضاها المطلوب شرعاً و عقلاً، فأما لانها تابعة للعفو الذي هو أفضل وتابع الافضل أفضل ولا يناهيه أفضلية الندامة على العقوبة نظراً الى ذاتها ففيه ترغيب في العفو و تنفير عن العقوبة أو لان العفو اذا ندم دل ذلك على كمال استحقاق العقوبة بخلاف المعاقب اذا ندم فانه لا يدل ذلك على كمال استحقاق العفو فللندامة على

٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن سعدان، عن معتب قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنني وجدت هذا وهذه الكارة، فقال للغلام: فلان! قال: ليبيك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فتعري؟ قال: لا يا سيدي، قال: فلا شيء أخذت هذه؟ قال: اشتريت ذلك، قال: اذهب فبي لك، وقال: خلّوا عنه.

٨- عنه، عن ابن فضال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ما التقت فئتان قط إلا نصرأعظمهما عفواً.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتني باليهودية التي سميت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره وإن كان ملكاً أرحمت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

١٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن شمر، عن

العفو زيادة فضل و رجحان و هذا الوجه في غاية البعد، أو لأنها أيسر و هذا أقرب الوجوه. قوله (قد أخذ كارة) هي مقدار معلوم من الطعام وقدر ما يحمل على الظهر.

قوله (اذهب فبي لك) دل على أن العفو عن السارق و إعطاء المسروق إياه أفضل و هذا من صفات الكرام.

قوله (أتني باليهودية التي سميت الشاة) العفو عنها في هذه الصنعة العظيمة الشديدة على النفوس دل على عظمة قدر العفو و علو منزلته، و مثله رواه مسلم عن أنس و أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وآله و عرضت بشاة مسمومة فأكل منها فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و عرضت فسلها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك فقال ما كان الله ليسطرك على ذلك أو قال على، قالوا الا تقتلها قال لا، و روى غير مسلم و أنها لما اعترفت قالت إنما فعلت ذلك لأنك إن كنت نبياً لم يضرك و إن كنت كاذباً أرحمت الناس منك، قيل إنه تعالى شفاء في ذلك الوقت و لكن بقي فيه أثر ما فقتله بعد حين، و لذلك قال العلماء إن الله سبحانه قد جمع له بذلك بين كرم

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلا عزاً: الصفح
عن ظلمه وإعطاء من حرمه والصلة لمن قطعه.

(باب كظم الغيظ)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أحب أن لي
بذل نفسي حمر النعم، وما تجرئت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكفي
بها صاحبها.

النبوة و فضل الشهادة ولا ينافي ذلك قوله دس، وما كان الله ليلسلك على ذلك، لان المعنى
ما كان الله ليلسلك على قتلى الان وقال: وفي كفاية الله له دس، أمر السم المهلك لغيره
ممعجزة، وقال محي الدين اختلف الرواية هل قتلها ففي هذه أنه لم يقتلها، وفي رواية سلمة أنه
قتلها وفي رواية ابن عباس أنه دفعها الى أولياءه بشر وقد كان أكل من الشاة فمات فقتلوا، و
قال ابن سحنون: أجمع المحدثون على أنه قتلها، وقال عباس: وجه الجمع أنه لم يقتلها
أولا حين أطلع على ما فعلت من السم فلما مات بشر دفعها الى أولياءه فلم يقتلها ففى حين و
قتلها فى آخر، و قال أبو عبد الله الابى هذا الجمع يشكك بأن يقال كيف لم يقتلها أولا
وقد نقضت العهد و آذت، و قال الداودى: إنما لم يقتلها لئلا ينقص من عذابها و
ليبقى أجره موفراً.

قوله (الصفح عن ظلمه) أى العفو عن ذنوبه و الاعراض عن عقوبته، و أصله
الاعراض بصفحة وجهه.

قوله (ما أحب ان لي بذل نفسي حمر النعم) ذل النفس بالكسر سهولتها و انقيادها و
هى ذلول، وبالضم مذلتها وضعفها وهى ذليل، والنعم المال الراعى و هو جمع لا واحد له من
لفظه، واكثر ما يقع على الابل قال أبو عبيد: النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان
مثل حمل وحملا و انعام أيضاً، وقيل النعم الابل خاصة، و الانعام ذوات الخف والظلف وهى
الابل والبقر والغنم، وقيل تطلق الانعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الابل فهى نعم و ان
انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً، والمعنى ان ذل نفسى و انقيادها أو مذلتها بكظم الغيظ أو
مطلقاً أحب الى من حمر النعم أملكها أو تصدق بها والاخير أظهر لان شأنه دس، ارفع من أن
يحب الدنيا وما فيها، وفيه حض بليغ على كظم الغيظ، و حمر النعم خيارها.

قوله (وما تجرعت جرعة أحب الى من جرعة غيظ لا أكفى بها صاحبها) الجرعة من

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، وعلي بن النعمان ، عن عمار بن مروان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم .

٣ - عنه ، عن علي بن النعمان ، ومحمد بن سنان ، عن عمار بن مروان ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : أصبر على أعداء النعم ، فإنك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

٤ - عنه ، عن محمد بن سنان ، عن ثابت مولى آل حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به وتحرّز

الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل غرفة وغرف ، وتجرع النصص مستعار منه وأصله الشرب من عجلة ، وقبل الشرب قليلاً قليلاً وإضافة الجرعة إلى الغيظ من باب لجين الماء ، والغيظ صفة للنفس عند احتدادها موجبة لتحركها نحو الانتقام ، والكلام تمثيل . لا يقال الغيظ امر جبلي لا اختيار للمبد في حصوله فكيف يكلف برفعه لاناقول هو مكلف بتصفية النفس على وجه لا يحركها أسباب الغيظ بسهولة و ان اثرت تلك الاسباب فيها وحصل الغيظ له فهو مكلف بتأديب الغيظ بحيث لا يئلب على العقل والشرع و كلا الامرين مقدور له .

قوله (ما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم) من ذلك ابتلاؤهم بأذى الناس لهم وامرهم بكظم الغيظ والصبر عليه ليزيد بذلك أجرهم .

قوله (أصبر على أعداء النعم) و هم الظلمة الذين يفترون الناس لانهم أعداء نعم الله تعالى التي أفضلها وأشرفها الايمان ومقتضاء من الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فانك (لن تكافي من عصا الله فيك) بالأذى والاضرار والظلميان .

(بأفضل من أن تطيع الله فيه) بكظم الغيظ والعفو عنه كما قال عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين من الناس ، وفي سنية أفضل دلالة على جواز المكافاة بشرط أن لا يتعدى كما دلت عليه الآية الكريمة ولكن العفو أفضل .

قوله (كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به) الحزم ضبط الامر و اتقانه والحذر من فوائمه واختلاله وذلك برعاية شرائط نظامه ورفع موانع دوائمه ، و من جملة ذلك كظم الغيظ عن العدو و عدم ارادة الانتقام منهم في حال ظهور دولتهم لان مكافاتهم يوجب التعرض للبلاء و ايقاع النفس في الهلكة والمعناء .

من التعرض للبلاء في الدنيا ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظنتهم في غير تقية ترك أمر الله ، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلو .

٥- علي بن إبراهيم ، عن بعض أصحابه ، عن مالك بن حصين السكوني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من عبد كظم غيظاً إلا زاد الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله عز وجل : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وأثابه الله مكان غيظه ذلك .

٦- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة قال : حدثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه ، أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه .

(ومماظنتهم في غير تقية ترك أمر الله) أي مشاردتهم ومنازعتهم تقول ما ظففت الرجل مماظة ومماظناً اذاشاردته و نازعته .

(فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم) المجاملة بكظم الغيظ واظهار الوداد والبشاشة ونحو ذلك . والسمن كثرة اللحم والشحم سمن فلان يسمن من باب تعب وفي لغة من باب قرب اذاكثر لحمه وشحمه ، ولعل المراد به هنا الشرافة والعظمة وفي بعض النسخ ويسمن الله ذلك الى آخره ، ويسمن حينئذ من باب الافعال او التفعيل أي يجعل الله ذلك عندهم شريفاً عظيماً تورث المحبة لكم (ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلو) لان اظهار المعاداة واجراء أحكام الغيظ والغضب مع المعز من المقاومة والانتقام يورث ضرراً عظيماً ومذلة فاحشة وأما مع القدرة على الانتقام فالعفو أحسن لانه من صفات الكرام .

قوله (أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه) كناية عن كثرة فضاله واحسانه اليه في ذلك اليوم فلا يرهقه قنر ولا ذلة (١) .

(١) قوله «فلا يرهقه قنر ولا ذلة» أرى ان ما ذكره الامام «ع» يفيد معنى أدق وأعلى مما فسر به الشارح وبيان ذلك ان ملكات النفس وعقائدها وقواها تنقسم الى ما يبقى بعد الموت لعدم تعلقها بالبدن بوجه ، والى ما لا يبقى لتوقفها على الاعضاء الظاهرة فالاول كالايمان بالله العظيم و اصول الدين والمعارف اذ ليس حاملها الحواس والجوارح وكملة التقوى أو الفجور و أمثال ذلك ، وأما الثاني فكالمعلوم الجزئية من حيث هي جزئية والمعاني المدركة بالواهمة و أمثالها فلا يبقى للنفس ما تدركه بهذا البصر من حيث هو مدرك بهذا البصر ولا المحبة والمداد .

٧- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن عبد الله بن منذر، عن الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمانة وإيماناً يوم القيامة.

٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي أسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا زيد اصبر على أعداء النعم، فأنك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، يا زيد إن الله اصطفى الإسلام واختاره، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

٩- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حفص بن يساع السابري

قوله (حشا الله قلبه أمانة وإيماناً يوم القيامة) أي إيماناً بالله وأمانة من سخطه ويمكن أن يراد بالإيمان النور الفاضل بالنجليات الربانية الذي لا يحتمله الاقلوب المقربين.

(فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق) السخاء هو بذل المقنيات وسرفها في أهل الحاجة وحسن الخلق مع خلق الله من أعظم أسباب كظم الفيظ فهما مجازان أو كنايةتان عنه ولا يبعد أن يكون السخاء شاملاً لكظم الفيظ أيضاً لأنه من جملة أفراده بوجه.

والخوف الحاصلة بمرؤية الولد والعدو كالأنثى إذا شاهدت أولادها عرضت لها حالة تبثها على العطف والثريبة والارضاع ولا يعرف الحيوان لها اسماً ولا يتقبل مفهوماً وإنما يحصل له مصداق المحبة فقط. وكذلك النعم إذا شاهدت ذنباً عرضت لها حالة تقتضي الفرار والنفرة و نسميها نحن معاشر البشر خوفاً ولا يتصور الحيوان له مفهوماً بل له المصداق وهو حالة بدنية متعلقة بالأعصاب والدماغ يفقدها كل موجود ليس له عصب ودماغ وكذلك يعرض للإنسان نظير هذه الحالات بقوته الموسومة بالواهمة هي مصاديق مفاهيم كالحسد والفيظ والذنب وهي أي مصاديقها متعلقة بالبدن وأعضائه وعصبه ودماغه ولكن للإنسان عقلاً يستطيع أن يعارض بهذه الحالة ويمنعها عن التأثير والحيوان مقهور بالجري على مقتضاها ولا مبدع منع فيه عن ذلك ولذلك كلف الإنسان ولم يكلف سائر الحيوانات والعقل مبدع غير جسماني قاهر على مقتضيات القوة الواهمة ولما كان مجرداً غير متعلق بالبدن بقي في البرزخ وعاد في الآخرة والميظ مقتضى الواهمة وكظمه مقتضى العقل ويبعث يوم القيامة مع العقل ولوازمه من الرضا والامن والايمان دون الفيظ. وإذا لم يكظم غيظه وجري على مقتضاه كالحيوان أوجب ذلك له معاصي كثيرة اعتبت في قلبه نفاقاً وقسوة وملكات يتأذى بها في الآخرة ويتألم بها العقل المقهور في الدنيا بلوازم الجهل والهوى. (ش)

عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعت جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم و جرعة مصيبة تردّها بصبر .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن ربعي ، عن حماد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي أبي : يا بني ما من شيء أقر لعين أباك من جرعة غيظ عاقبتها صبر ، وما من شيء يسرني أن لي بذل نفسي حمرا لنعم .

١١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن وهب ، عن معاذ بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إصبروا على أعداء النعم فانك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن خلاد ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : قال : ما أحب أن لي بذل نفسي حمرا لنعم و ما تجرعت من جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها .

١٣- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن مشي الحنّاط ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من جرعة يتجرّعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّها في قلبه ، إمّا بصبر وإمّا بحلم .

(باب الحلم)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ،

قوله (من أحب السبيل إلى الله جرعتان) أشار جل شأنه إلى الجرعة الأولى بقوله د و الكاظمين الفیظ والمافین من الناس ، وإلى الجرعة الثانية بقوله د و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون .

قوله (ما من جرعة يتجرّعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّها في قلبه اما بصبر و اما بحلم) المراد بتردّها في قلبه اقدام القلب تارة إلى تجرّعها لمافيه من الاجر الجزيل والثواب الجميل واصلاح النفس و تارة الى ترك تجرّعها وامضائه لما فيه من البشاعة والمرارة . والباء في بصبر للسببية وهو والحلم متقاربان الا أن الصابر يصبر مع المشقة والحليم لا يرى في نفسه مشقة و من ثم قيل المادى لا يأمن من الصابر كما يأمن من الحليم .

عن محمد بن عبيد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة قال: المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، و ينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الاصدقاء ولا يكتفم شهادته الأعداء ولا يفعل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء، إن زكى خاف مما يقولون واستغفر الله مما لا يعلمون، لا يفره (١) قول من جهله

قوله (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) الحلم الاناء والثابت في الامور وهو يحصل من الاعتدال في القوة النفسية ويمنع النفس من الانفعال عن الواردات المكروهة الموزية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائلة و عدم طيشها في المؤاخذه وعدم صدور حركات غير منتظمة منها و عدم اظهار المزية على الغير و عدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً و عقلاً وهو من علو الهمة، والمباداة نفسانية كانت أوبدنية لا عبرة بها ولا تكمل ولا يترتب عليها الاجر الكامل بدونه وقوله وان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين، السكوت عما لا يعنى باب من أبواب الحكمة و له مدخل عظيم في اكتساب الحلم و لذلك قال النبي (ص) «تحملوا تسروا و اذا غضب أحدكم: فسكت ثلاث مرات»، **قوله** (لا يحدث أمانته الاصدقاء) كتمان السروا لامانة ووضعها في صندوق الجنان وعدم فتحه بفتح اللسان و عدم افشائهما لا وثق الاخوان من صفات المؤمن الماقل الكامل في الايمان فانه يعلم بنور البصيرة أنه اذا لم يحفظ الامانة لم يأمن غيره الخيانة وان كان صديقاً له لان للصديق صديقاً ومن ثم قال أمير المؤمنين (ع) «حفظ ما في الوعاء بسد الوعاء» و معناه أن حفظ ما في الجنان اذا اريد أن لا يطلع غيره انما هو بحفظ اللسان فانه آلة تلف الانسان. ومفاسد الافشاء بعيدة عن الخفاء.

قوله (ولا يتركه حياء) قد عرفت ان انقباض النفس عن الحق و تركه لرقعة الوجه يسمى حياء مجازاً (ان زكى خاف مما يقولون) اما لعدم وجوده فيه أو لعدم علمه بكونه مقبولا له تعالى اولامكان حصول المعجب اولان الانسان و ان بالغ فهو في حد النقص او لان التزكية تزكيتة تعالى لا تزكية البشر ولا تزكوا أنفسكم ولكن الله يزكى من يشاء.

قوله (واستغفر الله مما لا يعلمون) قال أمير المؤمنين (ع) « و اذا زكى أحد منهم خاف مما يقال فيه فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربي أعلم منى بنفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى أفضل مما يظنون، و اغفر لى ما لا يعلمون ».

ويخشى إحصاء ما قد عمله.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل يحب الحيي الحليم.

٥- عنه، عن علي بن حفص العوسي الكوفي، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما أعز الله بجهل قط ولا أذل بحلم قط.

(لا يغيره قول من جهله) فلا يزعجه قول الزور والافتراء والبهتان والريبة والنميمة ولا يضطربه ولا يحركه إلى الانتقام والمكافأة بالمثل بل يتمسك بالمعبر والحلم كما هو شأن أرباب الايمان وأصحاب الايقان. قوله (إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه) فيمنع نفسه من التشنف والانتقام والاقدام على العقوبة ويحملها على العفو مع القدرة على ذلك والعفو من صفات الله و صفات أوليائه ومن شق عليه فليتنكر في أمر الخالق جل شأنه فانه يشرك به و يجعل له ولد و يعتقد له صفات لا تليق به و هو منزّه عنها ثم هو يمافيهم و يرزقهم ويمسطيهم و يقضى حوائجهم.

قوله (ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط) لان الجهل صفة توجب الذل في الدنيا والاخرة ومنه السفه والاذى والمماثلة في العقوبة والحلم صفة توجب العزة فيهما أما في الاخرة فظاهر لانه من جلائل الصفات الموجبة لرفع الدرجات، و أما في الدنيا فظاهر أيضاً لان الحليم عزيز عند الخلائق كلهم ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام «الحلم عشرة» (١) يعني كما ان الرجل يتمتع بالعشرة يتمتع بالحلم و يتوقر لاجله.

(١) قوله «الحلم عشرة» يرى الجهلاء أن الحلم من الضعف والرجل القوي الفيور لا يتحمل إيذاء الناس وقبول الظلم أفحش من الظلم وربما يتمسك بقول الله تعالى «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» وقال تعالى «ولكم في القصص حيوية يا أولي الاباب» وقال تعالى «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» وأيضاً السكوت على الظلم والرضا به يوجب تجري الظالم فاذا علم ان الناس مأورون بالسكوت زادوا في الظلم والجواب ان للحلم مقاماً ولطلب الحق مقاماً آخر والقدر المسلم ان الانسان لا يجوز ان ينقاد لمواطنه المترتبة

٦- عنه، عن بعض أصحابه، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلم.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبد الله الحجاج، عن حفص

قوله (كفى بالحلم ناصراً) المراد أن الحلم ناصر كاف للحليم لأن الناس يحبونه ويميلون إليه ويعينونه في المكاره وقال (إذا لم تكن حليماً فتحلم) (٢) أي إذا لم تكن حليماً في أصل الخلقة فاكسب الحلم لأن الحلم كسائر الاخلاق قد يكون خلقاً وقد يكون كسبياً والمراد فتكفب الحلم وأظهره فان ذلك قد يجر الى اكتساب الحلم والانصاف به ويؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام «دع، فإن لم تكن حليماً فتحلم فانه قل من تشبه يقوم الا أوشك أن يكون منهم» أراد «دع، ان الحلم أحسن وان لم يكن فالتشبه بالحليم حسن.

على شهوته وقضيه بحيث يسلب عنه الاختيار ويجرى على ما يقتضيه قوته الواهمة بل يجب أن يكون مالكا لنفسه ولا يكون قصاصه وانتقامه وقيامه على من اعتدى عليه الا بمقتضى عقله لا لارضاء عواطفه ومثابة هواه وشهوته فانه بهذا يمتاز عن الحيوان وتربية الحلم هي من وظائف الانسان لا تربية الهوى فان الحلم هو الذي يبقى له في الآخرة وهو مقتضى العقل والعقل يبقى بجميع ما يقتضيه. (ش)

(١) قوله «إذا لم يكن حليماً فتحلم» استدلال جماعة من الفلاسفة بوجود الاختيار للانسان على تجرده ذاتاً وبقائه بعد الموت قالوا كل حالة جسمانية لا بد أن تحصل جبراً قسراً ولا يستطيع احدان يمتنع عنها ويدفعها عن نفسه بل هي أثر حاصل بتأثير مؤثر خارجي أو داخلي في بعض الاعضاء ونحن مجبورون مقهورون في قبوله كالرؤية بالعين فانها بتأثير النور في الجليدية ولا نستطيع أن لا نرى مع هذا التأثير أيضاً ونفخ الابصار ونطبق الاجفان قهراً عند تحريك أحد اصبعه اليها ويحصل المحبة والخوف عند حصول أسبابها لدينا قهراً ويضطرب القلب عند الحزن ويجرى الدمع ويمرضنا العطاس عند البرد وهكذا كل حالة تكون آلتها بعض أعضاء البدن فهي قهرية ولو كان النفس من عوارض البدن مطلقاً وكان جميع حالاتها وعوارضها ناشئة من مزاجات في البدن وتأثيرات خاصة لخصوص مواد وتراكيب في خلاياها وأذراتها لزم كسور جميعها قهرية ولا يكون للنفس اختيار في أي أمر من أمورها ولكن ليس كذلك فان معارضة الحلم مثلاً للضب واختيار الانسان أن يكتظم غيظه وقدرته على ذلك تدل على وجود مبدء مستقل له غير متوقف على آلية البدن ولا يجوز أن يفتر بما يتوقف على الآلة كالسمع والبصر وغيرهما من القوى الجسمانية فان لنا حالات غير متوقفة على الآلات كأدراك الكلى والاختيار. (ش)

ابن أبي عائشة قال : بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره ملأ أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه ، فلما تنبه قال له أبو عبد الله عليه السلام : يا فلان ! والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار .

٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان ، عن عمرو بن شمر عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يحب الحليم العفيف المتعفف .

٩- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أيوب بن نوح ، عن عباس بن عامر ، عن ربيع بن محمد المسلي ، عن أبي محمد ، عن عمران ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفينة منهما : قلت وقلت وأنت أهل لما قلت ، ستجزي بما قلت ؛ ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت سيفقر الله لك إن أتممت ذلك ، قال : فإن رد الحليم عليه ارتفع الملكان .

قوله (إن الله يحب الحليم العفيف المتعفف) يعني أن الله يحب من كان فيه حياة يمنة عن القبايح وخلاف الآداب وحلم يمنة من الاضطراب عن توارد المكروهات وإيذاء الخلق والاقدام على الانتقام وعفة في دينه ونفسه تبعته على تحصيل الكفاف من المآكل والمشارب والمناكح والمساكن والملابس وغيرها على الوجه المشروع وتعفف بيمته على الاكتفاء بحرفته وصنمته وحفظ فقره وعدم السؤال من غيره من بني نوعه كما روى عن النبي ﷺ أنه قال ومن طلب الدنيا استغافاً عن المسئلة وسمياً على عياله وتعففاً على جاره لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر .

يحتمل أن يراد بالتعفف التأكيد والمبالغة في العفة وتحمل النفس على ذلك بنوع كلفة وثمرة محبته تعالى آجلا هي الكرامة الأبدية وآجلا هي أعانته على تلك الفضائل وأمداده وتوفيقه على زيادتها ودوامها كما روى عن النبي ﷺ ومن يستعفف يعفه الله الحديث .

قوله (قلت وقلت) بالثاق فيهما وبعض النسخ بالفاء في الثاني يقال قال الرجل في رأيه وقيل إذا لم يصب فيه ورجل فإيل الرأي . (فإن رد الحليم عليه ارتفع الملكان) الحليم قد لا يخلو من عثرة وخفة في وقت ما يسوم الطابع لعدم عصمته إلا أنه بهذا النادر لا يزول عنه اسم الحليم ولا يستلب عنه مدحة الحليم .

(باب الصمت و حفظ اللسان)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ، إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة إنه دليل على كل خير .
- ٢- عنه ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنما شيعتنا الخرس .

قوله (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت) الفقه العلم بالمنافع والمضار أو البصيرة في أمور الدين ، وكون الصمت أى السكوت عمالاً يعنى من علاماته ظاهر لانه دال عليه كدلالة الأثر على المؤثر ، وكذلك الحلم أى التثبت في الأمور . وأما العلم فلعل المراد به آثاره أى إثبات الحق و إبطال الباطل و ترويض الدين و حل المشكلات ، وهو بهذا الاعتبار من آثار الفقه و علاماته الدالة عليه . فلا يرد أن العلم هو الفقه ولا يصح أن يكون الشيء علامة لنفسه .

قوله (ان الصمت باب من أبواب الحكمة) لان الحكمة و هى معرفة الاحكام و أحوال الموجودات و الانقياد لله و فعل الخيرات لا تحصل الا بالتفكر و التفكير لا يحصل او لا يتم الا بالصمت من اللغو .

قوله (ان الصمت يكسب المحبة) أى محبة الله تعالى أو محبة الخلق وذلك لان أكثر أسباب الكلام و أضخم مقامات المجاورة هو المجادلة والمنازعة والمخاصمة والجرح والفيبة و التهمة و الفضول و التكذيب و المضحكة و الكذب و المزاح الكثير و ما لا يعنى و كل ذلك يوجب البغض والمداوة و يبعد عن الخير فالصمت من ذلك يورث المحبة و يقرب من الخير (انه دليل على كل خير) لان السكوت عن الشر لكونه شراً دليل على الخير الذى هو ضده و أيضاً السكوت عنه لانه سهل ولا غفلة بل عن سفا فكرة فى عظيمة الحق وآلائه وتواتر أياديه ونعمائه يوجب الارتقاء الى مقام المبودية و تحقيق ولائه حتى يسير الغيب به كالبيان و يبلغ العبد لاجله الى ذروة الاحسان و يتصف بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ، و اليه أشار أمير المؤمنين بقوله : واذا كان فى الرجل خلة رايعة فانتظر أخواتها ، الخلة الخصلة و الرايعة المعجبة من راعنى الشيء أعجبنى حسنه ، يعنى اذا كان فى الرجل خصلة معجبة حسنة فانتظر أمثالها من الخصال الحسنة فان بعضها يجذب بعضاً ولا يبعد أن يكون الصمت من هذا القبيل .

٣- عنه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي علي "الجو" أني، قال : شهدت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول لمولى له [يقال له] سالم- ووضع يده على شفتيه- وقال : يا سالم احفظ لسانك تسلم، ولا تحمل الناس على رقابنا.

٤- عنه، عن عثمان بن عيسى قال : حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني، فقال له : احفظ لسانك تعز، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذل رقبتك.

٥- عنه عن الهيثم بن أبي مسروق، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لرجل أتماء : ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يا رسول الله، قال : أنل ممّا أنالك الله، قال : فإن كنت أحوج ممّن أنيله ؟

قوله (انما شيعتنا الخرس) لعلهم بمفاسد اللسان فيجتنبونها و أيضاً لا يتكلمون في امور الدين الا ما سمعوه من أهلها بخلاف العامة فانهم يتكلمون فيها بالقياس والاستحسان والوجوه العقلية فلم يتركوا طرق واسعة .

قوله (يا سالم احفظ لسانك تسلم) أي تسلم من آفات الدنيا والاخرة و معاصي اللسان و ذل النفس فان من ارخى عنان اللسان جرى في ميدان الطغيان و يتكلم كثير أربما لا يعنيه و ما يضره و يضر غيره و يذل و يدل على سفهه .

قوله (و قال له رجل اوصني) الا بصاء طلب شيء من غيره ليفعله على غيب منه فقال (احفظ لسانك تعز) اذ بالصمت تكون الهيبة والعزة لان من رآه يخيل اليه أن له شأناً فيهيىب منه ويمزه بخلاف ارخاء اللسان فانه يشين القائل و يبدي مساوى الجاهل ويضره في أعين الناس و يذهب بمزه و بهائه. والقياد ككتاب حبل تقاديه الدابة و هو كناية عن التسلط و الاضرار والاذلال. قوله (انل مما انالك الله) أي اعط المحتاجين ما أعطاك الله (فاصنع للاخرق) الاخرق الجاهل من الخرق بالضم وهو الجهل يعني اشر عليه بما ينفعه وفيه حث على ارشاد كل من لم يعلم امراً من مصالح الدين والدنيا (فاصمت لسانك الامن خير) الظاهر ان المراد بالخير ما يورث ثواباً في الاخرة، أو نفعاً في الدنيا (بلامضرة أحد فيكون المباح مما ينبغي السكوت منه ويكون الامر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرحمان، و بالجملة ينظر من يريد الكلام فان لم يضره تكلم وان رآه أو شك فيه سكت و اختلف في المباح هل يكتبام لا نقل عن ابن عباس انه لا يكتب اذ لا يجازى عليه والحق انه يكتب لقوله تعالى وما يلفظ من قول الاية

قال: فانصر المظلوم، قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟ قال: فاصنع للآخرق
يعني أشر عليه، قال: فإن كنت أخرج ممن أصنع له؟ قال: فاصمت لسانك إلا من خير،
أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة.

٦- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن
القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بني "إن كنت زعمت أن
الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب.

٧- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال:
قال رسول الله ﷺ: أمسك لسانك، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك، ثم قال:
ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه.

وكل صغير وكبير مستطر، و لدلالة بعض الروايات عليه أيضاً وعدم المجازات لا يدل على
عدم الكتابة اذ لعل الكتابة لغرض آخر مثل التحسر والتأنيب في تضييع العمر فيما لا ينفع
ولا يضر مع القدرة على فعل ما يوجب الثواب بدلالة (أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه
الخصال تجرّك إلى الجنة) دل على أن خصلة واحدة إذا استحسنت في مؤمن توجب الدخول
في الجنة ويمكن أن يراد أن الخصلة الواحدة تجرّ إلى أسباب الدخول في الجنة وهي
الخصال الاخر فان الخير بعضه يفضي الى بعض كماله.

قوله (يا بني ان كنت زعمت أن الكلام من فضة فان السكوت من ذهب) دل على ان
السكوت أفضل من النطق وهو كذلك لان مفاسد النطق كثيرة لا يمكن التحرز عنها الا بالسكوت
و فيه ترفيب في السكوت وان زعم أن كلامه حسن، و من ثم قال بعض الاكابر من نطق
فاحسن قادر على ان يصمت فيحسن و ليس من صمت فاحسن قادر على ان ينطق فيحسن و
هو أيضاً يدل على ان السكوت أفضل من النطق.

قوله (أمسك لسانك فانها صدقة) الضمير راجع الى الامساك والتأنيب باعتبار الخبر
و تشبيه الامساك بالصدقة باعتبار أنه ينفع صاحبه في الدنيا والاخرة و يدفع عنه الهلايا و
يوجب قربه من الحق كالصدقة (ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه) أشار
بذلك الى ان الإيمان لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق و خزنه عن الباطل مثل النية و
النميمة والقذف والفتن والكذب والزور و نحوها من الامور المضرة و ذلك لان الإيمان
عبارة عن التصديق بالله و رسوله والاعتقاد بحقيقة ما وردت به الشريعة من الأمور و
المنهيات و غيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهي اقراره بالشهادتين ولوازمها و امساكه
عما لا ينبغي. و من البين ان الملزوم لا يستقيم بدون استقامة اللازم، وقد أشار اليه النبي و

٨- علي بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "وَأَلِّمْتَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ" قال يعني كفُّوا ألسنتكم.

٩- علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: نَجاة المؤمن [في] حفظ لسانه.

١٠- يونس، عن مشني، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبوذر رَحِمَهُ اللهُ يقول: يا مَبْتَغِي العلم إنَّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تَخْتُم على ذهبك وورقك.

بقوله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، و أيضاً كل ما يتناولهُ اللسان من الاباطيل والاكاذيب تدخل مفهوماتها في القلب وهو ينال في دخول حقيقة الايمان فيه فلا يعرف حقيقته.

قوله (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم قال يعني كفوا ألسنتكم) ظاهره أن المراد بالايدي اللسان للتشابه بينهما في القوة أو في كونهما آلة لمجادلة و يحتمل أن يكون كف الايدي مجازاً مرسل في كف اللسان لان كف الالسنه سبب لكف الايدي من الضرب والقتل ونحوهما قوله (نَجاة المؤمن حفظ لسانه) أى نجاته في الدنيا و الآخرة لان في كثرة الكلام و افشاء ما ينبغي اخفاؤه وبال الدنيا ونكال الآخرة.

قوله (يا مَبْتَغِي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر) فيه ترغيب في التكلم بالخير و تنفير عن التكلم بالشر ولا يتحقق ذلك الا بالتأمل والتفكر أو لا فيما يقول كما هو شأن المؤمن العارف فانه يتأمل و يتفكر فيما يريد النطق به فان رآه خيراً أبداه وان رآه شراً وأراه بخلاً الجاهل فانه يتكلم بما جرى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه ثم حث على كتمان ما ينبغي كتمانهُ بقوله (فاختم على لسانك كما تَخْتُم على ذهبك وورقك) الورق بكسر الراء والاسكان للتخفيف النقرة المضروبة ومنهم من يقول النقرة مضروبة كانت او غير مضروبة، وقال الفارابي الورق المال من الدراهم و يجمع على أوراق، وروى مثل ذلك عن أمير المؤمنين وع قال والكلام في وثائق ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثائقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة، وقال بعض الاكابر لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.

١١- حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن بقاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون.

١٢- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من يوم إلا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان يقول: نشدك الله أن نعذب فيك.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن إبراهيم بن مهزم الأسدي، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحت؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا و ينادونه ويقولون: إنما نثاب و نعاقبك.

قوله (فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون) قساوة القلب شدته و صلابته بحيث يتأذى عن قبول الحق كالحجر الصلب يمر عليه الماء ولا يقف فيه، وفيه دلالة على أن كثرة الكلام في الأمور المباحة يوجب قساوة القلب، واما الكلام في الأمور الباطلة فقليله كالكثر في النهي عنه و ايجاب القساوة.

قوله (ما من يوم الا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان) أي يذل و يخضع له و التكفير هو أن ينحن، الإنسان و مطلقاً رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، ثم قال من باب الاستئناف يقول (نشدك الله أن نعذب فيك) نشد من باب نصر أي سألتك بالله و احلفك به كان هذا القول بلسان المقال و يحتمل أن يكون بلسان الحال . قوله (ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه) أشرفت عليه اطلعت عليه (فيقول كيف أصبحت فيقولون بخير ان تركتنا)

زبان گفت با سر که جوئی خوشی بگفتا خوشم گر تو دم در کشی (ويقولون الله فينا) أي أحذر الله أو أثق الله أو خف الله في حقنا وأمرنا، و ينادونه أي يخلفونه بالله، و المناشدة قسم دادن و يقولون (انما نثاب و نعاقبك) الحصر اما حقيقى ادعائى أو اضافى بالنسبة الى بواقى الجوارح فكان كل جارحة تخص هذا باللسان بالنسبة الى جوارح آخر فلا يردان كل جارحة نثاب و تعاقب بمثلها أيضاً.

١٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن قيس أبي إسماعيل، وذكر أنه لا بأس به من أصحابنا - رفعه قال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أوصني، فقال : إحفظ لسانك، قال : يا رسول الله أوصني قال : إحفظ لسانك، قال : يا رسول الله أوصني، قال : إحفظ لسانك، ويحك وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

۱۵۔ أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن عمّن رواء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياہ وحضر عذابه .

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام

قوله (قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم) كان الرجل كان معاذ بن جبل لتصريح العامة به في روايتهم مثل هذا الحديث (و هل يكب الناس على مناخرهم في النار الاحصاء ألسنتهم) الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع والحصاد جمع الحصيد وهي ما يحصد من الزرع شبه اللسان وما يقطع به من الاقوال الباطلة بحد المنجل وما يقطع به من النبات.

قوله (من أم يحسب كلامه من عمله كثرت خطايا و حضر عذابه) لعل ذلك لان اللسان له تصرف في كل موجود وموهوم ومعدوم وله يد في العقلات والخياليات والمسموعات و المسمومات والمبصرات والمذوقات والملموسات، فمن حسب أن الكلام ليس من عمله المترتب عليه الثواب والعقاب لم يبال بالكلام في أباطيل هذه الامور و أكاذيبها، فيجتمع عليه من كل وجه خطيئة فتكثر خطايا. وأما غير اللسان فخطايا قليلة فان خطيئة السمع ليست الا المسموعات، وخطيئة البصر ليست الا المبصرات وقس عليها سائر الجوارح و يقرب منه قول أمير المؤمنين (ع) « من كثر كلامه كثرت خطاؤه، ومن كثرت خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار» وهذا من باب القياس المفسول النتائج ينتج من كثرة كلامه دخل النار، وروى في هذا المعنى من طرق العامة أيضاً «من كثر كلامه كثرت سقطته، ومن كثرت سقطته كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» ولعل المراد بحضور العذاب حضور أسبابه أو حضور نفسه لان حضور أسباب الشيء دليل على حضور ذلك الشيء، وقد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطه به وأنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها الحكمة تقتضيه .

قال: قال رسول الله ﷺ: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي رب عذب بطني بعذاب لم تعذب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدماء الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتكح بها الفرج الحرام، وعزمتي [و جلالتي] لأعذب بئسك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك.

١٧- و بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إن كان في شيء شؤم ففي اللسان.

١٨- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، والحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، جميعاً، عن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشرين.

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الغفاري، عن جعفر بن إبراهيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قوله (فيقول أي رب عذبني بعذاب لم تعذب به شيئاً) من الجوارح أي فيقول اللسان ذلك ولعل الإضافة في قوله (من جوارحك) للمجاورة والملابسة أو للإشارة إلى أن سائر الجوارح تابعة له وهو رئيسها (فيقال له خرجت منك كلمة) سواء كانت تلك الكلمة من باب الفتيا أو غيرها. **قوله** (إن كان في شيء شؤم ففي اللسان) الشؤم الشر وشيء مشوم أي غير مبارك، وفيه تنبيه على كثرة شومه لأن له تعلقاً بكل خير وشر فميدان شره أوسع من ميدان شر جميع الجوارح، فمن أطلق عنانه في ميدانه أوردته في مهاوى الهلاك، ولا شؤم أعظم من ذلك **قوله** (صمت قبل ذلك عشرين) أي صمت عما لا ينبغي في تلك المدة ليصير الصمت ملكة له ثم كان يشتغل بالعبادة والاجتهاد فيها لتقع العبادة سافية خالية عن المفاصل وفيه تنبيه على أن الصمت أصل عظيم في العبادة و خلوصها وبقائها ومعرفة أحكامها و سيرورتها مرقاة للمابد في الترقيات إلى المقامات العالية.

قوله (من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه) أي يهمل أو يقصده من عنيت به أي أهتممت واشتغلت به أو من عنيت فلاناً أي قصدته، وفيه تنبيه على أن المتكلم ينبغي أن يعد كلامه من عمله ويتدبر في صحته وفساده وضره ونفعه، فإن رآه صحيحاً لا يترتب عليه شيء من المفاصل آجلاً وعاجلاً تكلم به وإن رأى خلاف ذلك أمسك عنه.

٢٠- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حكمة آل داود علي العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.

قوله (علي العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه) على العاقل أن يعرف حال أهل زمانه من الخير والشر والملاح والفساد والحق والباطل ويميز بينهم ليسفولهم معنى الصحة والعثرة ويبدو له محل الفرقة والعزلة ويتمكن من اجراء السياسة المدنية على القوانين النبوية، ويحب الله ويبغض في الله ويراعى الحزم والثقية في موضعها وان يقبل على شأنه فيصلح حاله ظاهراً وباطناً بالسياسة البدنية ل يتمكن من العروج في المارج الروحانية وان يحفظ لسانه عن اللغو والمزخرفات الشيطانية قال أمير المؤمنين عليه السلام «وإذا تم العقل نقص الكلام» (١) وذلك لان تفكره في الله يمنعه من الاشتغال بما لا يمينه.

(١) وقوله «وإذا تم العقل نقص الكلام» ان للانسان قوة تسمى بالمتخيلة او المتصرفه او المتفكرة او المتذكرة باعتبارات مختلفة وهي عند الحكماء قوة جسمانية يننون ان النفس يحتاج في استخدامها الى آلة جسمانية هي الروح المصوب في التجويف الاوسط من تجاويف الدماغ وعملها التركيب والتفصيل في مخزونات الذهن أى في القوة الحافظة ومن يستعمل القوة المتخيلة كثيراً الشراء اذ ينفحصون عن كل شى وما يناسبه ويشابهه و يقتبعون صفاته ومحاسنه ومقابحه وعما يؤثر في نفوس السامعين من الشوق والنفرة وأمثال ذلك وهذا البحث البالغ عن مكنونات الخواطر لقوة من قوى الانسان يختلف فيها أفراد البشر ضعفاً و شدة . ويستعملها أيضاً المخترعون والمهندسون بجمع الاشكال وتفريقها ويستعملها العلماء و الحكماء عند الاستدلال والتفكر في تهية المقدمات وتركيبها واستنباط المجهولات من المعلومات بتفحص ما في حافظتهم ليجدوا ما ينفع في مقصودهم ويستعملها الناس جميعاً لتذكر ما غاب عن ذهنهم بتتبع ما ارتكز في خاطرهم حتى يتذكروا ما لم ينسوه وقد يتسلسل بسببها مكنوناتهم باختيارهم أو بنير اختيارهم خدمة لقوتهم المسماة بالواهمة وقد اشرنا الى الواهمة. وعلى كل حال المتخيلة قوة جسمانية اذ يمرض بكثرة أعمالها الكلال والاعياء بل المعجز وهذه من صفات الاجسام بخلاف العقل فانه لا يكل بتكثر المقولات ولا يعجز عن حملها والعقل اذا تم وكمل منع بظاهريته جميع القوى عن الاسترسال فيما لا يفيد و أجبرها على خدمته فلامجال للمتخيلة العاقل الا في التفكير الصحيح ولذلك قد تسمى متفكرة ولا يبقى لها فرصة لتركيب الفضول والهذرو خدمة الواهمة في ما لا يمينه ونعلم أن التكلم غير ممكن الا بأعمال المتخيلة من تركيب المفاهيم»

شرح الاصول الكافي - ٢٠ -

٢١- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن الحسن بن رباط، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً.

(باب المداراة)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يدارى به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن الحسن قال: سمعت جعفرأ عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال

قوله (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً) لان سكوت المؤمن عمالا يعنى احسان عظيم على نفسه بل على غيره.

قوله (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل) العمل التام هو العمل الخالص الغير المشوب بشيء يوجب فساد أو نقصانه وهذه الثلاث أولها ورع يحجزه عن معاصي الله اذ من لم يكن له ورع يصدر منه المعاصي كثيراً فلا يكون عمله تاماً بل مختلطاً وثانيها خلق يدارى به للناس أى يلاطفهم و يلاينهم و يحسن صحبتهم و يحتمل منهم كيلاً يتنفروا عنه، ومن لم يكن له هذا الخلق لم يتم له عمل اذ كثيراً ما يصدر منها المكاشفة والخشونة والمناقشة والمجادلة والمقاولة وهذه الامور توجب فساد عمله أو نقصانه، و ثالثها حلم يرد به جهل الجاهل أى ملكة لا تتفعل بها النفس عما صدر من الجاهل من السفاهة والايذاء والاستخفاف والاضرار بل ترد بها جميع ذلك بالمعفو عنه قال بعض الحكماء : موضعان لا اعتذر من العى فيهما اذا خاطبت جاهلاً و اذا سألت حاجة و من لم يكن له حلم يصدر منه مثل ما صدر من الجاهل فلا يكون عمله تاماً أيضاً.

والمعاني واحضار مكنونات الخواطر مما لا يفيد فائدة أو يفيد ولو صرف النظر عن هذه النقصية والميب فالكلام بنفسه دليل على العقل وأن صاحبه مدرك للكلية لان الالفاظ غالباً كليات ولفظك سمى ادراك الكليات نطقاً ولا يتكلم الحيوان اذ لا يدرك الكلى بل انما يثر حاسته من الموجودات الخارجية فقط و من الله تعالى على الانسان بتعليم البيان فمقصود الامام دع، نقص الكلام فى الفضول و ما لا يعنى ولا ينفع أو يضر، وخلق الكلام ليكون معيناً للعقل لاليمنه من وظائفه. (ش)

يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك دار خلقتي .

٣- عنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال في التوراة مكتوب- فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام : يا موسى اكنتم مكنوم سرّي في سريرتك و أظهر في علانيتك المدارة عنّي لعدوّي و عدوّك من خلقتي ولا تستسب لي عندهم باظهار مكنوم سرّي ، فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي .

٤- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حمزة بن بزيع ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمرني ربّي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض .

قوله (دار خلقتي) وان كانوا كفارا كما دل عليه قوله تعالى وو قولا له قولا لينا ، ومن جملة المدارة والملاطفة استجلاب طبائعهم الى الحق وتأنيبهم به بالحكمة والموعظة الحسنة قليلا قليلا على سبيل النلطف لادفئة لئلا تشمئز عنه قلوبهم ولا يتنفّر عنه طبائعهم و لو لم يمكن تأنيبهم به اما لفوضه بالنسبة الى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم الباطل ينهني أن يحملهم عليه بالحيل و التدبير و المقدمات الخطائية حتى يرجعوا من الجهل المركب الى الجهل البسيط ثم يداويه .

قوله (اكنتم مكنوم سرّي في سريرتك) لعل المراد بالسريرة القلب والسر واحد الاسرار و هو ما يكنم ، و اسرار الحديث اخفائه و الاضافة من باب جرد قطيفة للمبالغة ثم أشار الى بعض فوائد الكتمان و ضرر نقبضه للترغيب فيه بقوله :

(ولا تستسب لي عندهم باظهار مكنوم سرّي فتشرك عدوك وعدوّي في سبّي) قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، وفيه ترغيب في المدارة مع الاعداء والملاطفة والملاينة معهم سواء كانت العداوة في الدين أو الدنيا مثل الحق والحد والحسد وغيرهما لان المدارة من جملة التدبيرات في دفع العداوة ، و من ثم قيل قمع الشر بالخير وبالشر شر ونهى عن المكاشفة بالسب والمخاصمة والمجادلة معهم فان ذلك كثيرا ما يفضي الى المعاملة بالمثل وسبهم الله تعالى أي لاوليائه كما دل عليه بعض الروايات و ضياع الاموال و هلاك النفوس الى غير ذلك من المفساد الكلية والجزئية فيتهدد به نظام العالم و صلاح بني آدم خصوصا اولياء الله تعالى . هذا بحسب الظاهر ، وأما بحسب الباطن فينهني أن يتفكر فيما يدفع به عداوته وكيدته بقدر الامكان على ما تقتضيه الحكمة بحيث لا يكون مهيجا للشرو العداوة ، وفيه دلالة على ان السب للفعل كالفاعل له .

٥- علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنوا أنه أبله وصبر نفسه على أن يقال [له]: إنه أبله لاعتقل له.

٦- علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، ذكره، عن محمد بن سنان، عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا (١) من قريش وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس وإن قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم

قوله (مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش) لعل الوجه أن الإيمان عبارة عن توجه القلب إلى الله تعالى وترك التعرض لما عداه فإذا تحقق الأول تحقق نصف الإيمان وإذا تحقق الثاني بالمداراة تحقق نصفه الآخر اذ لولا المداراة لاشتغل القلب بوجود معادلتهم ومناقشتهم وأيضاً الإيمان هو العقد والعمل، والعمل يتم بالمداراة والعيش يتحقق بوجود أسبابه ورفع موانعه ورفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض العنف اذ لولا الرفق لنحقق موانع العيش من وجوه متكررة وفسد نظامه فالرفق نصفه.

قوله (لا ينجو من ذوي الدين إلا من ظنوا أنه أبله) لكون رسومه وماداته خلاف رسومهم وعاداتهم من العنف والخشونة والمكر والغدر لزجر نفسه بالأداب الشرعية والأخلاق العقلية فظنوا أنه أبله لاعتقل له ولا يفهم شيئاً ومن عقله ودينه أيضاً أنه صبر نفسه أن يقال له أبله لاعتقل له ولا يزعجه هذا القول من شيمته ولا يخرج به عن سجيته، وصبر أمام مجرد أو مزيد بالثقل، قال في المصباح صبرت صبراً من باب ضرب حبست النفس عن الجزع وصبرت زيداً يستعمل لازماً ومتدياً وصبرته بالثقل حملته على الصبر بوعده الأجر و قلت له اصبر به .

قوله (أن قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا (١) من قريش) أي أخرجوا وأطرحوا منهم ولعل المراد بالناس قريش ويحتمل الأهم ثم أشار مؤكداً بالقسم إلى أن ذلك الإلقاء باعتبار فوات حسب أنفسهم ومآثرها إلا باعتبار فوات حسب آبائهم ومآثر أسلافهم بقوله (وأيماً الله ما كان بأحسابهم بأس) الحسب بفتحين ما يعده من مآثره ومآثر آباءه والمراد به هنا مآثر الآباء وفيه تنبيه على أن المعتبر في شرف كل رجل إنما هو مآثر نفسه، ومن ثم قال الحكماء من فاته مآثر نفسه لم ينتفع بمآثر أبيه، وأيم الله اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمرو الله وهمزته عند البصريين وصل واشتقاقه من اليمين وهو البركة وعند

فألحقوا بالبيت الرفيع ، قال: ثم قال: من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة .

(باب الفرق)

١- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عمن ذكره، عن

الكوفيين قطع لانه جمع بمين عندهم وقد يختصر منه فيقال و ايم الله بحذف النون وفيها لغات كثيرة وتفتح همزتها وتكسر ثم اخذ صرثانياً فقل م الله بضم الميم وكسر ها وقيل ايم الله اسم برأسه موضوع للقسم. ولما ذكر حال هؤلاء اثار الى حال من اتصف بالمدارة بقوله (وان قوماً من قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع) وهو بيت الشرف والمجد والطاعة والتقوى ومته قوله دس، وسلمان منا أهل البيت، ومحال ان يريد به بيت النسب لانه منزله عن الكذب، و قوله اتبعوني تكونوا بيوتاً أي تعرفوا وذلك لان البيت في عرف اللغة يعبر به عن الشرف و المجد كما يقال البيت في بني فلان أي الشرف والمجد فيهم، والى جميع ما ذكر أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله رب بعيداً قرب من قريب وقريب أبعد من بعيد، ثم قال (من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة) هذا مثل ما قال أمير المؤمنين (ع) و من يقبض يده عن عشرته فإنما يقبض منه عنهم يداً واحدة ويقبض منهم عنه أيدي كثيرة و من تلن حاشيته (يعني جانبه) يستدم من قومه المودة، قال السيد رضي الدين رضي الله عنه وما أحسن هذا المعنى الذي اراده (ع) بقوله، «يقبض يده عن عشرته» الى تمام الكلام. فان الممسك خيره عن عشرته انما يمسك نفع يداً واحدة فاذا احتاج الى نصرته واضطر الى مرافقتها ومعاونتهم قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته واستفائته فمنع ترافداً لا يدي الكثيرة وتناهى الاقدام الجمعة. وقال بعض الافاضل تقريره ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة أتم وأولى بصالح حاله من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بها وجب عليه أن يستجلب بمد يده الكثيرة الى نفعه و الا لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك أيديهم الكثيرة عنه مضياً على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضياً لما هو أعظم فيكون مناقضاً لغرضه، وذلك جهل وسفه، وقوله و من تلن، من تمام تأديب الاغنياء بما يعود اليهم نفعه من التواضع ولين الجانب للمخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرته المستلزمة لصالح المتواضع فيما يقصده و بمثل ذلك أدب الله تعالى نبيه دس، حيث قال: و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، و ظاهر أن غايته المذكورة و ثمرته المطلوبة لا تحصل عند جفاة الخلق والتكبر كما أشار اليه تعالى بقوله «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق.

٢ - و بإسناده قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من قسم له الرفق قسم له الإيمان .
٣ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن يحيى الأزرق ، عن حماد بن بشير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم ومضادتهم لهواهم و قلوبهم ، و من رفقه بهم أنه

قوله (إن لكل شيء قفلاً) أى حافظاً له ما نأمن ورود أمر فاسد عليه و خروج أمر صالح عنه من باب الاستعارة وتشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الإيضاح .
(و قفل الإيمان الرفق) وهو لين الجانب والرفقة وترك العنف والجفاوة في الأفعال والاقوال على الخلق في جميع الأحوال سواء صدر منهم بالنسبة إليه خلاف الآداب أو لم يصدر وفيه تشبيه الإيمان بالجوهر والقلب بخزائنه والرفق بالقفل لانه يحفظه عن زواله منه وخروجه عنه وطريقتان مفاسده عليه .

قوله (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق) (١) ثبت إطلاق الرفيق على الله تعالى من طرق العامة أيضاً روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، قال القرطبي : الرفيق هو الكثير الرفق والرفق يحىء بمعنى التسهيل وهو ضد العنف والتشديد والتعصيب وبمعنى الأرفاق وهو إعطاء ما يرتفق به وبمعنى التأني وعدم العجلة وصحت نسبة هذه المعاني إلى الله سبحانه لانه المسهل والمعطي وغير المعجل في عقوبة العاص .
أقول للرفق معنى آخر يصح له تعالى أيضاً وهو إحكام العمل ، قال في المصباح رفقت العمل من باب قتل أحكمته ومعنى يحب الرفق انه يأمر به ويحض عليه ويريد صدوره منهم ويثيبهم له ولما أشار إجمالاً إلى أنه تعالى رفيق أشار إلى بعض جزئيات رفقه .

(فقال فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم) السل والتسليل إخراج الشيء برفق تقول

(١) قوله وإن الله تعالى رفيق يحب الرفق ، يدل على أن ملاك حسن الاخلاق وفضاء الملكات وجود مثلها أو ما يناسبها في صفات الله تعالى مثلاً الله كريم يحب الكرم فالكرم من الملكات الفاضلة وحليم يحب الحلم ، والجود حسن لان الله جواد ، والسخاء حسنة وان لم يوسف الله تعالى بالسخاء لكن وصف بما يناسبها والشجاعة حسنة ولا يقال له تعالى شجاع لكن يتصف بعدم الخوف وهذا معنى ما قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وبالجملة هو الموجود الكامل الجامع لجميع الكمالات المنزه من جميع النقائص ، وتحصيل كل كمال تشبه بالخالق تعالى وما يسلب عنه كالجسمية والمحسوسية والمكان والزمان والتركيب و أمثال ذلك من صفات النقص ويجب الترفع عنها على الانسان بقدر استطاعته وهو معنى التقرب إلى الله وجعله غاية للعبادات . (ش)

يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان و
مناقضته جملة واحدة فيضعفوا فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً.

سللت السيف اذا أخرجته من غمده، والضنن الحقد والمداوة والبغضاء، تقول ضمن صدره
ضمناً من باب تعب أى حقد، والاسم الضنن والجمع الضنان مثل حمل وأحمال، ولعل المراد
بتسليها إخراجها بالرفق والتدريج عن قلوبهم وتوفيقهم على دفعها باستعمال أسبابه و عدم
تكليفهم به دفعة فان دفعها دفعة صعب عليهم.

(و مضادتهم لهوهم و قلوبهم) (١) بين الهوى والنفسانية والاخلاق الرذيلة مثل الطمع و
الحرس والاسف على فوات الدنيا والغضب والبغض والفرة وغيرها و بين القلوب العاقلة
المقتضية للاخلاق الفاضلة مضادة تريد كل واحدة الغلبة على الاخرى والله سبحانه لرفقه
بهم أمرهم برفقها و إخراجها على سبيل التدريج لادفعة لئلا يصيب ذلك عليهم.

(و من رفقه بهم انه يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم
عرى الايمان و مناقضته جملة واحدة فيضعفوا فإذا أراد ذلك نسخ امر بالآخر فصار منسوخاً)
عروة الكوز اذنه والجمع عرى مثل مدية ومدى وعروة الايمان أحكامه وآثاره و خواصه
على التشبيه بالعروة التى يتمسك بها ويستوثق فان العبد بأحكام الايمان يحمله كما أن شارب
الماء يحمل الكوز بعروته. ولعل المراد أنه تعالى يعلم ان صلاح العباد فى أمرين و انه
لو كلفهم بهما دفعة وفى زمان واحد ثقل ذلك عليهم وضعفوا عن تحملها فمن رفقه بهم أن
يأمرهم بأحدهما و يدعهم عليه حيناً، ثم اذا أراد إزالتهم عنه نسخ الأمر الاول بالأمر
الاخر ليفوزوا بالمصلحتين و هذا وجه آخر للنسخ غير ما هو المعروف من اختصاص
كل أمر بوقت دون آخر والله اعلم .

(١) قوله ومضادتهم لهوهم و قلوبهم، الهوى هو القوة الواهمة وما يتفرع عليها
كالشهوة والغضب والطيش، والقلب القوة العاقلة وما ينشعب منها كالحلم والرفق والثبوت و
التؤدة ولم يجعل الواهمة فى الانسان الا لمصلحته ولو لم يكن الشهوة و حب المنافع لم يطلب
الانسان الطعام والنكاح ولم يتحمل مشقة المكاسب وفسد العالم و خربت البلاد و زال العمران
ولو لم يكن الغضب والتنفير عن المضار لم يدفع أحد عن عرضه وماله ونفسه وفسد العالم أيضاً
ولو لم يكن العقل واسترسل الناس فى طلب شهواتهم واتبعوا غاياتهم مطلقاً لم يترتب المرض
المقصود من خلقه الانسان بل كانوا كسائر الحيوانات ونوعاً من أنواعها فرفق الله بهم وجعل
فيهم الهوى والقلب و سلط القلب أى العقل والقوة الناطقة على الهوى أى الوهم ليصلحه
بالرفق والمداراة ولم ينزع العقل ولا الوهم عنهم حتى يقهرهم على الخير والشر رفقا بهم. (ش)

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الرِّفْقُ يُمْنٌ والخرق شوم.

٥- عنه، عن ابن محبوب، عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل رقيق يحب الرِّفْقَ ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العنف.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرِّفْقَ لم يوضع على شيء إلا أزاله

قوله (الرفق يمن والخرق شوم (١)) اليمن البركة يقال يمن الرجل على قومه و لقومه بالبناء للمفعول فهو يمينون و يمنه الله يمينه يمناً من باب قتل اذا جعله مباركاً والخرق بالضم والسكون، اسم ضد الرفق يقال خرق خرقاً اذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق و الاثنى خرقاء مثل أحمر و حمراء وقد يفسر الخرق بالجهل لانه ينشأ منه والشوم ضد اليمن ورجل مشوم أى شرب غير مبارك، وانما كان الرفق بمنأى لانه منشأ لصحة النظام وسبب للخيرات وكل ذلك مبارك والخرق عكس ذلك فهو غير مبارك.

قوله (و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف (٢)) أى يعطي على الرفق فى الدنيا من الثناء الجميل وفى الآخرة من الثواب الجزيل (٢) ما لا يعطي على العنف الجايز فاذا كان أمر يسوغ الشرع أن يوصل اليه بالرفق والعنف فسلوك طريق الرفق أولى لما يحصل من الثناء على صاحبه وغير ذلك من منافعه التى لا تحصى.

قوله (أن الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزح من شيء الا شانه) زانه من باب

(١) «والخرق شوم» الخرق أيضاً طيش و غضب و تسرع الى الشر وهى من لوازم القوة الواهمة و ادراك مصاديق المعالى الجزئية وهى جسمانية بدليل أن غير العاقل يسترسل فيما يقتضيه هذه الحالات قهراً جبراً وقلنا أن الجسمانيات تترتب على أسبابها قهراً و لو كان العقل أيضاً جسمانياً كان تترتب مقتضاه أيضاً قهرياً. (ش)

(٢) قوله «وفى الآخرة من الثواب الجزيل» أصل الرفق ملكة تبقى مع بقاء النفس وهكذا كل ملكة لا يتوقف على آلة جسمانية مثلاً ملكة الكتابة والنطق باليد واللسان لا تبقى عند زوال اليد واللسان وأما ملكة الايمان والتقوى من صفات النفس لا باعتبار تعلقها فتبقى معها لعدم توقفها على الآلات البدنية وسيجىء ان شاء الله اثبات بقاء النفس المجردة بملكاتها فى موضع البق. (ش)

ولانزع من شيء إلا شانه.

٧- عليؑ، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن عمرو بن أبي المقدام، رفعه إلى النبي ﷺ قال: إن في الرفق الزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير.

٨- عنه، عن عبدالله بن المغيرة، عن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما زوي الرفق عن أهل بيت إلا زوي عنهم الخير.

٩- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي بن المعلّى، عن إسماعيل بن يسار، عن أحمد بن زياد بن أرقم الكوفي، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال، و الرفق لا يعجز عنه شيء والتبذير لا يبقى معه شيء، إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق.

١٠- علي بن إبراهيم رفعه، عن صالح بن عقبة، عن هشام بن أحمر، عن أبي -

سار وزينه بمعنى والاسم الزينة والزين نقبض الشين وشانه من باب باع شيئاً ما به، وهذا الحديث رواه مسلم بعينه عنه وص، فهو متفق عليه بين الأمة.

قوله (أن في الرفق الزيادة والبركة) أي زيادة الرزق والبركة فيه أو زيادة الخير لكونه ذريعة إلى منافع الدنيا والآخرة ومستلزماً للخصال المرضية والكمالات السنية بخلاف العرق فإنه مع كونه نقصاً في ذاته وتاباً للجهالات جالب للشور ومانع من الخيرات.

قوله (أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق) أي رفق بعضهم ببعض أو رفقهم بخلق الله (فقد وسع الله عليهم في الرزق) لأن الرفق أشد جاذب له وسبب لرفقه تعالى بهم في إيصاله وتسهيل طرقه. وفيه ترغيب في اكتساب الرفق كما أن قوله (والرفق في تقدير المعيشة) أي التوسط بين التقتير والتبذير (خير من السعة في المال) بلا تقدير المعيشة ترغيب في اختيار التوسط في المعيشة وهي مكسب الإنسان الذي يعيش به وأشار إلى وجه ذلك بقوله (والرفق لا يعجز عنه شيء) أي الرفق في تقدير المعيشة لا يضيع ولا يقصر عنه شيء من المال لأن القليل من المال يكفى مع التقدير والقدر الضروري قد ضمنه العدل الحكيم ولا بد من حصوله (والتبذير لا يبقى معه شيء) من المال كما هو المشاهد المجرى، ثم حث على الرفق مطلقاً أو على الرفق في تقدير المعيشة بقوله (إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق) لأنه أقوى سبب لبقاء نظام الكل والجزء المطلوب عقلاً وشرعاً.

الحسن عليه السلام قال : قال لي - و جرى بيني وبين رجل من القوم كلامٌ فقال لي - :
ارفق بهم فإن كفر أحدهم في غضبه ولاخير فيمن كان كفره في غضبه .

١١- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن حستان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: الرُّفُق نصف العيش .

١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب الرُّفُق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدوابَّ العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها .

١٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان الرُّفُق خلقاً يرى ما كان ممّا خلق الله شيء أحسن منه .

١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن -

قوله (فإن كفر أحدهم في غضبه) الغضب كثير ما يفيض إلى الكفر بمعنى الارتداد و الجحود وأما الكفر بمعنى ترك المأمور به فهو لازم له قطعاً .

قوله (الرفق نصف العيش) العيش الطيب يحصل بالكفاف والرفق الموجب للتودد و التآلف فالرفق نصف العيش خصوصاً مع الخدمة والعبيد والأهل، ومن الرفق بهم أن يصفح عن ذلاتهم وأن يكلنهم دون طاقتهم وأن يطعمهم ويلبسهم ما يطعمه ويلبسه .

قوله (فإذا ركبتم الدواب العجف) الفرس الأعجف الضعيف المهزول والاشئ المعجفاء وتجمع على عجف كسماء على صم وعلى عجاف بالكسر على غير قياس لأن أفضل فعلاء لا يجمع على فعال، وإنما خص المعجف بالذكر لأن رعاية حالها أهم والأفالحكم - وهو قوله (فأنزلوها منازلها) أي منازلها اللائقة بحالها من حيث الماء والكلاء - غير مختص بالجرياته في غير المهزولة أيضاً (فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها) أجذب الأرض وجدها مجدبة لا عشب فيها ولا كلاء من الجذب وهو التقطط، ونجا ينجو بالجيم إذا أسرع في السير ونجا من الأمر إذا خلاص وأنجاه غيره . وفي طرق العامة عنه ومن، وإذا سافرت في الجذب فاستنجوا أي أسرعوا في السير لتخلصوا منه . وفي رواية أخرى لهم وفأنجوا كما في ما نحن فيه (وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها) الخصب بالكسر النماء والبركة خلاف الجذب وهو اسم من أخصب المكان بالالف فهو مخصب وأخصب الله الموضع إذا أنبت فيه العشب والكلاء .

ميمون، عمن حدثه، عن أحدهما عليه السلام قال: إن الله رفيق يحب الرفق ومن رفق به بكم تسليلاً أضفانكم ومضادة قلوبكم وإنه ليريد تحويل العبد عن الأمر فيتركه عليه حتى يحول به بالناسخ كراهية تناقل الحق عليه.

١٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه.

١٦- أبو علي الأشعري، عن محمد بن حسان، عن الحسن بن الحسين، عن الفضيل ابن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس.

(باب التواضع)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال عليه السلام: فقال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بنا وتغيّر وجوهنا قال: الحمد

قوله (و من رفق تسليلاً أضفانكم و مضادة قلوبكم) لعل المراد بمضادة القلوب ما يضاد الحكمة و الاخلاق الفاضلة. و بالرفق في تسليها الامر بازالتها تدريجاً بالحكمة العملية و الاداب الشرعية لادفاعة فان ازالها دفعة صعب و الله سبحانه لرفقه بعباده لم يكلفهم بها. **قوله** (و انه ليريد تحويل العبد عن الامر فيتركه عليه حتى يحول به بالناسخ كراهية تناقل الحق عليه) لعل الكراهية علة لتحويله بالناسخ و الحق الامر المنسوخ و وجه التناقل ان النفس ينقل عليها الامر المكرر و تنشط بالامر الجديد، او علة لتحويله بالناسخ دون جمعه معه ان في كلا الامرين صلاح العبد الا ان الرفق يقتضى النسخ لثلاث يتناقل الحق عليه. والله اعلم.

قوله (من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس) لان رفق به بموجب ميل القلوب اليه و التألف و التودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصود منهم.

قوله (قال ارسل النجاشي) النجاشي ملك الحبشة مخفف عند الاكثر (و عليه الخلقان الثوب) خلق الثوب بالضم اذا بلى وهو خلق بفتحين و الجمع خلقان وفي بعض النسخ والثياب، و الاضافة من باب جرد قطيعة (فاشفقنا منه) أي خفنا يقال اشفق منه اذا خاف و اشفق عليه اذا

الله الذي نصر محمدًا وأقرَّ عينه ، ألا أبشركم ؟ فقلت : بلى أيها الملك ، فقال : إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيّه محمدًا ﷺ وأهلك عدوّه وأسر فلان وفلان والتقوا بوادي قال له : بدر كثير الاراك لكأنني أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر : أيها الملك فمالي أراك جالساً على التراب وعلى هذه الخلقان ؟ فقال له : يا جعفر إنما نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد ﷺ أحدثت الله هذا التواضع فلما بلغ النبي ﷺ قال لأصحابه : إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً ، فاعفوا يعزكم الله .

عطف عليه (عين من عيوني) العين الديدبان والجاسوس (التقوا بوادي يقال له بدر كثير الاراك) بدر موضع بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب ، ويقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ، وعن الشعبي انه اسم بئر هناك قال وسميت بدر لان الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر ، و الاراك شجر يستاك بقصبانه ، الواحدة الاراكة ويقال هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان خواردة المود ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير يملأه العنقود الكف (لكاني انظر اليه حيث كنت ارضى لسيدي هناك) أي لكاني حاضر هناك انظر اليه و حيث تميل لكاني أنظر اليه (أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة) كما ينبغي التواضع لله وهو اظهار الخشوع والخضوع والذل والافتقار عند ملاحظة عظيمته وجلاله كذلك ينبغي التواضع له عند التشرف بنعمة من نعمة النبوية والاخرية جسمانية كانت أو روحانية والاول أفضل من الثاني لانه تعالى استحق الاول بالذات والثاني بالغير . (ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة) أي كثرة أموال وأهوان في الدنيا وكثرة الاجر في الآخرة ، ومن ثم قبل الصدقة ثمن نعيم الجنان واجر خدم الخلد من الولدان (وان التواضع يزيد صاحبه رفعة) أي التواضع لله وللمؤمنين يوجب رفع قدر صاحبه في الدنيا لميل القلوب الى محبته وتمظيمه وتوقيره وشغل اللسان بحسن ذكره و ثنائه وتشهيره في الآخرة بعلو المرتبة والاجر الجميل وسمو المنزلة والثواب الجزيل (و ان العفو يزيد صاحبه عزاً) لان من عرف بالعفو ساد و

٢- علي بن ابراهيم. عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه.

٣- ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخيض بعسل فلمّا وضعه على فيه نحاه، ثم قال: شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أحرمه ولكن أتواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذّر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله.

٤- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن داود الحمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، مثله. وقال: من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته.

ظلم و عز في الدنيا والاخرة. وقد روى نظيره من طرق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

قوله (فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه) دخل في التواضع للامثال بأوامره ونواهي وآدابه وأخلاقه والخشوع له عند ملاحظة عظيمته وإظهار ذل النفس والمجزع عند مشاهدته، ولعل المراد برفعهما ووضعهما الدعاء بالرفع والوضع أو اعلام سائر الملائكة بأن فلاناً رفيع القدر وفلاناً ضيع القدر، أو رفع روح المتواضع ووضع روح المتكبر عند الموت.

قوله (بعس مخيض بعسل) أي ممزوج بعسل والعس بالضم القدح الكبير والجمع عاس ككتاب، والمخيض فصيل بمعنى مفعول من مخضت اللبن مخضاً من باب قتل وفي لغة من باهى ضرب ونفع إذا استخرجت زبد به وضع الماء فيه وتحريكه (لا أشربه ولا أحرمه) دل على أن الاكتفاء بطعام واحد أولى من تناول الأطعمة الكثيرة الممزوجة وغيرها (ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله) لأن ذكر الموت يوجب ترك الدنيا والميل إلى الآخرة والقيام بوظائف الطاعات وتطهير الفأخر والباطن عن الأعمال والأخلاق الرذيلة وكل ذلك يشمر محبته تعالى.

قوله (من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته) أي من أكثر ذكر الله باللسان والجنان

٥ - عذرة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن العلامة بن زرير ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنه أتى رسول الله ﷺ ملك فقال : إن الله عز وجل "يخيرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً" قال : فنظر إلى جبرئيل وأوماً بيده أن تواضع . فقال : عبداً متواضعاً رسولاً فقال الرسول : مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً ، قال ومعه مفاتيح خزائن الأرض .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلم على من تلقى و أن تترك المراء وإن كنت محققاً وأن لا تحب أن تحمد على التقوى .

عند الطاعة والمصيبة والبلية أدخله الله في جنته وأظله بأشجارها أو أوقع عليه ظل رحمته في جنته أو أدخله في كنفه وحمايته فان الظل قد يكتنى به عن الكنف والحماية كما يقال فلان في ظل فلان أو قبل الله عليه حتى كأنه ألقى ظله عليه على سبيل التمثيل والظل يطلق على الإقبال كما يقال أظلك شهر رمضان .

قوله (قال ومعه مفاتيح خزائن الأرض) ضمير قال راجع إلى أبي جعفر عليه السلام وضمير معه إلى الملك الرسول ، و المفتاح الذي يفتح به الملائكة والمفتح مثله و جمع الاول مفاتيح ، و جمع الثاني مفاتيح بغير ياء ، ويمكن حمل مفاتيح خزائن الأرض على الحقيقة و على استعارة لطيفة وذلك أن المعجز وعدم التمكن والقدرة على استيلاء أهل الأرض بخزائنها لما كان مانعاً من ذلك شبهه بخلق المانع من الدخول في الدار يتناول ما فيها والقدرة والتسكن لما كان دافعاً لذلك المانع شبهه بالمفتاح .

قوله (من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس) و ان اقتضى شرفك صدره كما روى ذلك في وصف النبي ﷺ (وان تسلم على من تلقى) أي على كل من تلقى وان لم يكن من معارفك الا ما استثنى مثل الكتابي والشابة الا ان تأمن من نفسك أن يدخل فيها شيء ومع ذلك فترك السلام عليها راجع لما يأتي في باب التسليم على النساء (وان تترك المراء وان كنت محققاً) أي وان تترك المجادلة والمنازعة مع الخلق والظمن في قولهم ولو كانت في الدرس والمسائل العلمية وان كنت محققاً الا ان تريد الهداية والارشاد مع لين القول فانه أقوى في التأثير ، وفي المصباح ماريته اماريه مراء و مراء جادلته و يقال ماريته أيضا اذا طعنت في قوله تزييفاً للقول وتفسيراً للقايل ولا يكون المراء الا اعتراضاً بخلاف الجدل فانه يكون ابتداءً واعتراضاً (وان لا تحب ان تحمد على التقوى) لان حب ذلك من آثار المعجب والادلال والاعتقاد بخروج النفس عن حد التقصير ، وكل ذلك مذموم مهلك وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن يقطين، عن عمته رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يأموسى تدري لم اصطفيتك بكلامى دون خلقي؟ قال: يا رب! ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يأموسى إننى قلبت عبادى ظهراً لبطن، فلم أجديهم أحداً أدلّ لى نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على الشراب - أو قال: على الأرض - .

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ علي بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذمين وهوراكب حماره وهم يتغدّون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما إننى لولا أننى صائم لفعلت، فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام فصنع، وأمر أن يشنّوا قوا فيه، ثم دعاهم فتغدّوا عنده و

المتواضعين أنهم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون، إذا ذكى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون اغفر لى ما لا يعلمون، قوله (انى قلبت عبادى ظهراً لبطن) فى المصباح قلبته قلباً من باب ضرب حولته عن وجهه و قلبت الرداء حولته و جعلت أعلاه أسفله و قلبت الشىء للابتياح قلباً أيضاً تصفحته فرأيت داخله و باطنه و قلبت الامر ظهر البطن اختبرته.

قوله (مر علي بن الحسين عليهما السلام على المجذمين) وفى بعض النسخ والمجذومين، يقال رجل أجذم ومجذوم ومجذم إذا تهاقت أطرافه بالاجذام و هو داء يحدث من غلبة السوداء فيفسد مزاج الاعضاء و ربما انتهى الى ان يأكلها ويأكل ما يوضع فيها والنرض من هذا الحديث هو اظهار تواضعه لله تعالى كما يفهم من قوله (وهو راكب حمارة) أو للخلق المجذومين فكيف غيرهم كما يفهم من قوله فى الآخر (وتغدّى معهم) والتثنية نيك درنكرستن دركارى و نيكوساختن، أو يقال شىء انيق أى حسن معجب والظاهر انه دعاه أكل معهم فى اثناء واحد و فيه دلالة على جوارحه مصاحبة المجذوم و معاشرته ومواكلته و يؤيد ما مارواه المصنف فى كتاب الروضة عن أبي عبد الله عليه السلام قال دان امرائى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله انى اصيب الشاء والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فاكره شراءها مخافة ان يمدى ذلك الجرب ابنى و غنى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا امرائى فمن أعدى الاول ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا عدوى ولا طيرة - الحديث - يبنى لا تجاوز العلة صاحبها الى غيره

تغدي معهم.

٩- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ،

ومثل هذه الرواية بمعنىها موجود من طرق العامة أيضاً وهو لا ينافي الرواية المشهورة عندنا وعندهم وهي: فر من المجذوم فرارك من الأسد، فليلجس بينهما أن حديث الفرار ليس للوجوب بل للجواز أو الندب احتياطاً خوفاً ما يقع في النفس من أمر العدو والسراية وحديث الأكل والمجالسة للدلالة على الجواز سيما إذا لم يوجس في النفس خوف العدو. ومما يؤيد ذلك ما روى من طرق العامة عن جابر أنه (ص) أكل مع المجذوم فقال: آكل ثقة بالله وتوكل عليه، ومن طرقهم أيضاً أن امرأة سألت بعض أزواجه: «س» عن الفرار من المجذوم فقال: كلا والله وقد قال رسول الله: «س» لا عدوى، وقد كان لنا مولى أصابه ذلك فكان يأكل في صحافي ويشرب من قداحي وينام على فراشي. وقال بعض العامة حديث الأكل ناسخ لحديث الفرار، ورده بعضهم بأن الأصل عدم النسخ على أن الحكم بالنسخ يتوقف على العلم بتأخر حديث الأكل وهو غير معلوم وقال بعضهم للجمع أن حديث الفرار على تقدير وجوبه إنما كان لخوف أن يقع في العلة بمشقة الله فيعتقد أن العدوى حق. أقول: بقي احتمال آخر لم يذكره أحد وهو تخصيص حديث لا عدوى بحديث الفرار مع حمل الفرار على الوجوب وأكل المصوم معه لا يدل على جواز ذلك لغيره لعلمه بأن الله تعالى يحفظه عن تعدى العلة إليه، ثم لو قيل بوجوب الفرار فمنعه من المسجد والاختلاط بالناس والدخول على الحمامات غير بعيد، وقال عياض: إذا كثرت المجذومون فقال الأكثر يؤمرون أن ينفردوا في موضع (١) عن الناس ولا يمتنعون من التصرف في حوائجهم، وقيل لا يلزمهم الأفراد ولم يختلف في القليل أنهم لا يمتنعون ولا يمتنعون من سلوة الجمعة مع الناس

(١) قوله «يؤمرون أن ينفردوا في موضع» هذا طريقة يسلكها أهل هذا الزمان والجذام مرض لم يهتد الأطباء بعد إلى علاجه وينسبه أطباء عصرنا إلى جرثومة يسمونها «دهانسن» ولها قرابة مع جرثومة السل أعادنا الله منها ومن غيرها ولما أثبت التجربة سراية كثير من الأمراض ووردت أحاديث تدل على السراية تكلفوا لتأويل ما ورد في نفيها مثل قوله «س» «لا عدوى» بأن ليس المراد من العدوى السراية مطلقاً بل نحو منها كان يعتقد الناس في الجاهلية، أو أنها العلة الثامة لايجاد المرض بحيث لو تجنب المريض كان مصوناً ولولا قاهم ابتلى حتماً وكان هذا سبباً لإهمال المرضى وترك تمريرهم ورعايتهم وعبادتهم وأمان اعتقد السراية بمشقة الله وتأثيرها في الجملة أن أراد الله فلا محذور فيه ولا يوجب ترك المرضى وإهمالهم، لأن احتمال التشرد بنجاة الواقع في المهلكة لا يحمل النفوس الخيرة على أن يدعوا المرضى بل يخطررون بأنفسهم لنجاتهم وإحالتهم. (ش)

عن هارون بن خازجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن من المتواضع أن يجلس الرجل دون شرفه .

١٠- عنه ، عن ابن فضال ومحسن بن أحمد ، عن يونس بن يعقوب قال : نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحي منه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اشتريت لعيالك وحملتهم إليهم أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشترى لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم .

١١- عنه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن علي بن الحكم رفعه إلى أبي بصير قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله عليه السلام فقلت : جعلت فداك مالك ذهبت كبشاً ونحر فلان بدنة ؟ فقال : يا أبا محمد إن نوحاً عليه السلام كان في السفينة

و ينعون من غيرها ، ولو تضرر أهل قرية من جذماء يشاركونهم في الماء فإن قدروا على أن يستنبطوا ماء لأنفسهم فعلوا والاستنبط لهم الآخرون أو يقيمون من يستقى لهم والافهم أحق بنصيبهم .
قوله (أما والله لولا أهل المدينة لأحببت) دل على أن من التواضع قيام الرجل بنفسه على حوائج الأهل والعيال و أن أمكن بغيره وأنه إذا لاهم أهل المدينة بذلك كان الأولى تركه والحوالة على غيره مع الامكان .

قوله (كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون) أي المتواضعون لله ولرسوله ولأولى الأمر وللمؤمنين الصالحين ولمن لا يعلم فسقه الموجب لاهانة الدين مع قصد وجهه تعالى فلو تواضع أحد لفرس اشتهاره بهذه الفضيلة أولاً من دنوى كان يتواضع أبناء الدنيا لدنياهم و أن لم يكونوا ظالمين فهو من المرائين ، ومن ثم قال بعض الأكابر من التواضع أن يرى الرجل نفسه أدنى ممن دنياه أقل ليظهر أن الدنيا لا قدر لها عنده وأرفع ممن دنياه أكثر ليظهر أن لا قدر له عنده بسبب كثرة الدنيا والمراد بقوله أرفع ترك التواضع دون التكبر لأن التكبر مذموم مطلقاً ثم الفرق بين المتواضع والمتكبر ظاهر لأن المتواضع في مقام الذل والخشوع و المبودية والتكبر في مقام العلو والعنو والمضادة ومن البين أن قرب أحد المتقابلين بشيء يستلزم بعد الآخر عنه .

و كان فيها ما شاء الله و كانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت و هو طواف النساء و خلى سبيلها نوح عليه السلام، فأوحى الله عز وجل إلى الجبال أني واضع سفينة نوح عبيدي على جبل منكن، فتناولت و شمخت و تواضع الجودي و هو جبل عندكم فضربت

قوله (فطافت بالبيت وهو طواف النساء) ذكر أولاً طواف البيت وذكر آخره الجزء الأخير منه للدلالة على أنها أتت بجميع الأفعال حتى الجزء الأخير. (فتناولت وشمخت) تناولت غلبه كردن بر يكديگر بدرازی، والشموخ بلند كردن و تكبر كردن و فعله من باب منع و الجبل الشامخ المرتفع، ومنه قيل شمع بأفنه اذا تكبر و تنظم وذلك لظن كل واحد من تلك الجبال نظراً إلى عظمة حجمه وزيادة عرضه وطول مقداره أنه ذلك الجبل الموعود.

(و تواضع الجودي) نظراً إلى صغر حجمه وقلة عرضه وقصر مقداره وقطع الطمع من أن يكون هو ذلك الجبل الموعود مع وجود الجبال الشامخات، قيل هو جبل صغير كان في نجف أمير المؤمنين ع، وقال صاحب القاموس هو جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح ع، وفيه دلالة على أن للجبال نفوساً (١) والحمل على نحو من التخييل ونوع من التمثيل، أو على أنه

(١) قوله وعلى أن للجبال نفوساً الذي عدى الناس إلى وجود النفوس ودهامهم إلى القول به في النبات والحيوان مشاهدة أمور فيها لا يمكن أن ينسب إلى الطبيعة أي الصورة النوعية التي وجدوا مثلها في الجمادات لعدم كونها على نهج واحد فالشجر ينمو ويتفرع من أصله الأغصان والأوراق وفي كل واحد عروى كثيرة دقيقة وغلظة وله خشب وجلد وأزهار وثمار وبالجملة له آلات مختلفة متشعبة لأعلى نهج واحد لأفعال ووظائف مختلفة متجهة إلى مقصد واحد هو مصلحة الجملة والجمادات يترتب عليها آثار على نهج واحد ولوضوح جمادى إلى جماد لم يتوجها إلى مقصد واحد في آثارهما ولم يعمل كل لمصلحة الآخر كما نرى في أعضاء النبات وآلاتها، بل يعمل كل لمصلحة أفراد آخر كآلات التناسل في الزهر والبذر لحفظ النوع قالوا فيوجد في النبات شيء هو مبدء لأمور لا يوجد مثلها في الجماد وسموه نفساً وكذلك الحيوان والإنسان، وأما الأفلاك فأروا فيها حركة مستديرة وإن لم يروا فيها ما في النبات والحيوان من الآلات المختلفة فأثبتوا لها أيضاً نفوساً إذ لا يمكن نسبة حركة مستديرة إلى طبيعة جمادية مثل من يرى ربح يدور بنفسه من غير أن يرى له مديراً من ماء وهواء وغيرهما ينسب دورانه قهراً إلى جن أو ملك أي إلى موجود حي غائب له إرادة، وأما الجبال فلم يروا فيها ما يستدل به على وجود النفس إذا رآوها كساير الجمادات، ولكن عدم الآثار والشواهد لا يدل على عدم النفس. وإنما الدلالة في الوجود فقط، مثلاً وجود الدخان دليل وجود النار أما عدم الدخان فلا يدل

السفينة بجؤ جؤها الجبل ، قال : فقال نوح عليه السلام عند ذلك : يا هاري اتقن ، وهو بالسريانية [يا] رب أصلح ، قال : فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرض بنفسه .
 ١٣ - عنه ، عن عدة من أصحابه ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تُعطاه .

وفي حديث آخر قال : قلت : ما حدُّ التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال : التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم . لا

تعالى أوجد فيها نفوساً مدركة حين الخطاب بعيد على أن الثاني لا يناقى القول بوجود النفوس لها والله اعلم ، (ف ضربت السفينة بجؤ جؤها الجبل) واللام في الجبل للمهد إشارة إلى الجبل الذي هو الجودي . والجؤ جؤ كهدهد الصدر (قال فظننت أن أبا الحسن وعرض بنفسه) التمرين توجيه كلام إلى جانب وإرادة جانب آخر تقول عرضت له وبه اذا قلت قولا و أنت تمنيه فكأنك أشرت به إلى جانب وتريد جانباً آخر لم تذكره فالتمريض خلاف التصريح وهو دعاء أشار إلى تواضع الجودي ، وما بلغه من تواضعه و أراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها في ذبح الشاة فإن في ذبحها من أظهار المعجز والافتقار ما ليس في ذبح البدنة .

قوله (قال التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه) أي تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فتريد لغيرك كل ما تريد لنفسك من الخيرات الدنيوية والاخرية ولا تريد لغيرك كل ما لا تريد لنفسك من القبائح والشرور وذلك من أعظم أفراد التواضع وذل النفس وسرفها عن هواها .

قوله (فقال التواضع درجات) التواضع لله وللخلق درجات باعتبار كمال النفس ونقصها وتوسطها فمنها أن يعرف المرء قدر نفسه بالنسبة إلى ربه وخالقه ورازقه ومدبره

• على عدم النار ، وعدم مشاهدة آثار النفس في الجبال لا يدل على عدم وجود موجود حي مدبر للجبال نظير تدبير نفس الشجر للشجر . نعم يمكن أن يضابق في إطلاق اسم النفس عليه ولكنه أمر اصطلاحى أولفوى يمكن أن يتخلص عنه بان يسمى شيئاً آخر حتى لا يكون غلطاً لفوياً و العدة اثبات وجود مدبر قاهر حي مرید لتدبير كل شيء ، واصطلاح الحكماء على أن يسموا مثله عقلاً ولعل الملائكة الموكلين بالجبال والرياح والأمطار والرعد والبرق وغيرهما على ما أشير إليه في قوله تعالى ذو المدبرات أمراً ، هذه الموجودات الحية العاقلة المدبرة المسماة بالعقول والله اعلم بالحقيقة والفرض رفع الاستبعاد عن كلام الشارح واثباته النفس للجبال . (ش)

يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن الناس، والله يحب المحسنين.

(باب)

(الحب في الله والبغض في الله)

١- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، و أحمد بن محمد بن خالد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه، و سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه.

٢- ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله.

فيقيمها في مقام طاعته و يبعدها عن مقام معصيته ويذكره في جميع الحالات بقلب سليم ذليل نقي منقاد، راضياً بجميع ما فعله فيه من البلاء والآلاء و بالنسبة إلى الخلق يجعلها ميزاناً بينه و بينهم فلا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه فإن رأى سيئة منهم بالنسبة إليه دفعها بالحسنة وهي العفو أو الإحسان و بالنسبة إلى الرب بالموعظة البالغة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على الوجه المقرر.

قوله (من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه) حث على محبة الأخيار و بغض الأشرار و إعطاء المستحق من المال المكتسب من طريق الحلال، والأخيار منهم من تقدست أنفسهم بالطهارة الأصلية والنزاهة الخلقية عن الملكات الردية وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومنهم من يظهر نفوسهم عنها بالعلم بفتحها والوعيدات الإلهية وهم التائبون لهم بالعلم والعمل ومحبة هؤلاء من توابع العلم والمعرفة ومحبة تعالى وكمال الإيمان والمحبة من أولياء الله و من أدمى المحبة بدون علم ومعرفة فهو جاهل مفرور يكذبه ما روى «ما اتعذ الله ولياً جاهلاً» وينبئ لمن أبغض في الله أن يهتنب عن النبية كما صرح به الشهيد الثاني رحمه الله حيث قال إن البغض في الله قد يؤدي إلى النبية وهو حرام وذلك بأن يبغض على منكر قارقه إنسان فيظهر بغضه ويذكر اسمه على غير وجه النهي و كان الواجب أن يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه و هذا مما يقع فيه الخواص أيضاً فانهم يظنون أن البغض إذا كان له كان حسناً كيف كان، وليس كذلك.

٣- ابن محبوب، عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول صاحب الطاق ، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله.

٤- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول:

قوله (قال من اوثق عرى الايمان) العروة عروة الكوز ونحوه و المراد بها هنا الاحكام والاخلاق والاداب اللازمة للايمان على سبيل المكنية والتخييلية أى كل عروة يتمسك بها متمسك رجاء نجاه من مهلكة أو ظفر بمنفعة ونعمة ومنزلة فأوثقها الحب في الله والبغض في الله والاعطاء في الله والمنع في الله لأن من تمسك بها تكامل ايمانه واستقام لسانه و استقر جنانه وبه يتحقق النودد والتألف بين المؤمنين ويتم ويكمل نظام الدنيا والدين، وأما الحب لاجل المنفعة والاحسان فهو وإن كان في غاية النقصان لتعلقه بالاخيار والاشرار و لكونه سريع الزوال و سقوط رتبته عن الحب في الله بهذا الاعتبار لكنه مستحسن عقلا ومطلوب شرعاً لأن له مدخلا أيضاً في تحقق التألف والتمدن.

قوله (ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان) و ددته اوده من باب تمب وداً بفتح الواو وضما أحببته والاسم المودة. فسرت الشجرة بالخصلة وأصلها الطائفة والقطعة من الشيء وفي المصباح انشعبت أغصان الشجرة تفرعت عن أصلها و تفرقت ويقال هذه المسئلة كثيرة الشعب أى التفاريع، والشعبة من الشجرة الغصن المتفرع منها والجمع الشعب مثل غرف والشعبة من الشيء الطائفة منه والشعب بالكسر الطريق وقيل الطريق في الجبل. وفي الفائق الشعبة من الشيء ما تشعب منه أى تفرع كغصن الشجرة وشعب الجبل ما تفرق من رؤسها وعندى شعبة من كذا أى طائفة منه. اذا عرفت هذا فنقول للايمان شعب كثيرة كالصلاة والزكاة والصوم والمقائد العقلية الى غير ذلك من الاعمال والاخلاق والاداب الشرعية ومن أعظم ذلك ود المؤمن للمؤمن لحسن صورته الظاهرة بالاعمال الشرعية وصورته الباطنة بالاخلاق المرضية وكلما كانت تلك الصور أحسن وأتم وجب أن يكون المودة أكمل وأعظم ولذلك وجب أن يكون المحبة للرسول وأئمة الدين والاصياء الراشدين سلوكات الله عليهم أجمعين في غاية الكمال ومن لوازم محبتهم متابعة أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم وقوانينهم بقدر الامكان ثم بمدد ذلك المحبة لآخوان الدين وخلص المؤمنين والعلماء والمتعلمين ومن آثارهم رعاية حالهم

إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد أضاء نور وجوههم ، ونور أجسادهم و نور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن فضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض ، أمن الإيمان هو ؟ فقال : وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية : حبب إليكم الإيمان

وتفقد أحوالهم و إصلاح بالهم وقضاء حوائجهم والاهتمام بأمورهم ومن ادعى المحبة وليست له هذه الآثار فهو معدود من المنافقين والاشرار .

قوله (على منابر من نور) النور الضوء وهو خلاف الظلمة والظاهر أن المراد بالمنابر معناها المعروف (١) و يحتمل أن يراد بها الدرجات العالية لأنها كالمنابر بالنسبة الى الدرجات السافلة وأن المراد بالنور الحقيقة اذ النجائب من الاعمال الصالحة وهي على تفاوت مراتبها نور يوم القيامة ، وقوله (حتى يعرفوا) غاية لكونهم على منابر وضاءة نور وجوههم .
قوله (قال سألت أبا عبد الله عليه السلام) عن الحب والبغض أمن الإيمان هو ؟ أي من حب على دع ، وبغض عدوه ، أو عن حب المؤمنين وبغض عدوهم ، أو عن حب الخير والطاعة و بغض الشر والمعصية . والحصر في قوله (وهل الإيمان إلا الحب والبغض) للمبالغة لان الإيمان بالشئ لا يتحقق بدون حب ذلك الشئ وبغض ضده و لعل المراد بالإيمان في الآية على الاحتمال الاول على دع ، أو الإيمان به . وبالكفر والفسوق و المعصيان الثلاثة الداسبون للخلافة ، أو المراد بالكفر الانكار و الجحود ظاهراً و باطناً و بالفسوق الانكار باطناً فقط و بالمعصيان ترك متابعة السنة و عدم الامثال بالاولامر والنواهي مع احتمال أن يراد بالإيمان الإيمان

(١) قوله بالمنابر معناها المعروف ، ان قيل كيف يتعقل تشكيل النور في شكل مدرج وكيف يمكن أن يحبس جسم على نور ولا يسقط ؟ قلنا هذا سؤال راجع الى عالم آخر وهو عالم القيامة ولا يقاس أحكام ذلك العالم على عالمنا هذا ولا يجب أن يثبت جميع أحكام الدنيا على الآخرة فلعل النور في ذلك العالم يتشكل كما أن العمل يتجسم والنية يتصور ويحشر الناس على صورياتهم و لعل أجسام الآخرة لا يسقط و يتمكن على النور لأنها ليست ثقيلة ، و انما يضل الناس بقياس عالم على عالم واثبات أحكام الدنيا على جميع العوالم ولو بني على ذلك لزم والعياذ بالله انكار أكثر الروايات والاخبار الواردة في تفاصيل المعاد فأنها لا تنطبق على أجسام عالمنا هذا ولا يقدم عليه مسلم و أما تأويل المنبر بالدرجات المعنوية فلا ينافي ذلك . (ش)

و زينته في قلوبكم و كرهه إليكم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الرافضون.
 ٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن عيسى ، عن
 أبي الحسن علي بن يحيى - فيما أعلم - عن عمرو بن مدرك الطائي ، عن أبي عبدالله عليه السلام
 قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أي عرى الايمان أوثق ؟ فقالوا : الله و
 رسوله أعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة وقال بعضهم : الصيام . و
 قال بعضهم : الحج والعمرة ، وقال بعضهم : الجهاد ، فقال رسول الله ﷺ : لكل
 ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان الحب في الله و البغض في الله و

بالله و برسوله و حجه عليهم السلام.

قوله (فقال رسول الله ص) لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان الحب
 في الله) الاعمال الظاهرة بمنزلة الصورة والاعمال القلبية بمنزلة الروح ونظر الصحابة تعلق
 بحسن الصورة وكمالها ونظر النبي ص تعلق بحسن الروح وكمالها ولا شك في أن الحب في
 الله والبغض في الله والتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله من صفات القلب (١) و أصل
 الايمان وأوثق عراه ومنشاء جميع الخيرات والكمالات وبه يتحقق المروج (٢) الى مقام

(١) قوله من صفات القلب القلب في اصطلاح كثير من علماء الاخلاق هو النفس
 الناطقة و صفات انسان و ملكاته بما هو انسان تنقسم الى ما هي له باعتبار أعضائه وجوارحه
 الجسمانية و ليست هي من الكمالات للنفس الناطقة التي توجب سعادتها في الآخرة وبعبارة
 أخرى ليست من صفات القلب ، والى ما هي لها مع قطع النظر عن هذه الآلات وهي التي تبقى
 وتوجب سعادتها ويهم علماء الاخلاق ان ينظروا في ذلك ويميزوا بينهما بعلامات حتى لا يصرخوا
 صرهم في تربية صفات وتكميل ملكات لانفيد في الآخرة شيئاً وهذه العلامات اما شرعية و
 هي ماورد من أهل بيت العصمة عليهم السلام في المنجيات والمهلكات و أما عقلية اهتدى الناس
 اليها بعقلهم العملي على ما هو مذهبنا من اثبات الحسن والقبح العقليين ويتطابق الشرع و
 العقل في ذلك. (ش)

(٢) قوله به يتحقق المروج الايمان أصله اعتقاد و تصديق و لكن لا يمكن انفكاك
 التصديق بالحقائق والاعتقاد بها عن بهجة للنفس واستحسان لها ولعل معنى الحب و البغض
 على ما يتبادر الى ذهن العامة حالة جسمانية مادية توجب ضربان القلب وشحوب اللون و
 اختلاط الذهن و أمثال ذلك و لذلك التزموا بكون اطلاقهما على الله مجازاً كتقوله تعالى
 وان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولكن المراد هنا مطلق البهجة الذي لا يتوقف على هذه

توالي أولياء الله والبر في من أعداء الله.

٧- عنه ، عن محمد بن علي ، عن عمر بن جبلة الأحمسي ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زهرجدة خضراء ، في ظل عرشه عن يمينه . وكلنا يديه يمين . وجوهم أشد بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس : من هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله.

٨- عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة

القرب لان الموصوف به لا يترك شيئاً من الخير غالباً لئلا يقع فيما يفر منه ويبغضه ، وبالجملة الاعمال القلبية هي المصححة للاعمال الظاهرة (١) والاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال فاعلها ومن ثم ورد في الروايات أن الثواب والمقاب على قدر العقول لا على الاعمال الظاهرة فلا ينبغي الغلو في تعظيم من حسنت أعماله الظاهرة اذ لعمل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الاعمال ولا في تحقير من ضيف فيه بعض تلك الاعمال اذ لعمل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً محموداً يفر له بسببه.

قوله (في ظل عرشه عن يمينه وكلنا يديه يمين) ظاهره أن له عرشاً جسمانياً و ان أشرف طرفه يمين والآخر يسار يستقر في الأول أفضل الخلائق وفي الآخر أدونهم فضلاً و كلا الطرفين يمين مبارك يأمن من استقر فيها ولا بعد فيه كما أن له بيتاً والاضافة للتشريف و التعميم ويحتمل أن يراد به الرحمة ولها أفراد متفاوتة فاقواها يمين وأدونها يسار وكلاهما مبارك ينجو من أهوال القيامة ومثل هذا الحديث رواه العامة عن النبي ﷺ وقال عياض ظاهره أنه سبحانه يظلمهم حقيقة من حر الشمس ووجع الموقف وأناس الخلائق وهو تأويل أكثرهم قال بعضهم هو كناية عن كنهم و جعلهم في كنفه و ستره ، ومنه قولهم السلطان ظل الله وقولهم

التغييرات الجسمية فإنها نواقص لا تناسب أجسام الآخرة ولا يطرى عليها شيء منها ، و أما أصل البهجة وهي الحب الحقيقي فتبقى للمؤمن مع اعتقاده الحق. (ش)

(١) قوله وهي المصححة للاعمال الظاهرة ، ولكن من الأسف أن كثيراً من الناس تركوا الأهم واشتغلوا بالمهم واعتمدوا على الامارات الظنية وتركوا الحقائق اليقينية مثل من يمتنى في طلب العلم بتحصيل ورقة تدل على مقامه في العلم لا على العلم نفسه فربما تكون في يده من العلم نصيب و ربما لا يكون في يد العالم ورقة تصدق علمه ، كذلك الاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال نفساني ربما تتخلف. والعلم المتعلق بالاخلاق أشرف العلوم العملية. (ش)

الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله عز وجل الأولين و الآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول : أين المتحابون في الله ، قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : فيقولون : فأين ضرب أنتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : و أي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحُبُّ في الله و نبغض في الله قال : فيقولون : نعم أجر العاملين .

٩- عنه ، عن علي بن حسان ، عمن ذكره ، عن داود بن فرقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاث من علامات المؤمن : علمه بالله و من يحبُّ و من يبغض .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم و حفص بن البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الرجل ليحبكم و ما يعرف ما أنتم

فلان في ظل فلان أي في كنفه وعزته ، و يمكن أن يكون الظل هنا كناية من التثنية والراحة من قولهم عيش ظليل (يبططهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل) الفبطة حسن الحال وهي اسم من فبطته غبطاً من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه و عظم عندك وهذا جائز فانه ليس بحسد فاذا تمنيت زواله فهو الحسد و فبط الرسول ذلك لا يوجب أن يكون منزله دون منزلهم فان ذا المنزل الشريف قد يعجبه منزل آخر دون منزله في الشرافة .

قوله (قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول أين المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس) العنق الجماعة والظاهر أن المنادى غيره تعالى ويفهم من طريق العامة أن المنادى هو الله سبحانه روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : دان الله جل وعلا يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ، وقوله بجلالي أي بسبب تعظيم حقى وطاعتي و طلب رضاي لا لغيري آخر دنيوي وهذا النداء نداء تنويه و اكرام .

قوله (ثلاث من علامات المؤمن علمه بالله و من يحب و من يبغض) أي علمه بمن ينبغي أن يحبه و من ينبغي أن يبغضه فان المؤمن يكمل ايمانه بهذه العلوم و يهتدى الى خيره و شره و نفعه و ضرره .

عليه فيدخله الله الجنة بحبكم وإن الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار.

١١- عِدَّةٌ، من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن العرزمي، عن أبيه عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر

قوله (ان الرجل يحبكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم) دل على أن الشيعة يدخل الجنة وكذا من أحبه وان لم تكن من أهل المعرفة لكن بشرط أن لا يكون من أهل الانكار (١) على الظاهر، واما دخول غير المعارف المبغض في النار قطعاً بسبب البغض فلا ينافي دخوله فيها بسبب عدم المعرفة أيضاً لانه قد يكون للدخول فيها أسباب متعددة على ان عدم المعرفة المقرون بعدم الانكار لا يوجب الدخول فيها كما في المستضعف لانه في المشية.

(١) قوله ولكن بشرط ان لا يكون من أهل الانكار، قال المحقق الطوسي (ره) في التجريد محاربوا على كفره و مخالفوه فسقة ، و قال العلامة - رحمه الله - في شرحه المحارب لمعلى كافر لقول النبي (ص)، ويا على حربك حربي، ولا شك في كفر من حارب النبي (ص)، واما مخالفوه في الامامة فقد اختلف قول علمائنا فمنهم من حكم بكفرهم و ذهب آخرون الى أنهم فسقة وهو الاقوى ثم اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة أحدها أنهم مغلدون في النار لعدم استحقاقهم الجنة، الثاني قال بعضهم أنهم يخرجون من النار الى الجنة، الثالث ، ارتضاء ابن نوبخت و جماعة من علمائنا أنهم يخرجون من النار لعدم الكفر الموجب للخلود ولا يدخلون الجنة لعدم الايمان المقتضى لاستحقاق الثواب انتهى.

و هنا سؤالان : الاول أن قول النبي (ص)، ويا على حربك حربي ، رواية ربما يكون محاربه دع، غير عالم بصحتها فكيف يحكم بكفر من أنكر رواية لا يعلم صحتها، والجواب أن محاربي على (ع) كانوا معاصرين له (ع)، وكانوا ممن أدركوا النبي (ص)، ورأوا عنايته به و محبته له و اعتماده عليه ولم يكن عداوتهم لمعلى (ع)، الا لعدم ايمانهم بنبوته باطناً ولا يحتمل في حقهم الجهل بمقام على عند رسول الله (ص)،. الثاني ان المستضعف الجاهل الذي لم يكن مقصراً كيف يحكم بفسقه ، والجواب أن مقصود المحقق - رحمه الله - بيان الاعتقاد الذي يوجب الفسق من حيث هو اعتقاد و معذورية القاصر الجاهل أمر آخر كما أن قول الله تعالى والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، لبيان اقتضاء هذا العمل ولا ينافي معذورية الزاني جهلاً بالموضوع والمستضعف ان فرض وجوده بحيث يندر العقلاء في مثله مجرميهما اذا جهلوا فالله تعالى أولى بأن يمهده. (ش)

إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله و يبغض أهل معصيته ففبك خير والله يحبك وإن كان يبغض أهل طاعة الله و يحب أهل معصيته فليس فبك خير والله يبغضك ، والمرء مع من أحب .

١٢- عنه، عن أبي علي الواسطي، عن الحسين بن أبان، عمن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قد يكون حب في الله و رسوله و حب في الدنيا فما كان في الله ورسوله فتوا به على الله و ما كان

قوله (والله يحبك) قيل أصل المحبة الميل وهو على الله سبحانه محال فمحبة للميل رحمته وهدايته إلى بساط قربه ورضاه عنه، وإرادته إيصال الخير إليه، وفعله له فعل المحب و بغضه سلب رحمته عنه وطرده عن مقام قربه ووكوله إلى نفسه ونظير قوله «والمرء مع من أحب» موجود من طرق العامة أيضاً روى مسلم وأن أعرابياً قال لرسول الله «ص» متى الساعة؟ فقال ما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت، وفيه أيضاً فضل حب الله وحب رسوله و حب الصالحين وأن محبتهم معهم ولا يلزم من كونه معهم أن يكون مثلهم في الدرجات واستحقاق الكرامات يظهر ذلك من قولنا لميل زيد أدخل أنت مع سيدك في هذا المجلس فإن لزيد مكاناً فيه ولميله مكاناً آخر والظاهر أن مجرد المحبة يقتضي ذلك وإن لم يقرن مع العمل، يدل على ذلك حديث شاب كان يحب رسول الله «ص» كثيراً فلما فقد النبي «ص» أياماً سأل عنه فقال بعض الحاضرين أنه مات وطعنه بأنه كان مراهماً يتبع أقدام النساء فرحمه «ص» وقال والله لقد كان يحبني حباً لو كان نخاساً غفر الله له (١) .

قوله (لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لأثابه الله) وذلك لأن حبه وبغضه إياه الله راجعان إلى حب طاعة الله وبغض معصيته وهما من جملة الأعمال القلبية الصالحة المقتضية للثواب الجزيل.

(١) قوله «لو كان نخاساً غفر الله له» النخاس بايع المبيد والاماء ليس نفس عمله حراماً ولا التمتع بالجوارى إن كن ملكاً له ولكن كثيراً منهم كانوا دالين يبيعون اماء غيرهم و يتمتعون بها من غير وجه محلل. (ش)

في الدنيا فليس بشيء.

١٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المسلمين يلتقيان، فأفضلهما أشدّهما حباً لصاحبه.

١٥- عنه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن فضال، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما التقى مؤمنان قط إلا كان أحدهما أشدّهما حباً لأخيه.

١٦- الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران السبيعي، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له.

(باب ذم الدنيا والزهد فيها)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن الهيثم ابن واقد الحريري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في

قوله (قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا الخ) والاول كحب الاخيار والعلماء والمباد والزهاد والصلحاء لاجل ارشادهم وهدايتهم وعبادتهم وصلاحهم وزهادتهم فانه لمحض التقرب من الله وطلب رضا، والثاني كحب رجل لنيل الاحسان والجاه والمال منه فانه لاغراض دنيوية دائرة مثل الدنيا فليس بشيء يعتد به.

قوله (ان المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حباً لصاحبه) أي أفضلهما ثواباً وقربة ومنزلة عند الله تعالى أشدهما حباً لصاحبه في الله لا في الدنيا فسانه ليس بشيء يعتد به كما مر.

قوله (فلا دين له) أي على وجه الكمال، أو على نفي الحقيقة ان كان مستغنياً والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحبة على الدين.

قوله (من زهد في الدنيا) زهد في الشيء ومن الشيء زهداً وزهادة اذا رغب عنه ولم يردّه ومن فرق بين زهديه وعنه فقد أخطأ كذا في المغرب، وقال صاحب المدة ان النبي ص سأل جبرئيل ع عن تفسير الزهد فقال جبرئيل ع، الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ويخرج من حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها فان حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويخرج من الكلام فيما لا يعنيه كما يخرج من الحرام

ويشخرج من كثرة الأكل كما يشخرج من الميتة التي قد اشتد نيتها ويخرج من حطام الدنيا و زينتها كما يتجنب النار أن يغشاها وأن يقصر أمله وكان بين عينيه أجله. وروى عن أمير المؤمنين دعه، أن الزهد قصر الأمل وتنقية القلب وأن لا يفرح بالثناء ولا يفتنم بالذم ولا يأكل طعماً ولا يشرب شراباً ولا يلبس ثوباً حتى يعلم أن أصله طيب وأن لا يلتزم الكلام فيما لا يعنيه و أن لا يحسد على الدنيا وإن يحب العلم والعلماء وأن لا يطلب الرفعة والشرف، وقال بعض العلماء أصل الزهد أربعة أشياء الحلم في الغضب، والجود في القلة، والورع في الخلوة، وصدق القول عند من يخاف منه أو يرجو. وقال بعض الأكابر إن الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة، والهاء ترك الهوا، والدال ترك الدنيا وينبغي أن يعلم أن الزهد في الدنيا والصبر والشكر والتوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا وغيرها من الفضائل النفسانية والخصائل الروحانية صفات للنفس وحالات لها حصولها تابع لحصول الحكمة أعنى العلم بالدين ثم إن حصول هذه الأمور ورسوخها سبب لبقاء الحكمة واستقرارها وثباتها وزيادتها كما قال دعه، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، من الإثبات بالثناء المثلثة أو بالنسب فمن أعظم مكارم الصالحين وأجل صفات العارفين الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله كما أن من أشنع صفات المنافقين وأقبح سمات الغافلين الرغبة في الدنيا والأعراض عما عند الله و عن أحوال الآخرة. والاصل في الأول العلم بأن الدنيا ولذاتها أمتعة باطلة زائلة. والاصل في الثاني الجهل بذاتها وفنائها وبثبات الآخرة وبقائها، قال الله تعالى في وصف الفريقين و فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون أنه لذو حظ

عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ، فانظر كيف نسب الرغبة في الدنيا إلى الجهال والزهد إلى العلماء وذم الأولين غاية الذم وأثنى الآخرين نهاية الثناء، وقال لنبيه وص، ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى، وقال في وصف الكفار والذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يفهم منه وصف المؤمنين وهو أنهم يستحبون الحياة الآخرة على الحياة الدنيا وقال في وصف المؤمنين و فمن ير د الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و وقد سئل رسول الله وص، عن معنى هذا الشرح فقال وإن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح ، فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة ؟ قال نعم (١) النجافى عن دار الغرور والآنابة

(١) قوله د هل لذلك علامة قال نعم ، أهل الدنيا لا يهتمون إلا بها وهم غافلون عن الآخرة و جميع أفعالهم و حركاتهم و علومهم و همهم و كل شيء منهم مصروفة إلى الدنيا فيعتنون بإسلامة بدنهم و لذات أجسامهم أكثر من الاعتناء بأخلاقهم وملكاتهم و يختارون

الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله، فانظر كيف جعل الزهد هو (التجافى عن دار الفرور شرط الاسلام وعلامة نور القلب وانسراح الصدر.

ثم الكلام هنا فى نفس الزهد وفيما يرغب عنه وفيما يرغب فيه أما الاول فدرجاته ثلاثة: الدرجة السفلى أن يزهد فى الدنيا و يتركها وهو لعمشقة ونفسه اليها مائلة ولكن يجاهد ما و يمنعه من التوجه اليها وهذا شبيه بالمتزهد بل سماء بعض أهل التحقيق به، والدرجة الوسطى أن يتركها طوعاً بلا مشقة لاستحقاقه اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كمن يترك درهماً لدرهم كثيرة فانه لا يشق عليه ذلك وان احتاج الى انتظار ما ولكن يرى هذا زهداً ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لاجل ما هو أعظم منه والدرجة العليا أن يتركها طوعاً ويزهد فى زهده ولا يظن انه ترك شيئاً لعلمه بان الدنيا لاشيء كمن ترك قذرة لاجل جوهر ثمين فانه لا يرى أن ذلك معاوضة ولا يرى أنه ترك شيئاً، فان الدنيا بالقياس الى الآخرة أخس من قذرة بالقياس الى جوهر ثمين وهذا هو الزهد الحقيقى وسببه كمال المعرفة بخسة الدنيا و كمال الآخرة، و أما الثانى

* من العلوم ما يستفاد منها فى الحياة الدنيا كما يتعلق بالطب والزراعة والتجارة والصنائع الدنيوية لآلفته والاخلاق والاعتقادات فى المبدء والمعاد والسعيد عندهم من نهيأ له وسائل العيش لامن تخلق بالاخلاق الفاضلة ومن حصل على جاء عريض وشهرة فائقة أشرف عندهم من الخامل المستريح من الناس المأمونين من أذاه والرجل الخير من سهل للناس وسائل عيشهم الدنيوى كمخترعى الصنائع وعلامة أهل الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتجافى من دار الفرور، والتباعد عما يهتم أهل الدنيا به ولما كان الحس من النعم التى أعطاه الله الانسان لمصلحة دنياه وهو متعلق بجوارحه البدنية كان أهم عند هؤلاء من العقل مع أن الحواس كلها وما يتعلق بها من دار الفرور، أما الحواس الظاهرة فمعلوم أنها قوى فى جسم تنفرق و تتلاشى وأما الحواس الباطنة فمنها الحس المشترك وهو تابع للحواس الخمس الظاهرة، وأما الواهمة فهى قوة تحصل بها للحيوان مصاديق معان غير محسوسة بالحواس الظاهرة فيجب أولاده ويتنفر من عدوه، ومثل ذلك من حالات تعرض فى بدن الحيوان الذى لعصب ودماغ، و أما الحافظة فاعتياد حاصل للاعصاب بكثرة الممارسة كاعتياد اللسان قراءة قصيدة. أو آية حفظها اذا شرع فيها جرى على لسانه الى آخرها و كاعتياد الكتابة فانها ملكة فى اعصاب اليد تحصل بالتمرين فيكتب الخط الحسن بأنواعه وكذلك تحصل مثل هذا الاعتياد فى الدماغ فيجدد صورة سبقت له مرة أو مرات وهو معنى التذكر، والمتخيلة كذلك جسمانية اذ يعرض لها بكثرة استعمالها لها الكلال وليس عروس الكلال الالجسم وإنما يبقى العقل لعدم تعلقه بجسم وهو متجاف عن دار الفرور مع كل ما يتفرع عليه، (ش)

قلبه و أنطق بهالسانه وبصرة عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً

فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يترك المحرمات الشرعية والاعمال القبيحة والدرجة الوسطى أن يترك مع ذلك الرذائل النفسانية مثل الشهوة والغضب والكبر وحب الرئاسة و أمثاليها ، والدرجة العليا أن يترك جميع ما سوى الله جل شأنه وهو في هذه الدرجة يزهد في نفسه أيضاً ولا ترى في الوجود الا هو وهو معنى الوحدة . وأما الثالث فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يكون الغرض من زهده هو النجاة من النار ومن سائر الالام كغذاب القبر ومناقشة الحساب وخطرات الصراط و بواقى الأحوال المتعلقة بالقيامة ، والدرجة الوسطى أن يكون الغرض مع ذلك الرغبة في ثواب الله ونعيم الجنة واللذات الموعودة مثل الحور والقصور وغيرها ، والدرجة العليا أن لا تكون له رغبة الا وجه الله ولقاء ولا يلتفت الى سواء وهذا زهد المحبين ورغبة الماشقين (١) واذا ضربت الثلاثة الاولى في الثلاثة الوسطى ثم الحاصل في الثلاثة الاخيرة حصل سبعة وعشرون نوعاً متفاوت المراتب والدرجات ويندرج تحت كل نوع أشخاص وجزئيات غير محصورة والله ولي التوفيق، وقد أشار دعه الى بعض آثار الزهد ولوازمه بقوله (اثبت الله الحكمة في قلبه) حتى يصير قلبه نوراً الهياً وضوءاً ربانياً ينقلع عن التعلقات الناسوتية لمشاهدة جمال اسرار الغيبية اللاهوتية.

(و انطق بهالسانه) حتى يقول الحق ويرشد اليه ويصمت عن الباطل ويخوف عليه .
(و بصره عيوب الدنيا داءها ودواءها) أما عيوبها فهي انها دار بالبلاء محفوفة وبالفقر معروفة وبالفناء موصوفة لا تدوم أحوالها ولا يسلم من الافات نزالاتها أحوالها مختلفة وأوضاعها مبتدلة ونعمها منصرمة، الميش فيها مدموم والامان فيها مدموم والمطالب لها مفوم و أهلها افراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها ، وأما داءها فهو الغفلة عن الحضرة الربوبية

(١) قوله ولا يلتفت الى سواء وهذا زهد المحبين، ربما يختلج في اذهان سفلة الناس أن المحروم من لذة الاكل والنكاح محروم من السعادة ويلزم من ذلك أن تكون الملائكة المقربون والارواح المقدسة القدسية أنقص من الحيوان في اللذات والسعادات بل ربما يتوهم بعض المتفلسفين ان علم هؤلاء المقربين أنقص من علوم الحيوانات المعجم في الكيفية لان المحسوسات انما تدرك بالآلات مادية مركبة من هذه العناصر الاربعة وليس لهم حواس بهذه الصفة فلا يدركون النور والالوان و جمال الطبيعة و زينتها و الاصوات و غير ذلك وفاق عليهم الحيوان والانسان بهذه المزية ولو كان صحيحاً لكان الواجب تعالى أيضاً مثلهم في ذلك و كيف يتوهم عاقل أن من خلق طبقات العن و شكل الجليدية و لون العنبة و ركب عليها الاشجار والحواسب لا يكون عالماً بالنور و خواصه وهكذا سائر الاعضاء . والصحيح أن ادراكه

إلى دار السلام.

والاستحقاق للعقوبة الدنيوية والاخرية، وأما دواؤها فهو تنزيه النفس عن الميل إلى زهراتها والرجعة في قنيتها والعبرة بأحوال الماضين والاتعاظ بأوضاع السابقين حيث كانوا أطول أعماراً وأهم دياراً وأبعد آثاراً وأشد قوة وأكثر أعواناً فقد صارت أصواتهم هامة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاصقة اللاطئة والعجب ان المؤمن يعلم أن الامراض الروحانية ليست بأهون من الامراض الجسدية وهو يسمى في دفع هذه الامراض بقدر الامكان و يففل عن دفع الاولى و يضعها في زاوية النسيان ، و من الله التوفيق والتكلان (وأخرجه من الدنيا سالماً) (١) من الافات في الدين والنواقص في اليقين (إلى دار السلام) وهي الجنة التي أعدت للمتقين.

❦ الاشياء لا يتوقف على وجود جسم و مادة تتأثر بل هي مانعة عن الادراك ذاتاً ولكن الله تعالى لما قدر ترقى الوجود من أسفل مراتبه و هو المادة الى أعلى درجاته و هو العقل فلم يكن بد من أن يمر في طريقه على مادة يأخذ طرفاً من الادراك فصار حيواناً و انساناً و هو منزل بين عدم الادراك المادى والادراك الكامل العقلى فيترقى تدريجاً في الادراك و يصفى في المادية فيصير ادراكاً صرفاً يجتمع فيه جميع السمات اذ ما من كمال ولذة وبهجة الا وسببها الادراك ولا يعقل أن يكون الزاهد الممرض عن الدنيا السافلة المقبل بكلية الى أشرف الموجودات وأعزها وأكملها و ادرك عين الكمال أدون في السعادة والبهجة من المنهمك في الشهوات خصوصاً مع مشاهدة أمارات الخلود والبقاء والامن من الموت الذى هو اشد المخاوف على الاحياء والانسان اذا ارتقى الى مقام التحقق بالعقل ليس كمن كان في بيت له شبابيك من الحواس يطلع منها على الاشياء ثم حبس وسد عليه تلك الشبابيك و منع من ادراك الموجودات بل بمنزلة من يخرق حواجب المكان والزمان و يحضر عند كل شيء وفق لادراكه والاتصال به وبالجمله يوجد للنفوس الناطقة بدلا عن الحواس المادية ما يدرك به الاشياء أكمل مما كانت تدركه كما يفتح للنائم عين ينظر بها بمد سلب العين الظاهرة وليس هذا ممتمنا في قدرته تعالى و ليس ادراك الانسان بعد الموت منحصراً في مطالعة خيالاته المحفوظة في ذهنه . (ش)

(١) قوله « و أخرجه من الدنيا سالماً » يدل الحديث بسياقه على ان السلامة عند

الخروج من الدنيا انما هي بسبب بصيرة الرجل على عيوب الدنيا وثبات الحكمة في عقله وان العقل لا يكمل الا بالزهد والحكمة لا تثبت الا بالعقل و ليس خلق العقل لعمران الدنيا و الا لم يكن يكمل بالزهد، بل كان يكمل بالحرس كما يكمل الجزيرة والمكره. وبهنا هنا❦

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و علي بن محمد القاساني، جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : جُعل الخير كله في بيت و جُعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال : قال رسول الله ﷺ : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا

قوله (جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا) وبحكم المقابلة جعل الشر كله في بيت و جعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وهذا التمثيل لتعبد الايضاح والتحقيق دون المبالغة لان كل ما ينبغي أن يتصف به الانسان من العقائد والاخلاق والاداب والاعمال التي بينها الصادقون ورغبوا فيها فهو الخير والمندرج في ترك الدنيا ورفض الميل اليها والتعلق بها وكل ما ينبغي أن يتنزه عنها فهو الشر والمندرج في حب الدنيا والرغبة فيها يحكم بذلك صريح العقل بعد التأمل فيما يصدر عن الانسان فان كل ما يصدر عنه فالغرض منه اما حب الدنيا كالبخل والحرس والحسد والكبر وترك الزكاة لجمع المال و ترك الصلاة لحب الراحة و أمثال ذلك أو حب الله وحب الآخرة ورفض الدنيا كأشداد الامور المذكورة ومن ثم قيل القلب بقدر تعلقه بالدنيا ينقطع تعلقه بالله وباليوم الآخر ويبعد تعلقه بالخير.

(ثم قال قال رسول الله ﷺ : لا يجد الرجل حلاوة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا) شبه الايمان بحلو في ميل الطبع و اثبت له الحلاوة من باب المكنية والتخييلية أو شبه أثراً * بيان شيئين الاول أن العقل أو القلب والنفس الناطقة - وكل ما شئت فسمه - موجود جوهرى مستقل عن البدن بنفسه و ليس من اجزاء هذا الدنيا و اعراضها بل هو من عالم آخر ومن رتب الملائكة المدبرة والمؤول القدسية العلامة بجميع الاشياء والمطلعة على الغيوب التي ترتبط نفوس الانسان معها في الرؤيا الصادقة على ما سبق. والثاني أن الموجود الجوهرى باق ببقاء علته ولا يفنى أبداً الا أن يفنى علته وليس كالأعراض والتركيبات التي تفنى مع بقاء علتها الفاعلة بتلاشي اجزائها وتفكك عناصرها. قال المحقق الطوسي في التجريد: والسمع دل عليه يعنى على الدم. وقال العلامة رحمه الله. في شرحه يدل على وقوع الدم السمع وهو قوله تعالى وهو الاول والاخر. وقوله تعالى وكل شيء هالك الا وجهه. وقال تعالى وكل من عليها فان. وقد وقع الاجماع على الفناء وانما الخلاف في كيفية على ما سيأتى. وقال المحقق الطوسي رحمه الله. ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة ابراهيم وع. وقال العلامة المحققون على امتناع اعادة المهدوم وسيأتى البرهان على وجوب المعاد وههنا قديين ان الله تعالى بعدم العالم وذلك ظاهر المناقضة ثم قال عليه الرحمة: تأول المصنف معنى الاعدام بتفريق اجزائه والامتناع *

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام، عن الزهد فقال : عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى

من آثار الإيمان وهو محبة الرب وقربه بالحلاوة في اللذة واستمرار له لفظ الحلاوة والمراد أن الرجل لا يجد محبة الرب وقربه حتى لا يبالي من أكل الدنيا أي لا يهتم به ولا يكثر له ولا يعبأ ولا يرى له قدراً وهذه الخصلة لا تحصل إلا بتزويده النفس عن محبة الدنيا والزهد فيها وقطع التعلق عنها بالكلية.

قوله (أن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا) لظهور أن الاشتغال بالدنيا و صرف الفكر في طرق تحصيلها و وجه ضبطها و رفع موانعها مانع عظيم من تفرغ القلب للأمور الدينية وتفكره فيها وطلب أمر الآخرة ولذلك روى أن الدنيا والآخرة ضربان إذا الميل باحديهما يضر بالآخر فترك الدنيا معين تام على طلب الدين.

قوله (أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع) قال ورع، في باب الرضا بالقضاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع كما في اللوائح وقد مر شرحه بقدر الوسع (١) في ذلك الباب فلا نعيده ثم أشار إلى أن أكمل في ذلك فإن المكلف بعد تفريق أجزائه يصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منتفع به أو يقال أنه هالك بالنظر إلى ذاته اذ هو ممكن وكل ممكن بالنظر إلى ذاته لا يجب له الوجود اذ لا وجود الالواجب بذاته أو بغيره فهو هالك انتهى، ونقل هو عن الكرامية وهم طائفة من المسلمين والجاحظ وهو من رؤساء المعتزلة القول باستحالة عدم العالم بعد وجوده فلا تغلبي بذاتها ولا بالفاعل لأن شأنه الإيجاد لا الأعدام وهذا لا يثبت مطلوبهم لأنهم اعترفوا بإمكان الوجود للعالم ذاتاً و الامكان لا يجتمع مع استحالة عدمه وبالجملة فالأعدام عند العلامة وغيره من المحققين إنما هو بمعنى التفريق في المركبات ولا يتحقق في البسائط الجوهرية والنفس الناطقة تبقى بعد ثبوت تجردها وعدم توقف وجودها على تركيب العناصر في البدن. (ش)

(١) قوله وقد مر شرحه بقدر الوسع في الصفحة ١٩٥ من هذا المجلد وهو من *

درجة الورع أدنى درجة اليقين؛ وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا. ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل "د لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم".

٥- وبهذا الإسناد ، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول : كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط ، وإنما أرادوا بالزهد

أفراد الزهد ما ذكر الله تعالى بقوله: الاوان الزهد في آية من كتاب الله عز وجل ولكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، فيه تنفير عن تمنى الدنيا والرضا بحصولها و عن الهم بفواتها ودلالة على أن الزهد ليس فقد هابل عدم تعلق القلب بها بحيث لا يفرح بحصولها، و لا يحزن بفواتها، وبعبارة أخرى يتركها ويفتم بوجودها لعلها بانها من أعظم أسباب الغفلة، ونقل السيد رضى الدين عن أمير المؤمنين (ع)، أنه قال «الزهد بين كلمتين قال الله تعالى ولكيلا تأسوا (أى تحزنوا) على ما فاتكم (من عروض الدنيا) ولا تفرحوا بما آتاكم» ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بما أتى فقد اخذ الزهد بطريقه، وقيل الزهد تحويل القلب من الاسباب الى رب الاسباب ومن اتصف بهذين الوصفين فقد حول قلبه اذا المبالن فرع الفرح والمحبة. ومن كلامه (ع)،

لئن ساء نى دهر غرمت بصيرة فكل بلاء لا يدوم يسير
وان سرى لم ابتهج بسروره فكل سرور لا يدوم حقير

و من رأى بعين اليقين هذا المعنى فقد جذب اليه اهدابه وقد عرفت أن للزهد شعباً كثيرة فمراده «ع» أن هذين الوصفين يصيران المنصف بها منصفاً باوصاف اخر. قوله (كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط) كان المراد أن كل قلب متعلق بالدنيا و ان فاتته فيه شك فى أمر الآخرة اذ اليقين يقتضى رفض الدنيا، أو شرك بالله لمناعبة الهوى، والترديد على سبيل منع الخلو فهو ساقط عن درجة المحبة والسعادة والزهد و بين ذلك بقوله (وانما أرادوا بالزهد فى الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة) يعنى ان الفرض من الزهد فى الدنيا ورفضها تخليص القلب وتطهيره عن حب الدنيا و عن ميله اليها و جعله متوجهاً الى أمر الآخرة و ما

ينفائس هذا الكتاب. قوله «أو شرك فهو ساقط» والمراد بالشرك الرياء ، و سفيان بن عيينة من أئمة أهل السنة والجماعة و كان فيهم من يتظاهر بالزهد للتقرب الى الخلفاء والوجاهة عند العامة، ونبه الامام (ع) سفيان على ما عند ذويه ليعلمهم ويصبرهم هيو بهم، ومراد الشارع من الامر بالزهد فراغ القلب عن الدنيا ، و طلب الوجاهة والتقرب الى السلاطين لا يدع فى القلب فراغاً حتى يفكر فى امور الآخرة. و أما الشك فى الآخرة فامرء أعظم من ذلك. (ش)

في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٦ - علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن علامة الرّاعب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، أما إن زهد الزّاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة [الحياة]

ينفع فيها خالصاً له بدوام الذكر والطاعة فمن لم يتحقق فيه هذا الغرض وإن فاتته الدنيا فهو ليس بزاهد فيها وتارك لها بل هو من أهلها فيه شك في أمر الآخرة أو شرك. وأعلم أن تفرغ القلب لآمر الآخرة يبذر السعادة والذكر فيه والطاعة في جميع الجوارح وهي تزيد وتنمو حتى يصير القلب نوراً الهيا يشاهد جلال الله وعظمته وأسراره الفيضية التي قلما يقدر على تحملها ثم يشرف بمقام الانس ثم بمقام المحبة ثم بمقام الرضا ثم بمقام الفناء في الله وهو هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو وإلى هذه المراتب أشار جل شأنه بقوله: ومن يرد ثواب الآخرة نزد له في حرثه، بخلاف القلب الملوّث بشهوات الدنيا فإن الذكر والطاعة لو تحققاً لا يؤثران فيه بل يفسدان كالبذر في أرض السبخة والطعام في المعدة الممتلئة بالاخلط الفاسد ولذلك ترى كثيراً من الذاكرين والمابدين لا يجدون من السعادة إلا اسماً ولا يعلمون من المعرفة إلا رسماً وهم عن قرب الحق محرومون وعن ساحة أسرارهم مطرودون.

قوله (علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا) لكل حق علامة دالة عليه و علامة من رغب في ثواب الآخرة الذي أعظمه قرب الحق زهده في زهرة الدنيا لأنها ينافيها ومن رغب في شيء يترك ما ينافي به بالضرورة و يطلب ما يحقق حصوله فمن ادعى الرغبة في ثواب الآخرة وهو راغب في الدنيا فهو كاذب و إنما أقحم لفظ العاجل لأن زهرة الدنيا المتعلقة بالأجل والآخرة كقدر ما يحتاج إليه الإنسان في تحصيل ما ينفع في الآخرة لا ينافي الرغبة في ثوابها بل معين لحصوله والمراد بزهرة الدنيا متاعها تشبيهها بزهرة النبات لحسنها في أعين الناس، ثم حث على الزهد وترك الحرص والاجتهاد والرغبة في الدنيا على وجه المبالغة للتنبيه والتأكيد بالتكرير وغيره بقوله (أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا) الإشارة للتحقير (لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد) كيف وقد قال الله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، فالزهد باعث لوصول القسم والرزق لا مانع له (وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص) لأن قسمه من الدنيا ما يحتاج إليه في بقاءه والزائد عليه على تقدير حصوله بالحرص ليس قسماً له بل لغيره والحاصل أن وصول القسم و

الدنيا لا يزيد فيها وإن حرص، فالمغبون من حرم حفظه من الآخرة.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخنعمي، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعاً خائفاً.

عدم وصوله منوط بالتقدير والمشية فما قدر قسماً له يأتيه وإن زهد و ما لم يقدر قسماً له لا يأتيه وإن حرص، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ومن يرد ثواب الدنيا تؤته منها وما له في الآخرة من نصيب، إذ دلالة فيه على أن جميع ما أتاه قسم و رزق (فالمغبون من حرم حفظه من الآخرة) هذا كالنتيجة للمسبق و تعريف المبتداء باللام دل على انحصار الثمن فيه لما عرفت من أن قسم كل أحد يأتيه زهد أو حرص فلاغب فيه، وانما الذين في فقد النصيب في الآخرة يترك العمل له.

قوله (ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون جائعاً خائفاً) خوفه كان فوق خوف الخائفين وجوعه مشهور و في كتب الأحاديث المذكور وقد روى أنه لم يشبع من خبز الحنطة ثلاثة أيام متوالية ولا من اللحم قط و انه أهضم أهل الدنيا كسحاً وأخصمهم بطناً و انه إذا اشتد جوعه كان يربط حجراً على بطنه و يسميه المشبع و أنه كان يأكل على الأرض و يجلس جلسة العبد، و يخصف بيده نعله و يرقع بيده ثوبه و يركب الحمار العاري و يردف خلفه و انه رأى سترأ نصبت به بعض أزواجه على باب داره فقال لها غيبيه حتى فانه يذكرني الدنيا و زخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها من عينه وما ذلك إلا لخشية الدنيا و متاعها في نظره فليكن لك أسوة حسنة به « و » و اعلم أن في الجوع فوائد منها صفاء القلب (١) وتنوذه، وكثرة الأكل تغلظه وتميته، ومنها رقة

(١) قوله « أن في الجوع فوائد منها صفاء القلب » اعلم أن النفس الانسانية مع تعلقها بالبدن و اتحادها مع القوى لها مقام شامخ بنفسه غير متعلق وكلما ازداد جهة تعلقها شدة ازداد جهة تجردها ضمناً وكلما نقص جهة تعلقها قوى جهة تجردها ، وهذا أمانة كونها شيئاً مستقلاً بنفسه مجرداً عن البدن ولا يمكن أن يعترف أحد بأن في الجوع صفاء القلب إلا إذا عترف بأن القلب أي النفس الناطقة غير المبدن والا كان كمال البدن بالشبع و كمال النفس كذلك وقد مر في الصفحة ٣١١ استدلال بعضهم على تجرد النفس بوجود الاختيار لها وأنها لو كانت مادية كان جميع أفعالها قهرية اجبارية كضر بأن القلب والنفس ، وقال بعض العلماء أن الإدراك من خواص الموجود المجرد لان المادة و الجسم ليس من شأنهما الإدراك و ليس انطباع صورة في جسم مقتضياً لان يحس به والا لكان كل جسم مدركاً للموارد الحالة فيه *

٨- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن

القلب والالتذاذ بذكر الرب ومناجاته والبطنة تملظه و تمنع استقرار الذكر فيه ، ومنها العجز والانكسار والشبع يوجب الفرة والافتخار، ومنها قرب الحق والشبع يوجب البعد عنه قال الصادق (ع) ، ان البطن ليطفى من أكله أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل اذا خف بطنه ، و أبغض ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا امتلاء بطنه ، ومنها تذكر الجائمين و تذكر جوع يوم القيامة فيزداد سبه له و كثرة الاكل توجب الغفلة ، ومنها التسلط على كسر النفس و كثرة الاكل توجب تسلط النفس ، ومنها قلة النوم والاقتدار على العبادة و الاكل في غفلة النوم و تضييع العمر ، ومنها كثرة الحفظ و قلة النسيان و الاكل على عكس ذلك ، و منها صحة البسطن والاكل الكثير يوجب أمراضاً شديدة ، ومنها قلة الاحتياج الى الاموال و أسباب الدنيا و صرف العمر في جمعها و حفظها ، ومنها الاقتدار على الصدقة والايتار لعدم الحاجة الى الزائد.

فقال ادراك من عالم آخر غير عالم الماديات الآن بعض الادراكات يحتاج فيها الى آلة كالسمع والبصر وبعضها لا يحتاج كالعقل والالة ليست بمدركة قطعاً وانما المدرك من استعمال تلك الالة ولا يندم مستعمل الالة بفقدان الالة وان عجز عما كان يفعله بواسطة الالة ، كما أن الاعشى لا يقل وجوده بفقد البصر ولا الاصم بفقد السمع ولا الممضى عليه بفقد الحواس كلها فقد يعرض الاغماء فيفقد ويدرك انه هو الذي كان قبل الاغماء مع علومه وملكانه وليس موجوداً جديداً وما يدرك بالالات كل مرة محسوس جديد غير ما ادرك أولاً ، و أيضاً يتبدل الجسم و أجزائه ولا يبقى بعد نحو سبع سنين مما كان شيء مع أن علمه بذاته وبغير ذاته هو الذي كان ولو كان النفس عين البدن أو معلولاً له لم يبق له بعد سبع سنين شيء من معلوماته السابقة فثبت أن الاغضاء آلات ولا يتغير مستعمل الالة بتبدل الالة .

وقالوا لو كانت العلوم الكثيرة الحاصلة للانسان خصوصاً للعلماء والحكماء في الفنون المختلفة حالات وعوارض طارئة على دماغهم لنشوشت الصور وتداخلت وامتزجت و ارتفع الامتياز بينها كما أن الاصوات المختلفة لو تواردت على السمع لم يثمايز واذا تحركت الاشياء المختلفة سريعاً مقابل البصر لم يميز البصر بينها مع أن الصور العقلية متميزة جداً مع اجتماعها دفعة وجميع علوم ابن سينا المكتوبة في تصانيفه لو كانت حالات عارضة على دماغه وهي مجتمعة لم يكن عالماً بشيء فثبت ان العلوم كلها عند النفس و الدماغ آلة تنطبع فيها الصور الجزئية شيئاً بعد شيء تمحو صورة وتجدد صورة ، وقالوا ان النفس لا ادراك الصور الكلية لا يحتاج الى آلة أيضاً لانها زمان الشيخوخة لا يضعف ادراكه لها كما يضعف حواسه الالية وأيضاً لا يكلل بادراكه

جده الحسن بن راشد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج النبي ﷺ وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك: إفتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله ﷺ: الدنيا دار من لادارلة ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحق نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة، حين أعطيت المفاتيح.

٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مر رسول الله ﷺ بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً، فقال

قوله (خرج النبي ص) وهو محزون (لعل حزنه كان لضغف المسلمين و قوة المشركين والاهتمام بتجهيز أسباب الجهاد.

قوله (الدنيا دار من لادار له) أي في الآخرة لان من له دار في الآخرة وهي الجنة لا يسكن قلبه الى الدنيا ولا يتخذها داراً وموضع إقامة لنفسه ويحتمل أن يكون المراد أن الدنيا دار من ليست له حقيقة الدار أصلاً في الآخرة وهو ظاهر لظهور أن بناها على العمل لها وترك الدنيا، ولأن الدنيا لظهور أن الدنيا ليست دار إقامة فهي ليست بدار حقيقة، ثم قبح الدنيا والجمع لها بقوله (ولها يجمع من لا عقل له) لان العاقل يعلم بنور بصيرته ان الدنيا و ما فيها منصرمة مؤذية بأهلها مضرة بأمر الآخرة فلا يسكن اليها ولا يشغل بالجمع لها بل يفر منها الى الله و أما الجاهل فلخمود عقله يغفل عن أمر الآخرة ولا يعلم الا ظاهراً من الحياة الدنيا وليس له هم الا الجمع لها، فانظر أيها الاخ في الله الى علو همة رسول الله ص، كيف ترك الدنيا ورفضها وهي في يده من غير تمب ولا ضرر في شيء من أمر آخرته و ماله عند الله من المقامات المالية لظهور عيوبها وكثرة مقابحها و مساوئها و ليكن لك اسوة حسنة بنبيك الاظهر بل أنت أولى بتركها وأجدر لانك لاتخلو من الثمب في تحصيلها و من الحرمان في عدم حصولها ومن الضرر في أمر الآخرة والدنيا.

قوله (مر رسول الله ص بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً) الاسك مقطوع الاذنين أو صغيرهما مطلقاً أو مع لصوقهما بالرأس وقلة اشرافهما والمزبلة بفتح الباء والضم لغة موضع يلقي فيه الزبل بالكسر وهو السرقين ثم استفهم عن قيمته (فقال لاصحابه كم يساوي هذا) و

الكليات ولا يعجز عن ادراك ضعيف بمدى قوى كما يعجز البصر عن ادراك النور الضعيف أثر القوى لكلاله، وأيضاً العقل يدرك ذاته والحس لا يحس ذاته لان الالة لاتؤثر في نفسها و العقل ليس بألة ويجب ان شاء الله له ذاتية. (ش)

لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حياً لم يساو درهماً، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله.

الفرض من هذا السؤال تقريرهم على أنه خبيث لا قيمة له فهم أقرروا بذلك (فقالوا لعله لو كان حياً لم يساو درهماً) فهو على هذه الحالة الكريهة غير مرغوب لأحد فلا قيمة له، والفرض من هذا التقرير تنفيرهم من الدنيا بتشبيهها به وتفضيلها عليه في الهون والخبث لانه لا ينفع ولا يضر بخلاف الدنيا فانها تضر كثيراً (فقال النبي ص) والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله) نظيره قول أمير المؤمنين (ع) «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» العراق بضم العين وتخفيف الراء العظم وأيضاً نظيره ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري «أن رسول الله ص» مر بالسوق فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أياكم يحب ان هذا له بدرهم؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به قال تحبون أنه لكم؟ قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم، وروى «أن الدنيا يوم القيامة تقول (١) يا رب اجعلني لادنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول الله جل جلاله اسكتي يا لاشيء اني لم ارضك لهم في الدنيا كيف أَرْضاك لهم اليوم»

(١) قوله «ان الدنيا يوم القيامة تقول» لا يخفى أن هذا الخبر لا يوافق ما في أذهان بعض الناس من أن الفرق بين الدنيا والآخرة بتقديم الاولى زماناً وتأخر الآخرة كذلك والآخرة عندهم هي الدنيا بعينها لكن في زمان متأخر نظير تأخر أمة ابراهيم عن أمة نوح عليهما السلام وكما لا يمكن ان يطلب رجل من عهد ابراهيم (ع) ان يجعله الله تعالى في زمان نوح (ع) كذلك لا يمكن ان يطلب أحد من الله بعدمضي الدنيا وانقضائها ان يجعله من أهل الدنيا والحق أن الفرق بين العالمين ليس بالتأخر والتقدم الزمانيين فقط بل بينهما فرق في أمور كثيرة كما يظهر لمن تتبع الايات الكريمة والروايات الكثيرة وليس هنا موضع ذكرها ولذلك لم يجب الله تعالى السائلين عن وقت الساعة وزمانها ولم يقررهم على جهلهم والممنى أن الدنيا طلبت من الله تعالى أن يجعل السالحين من أهل الدنيا لالدنيا المتقدمة زماناً بل الدنيا الجامعة لهذه الصفات المختصة بها من الثبوت والكون والفساد وأمثالها ولو في زمان متأخر بالنسبة الى الدنيا السابقة لا بالنسبة الى الآخرة اذ ليس بعد الآخرة شيء وقد سبق في الصفحة ٣١٨ من هذا الجزء قول الشارح قد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطه به وانه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه . انتهى، وهذا يدل على عدم تأخر المذاب عن الدنيا تأخراً زمانياً. (ش)

١٠- علي بن إبراهيم ، عن علي بن محمد القاساني ، عمّن ذكره ، عن عبد الله ابن القاسم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا و فقهه في الدين و بصره عيوبها و من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والاخرة ، و قال : لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا و هو ضد لما طلب أعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ممّا ذا ؟ قال : من الرغبة فيها ، و قال : إلا من صبار كريم ، فإنما هي أيام قلائل ، ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا ، قال : وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما و وجد حلاوة حب الله و كان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط و إنما خالط القوم حلاوة حب الله ، فلم يشتغلوا بغيره . قال : و سمعته يقول : إن

قوله (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا) للحق أبواب لا يمكن الوصول اليه الا بالدخول فيها منها الطاعات و ترك المنهيات على أنواعها ومنها الاخلاق الفاضلة ومنها ترك الاخلاق الباطلة والزهد في الدنيا أعظم هذه الابواب لانه مفتاح لجميعها ثم أشار الى ضده على وجه يفيد أن الزهد يوجب محبة الحق و أنه عبارة عن تطهير القلب من الرغبة في الدنيا وميله اليها لاعتكاف الدنيا مع تعلق القلب بها فتال (وهو ضد لما طلب أعداء الحق) وقول السائل (ممّا ذا) سؤال عما طلب أعداء الحق وقوله (و) (من الرغبة فيها) بيان للموصول يمتنى أن ما طلبه أعداء الحق هو الرغبة في الدنيا والميل اليها و هي من أعظم البعد عن الحق والبغض له والمعاداة معه ، والظاهر أن قوله (الا من صبار كريم) أي خير شريف النفس استثناء من الرغبة فيها أي الا أن يكون الرغبة فيها من صبار كريم يطلبها من طرق الحلال ويصبر عن الحرام ، واخراج الحقوق المالية و اعادة الفقراء و ذوى الحاجات فان الرغبة في هذه الدنيا من الصالحات ثم حث على الزهد والصبر عليه و نفر عن الدنيا بقوله : (فإنما هي) أي الدنيا (أيام قلائل) وهي أيام العمر والعمر ينقضي حثيثاً و ينتهي سريعاً الى الاخرة والصبر على المشاق المنتضية سهل على النفوس العاقلة سيما اذا كان مستلزماً للراحة الدائمة ثم أشار الى بعض آثار الزهد و أشرف مقاماته بقوله (اذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما) الخ (أي اذا تخلّى المؤمن من الدنيا بأن قطع تعلقه بها و أخرج حبها عن قلبه ارتفع من حضيض النقص الى أوج الكمال ومن مقام الكثرة الى ساحة القدس والجلال (ووجد) في قلبه (حلاوة حب الله) وكان عند أهل الدنيا (الراغبين فيها) كأنه قد خولط (واختل عقله ، واما خالط القوم) ودخل في قلوبهم (حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره) .

القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو .

وفيه إشارة الى أعلى درجات الزاهد وهو أن يفرغ قلبه من غير الله تعالى حتى الخوف من النار والطمع في الجنة لسكره بحلاوة المحبة والتقرب منه فلا يرى لغيره وجوداً فضلاً عن أن يشتغل به وهو مقام الفناء في الله و انما قلنا هذا أعلى درجات الزاهد لان أدنى درجاته أن يترك الدنيا ويصير على الترك مع الميل اليها . وأوسطها أن يترك الميل اليها أيضاً وهو بعد في مقام الكثرة وإذا دام عليه وصار ذلك ملكة وطهر ظاهره وباطنه عن جميع المقايح لان كلها ناشية من حب الدنيا يرتقى من هذا المقام الى مقام التوحيد المطلق وعالم القدس فيتجلى فيه أنوار الحق وأسراره و يشاهد بنور البصيرة جماله و كماله و عظمته و قدرته فيستغرق في بحر محبته و يفل عن نفسه فضلاً عن غيره بذوق حلاوة حبه و يصير حينئذ أطواره و أوضاعه وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته غير أطوار أهل الدنيا و أوضاعهم و أقوالهم و أفعالهم و حركاتهم و سكناتهم فيظنون أنه خولطوا وخل عقله حيث لم يجدوا عقله كمقلهم و فعله كفعلهم ولذلك نسب كفرة قریش الجنون الى النبي المبارك وصء و يقرب منه قوله (ان القلب اذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو) القلب من عالم القدس النوراني (١) و عالم الاعلى الروحاني و سكونه الى هذا العالم الجسماني واستقراره في عالم البدن الانساني انما هو بقدر تعلقه به وغفوله عن ذلك العالم الاصلي فاذا صفا عن الخبائث النفسانية والذائل الشيطانية والقيودات الدنيوية والتعلقات البشرية والطبيعية واتصف بالكمالات الروحانية الصفات الشريفة الربانية تذكر مكانه الاصلي وقطع يده عن الاسباب و تعلق برب الارباب فينكشف عنه الحجاب فضاقت به الأرض فيضطرب و يستوحش منها ولا يستقر حتى يسمو و يرتفع من هذا العالم الى العالم الاعلى ويتشرف بقرب المولى، وان شئت زيادة توضيح فنقول لما كانت الأرض أعظم أجزاء الانسان وكانت قواء الظاهرة والباطنة مائلة اليها بالطبع لكمال النسبة بينهما كانت الدواهي الى زهراتها حاضرة والبواعث الى لذاتها ظاهرة فربما يشتغل بها و يكتسب الاخلاق والاعمال الفاسدة لتحصيل المقاصد حتى تصير النفس تابعة لها راضية بأثرها مشعوفة بعملها منكدة بالشهوات منغمسة في اللذات فتحب الاستقرار في الأرض و تترك البها، وأما اذا منمت تلك القوى عن مقتضاها وسرفت عن هواها و روضتها بمقامع الشريعة و ادبتها بأداب الطريقة حتى غلبت عليها وصفت عن كدوراتها وظهرت عن خبائث لذاتها و تخلصت من قيوداتها و تحلت بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة والاداب الرفيعة والاطوار المرضية ضاقت بها الأرض حتى تسمو الى عالم النور والروحانية فتشاهد عالم الاعلى بالعيان و تنظر الى الحق بعين المعرفة و يزداد لها نور الايمان و الايقان فتعاف جملة الدنيا و الاستقرار في الأرض فيبدئها في هذه الدنيا وهي في عالم الاعلى . وفيه ترغيب للعلاء في

١١- علي [عن أبيه]، عن علي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله جل وعزّ ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا وإنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما: «كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب

ترك الدنيا وتحريك لهم إلى ترك الطباع ورسوم العادات وزجر لنفوسهم عن الفضول والمبنيات لتصفو بذلك عن الرذائل الناسوتية وتتصل بالحق وتشاهد الاسرار اللاهوتية وهو غاية مقصد الانسان ونهاية مطلب أهل العرفان.

قوله (و ان لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً) شعب الزهد اضداد شعب المعصية اعنى التواضع وهو ضد الكبر والقنوع وهو ضد الحرص والرضا بما آتاه الله وهو ضد الحسد والمذكورات من باب التمثيل والا فجنود العقل كلها شعب الزهد و جنود الجهل كلها شعب المعصية (والحرص و هي معصية آدم) قال الله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» قال من نزه الانبياء عن الذنوب: ان النهى عن تناول الشجرة نهى تنزيهه لا تحريمه فيكون التناول ترك أولى وأفضل. وأورد عليهم بأن اطلاق اسم العاصي على آدم بهذا الاعتبار يوجب أن يوصف الانبياء عليهم السلام بانهم عصاة اذ لا يكاد انفكاكهم عن ارتكاب مثل هذا المعنى. واجيب بان اسم العاصي على آدم بهذا المعنى مجاز والمجاز لا يقاس عليه ولا يتعدى من موضعه و على تقدير جواز القياس عليه بطلان الثاني ممنوع اذ لا محذور فى اطلاق اسم العاصي عليهم بهذا الاعتبار (فدخل ذلك) أى الحرص و أخذ ما لا حاجة به (وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم) انما قال أكثر لان قدر الكفاف لا بد منه و تحصيله عبادة لاحتياج قوام البدن و فعل الطاعات عليه (فتشعب من ذلك) أى من ذلك المذكور وهو الكبر والحرص والحسد و تخصيص

العلو و الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقال
الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا ان
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن في طلب الدنيا إضراراً
بالآخرة و في طلب الآخرة إضراراً بالدنيا ، فأضر وأبداً الدنيا فإنيها أولى بالضرار .

الإشارة بالحسد بعيد بحسب المعنى وإن كان قريباً بحسب اللفظ (فصرن سبع خصال) أي فصارت
شعب المعاصي المذكورة سبع خصال وهي حب النساء إلى آخره (فاجتمعن) أي سبع خصال ،
أوهي مع المعاصي المذكورة وهي الكبر والحرم والحسد (كلهن في حب الدنيا) والظرفية
باعتبار الأكثر والأفحب الدنيا ليس في حب الدنيا (فقال الأنبياء والعلماء) المراد بهم الأوصياء
أو الأعم (بعد معرفة ذلك) وهو أن المعاصي والخصال الذميمة كلها في حب الدنيا و (حب الدنيا رأس
كل خطيئة) هذا الكلام على سبيل الحقيقة دون المجاز والمبالغة لأن كل خطيئة تابعة لطلب الدنيا
منبثقة منها لأن الدنيا طريق الهوى وسبيل المنى إلى الشهوات الحاضرة والخيالية واللذات العاجلة
الاعتبارية التي منها الكبر والحرم والحسد و حب النساء وغيرها من الخصال المذكورة
و غير المذكورة من متعلقات الهوى والمنى رسماً وعادة ، وهذه الأمور لا تتحصل إلا باستعمال
القوة الشهوية الجالبة والقوة النفسية الدافعة للموانع منها و يتولد منهما مفسد كثيرة غير
محصورة و من هنا علم أن كل خطيئة تنبث من حب الدنيا و تتفاوت باعتبار التفاوت في
حبها فمن ترك حبها صار خالماً لمولاه و من أحبها صار عبداً لدنياه ثم أشار إلى أن الدنيا
مطلقاً ليست بمذمومة بقوله (والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ) و هو قدر الكفاف من طريق الحلال و
هذا القدر لا بد لكل أحد حتى الأنبياء والأوصياء الذين غاية همهم ترك الدنيا والتوجه
إلى المولى وهو المعين للبقاء والمباداة (ودنيا ملعونة) و هي الزائدة عن قدر الحاجة
أو الحاسلة من طريق الحرام أو الداعية للنفس إلى الطغيان و القلب إلى المعيان و أهلها
إلى الخذلان و تعلق اللعن بها باعتبار تعلقه بأهلها أو باعتبار أنها بعيدة عن الخير .
قوله (إن في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة) لأن توجه الظاهر والباطن إليها وصرف
الفكر فيها وفي كيفية تحصيلها وحفظها وإرسال القوة الشهوية والنفسية إلى الجلب والدفع
ينافي طلب الآخرة والتوجه إليها و يفهم منه أن المذموم من الدنيا ما يضر بأمر الآخرة ، و
أما ما لا يضره كقدر الحاجة في البقاء والتعيش فليس بمذموم بل ممدوح .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزّاز، عن أبي عبيدة الحذاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما أنتفع به فقال: يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا.

١٤- عنه، عن علي بن الحكم، عن الحكم بن أيمن، عن داود الأبراري قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ملك ينادي كل يوم: ابن آدم! لد للموت، واجمع للنقاء، وابن للخراب.

١٥- عنه، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة

قوله (أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا) لأن كثرة ذكر الموت وما يلحق الإنسان بعده مع قلب حاضر من أشد الجواذب عن الدنيا إلى الله، وفيه تنفير عن محبة الدنيا للاشتغال بالعمل للأخرة وإنما قلنا مع قلب حاضر لأن أكثر أهل الدنيا يذكرون الموت ويمشون خلف الجنائز و يشاهدون مسكن الموتى ولا تتأثر قلوبهم لاشتغالها بأمور الدنيا وتكدرها بفكر زهراتها حتى صارت مظلمة لا يستقر فيها الحق و حقيقة الموت وما بعده وهكذا حال جميع العبادات فإنها مالم تقترن بحضور القلب لا يحصل منها الأثر المقصود وهو قرب الحق ومشاهدة جلاله والوصول إلى حقيقة كمال الإنسان.

قوله (قال أبو جعفر د ع ، ملك ينادي كل يوم ابن آدم لد للموت و اجمع للنقاء وابن للخراب) في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين د ع: ان لله ملكاً ينادي في كل يوم لدوا للموت واجمعوا للنقاء وابنوا للخراب، قال شارحه ليست اللام فيها للفرض وإنما هي للمراقبة نحو قوله تعالى «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً».

قوله (قال علي بن الحسين عليهما السلام: ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة) رحل عن البلد وارتحل شخص وسار والمراد بادبار الدنيا تقضيها وانصرامها ففيه إشارة إلى تقضى الأحوال الدنيوية الحاضرة بالنسبة إلى كل أحد من صحة وشباب وجاء ومال وكل ما هو سبب لصلاح حاله في الدنيا فإن كل ذلك أجزاء الدنيا لدنوها من الإنسان ولما كانت هذه الأمور دائماً في التغير والنقض المقتضى لمفارقة الإنسان لها و بعدها عنه حسن إطلاق اسم الادبار على تقضيها و بعدها، و تشبيهها بالحيوان في الادبار مكنية و اثبات الارتحال لها تخيلية، و نسبة الادبار إليها ترشيح، و أشار إلى أن الاخرة على عكس ذلك بقوله (و أن الاخرة قد

وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة و لكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا [ألا] وكونوا من الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة ، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرضوا من الدنيا تقريضاً ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات و

ارتحلت مقبلة) الآخرة عبارة عن دار جامعة لأحوال يعود إليها الناس بعد الموت من طاعة ومعصية وسعادة وشقاوة وغيرها ولما كان تقضى العمر شيئاً فشيئاً باعثاً للوصول إلى تلك الدار والورود على ما فيها من خير أو شر كان كل أحد متوجهاً إليها و اعتبر توجيهها إليه أيضاً فشيئاً فشيئاً حامل لاثبات تلك الأحوال مقبلاً إليه فمن قريب يتلاقى و من بعيد يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وإلى مضمون الفقرتين أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله وكل ماض فكان لم وكل آت فكان قد ، أى كان لم يكن وكان قد اتى حذف الفعلان لظهورهما (ولكل واحد منهما بنون) استعمار لفظ البنين للخلق بالنسبة إلى الدنيا والآخرة ولفظ الأب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل إلى الأب بحسب الطبع أو بحسب توقع النفع ومن شأن أبيه إيصال المتوقع وكان الخلق منهم من يميل إلى الدنيا لتوقع النفع وهى يوصله إليه ومنهم من يميل إلى الآخرة لذلك شبه الخلق بالابن والدنيا والآخرة بالأب واستعمار لفظ الابن لهم ولفظ الأب لهما لتلك المشابهة المذكورة ولما كان فرضه حث الخلق على الآخرة والميل إليها والأعراض عن الدنيا قال (فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا) لان منافع الدنيا خيالية باطلة و سموم قاتلة و منافع الآخرة حقائق دائمة و فوائد باقية أبداً فينبغى أن تكونوا والهيئ إليها و راغبين فيها و عاملين لها و أشار إلى أن المقصود ليس مجرد رفض الدنيا وترك العمل لها بل هو مع ازالة حبهها عن القلب بقوله:

(و كونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة) لان الزهد هو رفض الدنيا ظاهراً و باطناً ولا يتحقق الرغبة في الآخرة الا به فأشار إلى بعض آثار الزهد و علاماته بقوله (ألا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرضوا من الدنيا تقريضاً) البساط فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب و الفراش بمعنى المفروش والطيب اللذيذ أو العطر والتقريض بمعنى التقطيع و ازالة الاتصال من قرضت الثوب اذا قطعته بالمقراض ، أو بمعنى التجاوز من قرضت الوادى اذا جزته أو بمعنى العدول من قرضت المكان اذا عدلت عنه ، وبعض أطوار الزاهد ما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) في وصف عيسى على نبينا و عليه الصلوة والسلام بقوله دفلقد كان يتوسد الحجر و يلبس الخشن ، و

من أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب،
ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخجلين و كمن رأى أهل النار
في النار معذبين ، شرورهم مأمونة و قلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، حوائجهم
خفيفة ، صبروا أياماً قليلة فصاروا بهتبي راحة طويلة ، أما الليل فصافقون أقدامهم

كان ادامه الجوع، و سراج به بالليل القمر، و ظلاله في الشتاء مشارق الارض، و فاكهته و
ريحانه ما تنبت الارض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه، و لا ولد يحزنه، و لا مال
يلفته، و لا طمع يذله، دابته رجلاه، و خادمه يداه، قوله و كان ادامه الجوع، و وجهه قيام بدنه بالجوع
كقيامه بالادام، و قوله و ظلاله - الى آخره، و وجهه استناره عن البرد بها كاستناره بالظلال (ألا و
من اشتاق الى الجنة سلا من الشهوات) أى نسيها و منع نفسه منها (و من أشفق من النار
رجع عن المحرمات) جمع الحرمة كالغرفات جمع الغرفة، و ذلك لان الاشتياق الى الشيء
يستلزم التوسل بسببه و الاشتياق من الشيء يستلزم التحرز من سببه (ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصائب) لان المصائب الدنيوية كلها راجعة الى فوات الدنيا و من زهد
فيها سهل فواتها عنده و لا يحزن به .

(ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخجلين و كمن رأى أهل النار في
النار معذبين) اشار به الى أن العارف و ان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعض
بصيرته لاحوال الجنة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم
و تنعموا فيها و كالذين شاهدوا النار و عذبوا فيها كما مر في حديث حارثة و هى مرتبة عين
اليقين و بحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة و شدة خوفهم من النار .

و أشار الى بعض أحوال هؤلاء بقوله (شرورهم مأمونة) لان علمهم بيقبح عاقبة
الشر يمنعهم من القصد له و التوجه اليه و لان مبدأ الشر محبة الدنيا و هم بمنزل عنها .

(و قلوبهم محزونة) من احتمال تقصيرهم فيما مضى أو فيما يأتى و عدم علمهم بما قبله
امورهم و بما يفعل بهم في الدنيا و الآخرة، و خوفهم من ألم الفراق و العقبات المستقبلية و لا
يسكن حزنهم و لا تملثن قلوبهم حتى يخرجوا من الدنيا .

(أنفسهم عفيفة) لاعتدال قوتهم الشهوية و وقوعها على الوسط بين رذيلتي الخمود و
الفجور فلا يمجزون عن الحق و لا يميلون الى الفجور (حوائجهم خفيفة) لاقتصارهم في الدنيا
على القدر الضروري منها (صبروا أياماً قليلة فصاروا بهتبي راحة طويلة) اريد بأيام قليلة
مدة عمرهم و هم صبروا فيها على المكاره و الشدائد و ترك الدنيا و احتمال أذى الخلق و
القيام بالتكاليف، و في ذكر قلة مدة الصبر و استعقابه للراحة الطويلة ترغيب في الصبر لان

تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم ، يسمعون في فكاك رقابهم . وأما الشَّهْر فحلماة ، علماء ، بررة ، أتقياء ، كأنَّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى - و ما بالقوم من مرض - أم خولطوا فقد خالط القوم أمرٌ عظيم ، من ذكر النار وما فيها .

تحمل مشقة كثيرة في مدة قليلة لمنفعة جزيلة راحة طويلة أبدية سهل وتلك الراحة هي السعادة في الجنة كما قال جل و عز د وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً .

(أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم يسمعون في فكاك رقابهم) جأر كمنع رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث ، وفيه إشارة إلى كمالهم في القوة العملية بارتكاب المبادات والتضرع والاستغاثة إلى الله والخوف منه والترقب بما عنده من الكرامة والمغو عن التقصير ، وذكر الليل لأن العبادة فيه أشق وأقرب إلى القرية والقلب فيه أفرح . (و أما النهار فحلماة علماء بررة أتقياء كأنهم القداح ، قد براهم الخوف من العبادة) أما النهار عطف على أما الليل وكلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرفية . والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة وهي الوسط بين رذيلتي المهابة والافراط في الغضب . والعلم إشارة إلى كمالهم في القوة النظرية بالعلم النظري والشرعي وهو معرفة الصانع وصفاته وأحكامه الشرعية . والبر بالفتح والبار الصادق أو الثقي وهو خلاف الفاجر و جمع الاول أبرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة وفاسق وفسقة والمعنى أنهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبائح البدنية والنفسانية ، وأشار إلى ثمره خوفهم بقوله : وكانهم القداح وهي بالكسر جمع القدح بالكسر والتسكين وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله وأشار إلى وجه الشبه بقوله وقد براهم الخوف من العبادة و براهم بفتح الباء وتخفيف الراء مثل هدام من البري وهو تراشيدن تير ، يعني قد براهم الخوف كبرى القداح في النحافة والدقة وإنما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن بسبب الخوف عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية من أداء بدل ما يتحمل .

(ينظر إليهم الناظر) من أهل الدنيا الذي طوره غير طوره (فيقول مرضى) أي هم مرضى نظراً إلى نحافة أجسامهم (وما بالقوم من مرض أم خولطوا) أي اختلت عقولهم نظراً إلى تكلمهم بكلام خارج عن دركه (فقد خالط القوم أمر عظيم) وهو الخوف من ذكر النار وما فيها وفيه إشارة إلى ما يعرض لبعض المارفين عند ذكر النار وما فيها واتصال نفسه بالملاء الأعلى ، واشتغاله عن تدبير البدن وضبط حركاته وسكناته على نحو حركات أهل الدنيا و سكناتهم من نحول جسمه وتغير هيئته وتكلمه بكلام خارج عن طور كلامهم مستبشع عندهم فينبسه

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي عبد الله المؤمن، عن جابر قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر والله إنني لمحزون وإنني لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟ فقال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي إلا طعامٌ أكلته أو ثوبٌ لبسته أو امرأةٌ أصبتها ؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ، و لم يأمنوا قدومهم الآخرة ، يا جابر الآخرة

الناظر منهم تارة إلى المرض الجسماني وتارة إلى المرض الروحاني وهو اختلاط العقل واختلاله بالجنون فقال دع ، اما المرض فمختلف ، و أما المخالطة فمتحققة لكن لا بالجنون و نقصان العقل كما توهموا ، بل الخوف و الذكر والاتصال. و هي دواء للنفس يشفيها من جميع الامراض المهلكة.

قوله (انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه) لعل المراد بالخالص الايمان الحقيقي واليقين بالله و اضافة الصافي اليه اما بيانية أو لامية بأن يراد بالصافي التقرب منه تعالى وحب لقائه و لقاء الآخرة ، هذا وجه لشغل قلبه الشريف عما سواه ، و أما وجه حزنه فلملحه أن الانسان و أن طي مقامات السير و وصل إلى الحق و قرب منه لكنه مدام في هذه الدار لا يخلو من بعد في الجملة ، و انما يحصل القرب التام والوصول الكامل بعد المفارقة منها فالعارف في هذه الدار دائماً في شغل عما ذكر و حزن لفقد هذا الكمال الذي لا يتأتى الا بالموت و لذلك قال علي دع، حين ضرب و فزت برب الكعبة ، ثم أشار إلى ذم الدنيا وترك محبتها على وجه يشمر بتحقيقها بقوله:

(يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي الا طعام أكلته، أو ثوب لبسته . أو امرأة أصبتها) للتنبيه على ان جل منافع الدنيا هذه الامور وهي منصرمة منقضية لا بقاء لها . والعامل لا يجب ولا يركن إلى ما هو في معرض الفناء والزوال سريعاً، ثم أشار إلى أن المؤمنين السابقين لم يركنوا إلى الدنيا ولم يطمئثوا ببقائهم فيها خوفاً من أمر الآخرة و قدومهم اليها بقوله (يا جابر ان المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها و لم يأمنوا قدومهم الآخرة) بل تركوا الدنيا و خافوا قدومهم الآخرة و المراد بالمؤمنين المؤمنون الكاملون وهم الكرماء والمتورعون في مكاسبهم الملازمون فيها للأعمال الجميلة الصالحة والاخلاق الفضيلة الكاملة وأداء الحقوق النفسية و البدنية بالالفون بذلك إلى أعلى مراتب

دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة و كأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه ماسمعوا بآذانهم و لم يصممهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة ، كما فازوا بذلك العلم ، واعلم يا جابر أن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة و أكثرهم لك معونة ، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكروك ، قوالون بأمر الله قوامون على أمر الله ، قطعوا

المحبة وأقصى معارج اليقين ، ثم بالغ في الحث على الزهد في الدنيا بقوله :

(يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة)
للتنبية على أنه لا ينبغي إثار الفاني على الباقي ولكن أهل الدنيا لما كانوا جاهلين بقبائح الدنيا غافلين عن أمر الآخرة واختاروا الزائل ترجيحاً للشاهد على الغائب و هو محل التعجب ولذلك قال أمير المؤمنين (ع) وصفت لأمردار الفناء و تارك دار البقاء ثم أشار إلى أن كمال الإيمان والزهد في الدنيا يتحققان بالفقه والفكرة والمبرة بقوله :

(وكان المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بآذانهم) من اخبار بسطة أيدي السابقين والقاصين وكثرة أموالهم وشدة تمكنهم من الدنيا (ولم يصممهم عن ذكر الله ما رأوا) في أهل الدنيا -

(من الزينة بأعينهم ففازوا) لترك الدنيا (بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم) إذ بنفقتهم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل و بفكرتهم يتفكرون في أحوال ما بعد الموت إلى أن يدخل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وفي أحوال ما يرد عليه الإنسان بعده من المقامات وصعوبة التخلص منها و بالمبرة يعتبرون بأنفسهم في كيفية وصول الرزق إليهم حين كونهم أجنة في بطون أمهاتهم من غير اختيار ولا عمل لهم ، و بأحوال الماضين و ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها و المباهات بكثرة الأموال و الاموان ، ثم المفارقة لذلك كله بالموت أو الاخذ ، وبقاء الحسرة والندامة والاهمال وعلاق الدنيا حبساً حائلة بينهم و بين الرحمة و حضرة جلال الله و ذلك يبعثهم على الزهد في الدنيا والاقبال ظاهراً و باطناً إلى الله تعالى والسمي الآخرة رحم الله من تفقه وتفكر واعتبر فابسر ، ثم أشار إلى جملة من حالات الزاهدين و صفات المتقين بقوله :

(يا جابر إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة) أي ثقلاً لانهم لا يتحملون من الدنيا إلا القدر الضروري في التمشي و البقاء (و أكثرهم لك معونة) لانهم مستعدون لآعانة المحتاجين في أمور الدنيا والدين سألوا أم لا كما أشار إليه بقوله (تذكر) أي حاجتك ، (فيعينونك) فيها (وان نسيت ذكروك) و أرشدوك إليها وإلى طريق قضائها ، ثم يعينونك مع

محبته بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم و نظروا إلى الله عز وجل و إلى محبته بقلوبهم و علموا أن ذلك هو المنظور إليه ، لعظيم شأنه ، فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك

الحاجة الى الاعانة (قوالون بأمر الله) لان شأنهم ارشادهم و هدايتهم للمخلق الى ما فيه صلاحهم و زجرهم عما فيه فسادهم (قوامون على أمر الله) يحفظونه من الزيادة والنقصان و يمنعون عنه تصرف أهل الجهل والطينان فهو بمنائهم ينتظم و يقوم و بحمايتهم يستقيم و يدوم (قطعوا محبتهم بمحبة ربهم) أى قطعوا محبتهم عن جميع الاشياء و اختاروا محبة ربهم ، أو تركوا ما يحبونه و عملوا بما يحبه ربهم .

(و وحشوا الدنيا لطاعة مليكهم) أى انقطعوا عن الدنيا و فروا منها ولم يستأنسوا بها لان يطعموا مالكم فيما أراد منهم من ترك الدنيا أو الاعم منه ومن ترك جميع الشرور و فعل جميع الخيرات بقلب فارغ من غيره (و نظروا الى الله عز وجل وإلى محبته بقلوبهم) بقلوبهم متعلق بنظروا وانما آخرها مع أن النظر مسند اليها فى الحقيقة اما للاهتمام بالمقدم أو لقصد الحصر أى نظروا ببصيرة قلوبهم الى الله وإلى محبته لا الى غيرهما والاخير أنسب بقوله (و علموا أن ذلك) أى ذلك المذكور و هو الله و محبته والاشارة للتنظيم .

(هو المنظور اليه لمعظم شأنه) أى هو الذى ينبغى أن ينظر اليه لآلى غيره لعظمة شأنه و حقارة ما سواه ، ثم خاطب جابر أو كل من يصلح للخطاب وزهده فى الدنيا بتمثيل بليغ بقبح حال الدنيا و صاحبها فقال (فأنزل الدنيا كمنزل نزلته) فى سفره (ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته فى منامك) مثل مال وجاء وامرأة جميلة (١) .

(فاستيقظت و ليس معك منه شيء) شبه الدنيا بذلك المنزل فى قلة زمان الكون فيه و شبه متاعها بذلك الكمال (١) فى عدم الاعتناء به وعدم كونه كما لافى الحقيقة لسرعة زواله بنفسه أو بالموت الشبيه بالاستيقاظ فلا يكون معك منه شيء كما لا يكون مع المستيقظ من ذلك الكمال شيء . و يظهر منه سر قول أمير المؤمنين ع ، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، و العاقل اللبيب اذا نظر الى الدنيا بعين البصيرة و وجدها متصفة بالصفات المذكورة زال عنه حبها . قال الشاعر موافقاً لهذا التمثيل :

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول و ارتحال
أردنا أن نقيم بها ولكن مقام المرء فى الدنيا محال

و قال بعض أكابر الشيعة : والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا و يأتى رزقها رغداً ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهى متاع يضمحل غداً ، ثم أشاد الى تمثيل آخر

(١) كمال حرف الجر دخلت على كلمة مال لامن كمال كما توهمه (ش) .

منه شيء، [إني] ضربت لك هذا مثلاً، لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفىء الظلال، يا جابر ! فاحفظ ما استرعاك الله جل وعز من دينه وحكمته ولا تسألن عما لك عنده إلا ما له عند نفسك، فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل

أبلغ وأظهر بقوله (إني) إنما ضربت لك هذا مثلاً لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفىء الظلال في سرعة الزوال، أو في أنه ليس بشيء حقيقة، أو في الاستقلال به قليلاً ثم الارتحال عنه، أو في أنه يرى ساكناً وهو يزول بالتدرج أنا قاناً والدنيا كذلك والظلال جمع الظل وهو الفئء بمعنى واحد عند كثير من الناس، وقال ابن قتيبة وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفئء لا يكون إلا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فئء وإنما سمي بعد الزوال فئئاً لأنه ظل فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفئء الرجوع، وقال ابن السكيت الظل من الطلوع إلى الزوال والفئء من الزوال إلى الغروب، وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها للداء والفئء بالمشاء، وقال رؤبة بن المعجاج كلما كانت عليه الشمس زالت عنه فهو ظل وفيه ما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل والفئء ينسخ الشمس. (يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله عز وجل من دينه وحكمته) وهي العلم بالشرائع والمراد بحفظه حفظه من الضياع والعمل به وتعليمه لمن هو أهل له.

(ولا تسألن عما لك عنده) من الحقوق مثل الرزق وغيره لأنه لا يترك ما للمبد عليه وما ورد من البحث على الدماء لطلب الرزق فهو لكون الدعاء عبادة، أو للتوسعة، أو لغير ذلك مما يجيء تفصيله في كتاب الدعاء إن شاء الله تعالى.

(إلا ما له عند نفسك) من الطاعة والتسليم والزهد في الدنيا فانك تحتاج إلى السؤال عنه وطلب المدد والاعانة والتوفيق منه تعالى والاستثناء من الموصول وظاهره الانقطاع لأن الحقين متغايران لا يصدى أحدهما على الآخر ويمكن إرجاعه إلى الاتصال لأن ما له عند نفسك فهو لك في الحقيقة وثمرته راجعة إليك لأنه أجل من أن يحتاج إلى شيء ويمود إليه فوائد من العباد والله أعلم.

(فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل إلى دار المستعتب) هذا من الترهيب وحقيقته غير معلومة لنا، ولكن نقول على سبيل الاحتمال: لا ريب في اتصاف الدنيا بالوصاف المذكورة والناس فيه ثلاثة أقسام لأن من اعتقد باتصافها بها وجب عليه الزهد فيها عملاً بمقتضى علمه ومن اعتقد بعدم الاتصاف أولم يعتقد بالاتصاف ولا بعدمه فليتحول إليها ليعلم شدائد ما وانقلابها على أهلها واتصافها بما ذكر بالتجربة والامتحان والشرط المذكور شامل للأخبرين والمستعتب بالكسر من يطلب الرضا بأزالة ما عوتب عليه وخطوب بالسخط،

إلى دار المستعذب ، فلمعري لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه ولرب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ، و ذلك قول الله عز وجل : « وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين ».

١٧- عنه ، عن علي بن الحكم ، عن موسى بن بكر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : قال أبوذر رحمه الله جزي الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير أتغذي بأحدهما و أتعشي بالآخر و بعد شملتني الصوف أتزر بأحديهما و أتردي بالأخرى.

١٨ - و عنه ، عن علي بن الحكم ، عن المشثي ، عن أبي بصير ، عن أبي-

و انما قال « فتحول الى دار المستعذب » و لم يقل فتحول اليها للاشعار بأن كل أهل الدنيا والمائل اليها مستعذب يوم القيمة و نادم على ما كان عليه و طالب للمغو والرضا ولكن لا ينفه ذلك كما ورد « ما بعد الموت من مستعذب »

(فلمعري لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه و لرب كاره لأمر قدسعد به حين أتاه) كما قال جل شأنه « و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئاً و هو شر لكم » اذ ما من شيء الا وله جهات متعددة فربما يدرك أحد حسن جهة فيطلبه و هو غافل عن قبح جهات آخر ، أو من قبح عاقبة تلك الجهة وربما يدرك قبح جهة فيكرهه و هو غافل عن حسن جهات آخر ، أو من حسن عاقبة تلك الجهة.

(و ذلك قول الله عز وجل وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) أى كون مكروه الدنيا سعادة و مرغوبها شقاوة أو حصول السعادة بالمكروهات و حصول الشقاوة بالمرغوبات مضمون هذا القول الكريم ، فان تمحيص المؤمن انما يكون بورود مكاره النفوس و ما ينقل عليها ليخرج من بوتقة الامتحان خالصاً صافياً سعيداً وترك التمحيص فى الحريص يوجب محقه و فساد و امتداده فى النى والطنيان فالتمحيص فى المؤمن لطف و احسان وتركه فى الحريص محق و خذلان.

قوله (قال أبوذر-ره. جزي الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير) أشار الى أن غير ما ذكره من الدنيا عنده مذموم وأحال ذمه الى الله تعالى نيابة عنه للدلالة على كمال ذمه لان كل فعل من الفاعل القوى قوى بالغ حد الكمال ، وأما ما ذكره فغير مذموم لان كل شخص يحتاج فى بقائه الى الغذاء واللباس ليكون يدلا عما يتحلل و يحفظه عن الحر والبرد و ما ذكره و ارتضاء لنفسه هو أقل المراتب منها وبالجملة حث به على ترك الدنيا الا الضرورة منها.

عبد الله عليه السلام قال : كان أبودر رضي الله عنه يقول في خطبته : يا مبتغي العلم كأن شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً إلا ما ينفع خيره ويضر شره إلا من رحم الله ، يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم ، والدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره و ما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها ، يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عز وجل ، فإنك مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغي العلم.

١٩- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مالي و للدنيا

قوله (يا مبتغي العلم كان شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً) خاطب طالب العلم و علمه ما هو خير له و هو الزهد في الدنيا ورغبه فيه بقوله (الما ينفع خيره ويضر شره إلا من رحم الله) الظاهر أن الاءحرف تنبيه ومانافية والضمير البارز راجع الى شيئاً والجملة بيان لما قبلها يعني أن شيئاً من الدنيا ليس شيئاً يعتد به ويركن اليه الماقل لانه اما خير أو شر و خيره لا ينفع لانه في معرض الفناء والزوال و شره يضر إلا من رحم الله و هو الذي عصمه من الشر وفيه زجر من التعرض لشيء منها واما قال من الدنيا ولم يقل في الدنيا لان في الدنيا شيء يعتد به اذا كان متعلقاً بالآخرة فخير و يطلب وشره يترك ولما كان سبب الفلة في الأكثر هو الاشتغال بالاهل والمال وصرف العمر في رعايتهما وحفظهما نبي عن ذلك بقوله (يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك) أي عن تحصيل ما ينفعك في يوم لا ينفع مال ولا بنون كما قال جل شأنه ويا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم من ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون ثم رغب في تركها وحكم بأنه سهل لقلة زمانها بقوله (أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم) التشبيه بالضيف في قلة الإقامة وقرب الرحيل وفيه مع ما يليه تنبيه على سرعة الانتقال والنزول في الآخرة ومشاهدة أهوالها وكراماتها وتحريض على تحمل المشاق فيها وتحصيل زاد الآخرة.

(يا مبتغي العلم قدم لمقامك بين يدي الله عز وجل) أي قدم العمل والعمل متوقف على العلم و لذلك خاطب مبتغيه بذلك ، وفي قوله و كما تدين تدان تنبيه على وجوب حسن المعاملة مع الرب اذا كان حسن جزائه بقدر حسن المعاملة معه وقبحه بقدر قبحها ، ويؤيده ما روى وكما تزرع تحصد، لفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان من خير أو شر ، ولفظ الحصد لما يثمر ذلك الفعل من ثواب أو عقاب، ووجه الاستمارة ظاهر.

قوله (قال رسول الله ص) مالي و للدنيا وما أنا و الدنيا) ومن طريق العامة روى

وما أنا والدنيا إنما مثلي ومثلها كمثل الرأكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال
تحتها ثم راح وتركها.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن عقبة الأزدي، عن أبي عبد الله
عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز،
كلما ازدادت على نفسها فتأكل أبعادها من الخروج حتى تموت غمماً، قال: وقال
أبو عبد الله عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك
لأولادهم فلم يبق ما يجمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبد مستأجر قد
أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجره ولا تكن في هذه الدنيا

من ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نام على حصير فقام وقد أثر في جسده فقالوا لو أمرتنا أن
نبت لك ونعمل فقال: وما لي وللدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح
وتركها، وهذا من التشبيه التمثيلي ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث وعدم الرضا
به فقد أشار دعه الى انه على بصيرة من نفسه ويقين من سرعة النزول في الآخرة و مشتاق
الى لقاء الله وحسن نوابه والكرامة والابدية الممدة للزاهدين لا الى الدنيا وزهراتها .
والصائف الحار . والقليلة النوم قبل الزوال .

قوله (مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز) هذا تشبيه تمثيلي في غاية
الحسن واللفظ و وجه التشبيه هو أن الدودة تفعل فعلا فيه هلاكها ونفع غيرها وهي لا تعلم و
كذلك الحريص على الدنيا.

قوله (كان فيما وعظ به لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما
جمعوا ولم يبق من جمعوا له) فيه تزهيد في صرف العمر في الفاني للثاني كما أن في قوله (و
انما أنت عبد مستأجر - الى آخرة) ترفيب في صرفه في الباقي للباقي والتشبيه بالمستأجر تمثيل
للمعقول بالمحسوس فكما أن الاجير لا يستحق الاجرة بدون العمل كذلك أنت لا تستحق الثواب
بدون العمل له ، ويقرب منه ما روى عن أمير المؤمنين دعه أنه قال والناس في الدنيا عاملان
عامل للدنيا في الدنيا قد شغلته دنياه من آخرته. يخشى على من يخاف الفقر ويأمنه على
نفسه فيفنى عمره في منفعة غيره ، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا
بغير عمل فأحرز الحظفين معاً وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجبها عند الله لا يسأل الله حاجة
شيئاً ثم أشار الى ان الحرس في الدنيا مهلك بقوله :

(ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة) هذا أيضاً تشبيه تمثيلي وفيه تزهيد في تناول زهرات
الدنيا ومعلوماتها الشهية وكثرة الاكل منها فان ذلك موجب لقوة النفس الامارة وطمعها بها

بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت فكان حنظلها عند سمنها و لكن
اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جرت عليها و تركتها ولم ترجع إليها آخر
الدهر، أخبرها ولا تعمرها . فإنك لم تؤمر بعمارها، واعلم أنك ستسأل غدا إذا
وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع : شبابك فيما أبليت و عمرك فيما أفنيت و
مالك مما اكتسبته و فيما أنفقته ، فتأهب لذلك و أعد له جواباً ، ولا تأس على
ما فاتك من الدنيا ، فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاءه و كثيرها لا يؤمن بقاءه ، فخذ
حذرك ، وجد في أمرك و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرض لمعروف ربك وجد

و سبب لهلاكها ثم أمر بدم الركون الى الدنيا والاستقرار فيها للجمع والادخار بقوله:
(ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر) هذا أيضاً تمثيل ووجه ظاهر اذ كل
ما قل يعلم أن الدنيا محل العبور لا محل النزول كالقنطرة فانظر هل ترى فيها من السابقين
أحداً، ثم أمر برفض كل ما لا يحتاج اليه بقوله:
(أخبرها ولا تعمرها فإنك لم تؤمر بعمارها) لعل المراد بأخبارها ترك ما لا يحتاج
اليه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والاقتصار على القدر الضروري
في كل منها. اذ لا بد للمساكن من زاد للدنيا وزاد للآخرة فزاد الدنيا القدر الضروري مما
ذكر وكلما كان أقل فهو أحسن وأفضل وزاد الآخرة العلم والعمل وتهذيب الظاهر والباطن
وهو كلما كان اتم وأكثر كان أحسن وأجدر. وفي قوله:

(و اعلم أنك ستسأل غداً) ترغيب في صرف قوة الشباب و العمر في طلب الدين و
العمل به واكتساب المال من طرق الحلال وانفاقه في الوجوه المشروعة وارشاد الى التأهب
والاستعداد للجواب ومراقبة النفس ومحاسبتها في كل آن لتلايقع في هاوية النقصان والخذلان.
(ولا تأس على ما فاتك من الدنيا - الى آخره) وفيه ترغيب في تطهير القلب عن حب
الدنيا أي لا تحزن على ما فاتك من قليل الدنيا وكثيرها.

(فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه) والمائل لا يتأسف بفوات قليل لا بقاء له (و كثيرها لا
يؤمن بقاءه) والمائل لا يتأسف أيضاً بفوات ما يوقعه في الضرر والهلكة (فخذ حذرك) الحذر وتهيبه
كأنه ولعل المراد به تجهيز أمر الآخرة بتطهير الظاهر والباطن (وجد في أمرك) لعل
المراد به تحلية الظاهر والباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة.

(و اكشف الغطاء عن وجهك) أي عن وجه قلبك. وغطاؤه ما يحجب عنه مشاهدة المعبود
ملاحظة المقصود و يمنعه من الوصول اليه والتقرب منه من مفاسد العقائد ومقايح الاعمال
والاخلاق، وكشفه رفعه الموجب لمشاهدة جلاله وكماله والاتصال به اتصالاً روحانياً.

التوبة في قلبك و اكمش في فراغك قبل أن يُقصد قصدك و يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ما تريد.

٢١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام يا موسى لا تركزن إلى الدنيا ركون الظالمين و ركون من اتخذها أباً و أمّاً يا موسى لو و كلتلك إلى نفسك لتنظر لها إذا لغلّب عليك حب الدنيا و زهرتها ، يا موسى نafs في الخير أهلّه و استبقهم إليه ، فإن الخير كاسمه و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه و لا تنتظر

(و تعرض لمعروف ربك) وهو ما أراد منك ، أو أجره في الآخرة ، أو ما يفضيه على أهل العرفان (و جدد التوبة في قلبك) إشارة إلى أن التوبة أمر قلبي وهي الندامة عما مضى و الهم على عدم الاتيان بمثله ، و إلى رجحان تجديد التوبة بعد التوبة لأن السالك لا بد أن يكون في ندامة بعد ندامة دائماً (و اكمش في فراغك) أي عجل و أسرع ، أو تشمر وجد فسي فراغك مما يوجب الفر و الخذلان لما يوجب العز و الاحسان .

(قبل ان يقصد قصدك) أي نحوك يقال قصدت قصده أي نحوه (و يقضى قضاؤك) أي موتك ، أو سوء خاتمتك ،

(و يحال بينك و بين ما تريد) من التوبة والطاعات والاخلاق النافعة بعد الموت أو الرجعة إلى الدنيا و تمنيتها بعمد لتحصيل ما ينفع في الآخرة عند مشاهدة كرامة الاولياء و شقاوة الاشقياء ، أو تأخير الاجل عند الاحتضار فتقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب و فاسدق و أكن من الصالحين ، والمائل ينهني أن يتصور أنه طلب الرجعة فرجع و يسمى في طلب الخيرات في كل زمان بقدر الامكان و يحفظ نفسه عن الغفلة والنسيان والله هو المستعان . قوله (يا موسى لا تركزن إلى الدنيا ركون الظالمين) اريد بالظالمين أهل الدنيا مثل سلاطين الجور و اتباعهم و من يحذو حذوهم في الركون اليها .

(و ركون من اتخذها أباً و أمّاً) شبه الدنيا بالاب والام و أهلها بالاطفال في الركون اليها والانس بها (يا موسى لو و كلتلك إلى نفسك لتنظر لها) أراد بالنظر لها نظر ميل و ارادة و اما النظر اليها نظر تفكر و عبرة فهو يوجب الاعراض عنها .

(يا موسى نafs في الخير أهلّه) نافت في الشيء منافسة و نفاساً اذا رغبت فيه على وجه المبارات والمغالبة (و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه) اما ما لا غنى عنه من الضروريات اللامقة شرعاً و عقلاً فلا ينبغي تركه (ولا تفتطن أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم أن الله راض عنه) دل على عدم جواز الدبطة في أمر الدنيا الغير الضروري و على جوازها في أمر الدين

عينك إلى كل مفتون بها و موكل إلى نفسه، و اعلم أن كل فتنة بدوها حب الدنيا ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه، حتى تعلم أن الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له، فإن طاعة الناس له، و اتباعهم إياه على غير الحق هلاك له و لمن اتبعه.

٢٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن في كتاب علي صلوات الله عليه: إنما مثل الدنيا كمثـل الحية ما ألين مسها و في جوفها السم الناقع، يحذرـها الرجل العاقل و يهوى إليها الصبي الجاهل.

٢٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه أوصيك ونفسي بنقوى

واللبطة أن تمنى حال المنبوط من غير أن تريد ذوالها عنه.

قوله (إنما مثل الدنيا كمثـل الحية ما ألين مسها و في جوفها السم الناقع) أي القاتل وهو من صيغ التعجب وفيه إشارة إلى وجه التشبيه وهو اما متعدد أو مركب من متعدد و على التقديرين في المشبه به حس وفي المشبه عقلي والفرق من هذا التشبيه اما بيان حال المشبه و صفته أو تقبيحه في نظر السامع ليتفكر طبعه عنها وهما انما يقتضيان أن يكون المشبه به اعرف واشهر في وجه التشبيه من المشبه ولا ينافي ذلك ان يكون الامر بالعكس في الاتمية فعلى هذا يمكن ان يكون تأثير سم الدنيا أقوى وأتم لانه يؤثر في النفس الناطقة و يوجب الهلاك الابدى، ومس الدنيا كناية عن جمع زهراتها الفانية والالتذاذ بها، و سمها عبارة عما يترتب عليه في المال (يحذرـها الرجل العاقل) لعلمه بأن القرب منها و تناولها يوجب هلاكه فيكون انس و سروره بالحذر عنها والفرار منها والاتصال بالمولى.

(و يهوى إليها الصبي الجاهل) اطلق على طالب الدنيا لفظ الصبي على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره و ينفعه اذ ليس له بصيرة باطنية ليدرك بها بواطن الامور، ولذلك نظره مقصور على ظواهرها وهمه مصروف الى التمسك بها و الركون اليها حتى لو منعه موانع لمعارضه أشد المعارضة وقاتله أقبح المقاتلة فرما يحبسـه الحرس في سجن المهالك وهو مشغوف بذلك فيأتيه الموت ويفسد عليه وهو في الآخرة من الخاسرين.

من لاتحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الفنى إلا به ، فان من اتقى الله عز و قوي و
شبع و روي و رُفِع عقله عن أهل الدنيا ، فبدنه مع أهل الدنيا و قلبه و عقله معاين
الآخرة ، فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا فقدّر حرامها و جانب
شبهاتها و أضرّ الله بالحلال الصافي إلا ما لا بد له [منه] من كسرة يشد بها صلبه و ثوب

قوله (كتب أمير المؤمنين ع ، الى بعض أصحابه يعظه أو صيك ونفسى بتقوى الله) الوض
الامر بالطاعة و عليه قوله تعالى قل انما أظنكم بواحدة ، أى آمركم و قبل الوض تذكر
مشتغل على زجر و تخويف و حمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب و الاسم الموضوعة . و الوصية
بالشيء الامر به و عليه قوله تعالى و يوصيكم الله فى أولادكم ، أى يأمركم و قوله و من لاتحل
معصيته ، بدل أو وصف للجلالة (فان من اتقى) الظاهر أنه حلة لقوله « أو صيك » يعنى أمرتك
بالتقوى فان من اتقى الله و اجتنب عن معصيته و تنزه عما يشغل عنه (عز) بزة ربانية لاذل معها .
(و قوى) بقوة روحانية لاضعف فيها (و شبع) بحكمة الهية لاجهل معها ،

(و روي) بزال أسرار غيبية و ألطاف لاهوتية لاحتاج معها الى غيرها (و) لذلك (رفع
عقله عن أهل الدنيا) حيث أن عقولهم عكفت كالذباب على مينة الدنيا و عقله سائر فى المساء
الاعلى (فبدنه مع أهل الدنيا) لكونه من جنس أبدانهم فى الصورة الجسدانية .

(و قلبه و عقله معاين الآخرة) لتجرده عن العلائق الجسمانية . (فأطفأ بضوء قلبه ما
أبصرت عيناه) من حب الدنيا ، الاطفاء اخماد النار حتى لا يبقى منها شيء و ضوء القلب عبارة
عن سورة الملمية المايزة بين الحق و الباطل و الحسن و القبح ، و فى حد حب الدنيا مبصراً
مسامحة ، و تشبيهه بالنار فى الاحراق و الاهلاك استعارة مكنية و نسبة الاطفاء اليه تعبيلية .

(فقدّر حرامها) القدر الوسخ و هو مصدر قدر الشيء فهو قدر من باب تمب اذا لم
يكن نظيفاً ، و قدرته من باب تمب أيضاً و استقدرته و تقدرته كرهته لوسخه فأقدرته بالالف
وجدته كذلك و كثيراً ما يطلق على النجس و هو المراد هنا .

(و جانب شبهاتها) و هى المشتبهات بالحرام مع عدم العلم بأنها حرام كأموال
الظلمة الاخذين لاموال الناس ظلماً (و أضرّ الله بالحلال الصافي) و هو الحلال الخالص
من الحرام قطعاً (إلا ما لا بد له) و هو أقل المعيشة الذى لا يمكن الوجود و البقاء و الطاعة
بدونه (من كسرة يشد بها) صلبه الكسرة بالكسرة القطعة من الشيء المكسور و منه الكسر
من الخبز المتخذ من دقيق الحنطة و الشعير أو غيرهما و الجمع كسر مثل سدر و سدر .

(و ثوب يوارى به عورته من أظلف ما يجد و أخشنه) خص العورة بالذكر لانها أهم
بالموارد و الا فلا بد من ثوب يوارى به سائر البدن عند الاحتياج اليه لحفظ الحر و

يواري به عورته من أغلظ ما يجد و أخشنه ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء، فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجده واجتهده و أتعب بدنه حتى بدت الأضلاع و غارت العينان فأبدل الله له من ذلك قوة في بدنه و شدة في عقله وما ذكر له في الأخرة أكثر، فرفض الدنيا فإن حب الدنيا يعمى و يصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً [أ] و بعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا على

البرد (و لم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء) نفى الثقة والاعتماد فيما لا بد منه عند كونه حاصلًا و نفى الرجاء عند عدم كونه حاصلًا.

(فوقعت ثقته) عند الحصول (ورجاؤه) عند عدمه (على خالق الأشياء) هذا غاية الزهد والتوكل حيث قطع تعلقه بالوسائط والأسباب وخص تعلقه برب الأرباب.

(فجده واجتهده) أى فجده فى السير اليه والعمل له واجتهده فى تهذيب الظاهر والباطن مما يمنع القرب منه (و أتعب بدنه) بأنحاء العبادات والرياضات.

(حتى بدت الأضلاع) لشدة هزاله بكثرة التنب و قلة الغذاء (و غارت العينان) لكثرة السهر و قلة النوم (فأبدل الله له من ذلك قوة فى بدنه) ينحمل بها الأعمال الشاقة مع ضعف البنية (و شدة فى عقله) يدرك بها الأسرار اللاهوتية و يتحمل الأنوار الملكوتية (و ما ذكر له فى الأخرة) من الأجر الجميل والثواب الجزيل و المقامات المالية والدرجات الرفيعة (أكثر) مما آتاه فى الدنيا (فرفض الدنيا فإن حب الدنيا) وهو ميل النفس إليها بحيث يفرح بحصولها و يحزن بفواتها .

(يعمى و يصم ويبكم ويذل الرقاب) المراد بالعمى عمى البصيرة فإن حب الدنيا حاجز بينها وبين الحق وأسارده، مانع من أدراكهما . و يحتمل عمى البصر فإن حبها مانع من أدراك البصر تقلبها على أهلها و أدراك نوائبها الدالة على هوانها كما أنه مانع من سماع نداء الدامى الى فراقها و آيات الحق على ذوالها وفنائها و من التكلم بالأوامر و النواهي وتقبيل المنكرات لان كل ذلك مناف لما ارتكبه من الميل الى الدنيا وحب الشهوات وهو مع ذلك موجب لذل الرقاب اذ فى حبها وتحصيلها وضبطها و حفظها من أهل الجور مذلة ظاهرة لاولى الالباب (فتدارك ما بقي من عمرك) و اسرفه فى عبادة ربك و تدارك ما فات و انصرف عن حب الدنيا الى المقننات (ولا تقل غداً و بعد غد) فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى والتسويف (هذا قول أهل الأمانى والأمال و مناطه حب الدنيا فإن حبها يعمته على سرف العمر فى تحصيلها و جمعها وضبطها وصرف الفكر فى كيفية تحصيل ما يأمل ويرجو منها وتدبير

أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله وإياك على طاعته ووفقنا الله وإياك لمرضاته.

٢٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة وغيره، عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

٢٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : قال : عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم.

(باب)

١- الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل

إزالة المانع منه وهو بذلك ينفل من أمر الآخرة وما ينفعه فيها، ولو خطر بباله يسوفه ويقول أقبله غداً وبعد غد وبعد تعمير هذه المماراة وانقضاء هذه التجارة واحصاد هذه الزراعة، وهكذا بعد اشغاله المتولدة بعضها عقب بعض إلى أن يأتيه الموت بغتة وهو في خسران مبین وفيه ردع عن تسويف النوبة والمبادات والقيام على الاماني وحب الشهوات فان كل ذلك مع قطع النظر عن كونه مانعاً بالفعل قد لا يتحصل له باتيان الموت بغتة وخروج الامر من يده ووصوله إلى الغد ليس باختياره على أن الرجوع من الذنوب في الغد ليس بأسهل من اليوم بل هو أصعب لان المصيبة باستمرارها تشتد وتقوى حتى تصير ملكة فاذالته حينئذ أشد وأصعب، فاذا عجز عن إزالة الاضعف فهو عن إزالة الاصعب أعجز.

(فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا) الظاهر أن فانقطع أمر معطوف على فرفض الدنيا. والاناة الرجوع إلى الله تعالى ومن، تعليل لها وعزم عطف على قلب وهو عقد الضمير والانخزال الانقطاع.

قوله (مثل الدنيا كمثل ماء البحر) هذا التمثيل في غاية الحسن والوجه هو ازدياد الحرس في الجمع والشرب المفضى إلى الهلاك بالآخرة، ومن البين أن طالب الدنيا

يقول : و عزتي و جلالتي و عظمتي و علوي و ارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هوأي على
هوئ نفسه إلا كفت عليه ضيعته و ضمنت السماوات والأرض رزقه ، و كنت له من
وراء تجارة كل تاجر .

إذا توجه إلى أمر واحد منها يتولد منه أمور كثيرة وتشترك فيه أشغال غير محصورة بعضها عتب
بعض وصرف العمر فيها والحرص في تحصيلها يوجب هلاكه .

قوله (و عزتي و جلالتي و عظمتي و علوي و ارتفاع مكاني) العزة القوة والشدة والغلبة قيل
وعزته عبارة عن كونه منزهاً عن سمات الامكان وذل النقصان و رجوع كل شيء إليه وخضوعه بين يديه
والعظمة في صفة الاجسام كبر الطول والعمق و في وصفه تعالى عبارة عن تجاوز
قدره عن حدود العقول والادهام حتى لا يتصور الاحاطة بكنه حقيقته وصفاته عند ذوي الافهام
وعلوه علوي على الاطلاق بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته وذلك لان أعلى مراتب الكمال العقلي
هو مرتبة الملكية ولما كانت ذاته المقدسة مبدأ كل موجود حسي وعقلي لاجرم كانت مرتبته
أعلى المراتب العقلية مطلقاً وله العلو المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء ، و
من امكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه ، وهذا معنى قول أمير المؤمنين (ع) سبق في الملف فلا
أعلى منه ، وارتفاع مكانه كناية عن عدم امكان الاشارة اليه بالعقول والحواس .

(لا يؤثر عبد هوأي على هوئ نفسه) المراد بهوى النفس ميلها الى ما هو مقتضى
طبائعها من اللذات الحاضرة الدنيوية والخروج عن الحدود الشرعية وبهواء تعالى اعراضها
عن هذا الميل ورجوعها الى ما يوجب القرب الى الحضرة الاحدية .

(الا كفت عليه ضيعته و ضمنت السماوات والأرض رزقه) يجوز في ضمنت تشديد المهم
وتخفيفها ، والسماوات منصوبة على الاول و مرفوعة على الثاني و ضيعة الرجل ما يكون منه
مماشة كالصناعة والتجارة والزراعة وغير ذلك ، ولعل المراد بها المعيشة ، ويؤيده ما
روى من طرق العامة ، المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، قال ابن الاثير أي يجمع
عليه معيشته ويضمها اليه .

(و كنت له من وراء تجارة كل تاجر) الوراها فمال ولامه همزة عند سيبويه وأبي على
الفارسي وباء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى قدام وخلف ، والتجارة مصدر بمعنى
البيع والشراء للنفع وقد يراد بها ما يتاجر فيه من الامتعة و نحوها على تسمية المفعول باسم
المصدر ، ولعل المراد أن كل تاجر في الدنيا لاخرة يجد نفع تجارتها فيها من الجنة ونعيمها و
حورها وقصورها ، والله سبحانه بذاته المقدسة والتجليات الالائية وراء هذا البعد الذي
آثر هواء على هوئ نفسه . وفيه دلالة على أن للزاهدين في الجنة تنمية روحانية أيضاً ، و يحتمل

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن ابن سنان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه و همته في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كل تاجر.

(باب القناعة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عماد بن مروان، عن زيد الشحام، عن عمرو بن هلال قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، وقال: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا، فإن دخلك من ذلك شيء فاذا كر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، قائماً كان قوته الشعر وحلواه الثمر وقوده السعف إذا وجد.

احتمالاً بعيداً أن يكون كنت له كلاماً تاماً دالاً على أنه تعالى هو الغاية لعمله ويكون ما بعده حالاً لفاعل كنت دالاً على أنه تعالى هو الرقيب على عمل كل عامل، والمراد بجعل غناه في نفسه و همته في آخرته كما في الخبر الآخر جملة غنياً في نفسه بإيصال رزقه إليه عن غيره تعالى وجعل همته وهي الإرادة والزم القوي في أمر آخرته وهما أعظم المراتب الإنسانية إذ الإنسان بذلك الفنى لا يشاهد إلا ربه وبذلك الهمة يبلغ من حضيض النقص إلى أوج الكمال ويخرج من مذلة البعد إلى مقام الوصال.

قوله (إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك) طمح بصره إليه كمنع ارتفع لينظر إليه، وأطمح بصره رفعه وهو تحذير من النظر إلى الفوق فإنه يوجب ميل النفس إلى الدنيا وترك القناعة والصبر والشكر وعدم الرضا بقضاء الله وتقديره بخلاف النظر إلى الادون وهذا بالنظر إلى أهل الدنيا، وأما بالنظر إلى أهل الآخرة فالامر بالمعكس ثم رغب في القناعة وعدم النظر إلى أهل الدنيا وما في أيديهم من زهراتها بقوله:

(فإن دخلك من ذلك شيء فاذا كر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنما كان قوته الشعر) أى غالباً (و حلواه الثمر وقوده السعف إذا وجد) الوقود بالفتح الحطب والسعف بالتحريك أفصان النخل مادامت بالخوص وهو ورقة فإن زال الخوص عنها قيل جريدة، والضمير في

٢- الحسين بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد ، و علي بن محمد ، عن صالح ابن أبي حماد ، جميعاً ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عسائذ ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سألنا أعطيناه وَمَنْ استغنى أغناه الله .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن الهيثم ابن واقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل .

وجده راجع الى كل واحد من الامور المذكورة يعنى ان دخلك من ذلك شيء ينفع الشيطان بانك لم تقنع وتحمل على نفسك المشقة وابناء نوعك فى نعمة جزيلة وراحة طويلة وطلب سعة المعيشة من أى طريق يمكن فادفعه بذكر ضيق عيش رسول الله صلى الله عليه وآله من أن الدنيا وما فيها خلقت له وما كان ذلك الا لحقارة الدنيا عنده وطلب رضا الله تعالى وتأس به بخروج الموجود والصبر على المفقود واستيقن أن الرزق مع الحياة ومحال على الحكيم القادر المدل أن يقطع الرزق مع بقاء الحياة .

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله) أى من استغنى من السؤال أغناه الله عنه بأعطائه ما يحتاج اليه ويفهم منه أن من سأل الناس وكله الله اليهم حيث صرف وجهه عنه واعتمد بهم ويدل على ذلك قوله تعالى وومن يثق بالله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، والتفصيل أن ما تعلق به قلب أحد من مهمات الدنيا اما أن يكون قد قسم له أو لم يقسم فإن قسم فالله تعالى يكفيه مؤنته ويوصله اليه قطعاً اما بغير كلفة ومشقة ، أو بتهيئة أسبابه ، أو بتوفيقه اليها وان لم يقسم كفاه عن مؤونة الاهتمام به ، وأغنى قلبه عن التعلق به فهو الكافى لمن استكفاه اما بنى يده ، أو بغنى قلبه و منه يظهر سر الكلية فى قوله و من استغنى أغناه الله ، ونقل عن بعض المتوكلين أنه قال كنت فى بعض البوادر وحيدى فجئت ولا زاد مئى فرفعت حاجتى الى مولائى فهتف بى هاتف أتريد غذاء أم غنا فقلت بل غنا فزال جوعى و وجدت قوة و غنا عن الطعام نحواً من عشرين يوماً .

قوله (من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل) لان من رضى عما على الله باليسير رضى الله عما عليه باليسير كما يقتضيه حسن المعاملة وأيضاً النعمة توجب شكراً والعمل منه فكلما كانت النعمة أقل كان العمل أيضاً أقل ، وفيه ترغيب فى الرضا بالقليل من الرزق لانه يستلزم خفة المؤونة وذوال المشقة من العمل وأيضاً من رضى بالقليل

٤- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن عبدالله بن القاسم عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله قال: مكتوب في التوراة: ابن آدم ! كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور .

٥- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن عرفة، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: من لم يقنعه من الرزق إلا الكثير لم يكفه من العمل إلا الكثير و من كفاه من الرزق القليل فإنه يكفيه من العمل القليل.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ابن آدم إن كنت تريد

من المعاش فقد زهد في الدنيا وطهر ظاهره و باطنه من الاعمال والاخلاق القبيحة التي يقتضيها الدنيا وفرغ من المجاهدات التي يحتاج اليها السالك المبتدى و جعلها وراء ظهره فلم يبق عليه الا فعل ما ينهى فعله وهذا يسير بالنسبة الى تلك المجاهدات وهذا الاحتمال ذكره بعض علماء العامة في شرح ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله وأخلص قلبك يكفيك القليل من العمل.

قوله (كن كيف شئت) هذا مثل قوله تعالى (اعملوا ما شئتم) وفيه وعد بالخير و وعيد على الشر كما أن في قوله :

(كما تدين تدان) إشارة الى أن جزاء الخير خير و جزاء الشر شر، و ترغيب في حسن المعاملة مع تعالى. ثم ذكر للرضا باليسير ثلاثة أوجه للترغيب فيه فقال:

(ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور) الوجه الاول خفة المؤونة أعنى الثقل والمشقة فان المشقة في طلب اليسير وحفظه يسير خفيف، والثاني زكاه مكسبه فان المكسب المشروع لليسير كثير والمكسب المشروع ذكى. والثالث الخروج من حد الفجور لما عرفت من زكاه مكسبه مع تنزهه عن الحقوق المالية والميل الى الدنيا المستلزمة للفجور بخلاف طالب الكثير فان المكسب الغير المشروع الكثير قليل جداً مع ما يلزمه من الحقوق المالية التي قلما يقوم بها طالبه و الركون الى الدنيا المستلزمة لجميع الفجور والمفاسد.

من الدنيا ما يكفيك فإن أسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك.

٧- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن محمد الأسدي، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اشتدَّت حال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقال له: امرأته لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر فأعلمه فأتاه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل، فصعد فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلماً ثم أترى حتى أسر فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قلت لك: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله.

٨- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن الفرات، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره.

قوله (قال كان أمير المؤمنين وع) يقول ابن آدم أن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك أي أن كنت تريد من الدنيا ما يفتيك عن غيره فإن أسر ما فيها يفتيك وهو القدر الضروري الذي يتوقف عليه حياتك وقوتك على الطاعة وهذا القدر يأتيك قطعاً وتحصيله عين، وإن كنت تريد ما لا يفتيك فإن كل ما فيها لا يفتيك فأنك حريص في جمع الدنيا ما لا يحتاج إليه ومراتب الحرص غير محصورة فلو فرض أنه جمع لك الدنيا وما فيها تطلب الزائد عليها، ومثل هذا الحديث قول أمير المؤمنين وع، وكل مقتصر عليه كاف، يعني كاف في مطلوب المقتصر من بقائه وقوته على الطاعة كقليل القوت وغير ذلك.

قوله (من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره)

٩- عنه ، عن ابن فضال ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر [أ] و أبي عبد الله عليه السلام قال : من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس .

١٠- عنه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن حمران قال : شكا رجلٌ إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع و تنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه و قال : علمني شيئاً أنتفع به ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن كان ما يكفيك يغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك .

١١- عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن حنان بن سدير ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام من رضى من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ومن لم يرض

لان من اتصف بهذه الفضيلة بصرف الله تعالى وجه قلبه عن جميع ما سواه اليه ويفيض بركانه و زلال فيضه عليه ويسد باب حاجاته الى غيره ولاغنى أعظم منه ومن المحرك الى تلك الفضيلة هو التفكير في أن الله تعالى كريم لا يضره الاعطاء و خزائنه واسعة لا تنفذ وقد رغب في السؤال عنه و وعد في الاجابة فلا يخلف وعده بخلاف غيره فإنه مثل السائل في الاحتياج و تخيل الفقر في وقت ما و حصول الضرر و كل ذلك يبعثه على رد السائل و ان اعطاء اعطاء قليلا و ذمه طويلا و عده ذليلا و منه كثيراً و الموت خير منه و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام «ع» الدنية و لا الدنية ، روى بضمها و ردهما فالنصب بتقدير الفعل أى احتمل الدنية و هى الموت و لا احتمل الدنية و هى السؤال و الرفع بتقدير الخبر أى الدنية ملتزمة و الدنية غير ملتزمة .

قوله (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) لان الفنى من لا يحتاج الى غيره والقانع أولى بذلك من غيره لان غيره كثيراً ما تضطره الحاجة الى التوسل بالغير بخلاف القانع فان قناعته بأدنى ما يكفيه رافعة للاضطرار ، ومما يبعث على تلك الفضيلة هو العلم بأن غير القانع يطلب الدنيا للثلاثة أشياء الفنى والعز والراحة والعلم بأن كل ذلك فى تركها لان من تركها عز ومن قنع بما لا بد استغنى ومن قل سعيه استراح .

قوله (ان كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك وان كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك) مفهوم الشرطيتين ظاهراً أما الاولى فلان أدنى ما فى الدنيا يكفيه فى قوام أمره والمفروض أن ما يكفيه يغنيه فأدنى ما فيها يغنيه ، وأما الثانية فلانه اذا كان ما يكفيه لا يغنيه كان ذلك لكمال الحرص ومراتب الحرص غير محصورة فكل ما فى الدنيا لو حصل له لا يغنيه لو حصلت بل له الدنيا مرة طلبها مرتين وهكذا .

من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه .

(باب الكفاف)

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن غير واحد . عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : " إن من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال ، ذاحظاً من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافاً ، فصبر عليه ، عجلت منيته فقل ترائه وقلت بواكيه .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً .

٣ - النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ

قوله (قال الله عز وجل ان من اغبط أوليائي عندي) وجه التفضيل أنه جمع بين الدين و الدنيا وأخرج حبها عن قلبه فأكرمها الله بقربه وفضله وخيره . وهذه الامور من أعظم أسباب البطة (رجلاً خفيف الحال) بالحاء المهملة أي ضيق الحال وقليل الممشة من حفت الارض اذا بيس نباتها ، أو بالحاء المعجمة أي قليل والحظ من الدنيا و لله در من قال :

أخص الناس بالايامن عبد	خفيف الحال مسكنه القفار
له في الليل حظ من صلوة	و من صوم اذا طلع النهار
و قوت النفس يأتي من كفاف	وكان له على ذاك اصطبار
و فيه عفة و به خمول	اليه بالاصابع لا يشار
و قل الباكيات عليه لما	قضى نحباً و ليس له يار
فذاك قد نجا من كل شر	و لم تمسه يوم البعث نار

(ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب) أي بالغيب عن الرب ، أو عن الخلق و المراد باحسان العبادة اتيانها في أوقاتها بشرائطها وأركانها مع نية خالصة وقلب حاضر عالم بأن الرب يشاهده بل هو يشاهد الرب .

(وكان غامضاً في الناس) أي مغموراً غير مشهور (جعل رزقه كفافاً فصبر عليه) الكفاف يالفتح ما لا يحتاج معه ولا يفضل عن الحاجة فهو متوسط بين الفقر والغنى وخير الامور أوسطها وانما سمي بذلك لانه يكف عن الناس ويفني عنهم .

اللهم ارزق محمدًا وآل محمد و من أحب محمدًا و آل محمد العفاف والكفاف، و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد.

قوله (قال رسول الله اللهم ارزق محمدًا وآل محمد... العفاف والكفاف) العفاف بالفتح عفة البطن والفرج عن الطليان، أو العفة من السؤال عن الانسان، أو الجميع (و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد) لما كان شيء من المال ضروريًا في البقاء والبقاء و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذي فيه راحة الكفر والمصيان، و طرف الفنى الذى فيه شائبة التكبر والطليان طلبه لنفسه ولمحببه وطلب لمن أبغضهم طرف الفنى والكثرة لان مفاسده أكثر وأعظم وفتنته أشد وأفخم من مفاسد الفقر وفتنته كما قال عز وجل و انما أمواكم وأولادكم فتنة وقال : «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وقال أمير المؤمنين (ع) «والمال مادة الشهوات» وبالجملة لما كان حصول الكفاف مانعًا من دواعى التفریط والافراط و كان العبد معه مستقيم الاحوال على سواء الصراط طلبه لنفسه ولمحببه ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة. ففى مسلم عن النبي (ص) أنه قال اللهم اجعل رزق محمد قوتًا ، والمراد بالقوت الكفاف وعنه أيضاً اللهم اجعل رزق محمد كفافاً، وعنه أيضاً اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً قال عباس (ع) لا خلاف فى فضيلة ذلك لقلة الحساب عليه فانما اختلف أيهما أفضل: الفقر أو الفنى، واحتج كل لمذهبه واحتج من فضل الفقر بدخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء، وقال القرطبي القوت ما يقوت الابدان ويكف عن الحاجة وهذا الحديث حجة لمن قال ان الكفاف أفضل لانه (ص) انما يدعو بالارجح و أيضاً فان الكفاف حالة متوسطة بين الفقر والفنى، وخير الامور أوسطها، وأيضاً فانه حالة يسلم معها من آفات الفقر و آفات الفنى، وقال الابى فى كتاب اكمال الاكمال: فى المسئلة خلاف والمنحصل فيها أربعة أقوال قيل الفنى أفضل، وقيل الفقر أفضل، وقيل الكفاف أفضل، وقيل الوقف. وقال ابن رشد والذى أقول به أن الفنى أفضل من الفقر والفقر أفضل من الكفاف وأطال الاحتجاج عليه فى جامع المقدمات والمراد بالرزق المذكور ما ينتفع به (ص) فى نفسه وفى أهل بيته وليس المراد به الكسب لانه كسب من خبير ومن غيرها فوق القوت انتهى كلامه. واعلم أن الاحاديث مختلفة ففى بعضها طلب الفنى واليسار، وفى بعضها طلب الكفاف، وفى بعضها طلب الفقر، وفى بعضها الاستعاذة من الفقر ويمكن أن يقال المراد بطلب الفنى طلب الكفاف لان الكفاف هو الفنى المطلوب عند أهل العصمة عليهم السلام وليس المراد بهما هو المتعارف عند أبناء الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع فيه فوق الحاجة. و بطلب الفقر أيضاً طلب الكفاف لان الكفاف فقر عند أهل الدنيا وان كان غناً عندهم عليهم السلام ، وبالاستعاذة من الفقر الاستعاذة مما دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السلام وأقوى أفراد عند أهل الدنيا ، وعلى هذا التناسل

٤- عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد النوفلي ، رفعه إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : مرَّ رسول الله ﷺ براعي إبل فبعث يستسقيه ، فقال : أمّا ما في ضروعها فصبح الحي و أمّا في آئتنا فغبوقهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، ثم مرَّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إناثه في إناث رسول الله ﷺ و بعث إليه بشاة وقال : هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نجبه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلفنا نكرهه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن ما قل و كفى خير مما كثر وألهى : اللهم ارزق عمداً و آل عمداً الكفاف .

٥- سنه ، عن أبيه ، عن أبي البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل يقول : يحزن عبدي المؤمن إن قنّرت عليه وذلك أقرب له مني و يفرح عبدي المؤمن إن وسّعت عليه وذلك أبعد له مني .

٦- الحسين بن محمد ، عن أحمد بن إسحاق ، عن بكر بن عماد الأزدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [قال رسول الله ﷺ :] قال الله عز وجل : إن من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذا حظ من صلاح ، أحسن عبادة ربه و عبد الله في السريّة و كان

بين الاخبار والله أعلم .

قوله (فقال أما ما في ضروعها فصبح الحي وأما في آئتنا فغبوقهم) الصبح بالفتح شرب الداء والغبوق بالفتح شرب العشاء فأصلهما الشرب ثم استعمل في المأكل والحي القبيلة من العرب . قوله (و ذلك أقرب له مني) أي تغنير رزقه وتضييقه أقرب له مني لأن قلبه يفرغ عن غيره تعالى من علاقة المال ويتوجه إليه بالتضرع والابتهال ويطلب ما عنده من الفضل و ولقد سمعت من بعض صلحاء أهل الدنيا قال ما صليت بفراغ البال مذاشتفت بالدنيا و تحصيل المال . بخلاف توسيع الرزق فإنه يبعد من الله لأنه يشغل القلب عنه إلى الدنيا . وجمع زهراتها وحفظها وترك الحقوق .

و قوله (إن وسّعت) بالتخفيف أو التشديد يقال وسّع الله عليه رزقه يوسع وسماً من باب نفع ووسعه توسيعاً أي بسطه وكثره و أوسع بالالف مثلهما .

غامضاً في الناس فلم يُشر إليه بالأصابع. فكان رزقه كفافاً، فصر عليه فعُجِّلَتْ به المنيّة، فقل "تراه وقلت بواكيه".

(باب تعجيل فعل الخير)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان قال: حدثني حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: إعمل ما شئت بعدها فقد غفر [الله] لك.

٢- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: افتتحوها نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً، يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله.

قوله (إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له إعمل ما شئت بعدها فقد غفر [الله] لك) من الله للعبد نفعات في بعض الاوقات، وللعبد مع الله مقام في بعض الساعات، وللمعبدة كمال في بعض الانات موجب لرفع الدرجات فلعل زمان قصد الخير والمعبادة أحد هذه الاوقات التي يحصل للمعبد فيها مزيد قرب واختصاص لا يضر ممهما شيء من موجبات البعد ولا يدفع شرف القرب ومثل هذا الحديث رواه العامة قال القرطبي الامر في قوله وإعمل ما شئت، أمرا كرام كما في قوله تعالى «ادخلوها بسلام آمنين»، وأخبار عن الرجل بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه ومحموظ في الآتي، وقال الابي يريد بالامر الاكرام ليس أنه اباحه لان يفعل ما يشاء.

قوله (افتتحوها نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله) اذا كان عمل أول كل يوم وآخره خيراً يندران لا يكسون وسطه خيراً لان المداومة على الخير تورث ملكة مانعة من الشر ومن ثم قبل الخير يسرى بعضه الى بعض كالشر. ولو فرغ، وقوع الشر في وسطه فهو مغفور له كما قال عز وجل «ان الحسنات يذهبن السيئات» لان الله تعالى يستحي من العبد أن يقبل أول عمله وآخره ويرد وسطه أو يذب به، وأيضاً يبعد من كرمه أن يرضى بالمبدأ أولاً وآخره ويذب به ببادرة في الوسط، و أيضاً أعمال العبد بالنسبة اليه تعالى كخطاب أحدنا مع بني نوعه وقد صرحوا بأن الخطاب لابد أن يكون أوله حسناً وآخره حسناً لان أوله ما يقرع السمع وآخره آخر ما يقرع السمع فيستحسنه السمع ويعدده حسناً وكذلك الاعمال.

٣- عنه، عن ابن أبي عمير، عن مرازم بن الحكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فانك لا تدري ما يحدث.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب من الخير ما يعجل.

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن بشير بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخره، فإن العبد يصوم اليوم الحار يريد ما عند الله فيعتقه الله به من النار، ولا تستقل ما يتقرب به إلى الله عز وجل ولو شق تمره.

قوله (إذا هممت بخير فبادر فانك لا تدري ما يحدث) هذا كلام جامع لوجوه المبادرة إلى الخيرات منها الرجوع إلى الحالة المتنافية للتكليف كالهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانها، ومنها المرض المانع من الاتيان بها، ومنها فجأة الموت، ومنها وسوسة الشيطان وإزالة القصد بها، ومنها طريان السهو والنسيان، ومنها تزلزل النفس بخوف الفقر، ومنها فوات المال. ونظير هذا الحديث ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام وعنه:

إذا هممت رباحك فاغتنمها فان لكل حادثة سكون
ولا تنفل عن الاحسان فيها فلا تدري السكون متى تكون

وفيه ترغيب بليغ في المبادرة إلى الخيرات.

قوله (ان الله يحب من الخير ما يعجل) دل على طلب التعجيل أيضاً قوله تعالى و سارعوا إلى مغفرة من ربكم، أي على سبب مغفرة وهو الخيرات ومدحهم به في قوله واولئك يسارعون في الخيرات، ورغب فيه أمير المؤمنين عليه السلام وعنه بقوله و لا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يتداركه و رجل يسارع في الخيرات.

قوله (ولا تستقل ما يتقرب به إلى الله عز وجل ولو شق تمره) أي نصفها فان نصفها قد يحفظ النفس عن الجوع المهلك ولان الانصاف الحاصلة من المتعدد قد يبلغ قوت الاخذ. وفيه حث على التصديق وعدم تركه لقلته ويحتمل أن يراد به ولو كان يسيراً من أي نوع كان ومثله قوله «من» و لا تحقرن شيئاً من المعروف» و قول أمير المؤمنين عليه السلام وعنه «افعلوا الخير ولا تحقروا شيئاً فان صديره كبير وقليله كثير» فسر الخير في كلامه وعنه بالاحسان إلى الضعفاء والانعام عليهم ويمكن حمله على كل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

٦- عنه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من هم بخير فليعجله ولا يؤخره ، فإن العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى : قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئا أبداً ، ومن هم بسيئة فلا يعملها ، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراء الله سبحانه فيقول : لا وعزتي وجلالي لأغفر لك بعدها أبداً .

٧- علي عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره ، فإن الله عز وجل ربما أطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول : وعزتي وجلالي لا أعذبك بعدها أبداً ، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها ، فإنه ربما أطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول : وعزتي وجلالي لأغفر لك بعدها أبداً .

٨- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن أبي حميلة عن محمد بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا هم أحدكم بخير أو صلة فإن عن

قوله (فيقول الله تعالى قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً) غفران ذنوبه أمام باب التفضل ، أو مستند إلى ذلك العمل لقوله تعالى وإن الحسنات يذهبن السيئات فدل على التكفير والمحو بمداينات وأما قوله ولا أكتب فمحتمل أن يكون المراد أنه لا يكتب الذنوب التي يفعلها بعد في مدة عمره أما تفضلاً وأما لذلك العمل بأن يكون لذلك مدخل في محو ما بعده من الذنوب كما أن له مدخلا في محو ما قبله ، ويحتمل أن يكون المراد أنه محفوظ في الآتي من فعل الذنوب ففيه أخبار بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و محفوظ فيما يأتي و بسمه رحمته وشدة سخطه ، وبعث على الخوف والرجاء والأعمال الصالحة كلها فإن كل عمل يصلح أن يكون كذلك ، ثم قوله (لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً) لعل المراد به أنه إذا وقع القسم و كله إلى نفسه فيسلط عليه شيطانه ويفتح له باب المصا فيخوض في الشرور كلها حتى يخرج من الدنيا بلا إيمان فيستحق بذلك الشقاوة الأبدية أو المراد أنه لا يغفر ذنوبه أبداً بل يؤخذ بها وهذا لا يدل على عقوبته أبداً فلا يرد أنه إذا خرج مع إيمان كيف يستحق العقوبة أبداً .

قوله (إذا هم أحدكم بخير أو صلة فإن عن يمينه وشماله شيطانان فليبادر لا يكفاه من ذلك) النفوس البشرية نافرة عن العبادات لما فيها من المشقة الثقيلة عليها ، وعن صلة الأرحام

يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفاه عن ذلك.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من هم بشيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة.

١٠- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة.

(باب الانصاف و العدل)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسن ابن حمزة، عن جده [عن] أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما

والمبرات لما فيها من صرف المال المحبوب لها فاذا هم احدكم بشيء من ذلك مما يوجب وصوله الى مقام الزلفى و تشرفه بالسعادة العظمى فليبادر الى امضائه و ليعجل الى اقتنائه فان الشيطان ابدافى ممكن ينتهز الفرصة لنفثه فى نفسه الامارة بالسوء ويتخربى الحيلة مرة بعد اخرى فى منعها عن الارادات الصحيحة الموجبة لسعادتها و امرها بالتبايح المورثة لشقاوتها و يجلب عليها خيله من جميع الجهات ليسد عليها طرق الوصول الى الخيرات و هى مع ذلك قابلة لتلك الوسوس و مائلة بالطبع الى هذه الخسائس وربما يتمكن منها الشيطان غاية التمكن حتى يصرفها عن تلك الارادة و يكفها عن هذه السعادة و هذه الحالة مجربة مشاهدة فى أكثر الناس.

قوله (فان للشيطان فيه نظرة) فى المصباح نظرت فى الامر تدبرت و انظرت الدين بالالف اخرته و النظرة مثل كلمة بالكسر اسم منه و فى التنزيل و فنظرة الى ميسرة أى فتأخير .

قوله (ان الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله فى موازينهم يوم القيامة و ان الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخفته فى موازينهم يوم القيامة) المراد بأهل الدنيا كل من هو فيها لامن هو طالب لها و مالك لزهراتها فقط و لكون الخير ثقيلا و الشر خفيفا عليهم قل صدور الخير و أكثر صدور الشر منهم و كان المراد بثقل الخير فى الميزان ان له قدراً و اعتباراً و عظمة بالذات و المضاعفة يوجب عظمة صاحبه و علو قدره بخلاف الشر اذ له خفة و حقارة

قال: كان رسول الله يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته و صلحت سريره وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله و أنصف الناس من نفسه.

٢- عنه، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة ؟ أنفق ولا تخف فقراً وأفش السلام في العالم و اترك المراء وإن كنت محققاً وأنصف الناس من نفسك.

بوجب خفة صاحبه و تحقيره.

قوله (طوبى لمن طاب خلقه) أى الجنة أو طيب العيش فى الدنيا والاخرة لمن طاب وحسن خلقه باتصافه بالاخلاق الحسنة (وطهرت سجيته) أى طيبته عن الاخلاق القبيحة (و صلحت سريره) أى قلبه بالمقاييد الصالحة والنية الخالصة والمعارف الالهية (وحسنت علانيته) بالاعمال الصحيحة والافعال الحسنة (و أنفق الفضل من ماله) بإخراج الحقوق الواجبة والمندوبة او الالم منها او مما فضل من الكفاف. (و أمسك الفضل من قوله) بحفظ لسانه عما لا يمينه من فضول الكلام (و انصف الناس من نفسه) أى كان حكماً على نفسه فيما كان بينه وبين الناس ورضى لهم ما رضى لنفسه و كره لهم ما كره لنفسه. وفى المصباح نصفت المال بين الرجلين انصفه من باب قتل قسمته نصفين و انصفت الرجل انصافاً عاملاً بالعدل و القسط و الاسم النصفة بفتح ن لانه اعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك .

قوله (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة) الابيات جمع البيت وهو المسكن كالبيوت والضممان الالتزام يقال ضمنت المال وبه ضماناً فانا ضامن وضمني التزمته ويتعدى بالتضيف يقال ضمنتها المال تضميناً أى التزمته اياه و المعنى من يلتزم لي أربعة من الاعمال بسبب أربعة ابيات التزمته لها فى الجنة، ثم اشار الى الاعمال الاربعة على سبيل الاستيناف بقوله : (أنفق ولا تخف فقراً) فانه لما رغب فى الاربعة بذكر ثمرتها وهى انها سبب لبناء بيت لصاحبها فى الجنة صار محلاً للسؤال فكان السائل قال ما هى حتى أفعلمها فقال أنفق يعنى أنفق فضل مالك فى ذوى الحاجات ولا تخف فقراً فان الانفاق سبب للخلف و الزيادة و أيضاً الفضل لادخل له فى الفنى فلا يوجب فواته فقراً.

(و افش السلام فى العالم) افشاء السلام، وهو الابتداء به على جميع الانام الا ما أخرجه الدليل، سبب للالفة والالتيام وموجب لحسن المعاشرة وتكميل النظام، مع أنه عبادة فى نفسه مطلوب فى دين الاسلام (و اترك المراء) أى الجدل والمنازعة. (و ان كنت محققاً) وان كان فى المسائل العلمية بل هى أحق بشرك المجادلة الابالتى

٣. عنه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن عتبة، عن جارود أبي المنذر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سبب الأفعال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله و مؤاساتك الأخ في المال و ذكر الله على كل حال ، ليس سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقط ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به ، وإذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته .

هي أحسن كما قال تعالى «و جادلهم بالتي هي أحسن» و للنفس فيها مكائد عظيمة فالاولى تركها بالكلية الا من شرفه الله تعالى بالنفس القدسية والكمالات العلمية والعملية فيمكن له التخلص من الاخلاق الرذيلة التي تحصل من المجادلة مثل التكبر والرياء والغضب والحسد والبغض والعجب وغيرها مما لا يخفى على المزاويل لها و لهذا وردت الاخبار بالنهي عنها مطلقاً رعاية للاكثر . (و انصف الناس من نفسك) وهو التزام العدل في المعاملة و المعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه و هو من اخس الصفات المدلية والفضائل البشرية ، وبه يتم نظام العالم و يرتفع الجور في بني آدم .

قوله (انصف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء لنفسك الا رضيت لهم مثله) من انصف به لا يريد للناس الا خيراً و يطلبه لهم بقدر الامكان و يدفع عنهم شراً و يحكم لهم على نفسه لو كان الحق لهم ولا يأخذ منهم من المنافع الا مثل ما يعطيهم ولا ينيلهم من المضار الا مثل ما يناله منهم (و مؤاساتك الاخ في المال) أي تشريكه و تسويته فيه يقال آسيته بمالي أي جعلته اسوة اقتدى أنا به و يقتدى هو بي و هو ينشأ من ملكة السخاء .

(و ذكر الله على كل حال) وفي كل مكان سواء كانت الاحوال و الامكنة شريفة أم لا (ليس) أي ذكر الله (سبحانه الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر فقط) و ان كان مجموع ذلك من حيث المجموع وكل واحد من أجزائه ذكراً أيضاً .

(ولكن اذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به أو اذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته) الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان و ذكر بالقلب والثاني نوعان أحدهما التفكير في عظمة الله و آياته والثاني ذكره عند أمره ونهيه والثالث أفضل من الاول ، والثاني أفضل منهما ، ومن العامة من فضل الاول على الثالث مستنداً بأن في الاول زيادة عمل الجوارح وزيادة العمل يقتضى زيادة الاجر ، وفيه أن الزيادة ممنوعة و على تقدير التسليم فليست الضابطة كلية لظهور أن الذكر القلبي أشرف الادكار وأعرق فيها ، و من ثم روى دنية المؤمن

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن علي بن الملقى، عن يحيى بن أحمد، عن أبي محمد الميثمي، عن رومي بن زرارة عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ألا إنّه من ينصف الناس من نفسه لم يزدّه الله إلا عزاً.

٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه.

٦- عنه، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البزّاز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث له: ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه، فذكر ثلاثة أشياء أولها إنصاف الناس من نفسك.

خير من عمله، و اختلفوا في أن الذكر القلبى هل تعرفه الملائكة وتكتبه أم لا فقبل بالاول لان الله تعالى يجعل له علامة يعرفه الملائكة بها وقيل بالثاني لانهم لا يطلعون عليها.

قوله (ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب) ليس حتى هنا لانقطاع قربه بعد الحساب بل للمبالغة في دوام قربه لانه اذا كان عند حساب الخلائق في ظل قربه واحسانه وضيافة اكرامه وانعامه كان بهمه في ذلك بطريق أولى.

(رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه الى أن يحيف على من تحت يده) ظاهره عدم الجور والتمدى في التأديب ويمكن أن يراد به العفو في حقه والعفو أنسب.

(و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الاخر بشعيرة) أى مشى بينهما في أداء رسالة أو قصد اصلاح أو مصاحبة، وقوله «بشعيرة» مبالغة في ترك الميل بالكلية و أقل الميل أن يقول ما يوافق طبع أحدهما ويخالف طبع الآخر.

(و رجل قال بالحق فيما له وعليه) هذا هو المراد في هذا الباب لانه الانصاف والمعدل في القول وهو أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه.

قوله (فذكر ثلاثة أشياء أولها انصاف الناس من نفسك) هذا أشد لانه أشق على النفس و لعل الآخرين المواساة وذكر الله في كل حال كما يظهر من الاخبار الاتية أو عدم الميل و عدم الحيف بقرينة السابق.

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيّد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساة الأخ في الله، وذكر الله عز وجل على كل حال.

٨- علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البزّاز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه قلت: بلى قال: إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساتك أخاك، وذكر الله في كل موطن، أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وإن كان هذا من ذلك ولكن ذكر الله جل وعز في كل موطن، إذا هجمت على طاعة أو على معصية.

٩- ابن محبوب، عن أبي أسامة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هن؟ قال: المؤاساة في ذات يده، والإيناف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله [ولا إله إلا الله] ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه.

١٠- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه أبي البلاد رفعه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرزه راحلته فقال: يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به

قوله (إذا هجمت على طاعة أو على معصية) أي دخلت فيهما ووردت عليهما مع القدرة على امضاء هوى النفس كما يشعر لفظ الهجوم.

قوله (ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها) أي يمتنع منها ويتركها ولا يتصف بشيء منها، تقول: حرّمته حراماً من باب شرف وعلم إذا امتنعت فعله وفيه ترغيب للمؤمن في الاتصاف بها وفي قوله (ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه) حت على ذكره تعالى في جميع الأحوال لأن القلب يميل مرة إلى الحق ومرة إلى الباطل وتارة إلى الخير وتارة إلى الشر والجوارح تابعة له في جميع ذلك فلا بد للمؤمن من أن يكون ذا كرامة تعالى في جميع حركاته وسكناته وتقلب قلبه ونظراته وناظره إلى جميع أعماله القلبية والجسمية فإن كان خيراً أمسكه بحبل التذكر والايقان ومال إليه بنور القوة والایمان، وإن كان شراً يدعه من خوف العقوبة والخذلان كما روى إذا عرض لك أمر فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فانه.

الجنة، فقال ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم و ماكرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتيه إليهم، خل سبيل الراحلة .

١١- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عيسى بن هشام ، عن عبد الكريم، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل .

١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن يوسف بن

قوله (فاخذ بفرز راحلته) الفرز بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد و اذا كان من خشب أو حديد فركاب .

قوله (العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن) العدل ملكة للنفس تمنعها من الباطل و تحفظها في جميع حركاتها و سكناتها الظاهرة والباطنة من الميل الى الجور و هو في مذاق العادل بل الناس كلهم أحلى من الماء البارد في مذاق العطشان و يتضمن هذا تشبيهه بالماء في ميل الطبع والالتذاذ والوجه في الماء أجلى و أظهر وفي العدل أتم وأكمل كما يشعر به اسم التفضيل (ما أوسع العدل) كأنه تعجب في سمته باعتباره تعلقه بكل أمر من الأمور الظاهرة والباطنة غير مختص ببعض دون بعض كالعقائد أو الأقوال مثلاً أو في شرفه وسعة نفعه لأنه اذا وقع العدل في الناس تنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها و يتم نظام العالم، و ذلك (اذا عدل فيه) أى في العدل اذ لو جار فيه بتعلقه بأفعال بعض الجوارح و الاعضاء دون بعض لم تتحقق سمته بأحد المعنيين المذكورين (و ان قل) أى العدل ووجه قلته أنه يتوقف على كمال النفس الناطقة بالعلم والحكمة وكمال القوة الغضبية بالشجاعة وكمال القوة الشهوية بالمتعة و بالجملة على استقامة القوى الظاهرة و الباطنة حتى يكون جميع الأفعال والأعمال على وفق العقل والشرع، و من البين أن الاتصاف بهذه الخصال على وجه الكمال لكونه في غاية الصعوبة والأشكال ليس الا لواحد بعد واحد هذا الذي ذكرنا في شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال .

قوله (من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره) الظاهر أن رضى على صيغة المجهول أى رضى الله تعالى أو كل عاقل أن يكون هو حاكماً لغيره يحكم بين الخلق لان بناء الحكم على الانصاف والعدل ، وفيه حث على الاتصاف به لان السياسة البدنية و الرئاسة المدنية متوقفة عليه ومفهومه أن غير المتصف به لا يصلح للحكومة .

عمران بن ميثم، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات، قال: يارب وما هن؟ قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس قال: يارب بيّنهن لي حتى أعلمهن، قال: أما التي لي فتعبدني، لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء و عليّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك.

١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن روح ابن أخت المعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الله وأعدلوا، فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون.

١٥- عنه، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك.

قوله (إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات) دل على أن هذه الكلمات جامعة لكل دال على الخيرات و هو كذلك لان المعارف بالله والسائر الى الله قصده امور أربعة الاول هو الله تعالى وحده لا شريك له والكلمة الاولى اشارة اليه، والثاني تحصيل المثوبات الاخرية عند كمال الحاجة اليها، والكلمة الثانية ايماء اليه، والثالث اصلاح حاله في الدنيا وتقويم شأنه وقت السير بتحصيل ما ينهى وترك ما لا ينهى بمون الله و توفيقه، والكلمة الثالثة رمز اليه، والرابع العدل بين رفقائه والانصاف فيما بينهم ليتمكن لهم السير الى الله و تكمل نظامهم، ولهم مدخل عظيم في بقاء النوع والوصول الى المقصود، والكلمة الرابعة اشارة اليه، و اذا تأملت في هذه الكلمات وجدت الحكمة العملية والنظرية مندرجة فيها وقد قسم ارسطاطاليس العدل على ثلاثة أقسام الاول رعاية المبودية، والثاني رعاية حقوق المشاركة، والثالث رعاية حقوق الاسلاف، و الكلمة الاولى في هذا الحديث اشارة الى الاول، و الكلمة الاخيرة الى الاخيرين.

قوله (اتقوا الله و اعدلوا) أى اطيعوا الله فى أوامره و نواهيه و اعدلوا فيما بينكم ولا تجوروا (فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون) بين الناس فينبى أن تعدلوا حتى لا ييب عليكم غيركم ولئلا يتوجه عليكم اللوم والافتكار فى قوله تعالى ولم تقولون ما لا تفعلون.

١٦- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث خصال من كنَّ فيه أو واحدة منهنَّ كان في ظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه : رجلٌ أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقدِّم رجلاً ولم يؤخِّر رجلاً حتَّى

قوله (العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد و أطيب ريحاً من المسك) يرغب في العدل التابع للاعتدال في القوى الانسانية لتشبيهه أولاً بالشهد و هو العمل في الحلاوة و ميل الطبع و ثانياً بالزبد في اللبنة والزبد مثال قفل ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والنفم و ثالثاً بالمسك في الريح المرغوب فيه و هذه المعاني وان كانت في المشبه عقلية خفية عند الجاهلين لكنها كمحبة جليلة عند العارفين.

قوله (في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله) ضمير الاظله يحتمل أن يعود الى الله وأن يعود الى العرش فعلى الاول يحتمل أن يكون الله سبحانه يوم القيامة ظلال غير ظل العرش ولكن ظل العرش أعظمها و أشرفها يخص الله سبحانه من يشاء من عباده ومن جعلتهم صاحب هذه الخصال الثلاث وعلى الآخر لا ظل هناك الا ظل العرش وهو ينافي ظاهراً ما روى عن أبي عبدالله (ع) قال : و قال رسول الله (ص) أرض القيمة نار ما خلا ظل المؤمنين فان صدقته تظله ، و من طريق العامة و المرء في صدقته حتى يقضى الله بين الخلايق ، فانه يدل على أن في القيامة ظلالا غير ظل العرش ، ومن ثم قيل ان في القياسة ظلالا بحسب الاعمال تقى أصحابها عن حر الشمس والنار و أنفاس الخلايق ولكن ظل العرش أحسنها وأعظمها ، ويمكن الجواب بأنه ليس هناك الا ظل العرش يستظل بها من يشاء من عباده المؤمنين ولكن لما كان ظل العرش لا ينال الا بالاعمال وكانت الاعمال تختلف فحصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش بحسب عمله و اضافة الظل الى الاعمال باعتبار أن الاعمال سبب لاستقرار العامل فيه ثم الكون في ظل العرش كما ذكرناه آنفاً يحتمل حمله على الحقيقة بأن يظلمهم الله تعالى من حر الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلائق ، ويحتمل أن يكون كناية عن حفظهم من المكار و جعلهم في كنف حمايته ورعايته ، ويحتمل أن يكون الظل كناية عن الراحة والنعيم ومنه قولهم عيش ظليل (ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضى) يعنى انه يراقب نفسه في جميع الحركات الظاهرة والباطنة ويجعلها موافقة للقوانين الشرعية

شرح اصول الكافي - ٢٥ -

يعلم أن ذلك لله رضى ورجل لم يحب أخاه المسلم بغيب حتى ينتفى ذلك العيب عن نفسه ، فإنه لا ينتفى منها عيباً إلا بداه له عيب ، و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس .

١٧ - عنه ، عن عبدالرحمن بن حماد الكوفي ، عن عبدالله بن إبراهيم الغفاري ، عن جعفر بن إبراهيم الجعفري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من وصى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً .
١٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن خالد بن نافع بيتاع السابري ، عن يوسف البرز أقال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما تدارأ اثنان في أمر قط ، فأعطى أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أدبيل منه .

١٩ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله جنة لا يدخلها إلا ثلاثة أحدهم من حكمهم في نفسه بالحق .

٢٠ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العدل أحلي من الماء يصيبه الظمان ، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل .

(فإنه لا ينتفى منها عيباً إلا بداه له عيب) فيكون دائماً مشغولاً بغيب نفسه و تطهيرها عنه فيكون فارغاً من عيب الناس كما اشار إليه بقوله (و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس) لان النفس ما دامت الدنيا محتاجة الى المعالجة والمداواة آناً فاناً .

قوله : (فذلك المؤمن حقاً) اريد أنه المؤمن الكامل الذي تكاملت أخلاقه الفاضلة و تمت أوصافه الكاملة فمن وجد فيه الامران علم أنه في غاية الكمال من الايمان .
قوله : (ما تدارأ اثنان - الخ) تدارأوا تدافعوا في الخصومة والخدعة ، وادبيل منه أى جعلت الغلبة والنصرة له عليه يقال أدالنا الله على عدونا أى نصرنا عليه وجعل الغلبة لنا و في الفايق أدال الله زيداً من عمرو نزع الله الدولة من عمرو و آتاها زيداً .

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أو له باب الاستغناء عن الناس .

استدراك

قد تكرر في ماضى ذكر القلب مراداً به النفس الناطقة اقتباساً من القرآن الكريم وما حمل
الله لرجل من قلبين في جوفه ، أى من نفسين حتى يكون بأحدهما ابناً لواحد و بالآخر
ابناً لآخر ، أو بأحدهما زوجة وبالأخر اما كما فى الظهار و تكرر أيضاً فى كلام الشارح الاشارة
الى تجرد النفس وهو أهم مبادئ علم الاخلاق مثل قوله : القلب من عالم القدس ، فى الصفحة ٣٦١
والقلب فى اصطلاح علماء الاخلاق هو القوة العاقلة والنفس الناطقة والمراد بكونه من عالم
القدس تجرده ، فرائنا من أوجب ما علينا بيان هذا المقصد المهم ولا يخفى أن كثيراً مما نرى فى خواص
النفس وآثارها تدل على وجود جوهرى مستقل عن البدن وأن الاعضاء آلات يحتاج اليها فى
العمل ويفقد العمل بفقد الآلات وكذلك الحواس الظاهرة آلات لا يندم صاحب آلات بفقدانها
والعاقلة لا تحتاج فى ادراكها الى آلة حتى يندم الثقل بانعدامها ولو كانت العاقلة أيضاً
بآلة وفقدت المشاعر كلها وتحللت أعضائها جميعاً لم يبق من النفس شئ وانما يبقى النفس بقاء
العاقلة مع فقد سائر المشاعر ، وقال بعض حكمائنا ان الحافظة للصور المثالية التى سموها
الخيال أيضاً غير آلية لا تغنى بقاء الدماغ ، واحتجوا على عدم احتياج العاقلة الى الدماغ و
عدم حلول الصور المعقولة فيه بوجوه : الاول ان الصورة العقلية غير منقسمة ولو كانت منقسمة
لا تتهى الى أجزاء غير منقسمة و غير المنقسم لا يحل فى جسم منقسم . الثانى أن القوة الحافظة فى
الالة لا تشعر بنفسها كالباصرة لا تبصر العين والعقل يشعر بذاته . الثالث أن العقل يدرك المعقولات
ولا يثقل عليه حملها وان كثرت ولا يكمل ويتعقل جميعها متساوية فى الوضوح والقوى الحاسة
الجسمانية كالبصر يكمل ولا يبصر الضعيف بعد ادراك النور القوى الا بعد استراحة ما ولا يشم
الانف الرائحة الضعيفة اثر القوة لشدة تأثيره بالقوة وكلاله . ولا يكمل العالم الا عند التفكير
لتحصيل المعلومات فى المرة الاولى لان الفكر من المتخيلة الثابتة فى الدماغ وأما بعد تعقل
المعقول فلا يكمل باستمرار التعقل كالبصر . الرابع أن العقل لا يضمحل بالشيخوخة وضعف الاعضاء
وانما يضعف الفكر والقدرة على تحصيل ما لم يحصله و العمل بما علم لضعف الالة و أما نفس
التعقل فهو ثابت باق ويدرك حكماً بعد حكم من غير أن يعجز . ومن زعم أن الشيخ يضعف عقله
بتقدم السن اشتبه عليه الفكر بالتعقل او ما يتوقف من العلوم على معونة الحواس بما لا يتوقف عليها
والطبيب اذا شاخ وضعف يستشار ولا يعالج باليد لضعفه ، ولا يميز المرض لضعف عينه وأذنه ولا
يزيد علمه لضعف فكره وحافظته ، وهذه كلها غير التعقل ومعنى قوله ولكيلا يعلم بعد علم
شيئاً يؤول على هذا . الخامس أن عدم كون الادراك من صفات الجسم بديهى والتشكيك فيه

يساوق التشكيك في سائر الامور البديهية وكيف يمكن أن يدرك جسم الصور الحالة فيه ولو كان حلول صورة ما في الدماغ ادراكاً للدماغ فلم لا يدرك الجدار النقش الحاصل فيه ، فان قيل هذا المزاج خاص للدماغ ولتركيبه من عناصر خاصة ليست موجودة في الجدار ، قلنا فلم لا يدرك الدماغ الملاسة والخشونة والشكل والحفر وسائر ما حل في أجزائه من الاعراض والصفات وما الفرق بين الصورة المعقولة والعلوم الحاصلة في الدماغ وبين سائر صفات نفسه كالشكل والملاسة وكلاهما حالة جسمانية عارضة لجسم الدماغ والادراك عندكم عبارة عن حلول الصورة في جسم له هذا المزاج والتركيب ولا مناس عن ذلك الا بأن يلتزم بأن الادراك ليس حلول حالة جسمانية في جسم بل شيء آخر من غير سنخ حلول عوارض الاجسام. وقال الشيخ لو كان العقل في دماغ لكان العقل اذ اذم العقل للدماغ واما أن لا يتعقله أصلاً ، و نعم ما قال وهذا الوجه الخامس هو الحجة القاطعة. وقدم في الصفحة ٣٥٦ و ٣١١ وغيرهما ما يؤكد المقصود وقد علمنا من تتبع ما يسمى في علم الاخلاق وذائل ومهلكات أنها جميعاً تنسب الى الفرائز الطبيعية المعقولة للقوة الواهمة كالشهوة والغضب والبغض والحسد فالسعادة كل السعادة في اخضاع الوهم وقهره حتى لا يسترسل في الشهوات ويتبع العقل ولا يمنعه من كسب الفضائل وقد ظهر من ذلك أن الوهم وما يتفرع عليه ليس من العالم الروباني والتجرد في شيء ولاحظ له من القدس أصلاً ، والمعجب أن الغزالي مع تبجيره في هذا العلم نقض قول الحكماء في تجرد العاقلة بان الوهم أيضاً لا ينقسم مدركاته فان معنى الحسد والغضب والشهوة وأمثالها الاجزاء مقدارية لها فلا ينقسم كمعنى الانسان والحيوان فليست جسمانية وهذا عجيب من مثله لان معنى الحسد والغضب وأمثالها كلي لا يدركه الحيوان البتة وهو مجرد من جهة كونه معقولا حاصلا للقوة العاقلة وانما الحاصل للحيوان مصاديق هذه المعاني فاذا رأت الشاة ذئباً عرضت في بدنها حالة تبعتها على الفرار وضربان القلب ونسعى نحن معاشر البشر تلك الحالة خوفاً ولا تنعقل الشاة معنى الحالة ولا يعرف لها مفهوماً ولا لفظاً كاحساس الرضيع بوجع رأسه من غير أن يكون له تصور مفهوم الالم وجميع ما ذكره في التهافت في نقض تجرد النفس الناطقة من هذا القبيل ناش عن قلة الاعتبار.

والخيال في اصطلاح الحكماء هو القوة الحافظة للصور المدركة بالحس المشترك واختلف الحكماء في تجرد الخيال المصطلح عندهم فالشيخ الرئيس وأتباعه أنكروا تجرده وجعلوه من عوارض الدماغ بمعنى انه آلة لا مدرك وشيخ الاشراق ومن تبعه ومنهم صدر المتألهين - قدس - اعتقدوا تجرده ولذلك أمكنهم الالتزام بان روح الحيوانات التي لها قوة الخيال مجردة تبقى بعد موتها وهو

متوقف على اثبات أن الحيوان يدرك وحدة ذاته طول عمره مع تبدل أجزائه بدنه وأنه يبقى مع جميع ما أدركه سابقاً واختزن في خياله وبالجملة يتوقف على إحاطتنا بخصوصيات ادراكه الخيالي وأما الانسان فيذكر غالباً ما أحسه بعد أربع سنين من ولادته والتزموا بتجريد الخيال اذ لا يتعلل حلول صور كثيرة متراكبة بعضها على بعض وبعضها عظيمة وبعضها صغيرة متضادة بعضها مع بعض فسي سنين متطاولة على جسم صغير من غير أن يشوش الصور ويبطل بعضها بعضاً . والحيوان حاله غير معلومة لنا فلهذا لا يذكر ما مر عليه سنة أو أقل لكن الحدس القوي يؤكد وجود صفات التجرد في خياله و ليس هنا موضع التفصيل في ذلك و اما اعتراض الغزالي على الحكماء في استدلالهم على تجرد النفس ببقاء وحدتها طول العمر مع تبدل البدن بأن الحيوان أيضاً كذلك يتبدل أجزائه مع أنه واحد من أول نموه الى أن يموت ولا يقولون بتجرده .

فالجواب أنهم لم يعلموا و حدثه بالمعنى الذي نراه في الانسان من حفظ شخصيته ومدركاته وعلموه ولا تكفى الوحدة العرفية وعلى فرض ثبوت وحدته حقيقة يقولون بتجرده . فان قيل حكمت فيما سبق (في الصفحة ٣٣٩) بأن الحافظة كسائر الحواس الباطنة جسمانية وهي اعتياد الاعصاب أو الدماغ، قلنا غرضنا هناك الذاكرة فان الحافظة قد تطلق على قوة تحل فيها الصور وقد تطلق على قوة تسترجع المخزون وتحضرها عند الحس المشترك والجسماني هو الثاني دون الاولى . راجع الصفحات (٢٧ و ٣١ و ١٧٦ و ٢٩٢ و ٣٠٧ و ٣١١ و ٣٢٠ و ٣٢٨ و ٣٥٠ و ٣٥٦) . (ش)

كتاب الايمان والكفر

باب طينة المؤمن والكافر	٢
آخر فيه زيادة وقوع التكليف الاول.	١٣
أن رسول الله أول من أجاب وأقر الله بالربوبية.	٢٩
كيف أجابوا وهم ذر.	٣٣
فطرة الخلق على التوحيد.	٣٥
كون المؤمن في طلب الكافر.	٤٠
إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن.	٤١
في أن الصفة هي الاسلام.	٤٢
في أن السكنة هي الايمان.	٤٣
الاخلاص.	٤٦
الشرايع.	٥٣
دعائم الاسلام.	٥٧
أن الاسلام يحقق به الدائم وأن الثواب على الايمان.	٧١
أن الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان.	٧٤
أن الاسلام قبل الايمان.	٨١
(بدون العنوان).	٨٣
في أن الايمان مبعوث لجوارح البدن كلها.	٩٨

السبق إلى الايمان.	١١٨
درجات الايمان.	١٢٧
آخر منه.	١٣٢
نسبة الاسلام.	١٣٤
خصال المؤمن.	١٤٠
(بدون العنوان).	١٤٧
صفة الايمان.	١٥٥
فضل الايمان على الاسلام ، واليقين على الايمان.	١٥٩
حقيقة الايمان واليقين .	١٦٣
التفكير.	١٦٩
المكلام.	١٧٢
فضل اليقين .	١٧٩
الرضا بالقضاء .	١٨٨
التفويض إلى الله والتوكل عليه.	١٩٧
الخوف والرجاء .	٢٠٥
حسن الظن بالله عز وجل .	٢١٧
الاعتراف بالتقصير.	٢٢١
الطاعة والتقوى .	٢٢٤
الورع .	٢٣٣
الغضب .	٢٤٠
اجتناب المحارم .	٢٤٢
أداء الفرائض .	٢٤٥
استواء العمل والمداومة عليه.	٢٤٧
العبادة .	٢٤٩

النِّيَّة .	٢٥٢
(بدون العنوان) .	٢٥٥
الاقتصاد في العبادة .	٢٥٧
من بلغه ثواب من الله على عمل .	٢٥٩
الصبر .	٢٦٢
الشكر .	٢٧٦
حسن الخلق .	٢٨٧
حسن البشر .	٢٩٤
الصدق و أداء الامانة .	٢٩٦
الحياء .	٢٩٩
العفو .	٣٠١
كظم الغيظ .	٣٠٤
الحلم .	٣٠٨
الصمت و حفظ اللسان .	٣١٣
المداواة .	٣٢١
الرفق .	٣٢٤
النواضع .	٣٣٠
الحب في الله والبغض في الله .	٣٣٩
ذم الدنيا والزهد فيها .	٣٤٧
(بدون العنوان) .	٣٨٠
القناعة .	٣٨٢
الكفاف .	٣٨٧
تعجيل فعل الخير .	٣٩٠
الانصاف والعدل .	٣٩٣